

البيان والبيان

في التاريخ

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء التاسع



مطبعة السقاوي بحار محافضة مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين ﴾

ففيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقدمها فأقام بها أشعرا ثم خرج معتمرا ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر ، وبني في بني سلامة مسجدا ، وهو الذي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابرا وسهل بن سعد وقرعهما لم لا نصرنا عثمان بن عفان ، وخطبهما خطابا غليظا قبحه الله وأخزاه ، واستغضى أبا إدريس^(١) الخولاني أظنه على اليمن والله أعلم . قال ابن جرير : وفيها نقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بنأه وأعادها على بنيانها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض بنيان الكعبة جميعه . بل إنما هدم الحائط الشامي حتى أخرج الحجر من البيت ثم سده وأدخل في جوف الكعبة ما فضل من الأحجار ، وبقية الحيطان الثلاثة بجائها ، ولهذا بقي البنيان الشرقي والغربي وهما ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سد الغربي بالكعبة ودم أسفل الشرقي حتى جعله مرتفعا كما كان في الجاهلية ، ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان يبلغ ابن الزبير من العلم النبوي الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ كما تقدم ذلك من قوله : « لولا أن قومك حديث عهد بمكسر - وفي رواية - بجاهلية لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، ولأصقتهما بالأرض ، فان قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم

يشمورها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا . فلما تمكن ابن الزبير منها كذلك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : ودنا لو تركناه وما تولى من ذلك وفي هذه السنة ولى المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن سروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه . فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه العزوة ، وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الله بن مخنف أن يستبد بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمرأه الأرباع معه على منازلهم حتى نزل بامرهم ، فلم يقيم عليها إلا عشراً حتى جاءه نهي بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فأرخص بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبشوا في آثارهم من يردهم ، وكتب خالد ابن عبد الله إلى الفارين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فعملوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحابهم فركبوها ثم ساروا إلى بعض البسلاط فلم يزالوا محتفين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان وولاه أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فانه قد كادت الفتنة تنفلقم بخراسان بعد عبد الله ابن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يوليّه طخارستان فخوفه منه أن يخلفه هناك فتركه مقبلاً عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها الحجاج وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن والحجامة . قال ابن جرير : وقد قيل إن عبد الملك اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

(ذكر من توفي فيها من الأعيان)

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، وصفين مع علي وكان يعمدنا المزارع والفلاحة ، توفي وهو ابن ستة وثمانين سنة ، وأُسند ثمانية وسبعين حديثاً . وحديثه جيدة . وقد أصابه يوم أحد منهم في رقبته فخرده رسول الله ﷺ بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه العظبة ويشهد له يوم القيامة ، فاختار هذه ، وانقض عليه في هذه السنة فمات منه رحمه الله .

(أبو سعيد الخدري)

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استصغر

يوم أحد ، ثم كان أول مشاهده الخندق ، وشهد مع رسول الله ﷺ ثلثي عشرة غزوة ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم . قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين فإله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا المقدم بن داود ثنا خالد بن نزار ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : « النبيون قلت : ثم أي ؟ قال ثم الصالحون ، وإن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا السرة - وفي رواية - إلا العباءة أو نحوه ، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقميل حتى ينفذ القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء » . وقال قتيبة بن سعيد : ثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستغنوا عن المسألة فإنه من يستغف يغفه الله ومن يستغن يغنه الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أبيت إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وعدت » . وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه .

(عبد الله بن عمر)

ابن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم وهاجراً وعمره عشرة سنين ، وقد استصفر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازوه وهو ابن خمس عشرة سنة فشدها وما بعدها ، وهو شقيق حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون ، وكان عبد الله بن عمر ربعة من الرجال آدم له حمة تضرب إلى منكبيه جسيماً يخضب بالصفرة ويحفي شاربه ، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أراد عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجولاء وما بينهما من وقائع الفرس . وشهد فتح مصر ، واختلط بها داراً ، وقدم البصرة وشهد عز و فارس وورد المدائن مراراً وكان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله يقر به إلى الله عز وجل ، وكان عبده قد عرفوا ذلك منه ، فربما لم أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحال اعتقه ، فيقال له : إنهم يخذعونك ، فيقول : من خدعنا الله أنخدعنا له ، وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها أولاده نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول (إن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) واشترى مرة بغيراً فأعتقه لما ركبته فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة ، وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف فقال : أو خيراً من ذلك ؟ هو حر لوجه الله ، واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال الغلام :

يامولاي قد أعتقتني فهب لي شيئاً أعيش به فأعطاه أربعين ألفاً ، واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلي فقاموا خلفه يصلون فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله ! فقال : أنتم أحرار لمن صليتم له ، فأعتقهم . والمقصود أنه مامات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وكانت تمضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يدنو فيه لحماً إلا وعلى يديه يقيم ، وبمث اليه معاوية بمائة ألف لما أراد أن يبايع يزيد ، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء ، وكان يقول : إني لا أسأل أحداً شيئاً ، وما رزقني الله فلا أرد ، وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه ، وأدى إليه زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، وكان يتبع آثار رسول الله ﷺ يصلي فيها ، حتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء ، وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحياناً تلك الليلة ، وكان يقوم أكثر الليل ، وقيل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خير من بقي ، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد ، وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعد وابن مسعود وحفصة وعائشة وغيرهم ، وعنه خلق منهم بنوه حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر إن كان محفوظاً ، وأسلم مولى أبيه وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاووس وعروة وعطاء وعكرمة وجاهد وابن سيرين والزهرى ومولاه نافع .

وثبت في الصحيح عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل » . وكان بسد يقوم الليل ، وقال ابن مسعود : إن من أملك شباب قریش لنفسه عن الدنيا ابن عمر . وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كرم ، وقال سعيد بن المسيب : مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن لقي الله بمثل عمله منه ، وقال الزهرى لا يعدل برأيه فانه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم . وقال مالك : بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة وأفقي في الاسلام ستين سنة ، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض ، قال الواقدي وجماعة : توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين ، وقال الزبير بن بكار وآخرون : توفي سنة ثلاث وسبعين والأول أثبت والله أعلم .

﴿ عبيد بن عمير ﴾

ابن قتادة بن سعد بن عامر بن خندع بن ليث ، الأثبي ثم الخندعي ، أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة ، قال مسلم بن الحجاج . ولد في حياة النبي ﷺ ، وقال غيره ورآه أيضاً ، وروى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن عمر وعلى وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمر وأنس وسادة وغيرهم ،

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقة ابن معين وأبو زرعة وغير واحد . وكان ابن عمر يجلس في حلقة ويبيكي وكان يمجبه تذكيره ، وكان بليغا ، وكان يبكي حتى يبل الحصى بدموعه . قال مهدي ابن ميمون عن غيلان بن جرير قال : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة فقال اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسنى غير متطاول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ولا قائمين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم . وحكى البخاري عن ابن جريج أن عبيد بن عمير مات قبل ابن عمر رضي الله عنه .

(أبو جحيفة)

وهب بن عبد الله السوائي ، صحابي رأى النبي ﷺ ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي ﷺ لكن روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم وسامة بن كهيل والشعبي وأبو إسحاق السبيعي ، وكان قد نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين لله . وكان صاحب شرطة علي ، وكان على إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره .

(سلمة بن الأكوع)

ابن عمرو بن سنان الأنصاري وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يفتي بالمدينة ، وله مشاهد مرودة في حياة النبي ﷺ وبعده ، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

(مالك بن أبي عامر)

الأصمعي المدني وهو جد الإمام مالك بن أنس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً عالماً ، توفي بالمدينة .

(أبو عبد الرحمن السلمي)

مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

(أبو معرض الأسدي)

اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي ، وكان أحمر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

﴿ بشر بن مروان ﴾

الأُموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولى إمرة المراقين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة الباب ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند حجير ، وهو الذى قتل خالد بن حصين السكلابي يوم مرج راهط ، وكان لا يغلُق دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يميز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببیت الأخطل .

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

وليس فيه دليل ، فان هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سبب موت بشر أنه وقعت القرحة في عينه فقليل له يتطعمها من المنفصل فخرج فما أحسن حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات ، ولما احتضر جمل يبكي ويقول : والله لو ددت أنى كنت عبداً أرغى النعم في البادية لمض الأعراب ولم أل ما وليت ، فذكر قوله لابي حازم - أو اسميد بن المسيب - ، فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنا ل نرى فيهم عبراً ، وقال الحسن : دخلت عليه فاذا هو يشمل على سريه ثم نزل عنه إلى صحن الدار ، والأطباء حوله . مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها ، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يثنوه والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ﴾

ففيها غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار - صائفة الروم حين خرجوا من عند مرعش ، وفيها ولى عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن أبى العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج . وفيها ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار ، وذلك بعد موت أخيه بشر ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته وقهره وقسوته وشهامته ، فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر ركبا ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان فتحهم التجائب ، فنزل قريب الكوفة فاغتسل واغتضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عذبة العمامة بين كتفيه ، ثم سار فنزل دار الإمارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يعلمون ، فصعد المنبر وجلس عليه وأمسك عن الكلام طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوها ، وقد كانوا حصبوا الذى كان قبله ، فلما سكث أبتهم وأحبوا أن يسموا كلاًه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومسأوى الأخلاق ، والله إن كان أمركم إليهمنى قبل أن أتى إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بى ، ولقد سقط منى البارحة سوطى الذى أؤدبكم به ، فالتفت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ، ثم قال : والله لا آخذن صغيركم بكبيركم ، وحركم بعبدكم ، ثم لأرخصنكم رصع الحداد الحديدية ، والخباز العجينة . فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم ، وقيل إنه دخل الكوفة فى شهر رمضان ظهراً فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء مثلهم بطرفها ، ثم قال : على بالناس ! فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضح العمامة تعرفونى
ثم قال : أما والله إنى لأحمل الشئ بحمله ، وأحسنوه بنعله ، وأحزمه بفتله ، وإنى لأرى رؤساً قد أينمت وأن اقتطافها ، وإنى لأنظر إلى الدماء تترقق بين السماء والماء ، قد شمرت عن ساقها فشمري ، ثم أنشد : -

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لغها الليل بسواقى عظم
لست براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
قد لغها الليل بعصلي أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى

ثم قال : إنى والله يا أهل العراق ما أغمر بعمازه ولا يقمع لى بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاه وجربت من الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته ثم عجم عيدانها عوداً عوداً فوجدنى أمرها عوداً وأصلبها مغزاً فوجهنى إليكم ، فأتم طالما رتعتم فى أودية الفتن ، وسلكتم سبيل الفئ ، واختارتم جدد الضلال ، أما والله لأخونكم لحنى العود ، ولأعصبنكم عصب السلعة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الأبل ، إنى والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت ، فأبى وهذه الجماعات وقيلًا وقالا ، والله لتستقيم على سبيل الحق أولاً دعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده .
ثم قال : من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب - يعنى الذين كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم - سفكت دمه وانتهت داله ، ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ، ويقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطلال السكوت حتى أن محمد بن عمير أخذ كفاً من حصى وأراد أن يعصبه بها ، وقال : قبجه الله ما أعياه وأذمه ! فلما نهض الحجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يقتار من يده وهو لا يشعر به ، لما يرى من فصاحته وبلاخته . ويقال إنه قال فى خطبته هذه : شامت الوجود إن الله ضرب (مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وأنتم أولئك فاستوا

واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ، ولأعصبنكم عصب السلة حتى تنقادوا ، وأقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الأرجاف وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، وإيش الخبر وما الخبر ، أو لأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أياي والاولاد يتامى ، حتى تمشوا السهمى وتقلعوا عن هاوها . فى كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير .

فلما كان فى اليوم الثالث سمع تكبيراً فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، إني سمعت تكبيراً فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به التهريب . وقد عصفت عجاولة تحتها قصف ، يابى المكيعة وعبيد المصا وأبناء الأماء والأياي ، ألا يربيع كل رجل منكم على ظلمه ، ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدباً لما بعدها . قال فقام إليه عمير بن ضابى التميمي ثم الحنظلي فقال : أصلح الله الأمير إنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا أبى هو أشب منى . قال : ومن أنت ؟ قال عمير بن ضابى التميمي ، قال : أسمعتم كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم ! قال : ألسن الذى غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبى وكان شيخاً كبيراً ، قال أوليس هو الذى هو يقول :

هممت ولم أفعل وكدت وليمنى فعلت ووليت البكاء حلالاً

ثم قال الحجاج : إني لأحسب أن فى قتلك صلاح المصيرين ، ثم قال قم إليه يا حرسى فاضرب عنقه ، فقام إليه رجل فاضرب عنقه وانتهب ماله ، وأمر منادياً فنادى فى الناس ألا إن عمير بن ضابى تأخر بعد سماع النداء ثلاثاً فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فعبر عليه فى ساعة واحدة أربعة آلاف من مدحج ، وخرجت معهم العرءا حتى وصلوا بهم إلى المهلب ، وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه ، فقال المهلب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو . وروى أن الحجاج لم يعرف عمير بن ضابى حتى قال له عنبة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه ، فأمر الحجاج عند ذلك بقتله .

وبعث الحجاج الحسك بن أيوب الثقفى نائباً على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد ابن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحاً ثم ركب الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور ، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة . وحج بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان ، وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله . وفى هذه السنة وثب الناس بالبصرة على الحجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضابى قام فى أهل البصرة فخطبهم فظير ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتنشيد والتهديد الأكيد ، ثم

أثنى رجل من بني يشكر قبيل هذا عاص ، فقال : إن بني فتنا وقد عذرتني الله وعذرتني بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود علي بيت المال ، فلم يتقبل منه وأمر بقتله فقتل ، ففرغ أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز ، وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أمره الجيش فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رؤس من القبائل معه ، وأمر برؤسهم فقطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بعث بها إلى المهلب فتوى بذلك وضمف أمير الخوارج ، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناهضة الأزارقة ، فهضا عن مهبما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراءهم فالتقوا في العشر الآخر من رمضان ، فلما كان الليل بيت الخوارج المهلب من أتيل فوجدوه قد تحصن بخندق حول مسكره ، فجأوا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز - وكان المهلب قد أصدر بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل - فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزمهم هزيمة منكرة ، ويقال إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الواقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشرين بقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يمهدهم الله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي سفرة فاضطروه إلى مسكره ، فحمل عبد الرحمن يده بالخليل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بعد العصر فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصولي عليه ودفنه ، وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزیه فيه فعماه عبد الملك إلى الناس بني ، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ولم يجحد بدأ من طاعة الحجاج ، وكره أن يخالفه ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ويصيه كثيراً ، ثم تقاولا فهم المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب .

وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني أمية التيس ، وكان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبطين وأشباههم من رؤس الخوارج ، واتفق حج أمير المؤمنين عبد الملك فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره بعد انصرافه من الحج ، فكتب عبد الملك

إلى الحجاج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسريح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والاقامة بها ، وكان له جماعة يلوذون به و يمتقدونه ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلمهم القرآن و يقص عليهم وكان مصفراً كثير العبادة ، وكان إذا قص يحمد الله ويثنى عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويبحث على ذكر الموت و يترحم على الشيعة أبي بكر وعمر ، ويثنى عليهما ثناء حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان فيسبه وينال منه ويشكر عليه أشياء من جنس ما كان يشكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من نخرة أهل الأمصار ، ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهون عليهم القتل في طلب ذلك ، ويندم الدنيا ذمماً بالتمام ، ويصغر أمرها ويحققره ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطنه في الخروج ويحثه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين - وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمجمل والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل محمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان . كما سند كره في هذه السنة التي بمدها إن شاء الله تعالى وكان ممن توفي فيها في قول أبي مسهر وأبي عبيد (العرباض بن سارية) رضي الله عنه السلمي أبو نجيع سكن حمص وهو صحابي جليل ، أسلم قديماً هو وعمر و بن عتبة ونزل الصفة ، وكان من البكائين المذكورين في سورة براءة كما قد ذكرنا أماءهم عند قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) الآية . وكانوا ، تسعة وهو راوى حديث « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وزرفت منها الميرون » الحديث إلى آخره . ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره ، وروى أيضاً أن النبي ﷺ « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة » وقد كان العرباض شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سني وذهبن عظمتي فأقبضني إليك ، وروى أحاديث .

(أبو ثعلبة الخشني)

صحابي جليل شهيد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان من نزل الشام بدار ياغربي دمشق إلى جهة القبلة ، وقيل ببلاط قرية شرقي دمشق فله أعلم . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرثوم بن ناشر ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث وعن جماعة من الصحابة ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ومكحول الشامي وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الجرهمي ، وكان ممن يجالس كتب الأخبار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيتفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخلفني الله عند الموت كما أراكم فتمتقون ،

فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أباه قدسات فأنقبت مذمورة فقالت لا بها ابن أبي ؟ قالت : هو في مصلاته ، فنادته فلم يجبها ، فجاءته فخر كنهه فسقط جنبه فإذا هو ميت رحمه الله ، قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية فأن الله أعلم . وقد توفي في هذه السنة .

﴿ الأسود بن يزيد ﴾

صاحب ابن مسعود ، وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهب عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره ، وكان يهل من الكوفة ، توفي في هذه السنة ، وكان يصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتضر بكى فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبتت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيياً منه .

﴿ حمران بن أبان ﴾

مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين النمر اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ﴾

كان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتماع صالح بن مسرح أمير الصفرية ، وشبيب بن يزيد أحد شجعان الخوارج ، فقام فيهم صالح بن مسرح فأمرهم بتقوى الله وحثهم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوه إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فأخذوها فنفروا بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس عليهم عدي بن عدي بن عميرة ، ثم زاده خمسمائة أخرى فسار في ألف من حران إليهم ، وكانوا يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، لما يعلموا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما انتقوا مع الخوارج هزمهم الخوارج هزيمة شنيعة بالغة ، واحتدوا على مافي مسكرهم ، ورجع فدهم إلى محمد بن مروان ، ففضب وبعث إليهم ألفاً وخمسمائة مع الحارث بن جعونة ، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس ، فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج في نحو من مائة نفس وعشرة أنفس ، فلما اتفوا إلى آمد توجه صالح في شطر الناس إلى خالد بن الحر ، ووجه شبيباً في الباقي إلى الحارث بن جعونة ، فافتتل الناس قتالاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن

الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مردان نحو الثلاثين ، وهربت الخوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا المدسكرة ، وبث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بم أرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلاً ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ، وشبيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سليمان عن يساره في كردوس ، وحمل عليهم الحارث بن عميرة ، وعلى يمينه أبو الرواح الشاكري ، وعلى يساره الزبير بن الأرواح التميمي ، فصبرت الخوارج على قتلهم صبراً شديداً ، ثم انكشف سويد بن سليمان ، ثم قتل صالح بن مسرح أميرهم ، وصرع شبيب عن فرسه فالتقى عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هنالك ، وقد بقي معهم سبعون رجلاً ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم فينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهراً ، فما رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على الصعب والدلول من الباب فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن ، واحتار شبيب وأصحابه ما في معسكرهم ، وكان جيش الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شبيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفيها دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ، وذلك أن شبيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرح ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار فجاز المدائن فلم ينل منهم شيئاً ، فسار فأخذ دواباً للحجاج من كلوزا ، وفي عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلمهم إلى الحجاج جهز جيشاً أربعة آلاف مقاتل إلى شبيب ، فمروا على المدائن ثم ساروا في طلب شبيب فجعل يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو يريد أن يخالف منهم ، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرها وينهب ما فيها ، ولا يواجه أحداً إلا هزمه ، والحجاج يلح في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والممدد وشبيب لا يبالي بأحد وإن ما معه مائة وستون فارساً ، وهذا من أعجب العجيب ، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكماله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل انزعج الناس له وخاف منه وفرقوا منه ، وهم الجيش أن يدخل الكوفة خوفاً منه ويتحصنوا بها منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم ، وشبيب نازل بالمدائن بالدير ليس عنده خبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له فليل له : قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر بهم ويقول للدهقان الذي يصنع له

الطعام : أجده وأفضجه ومجمل به ، فلما استوى أكله ثم توضأ وضوءاً تاماً ثم صلى بأصحابه صلاة تامة بطويل وظمأينة ، ثم لبس درعه وثقل سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا إلى البقعة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : اركب فرساً ، فقال : لا ! حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدير الذي هو فيه وهو يقول : أنا أبو المجدل للاحكم إلا الله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهو سعيد بن الجالد ، وحمل على الجيش الآخر انكشيف فصارع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجأوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم الأهالي عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها العصر ، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الامارة فضرب بابه بعموده الحديد فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتقصده محال القتال ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشرافهم ، منهم أبو سليم والدليلث بن أبي سليم ، وعدي بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله العامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة ، وكانت ممروفة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجعلت تدم بن مروان .

ونادى الحجاج في الناس يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة إلى بحال الطعن والضرب ، فجهز الحجاج في آخر سنة آلاف مقاتل ، فساروا وراءه وهو بين أيديهم ينس و بهز رأسه ، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم فيقتل منهم جماعة ، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً . وقتل جماعة من الأمراء منهم زائدة بن قدامة ، قتله شبيب [وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لخر به عبد الرحمن بن الأشعث ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهمزمت جموعه بمد أن قتل من أصحابه ستائة نفس ، فن أعيانهم عقيل بن شدداد السلوي ، وخلاد بن نهميك الكندي ، والامود بن ربيعة ، واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام فتقدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شردمة قليلة ، وقد ملأ قلوب الناس رعباً ^(١) وجرت خطوب كثيرة له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى استهلكت هذه السنة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير وهو أول من

نقشها . [وقال الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية : اختلف في أول من ضربها بالمرمية في الاسلام فقال سعيد بن المسيب : أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير والدراهم رومية وكسروية ، قال أبو الزناد : وكان نقشه لها في سنة أربع وسبعين ، وقال المدايني : خمس وسبعين ، وضربت في الآفاق سنة ستة وسبعين ، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها الله أحد ، وعلى الوجه الآخر الله الصمد ، قال : وحكى يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين على ضرب الأكسرة ، عليها الملك من جانب ، والله من جانب ، ثم غديرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب ، ثم خلصها بعده يوسف بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسيري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلهم ، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا الهبيرية والخالدية واليوسفية . وذكر أنه قد كان للناس نقود مختلفة منها الدراهم البعلية ، وكان الدرهم منها ثمانية دنانق ، والطبرية وكان الدرهم منها أربعة دنانق ، والعمى دنانق ، فجمع عمر بن الخطاب بين البعلی والطبري ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخمس مثقال ، وذكروا أن المثقال لم يغيروا وزنه في جاهلية ولا إسلام ، وفي هذا نظر والله أعلم ^(١) .

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحکم وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية ، ومنه أخذها بنو العباس . وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة ، وعلى إمرة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله والله أعلم .

[ومن توفى فيها من الأعيان أبو عثمان النهدي القاضي اسمه عبد الرحمن بن مل أسلم على عهد النبي ﷺ وغز أجولاء والقادسية وتستر ، ونهاند ، وأذر بيجان وغيرهما ، وكان كثير العبادة زاهداً عالماً يصوم النهار ويقوم الليل ، توفي وعمره مائة وثلاثين سنة بالكوفة .

(صلة بن أشيم المدوي)

من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل ورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصبياء ، كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتى الفراش إلا حبوا ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول : أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا في النهار عن الطريق وناموا الليل فمضى يتطعمون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة ، فقال شاب منهم : والله يا قوم إنه ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو ، وبالليل ننام . ثم تبع صلة فلم يزل يتبعه معه حتى مات . ومرو عليه فمضى يجرؤ به فهم أصحابه أن يأخذوه بأنسنتهم فقال : دعوني أكنفكم أمره ، ثم دعاه فقال : يا ابن أخي لي إليك حاجة ،

قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ولعمري عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه لثمتكم . ومنهما حكاة جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصمدت أنا في شجرة ، قال فقراء التفت أوعدده جرواً حتى سجد فقلت : الآن يفرسه ، فجلس ثم سلم فقال : أيها السبع إن كنت أمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لثبيراً تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بحمده لم أسمع بمثلهما ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجبرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة . ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وبى من العترة شئ الله به عليم . قال : وذهبت بغلته بثقلها فقتل : اللهم إني أسألك أن ترد علي بغلتي بثقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعنا بهم طعنا وضربا ، فقال العدو : رجالنا من العرب صنعنا بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم - يعني أنزلوا على حكمهم - وقال صلة : جئت مرة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعوني وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفي فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض فاذا فيه دوخة ملائكة رطباً فأكلت منه حتى شبع ، وأدركني المساء فقلت إلى دير راهب فحدثته الحديث فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إنى مررت على ذلك الراهب بعد زمان فاذا تخللات حسان فقال : إنهن لمن الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تريه للناس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فانتيه فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقامت تصلي وتركتهما ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتني فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس . وقال له رجل : أدعو الله لي : فقبل رغبتك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ورزقك اليقين الذي لا بركن إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه . وكان صلة في غزاة ومعه ابنه فقال له : أي بني تقدم فقاتل حتى أحسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صله فقاتل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدو فقامت : إن كنتن جئتن لتبنيئني فرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لتعزيني فارجعن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة .

زهير بن قيس البلوي

شهد فتح مصر وسكنها ، له صحبة ، قتلته الروم بقرية من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريح أتي

الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا برقة ، فأمره بالتهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحملوا فقتلوا جميعاً (المنذر بن الجارود) مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية والله أعلم (١) .

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين)

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً وانضاف إليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسة عشر ألفاً ، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب أين كان ، وأن يصمم على قتاله . وكان قد اجتمع على شبيب ألف رجل . وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة . ولما بلغ شبيب ما بعث به الحجاج إليه من العساكر والجنود ، لم يعابهم شيئاً ، بل قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكركم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب مؤذنه سلاماً من يسار الشيباني فأذن المغرب ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب صلاة تامة الركوع والسجود ، وصف عتاب أصحابه . وكان قد خندق حوله وحول جيشه من أول النهار . فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أبو المداة لا حكم إلا لله ، فهزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن ورقاء وجماعة من الأمراء معه ، ثم كر على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحدة منهما ، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء وزهرة بن جونة ، وولى عامة الجيش مدبر بن وداسوا الأمير عتاب وزهرة فوطئته الخيل . وقتل في المعركة عمار بن يزيد السكبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهزماً ، وانهمز جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ من بقي منهم البيعة له بالامارة وقال لهم إلى أي ساعة تهربون ؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواصل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة ، وقد وفد إلى الحجاج سفيلان بن الأبرد السكبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكي من مدحج في ستة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرته أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا ، اخرجوا بالخيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتل معنا إلا من كان عاملاً لنا ، ومن لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وعمار شبيب حتى

(١) سقط من المصرية

بلغ الصراة ، وخرج إليه الحجاج بن معه من الشاميين وغيرهم ، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج إلى شبيب وهو في سائمة فخطب الحجاج أهل الشام وقال : يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبن باطل هؤلاء الأراجيس حتمكم ، غصوا بالأبصار واجثوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسنة ، ففعلوا ذلك ، وأقبل شبيب وقد عبي أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد ابن سليم ، وأخرى مع المجلل بن وائل . وأمر شبيب سويداً أن يحمل فحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهمز عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا ، ثم أمر الحجاج فقدم كرسية الذي هو جالس عليه إلى الامام ، ثم أمر شبيب أن يحمل فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج كرسية إلى امام ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كثيبته فثبتوا له حتى إذا غشي أطراف الأسنة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى ألقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السرية لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمانه . فحمل فلم يفد ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة فارس رداً له من ورائه لئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فعند ذلك حرض شبيب أصحابه على الخلة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، فقال : يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم ورب السماء والأرض ماشى دون الفتح ، فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ، فلما غشيه نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظرون على شبيب وأصحابه حتى ردوهم عن مواقفهم إلى ما ورائها ، فنادى شبيب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا ونادى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسى بيده ، وصعد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم النبل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد منهم لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة قبائى الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أخا شبيب ، وغزاة امرأة شبيب ، قتلها رجل يقال له فروة بن دقاق الكلابى ، وخرق في جيش شبيب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في طلبهم ، فشدوا عليهم فمزموهم ، وتخلف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلق واتبعه الطلب فجعل ينمى وهو على فرسه حتى يحقق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل بعض أصحابه ينهائى عن الناس في هذه الساعة فجعل لا يكثر بهم

و يعود فيخفق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول دعوه في حرق النار ، فتركوه ورجعوا .
ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شبيباً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب
الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يلتقوا تلون إلى يوم الجمعة
[وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس معه ، فحمل شبيب على الحارث
ابن معاوية فنكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحصن الناس
السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه
ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فأنكسر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد ففروا
بما مل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى
بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله ، ثم خرج إليه بعض
الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إلى وأبرز إليك ، - وكان صديقه - فقال له
شبيب : إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكني أحب قتلك فلا تفرنك نفسك وما تقدم من الوقائع ،
ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فهدس رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفته
ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يطيعوه ولم
يقدروا عليه ، وإنما سلط الله عليه موتاً قدراً من غير صنعهم ولا صنعه في هذه السنة ^(١)

﴿ ذكر مقتل شبيب في هذه السنة عند ابن الكلابي ﴾

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى نائبه على البصرة - وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن
أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج - يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف في طلب شبيب ، ويكونون
تبعاً لسفيان بن الأبرد ، ففعلوا وأطلقوا في طلبه فالتقوا معه ، وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل
الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً هم وأهل الشام ، ثم ساروا
إلى شبيب فالتقوا به فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج
فحملوا على الخوارج حملة منكراً والخوارج قليلون ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى
جسر هناك ، فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه ، وعجز سفيان بن الأبرد عن مقاومته ، وردده
شبيب عن موقفه هذا بعد أن تقاتلوا نهاراً طويلاً كاملاً عند أول الجسر أشد قتال يكون ، ثم أمر
ابن الأبرد أصحابه فرشقوهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحو
من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأبرد ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ،
وبات كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ،

فبينما شبيب على متن الجسر راكبا على حصان له وبين يديه فرس أنثى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر قتل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول (ذلك تقدير العزيز العليم) ففرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيبا من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه فاذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قاماة الانسان . وقيل إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشائهم ، فلما تخلف في الساقة اشتدوا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فالت السفن بالجسر وانفر فرسه فسقط في الماء ففرق ، ونادوا غرق أمير المؤمنين ، فمرف جيش الحجاج ذلك فجاؤا فاستخرجوه ، ولما نعى شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إلى كنت رأيت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج منها شهاب من نار فعملت أن النار لا يطغى إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية اسمها جبهة ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تقابل مع ابنها في الحروب . وذكر ابن خلكان أنها قتلت في هذه الغزوة ، وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضا شديدة البأس تقابل قتالا شديداً يعجز عنه الأبطال من الرجال ، وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء :

أسد على وفي الحروب نعامه * فتخاء تنفر من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغا * بل كان قلبك في جناحي طائر

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل ابن صبرة بن ذهل بن شيبان الشيباني ، يدعى الخلافة ويتسمى بأمر المؤمنين ، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من انفرق لنال الخلافة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد ، وإنما قهره الله على يد الحجاج لما أرسل إليه عبد الملك بعسكر الشام لقتاله ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل قال له رجل : أغرقا يا أمير المؤمنين ، قال (ذلك تقدير العزيز العليم) قال ثم أخرج وحمل إلى الحجاج فأمر فترع قلبه من صدره فاذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلا طويلا أشمط جعدا ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين ، وقد أمسك رجل من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له أنت

القائل : فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمر وومسك هاشم وحبيب

فما حصين والبطين وقعن * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : إنما قلت ومنا يا أمير المؤمنين شبيب . فأنجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة كانت حرب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأمرهم قطري بن النجاء ، وكان قطري أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين

وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدري أحد أين ذهب فانه شرد في الأرض وقد جرت بينهم مناوشات ومحاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في تاريخه . قال ابن جرير : وفي هذه السنة ثار بكير بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله ابن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير في تاريخه . وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد كاقدمنا ، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشر وابنه إبراهيم ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ومن يناط بهؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن الفجاءة من الأزارقة والله أعلم . وفيها توفي من الأعيان ﴿ كثير بن الصلت ﴾ بن معدى كرب الكندي ، كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلى ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام . ﴿ محمد بن موسى ﴾ بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له إن شبيباً في طريقك وقد أعيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك والله أعلم .

﴿ عياض بن غنم الأشمري ﴾

شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

﴿ مطرف بن عبد الله ﴾

وقد كانوا إخوة ، عروة ومطرف وحمة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحمة على همدان .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ﴾

ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم افتتحوا إرقلية ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وثلج وبرد ، فأصيب بسببه ناس كثير . وفيها ولي عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته طارقاً فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبعضهم قطعوا أنفه ونفوه ، وفيها عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج مع سجستان أيضاً ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المنيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فن أثنى عليه المهلب أجزل الحجاج له العطية ، ثم ولي الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكر إمرة خراسان ، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ، فقيل كان ذلك بإشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب

الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي ، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابته إلى ذلك ، وألزم المهلب بألف ألف درهم ، لأنه اعترض على ذلك .
قال أبو معشر : وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة أبان بن عثمان ، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، ونائبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة الثقفي ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري . وقد توفي في هذه السنة من الأعيان (جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، صاحب رسول الله ﷺ وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد بدرًا فمعه أبوه وخلفه على إخوانه وأخواته ، وكانوا تسعة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسمائة وأربعين حديثًا .

﴿ شريح بن الحارث ﴾

ابن قيس أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، ثم عزله على ، ثم ولده معاوية ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم ، وقيل خمسمائة درهم ، وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظ من نقص ، وقيل إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية (يادود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) الآية ، وكان يقول : إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر ، وقيل إنه مكث قاضيًا نحو سبعين سنة ، وقيل إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة فأنه أعلم . وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، توفي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين .

وقد روى الثبراني قال : حدثنا علي بن عبد العزيز بن ثعلبة عارم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن شبيب ابن الحبصان عن إبراهيم التيمي . قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق من نقصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر . ورواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن ابن عون عن إبراهيم به . وقال الأعمش : اشتكى شريح رجلاً فطلأها بالمثل وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالماً . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فإذا قال لك ؟ قال : وعد خيراً . وفي رواية أنه خرج بإمامة قرحة فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : هو الذي أخرجها . وقال الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين وكان شريح لا يختبر ولا يستخير . ورواه ابن ثوبان عن عبدة عن الشعبي عن شريح قال :

لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . فقال رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، فقتل شريح : فكيف بما في قلبي . وقد رواه شقيق بن سلمة عن شريح قال : في الفتنة ما استعبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا مساهداً ديناراً ولا درهماً ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت ، فأوى إلى قلبه فقال : كيف يهدأ ، وفي رواية : كيف يما في صدرى تلتقي الفتيان وإحداهما أحب إلى من الأخرى . وقال لقوم رأيهم يلعبون : مالي أراكم تلعبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أمر الفارغ . وقال سوار بن عبد الله العبدي : حدثنا العلاء بن جرير العبدي حدثني سالم أبو عبد الله أنه قال : شهدت شريحاً وتقدم إليه رجل فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، فقال : إني رجل من أهل الشام ، فقال : بعيد سميت ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالرفاء والبنين ، قال : إني اشتريت لها دارها ، قال : الشرط أم لك ، قال : أقض بينهما ، قال : قد فعلت . وقال سفيان : قيل لشريح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمفاوضة العلماء ، آخذ منهم وأعطيتهم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن هبيرة أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم ، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم : ما كذا ما كذا ، ويسألونه ما كذا ما كذا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فإنه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب . وأنت شريحاً امرأتان جدة صبي وأمه يختصمان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به

أبا أمية أتيتك وأنت المستعان به أتاك جدة ابن وأم وكلنا أنا تفديهِ (١)
فلو كنت تأبعت لما نازعتك فيه تزوجت فها فيه ولا يذهب بك القيه
* ألا أيها القاضى فهذه قصتي فيه *

قالت الأم : —

ألا أيها القاضى قد قالت لك الجدة * قولاً فاستمع مني ولا تطردني رده
تعزى النفس عن ابني * وكبدي حملت كبده
فلما صار في حجرى * يتما مفرداً وخده
تزوجت رجاء الخير * من يكفيني فقده
ومن يظهر لي الود * ومن يحسن لي رفته

فقال شريح : —

(١) هذه الايات طبق الاصل ولم نجد لها نظيراً .

قد سمع القاضي ما قلنا ثم قضى * وعلى القاضي جهد إن غفل
قال للجدة بيني بالنصي * وخذى ابنك من ذات العمل
إنها لو صبرت كان لها * قبل دعوى ما تنفيه للبدل

فقضى به للجدة . وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر بن عون عن إبراهيم عن شريح أنه قضى على رجل باعترافه فقال : يا أبا أمية قضيت على بغير بينة ، فقال شريح : أخبرني ابن أخت خالتك . وقال على بن الجعد : أنبأنا المسعودي عن أبي حصين قال : سئل شريح عن شاة تأكل الذباب فقال : علف مجان ولبن طيب . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سميد عن أبي حيان التميمي حدثنا أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله سنور أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له مشعب « شارع » إلا في جوف داره يفعل ذلك اتقاء أن تؤذى المسلمين - يعني أنه يلقي السنور في جوف داره لئلا تؤذى بنتن ريجها المسلمين - ، وكانت مياذيب أسطحة داره في جوف الدار لئلا يؤذى بها المارة من المسلمين . وقال الرياشي : قال رجل لشريح : إن شأنك لشوين . فقال له شريح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتمجدها في نفسك . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تغلب النحوي حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمان . قال : كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فانك والمكان الذي أنت فيه والمكان الذي خرجت منه بعين من لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته لم يعد أمراً لكأمله ومن تظلمه أيامه ، وإنك وإياهم على بساط واحد ، وإن المنمجمع من ذى قدرة لقریب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن الشعبي عن شريح أن عمر كتب إليه : إذا جاءك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلفتلك عنه رجاء ما ليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، وفي رواية : فانظر فيما قضى به الصالحون ، فإن لم يكن فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شريح : كنت مع علي في سوق الكوفة فأتته إلى قاص يقص فوقف عليه وقال : أيها القاص ! قص ونحن قريبو العهد ؟ أما إنى سائلك فإن نجب فما سألتك وإلا أدبتك ، فقال القاص : سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما نبأت الايمان وزوانه ؟ قال القاص : ثبات الايمان الورع وزوانه الطمع . قال علي : فذلك قص . قيل إن هذا القاص هو نوف البكالي . وقال رجل لشريح : إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك على ما أرى بك . قال : ما نعمة الله بهذا ولا ضرني .

وروى جرير عن الشيباني عن الشعبي قال : اشترى عمر فرسا من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس فسار به فمطب ، فقتل لصاحب الفرس : خذ فرسك ، فقال : لا ! قال : فأجعل بيني وبينك حكما ، قال الرجل نعم ! شريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح العراقي ، قال : فانطلقا إليه فقضا عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين رد كما أخذت أو خذ بما ابتغته ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها ، فانه لأول يوم عرفة يومئذ .

وقال هشام بن محمد الكلبي : حدثني رجل من ولد سعد بن وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو الكلاب ويهارش بين الكلاب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال : -
ترك الصلاة لأكل يسمى بها طلب الهراش مع الغواة الرجس
فاذا أتاك فعنه بلامنة وعظه من عظة الأديب الأكييس
فاذا هممت بضربه فبذرة فاذا ضربت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت نفسك مع ما تجرعي أعز الأنفس

وروى شريح عن عمر عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة ! إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بريء وهم مني براء » . وهذا حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى عن بقية عن شعبة - أو غيره - عن مجاهد عن الشعبي ، وإنما تفرد به بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضا . وروى محمد بن كعب القرظي عن الحسن بن شريح عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستقرعون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مزجت عهودهم وخربت أمانتهم ، فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فقال : تعملون بما تعرفون وتتركون ما تنكرون ، وتقولون : أحد أحد ، انصرفنا على من ظلمنا وكفنا من بئانا » . وروى الحسن بن سفيان عن يحيى بن أيوب عن عبد الجبار بن وهب عن عبد الله السلمي عن شريح ، قال : حدثني البديريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من شاب يدع لذة الدنيا ولهوها ويستقبل بشبابه طاعة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجر اثنين وسبعين صديقا ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجل ، المبتذل شبابه لي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » . وهذا حديث غريب .

وقال أبو داود : حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن قيس بن زيد - وقال أبو داود أو عن زيد بن قيس - عن قاضي المصريين شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم فيم أضمت حقوق

الناس ؟ فيم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يارب لم أفسده ولكن أصببت إما غرقا وإما حرقا ، فيقول الله سبحانه أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجس حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة . . لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه : « فيدع الله بشيء فيضعه في ميزانه فيثقل » ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضا عن حفص بن عمر وأحمد ابن داود المكي قالا : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ عبد الرحمن بن غنم ﴾

الأشعري نزيل فلسطين وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليعقه أهلها في الدين وكان من العباد الصالحين .

﴿ جنادة بن أمية الأزدي ﴾

شهد فتح مصر وكان أميراً على غزو البحر للمعاوية ، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين .

﴿ العلاء بن زياد البصري ﴾

كان من العباد الصالحين من أهل البصرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان يمتثل في بيته ولا يخاطب الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمى ، وله مناقب كثيرة ، توفي بالبصرة في هذه السنة . قلت : إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام أنه من أهل الجنة ، فقال له العلاء : أما أنت يا أخي فجزاك الله عن رؤياك لي خيراً ، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار ، وكان يمدحها يطوى الأيام لا يأكل فيها شيئاً وبكى حتى كاد يفارق الدنيا ، ويصلي لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخى فإنه قاتل نفسه ، يصوم لا يفطر ، ويقوم لا ينام ، ويبكى الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة ، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح ، فقال له : افتح فاني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، فقال له الحسن : يا أخي الجنة وما الجنة للمؤمن ، إن للمؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آت في مقامه فأخذ بناصيته وقال : يا غلام قم فاذكر الله يذكرك . فما زالت تلك الشعرات التي أخذ بها قائمة حتى مات ، وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام . وقال العلاء : نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا . وقال : كان رجل يرأى بعمله فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ ، فجعل لا يأتي على أحد إلا سبه ، ثم رزقه الله الاخلاص واليقين

نقضى من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتي على أحد بعد ذلك إلا دعاه بخير (١) .
 (سراقة بن مرداس الأزدى) كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فنفاه إلى الشام فتوفي بها
 (النايبة الجعدي) الشاعر . السائب بن يزيد الكندي ، توفي في هذه السنة . سفيان بن سلمة
 الأسدي . مساوية بن قررة البصري . زر بن حبیش .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ﴾

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفتنون من شدته ، ولم يفر فيها أحد من أهل الشام
 لضعفهم وقتلهم ، ووصلت الروم فيها الطائفة فأصابوا خلقاً من أهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة .
 وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحمده
 إليه في كل سنة ، وفيها قتل عبد الملك بن مروان الحارث بن سميذ المتنبئ الكتاب ، ويقال له
 الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدي ، ويقال مولى الحكم بن
 مروان ، كان أصله من الجولة فنزل دمشق وتعبدها وتنسك وترهب ثم مكر به ورجع القهقري على
 عقبه ، وانسلخ من آيات الله تعالى ، وفارق حزب الله المفلحين ، واتبع الشيطان فكان من الغاوين
 ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى أخسر دينه ودنياه ، وأخراة وأشقاءه . فإنا لله وحسبنا الله ولا
 حول ولا قوة إلا بالله

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا عبد الوهاب نجدة الجولي حدثنا محمد بن مبارك ثنا الوليد بن
 مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال . كان الحارث الكتاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي
 الجلاس ، وكان له أب بالجولة ، فمرض له إبليس ، وكان رجلاً متمبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب
 لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السامعون مثل تحميده ولا أحسن من
 كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالجولة : يا أبتاه أعجل على فاني قد رأيت أشياء أتخوف أن يكون
 الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيا على غيه ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت
 به فان الله تعالى يقول (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم) ولست بأفك
 ولا أثيم ، فامض لما أمرت به ، وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيناديهم ثم يأخذ عليهم
 العهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى وإلا كنتم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب ، كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحاً بليغاً
 حتى يضح من ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية رحمه الله يقول
 كان ينقر هذه الرخامة التي في المقصورة فتسبح ، وكان زنديقاً . قال ابن أبي خيثمة في روايته

وكان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المراق فيريهم رجالاً على خيل فيقيمهم على ذلك بشركثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة ، قال فعرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن هو رضى أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إني نبي ، فقال القاسم : كذبت يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ : « إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي » وأنت أحدهم ولا عهد لك . ثم قام فخرج إلى أبي إدريس - وكان على القضاء بدمشق - فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس لعرفه ، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك ، وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاها إلى نبوته فيكذبا ورضا عليه ما قال ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سرّاً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى النصرية فنزلها فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية ممن كان يدخل على الحارث وهو بيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجنود الأتراك ليحيطوا عليه ، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى النصرية بيت المقدس بمن معه انتدب نائب القدس لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يتقدر عليه من الشموع ويجمع مع كل رجل شمعة فإذا أمرهم بأشغالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن علي نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح النصرى أخرجوا ، فأشعل الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهم النصرى على الحارث فاخفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء ، قال فأدخل النصرى يده في ذلك السرب فإذا بشو به فاجترأ فأخرجه ، ثم قال للفرعانيين من أتراك الخليفة قال فأخذوه فقيدوه ، فيقال إن القيود والجامعة سقطت من عنقه مراراً ويعيدونها ، وجعل يقول : (قل إن ضللت فإني أضل على نفسي : وإن اهتديت فما يوحى إلى ربي إنه سميع قريب) وقال لأولئك الأتراك (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كراتنا فهات كراتك ، أي هذا قرآننا فهات قرآنك ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً فطعنه بحربة فأنشئت في ضلع من أضلعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ فقال : نسيت ، فقال : ويحك سم الله ثم طعنته ، قال فذكر اسم الله ثم طعنته فأنفذ ، وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجلاً

من أهل الفقه والعلم أن يظلوه ويملأوه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر فحدثني من سمع الأعور يقول : سمعت الملاء بن زياد العدوي . يقول : ما غبطت عبداً للملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً حيث إن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقنوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة » . وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المذهب فأجرو عنه لذهب ذلك عنه ، وقال الوليد عن المنذر بن نافع سمعت خالد بن الجراح يقول لغيلان : ويحك يا غيلان ، ألم تأخذك في شببيتك ترا من النساء في شهر رمضان بالتمفاح ، ثم صرت حارثياً تحجب امرأته وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحوات فصرت قدرياً زنديقاً .

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين نارة ويتمرد أخرى ، فكتب الخجاج إلى ابن أبي بكره فأخذه بن ملك من المسلمين حتى تستبجح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رتبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بنارة ، وجاس ابن أبي بكره وجنوده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأمصاره ، وتبر ما هنالك بتبراً ، ثم إن رتبيل تقهر منه وما زال يتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى ، حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخاً ، وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشباب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كل من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فعند ذلك طلب عبيد الله أن يصالح رتبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف ، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون عنه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شريح بن هانئ - وكان صحابياً ، وكان من أكبر أصحاب علي وهو المتقدم على أهل الكوفة - فتدب الناس إلى القتال والمصاهرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح والنبال ، فمهاه عبيد الله بن أبي بكر فلم يلبثه ، وأجابه شزيمة من الناس من الشجيمان وأهل الحفائظ ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فنى أكثر المسلمين رضي الله عنهم ، قالوا وجعل شريح بن هانئ يرتجز ، ويقول :

أصبحت ذابت ألقى الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثم أدركت النبي المنزرا * وبعد صديقه وعمر
ويوم مهران ويوم تسترا * والجمع في صفينهم والنهرا
هيهات ما أطول هذا عمرا

ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خرج من الناس صحبة عبيد الله بن أبى بكر من أرض رقبيل ، وهم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر ، وكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ، ويستشيره فى بعث جيش كفيف إلى بلاد رقبيل ليفتقموا منه بسبب ما حل بالمسلمين فى بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ذلك ، وأن يجعل ذلك سرية ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ فى جمع الجيوش فجهز جيشاً كفيفاً لذلك على ماسياتى تفصيله فى السنة الآتية بعدها . وقيل إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ ثلاثون ألفاً وابتيع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شداً ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير أيضاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضماقهم . ويقال إنه فى هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه أباً بردة ابن أبى موسى الأشعرى ، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته فى السنة الماضية والله أعلم .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحج بالناس فى هذه السنة أبان بن عثمان أمير المدينة النبوية ، وفيها قتل قطرى بن الفجاءة التميمي أبو نعمة الخارجي ، وكان من الشجعان المشاهير ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يسلم عليه أصحابه بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب مع جيش المهلب بن أبى صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرفاً صالحاً فى أما كنه ، وكان خروجه فى زمن مصعب بن الزبير ، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووقائمه مشهورة وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كثيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحرورية وهو على فرس أعجمي ويده عمود حديد ، فلما قرب منه كشف قطرى عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له قطرى إلى أين ؟ أما تستعفى أن تفر ولم ترطعناً ولا ضرباً ؟ فقال إن الإنسان لا يستعفى أن يفر من مثلك ، ثم إنه فى آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد السكابي فى جيش فاقتنوا بطبرستان ، فعثر بقطرى فرسه فوقع إلى الأرض فسكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن الذى قتله سودة بن الحر الدارمي ، وكان قطرى بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن ، فمن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقول لها وقد طارت شمعاً * من الأبطال ويحك إن تراعى
فانك لو طلبت بقاء يوم * على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً * فما نيل الخلود بمستطاعى
ولا ثوب الحياة بثوب عز * فيطوى عن أخى الخلع اليراعى

سبيل الموت غاية كل حي * وداعيه لأهل الأرض داع
فمن لا يغتبط يسأم ويهرم * وتسلمه المنون إلى انقطاعي
وما للمرء خير في حياة * إذا ما عد من سقط المتاع
ذكرها صاحب الحاسة واستحسنها ابن خلكان كثيراً

وفيهما توفي عبيد الله بن أبي بكره رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقتلوا
رتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني كما تقدم ذلك ، وقد دخل
عبيد الله بن أبي بكره على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : وكم ختمت بخاتمك هذا ؟
قال علي أربعين ألف ألف دينار . قال فقيم أنفقتها ؟ قال : في اصطناع المبروف . ورد الملهوف
والمكافأة بالصناع وتزويج المعائل . وقيل إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد
فأعطاه ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدى إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه
خذهما لك ، ثم فكر وقال : والله إن إشار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة ، ثم قال
يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ووصيفة .
توفي عبيد الله بن أبي بكره ببست وقيل بخرخ والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ، والحمد لله رب العالمين
﴿ ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية ﴾

ففيها كان السيل الجفاف بمكة لأنه جف على كل شيء فذهب به ، وحمل الحجاج من بطن مكة
الجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يقدم منه ، وبلغ الماء إلى الحجون ، وغرق
خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت والله أعلم .

وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والمشهور أنه كان
في سنة تسع وستين كما تقدم . وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر ، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً
للاعداء من الأتراك ، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها ، وقد عليه في غضون هذه المدة
كتاب ابن الأشعث بخلفه الحجاج ، فبعثه المهلب برته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ماسياً بيانه
وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث ، وفي هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة
وغيرهما لقتال رتبيل ملك الترك ليقضوا منه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكره في السنة
الماضية ، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً ، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث مع أنه كان الحجاج يبعضه جداً ، حتى قال ما رأيته قط إلا هممت بقتله ، ودخل ابن
الأشعث يوماً على الحجاج وعنده عامر الشعبي فقال انظر إلى مشيتي والله لقد هممت أن أضرب
عنقه ، فأسرهما الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهدت أن أزيله عن

سلطانة إن طال بي وبه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجنود وبذل فيهم العطاء ثم اختلف رأيهم فيمن يؤمر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقدمه عليهم ، فأقنعه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة إذا جاوز جسر الصراد ، فقال : ليس هو هنالك هو لي حبيب ، ومثي أذهب أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي ، فأضاه عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيش نحو أرض رتبيل ، فلما بلغ رتبيل جئى ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه رتبيل يعتذر مما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ، وأنه كان لذلك كرها ، وأن المسلمين هم الذين ألقوه إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصلح له وأن يبذل للمسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع رتبيل جنوده وتبناها له والحربية ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد رتبيل استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له ، وجعل المشايخ على كل أرض ومكان يخوف ، فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رتبيل ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، وسبى خلقاً كثيرة ، ثم حبس الناس عن التوغل في بلاد رتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقوا بما فيها من المغلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يجوزون الأراضي والأقاليم حتى يحاصروا رتبيل وجنوده في مدينتهم مدينة العطاء على الزكنوز والأموال والذراري حتى يفتنوها ثم يقتلون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو الرأي ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم ، وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه هيمان بن عدي السدوسي إلى كرما مسلحاً لأهلها ليمد عامل سمجستان والسند إن احتاجا إلى ذلك ، فمضى هيمان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فبرزه وأقام ابن الأشعث بمن معه ، ومات عبيد الله بن أبي بكر فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بأمر سمجستان مكان ابن أبي بكر وجهز إلى ابن الأشعث جيشاً أُنفق عليه ألفي ألف سوى أعطياتهم ، وكان يدعى هذا الجيش جيش الطواريس ، وأمره بالاقدام على رتبيل فكان من أمره ما تقدم .

قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وقال غيرهما : بل حج بهم سليمان بن عبد الملك ، وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان بن عثمان ، وعلى المشرق بكامله الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

﴿ أسلم دولي عمر بن الخطاب ﴾

هو أبو زيد بن أسلم أصله من سبي عيينة الفراء اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ،

وتوفي وعمره مائة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

﴿ جعفر بن نعيم ﴾

ابن مالك الحضرمي له صحبة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالعبادة والعلم توفي بالشام وعمره مائة وعشرون سنة ، وقيل أ أكثر وقيل أقل .

﴿ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﴾

ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عيسى ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة ، أتى النبي ﷺ إلى أمهم فقال : اتوني ببني أخي ، فأتى بهم كأنهم أفرخ ، فدعا بالخلق فخلق رؤسهم ثم قال : اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفتته ، فجاءت أمهم فذكرت للنبي ﷺ أنه ليس لهم شيء ، فقال أنا لهم عوضاً من أبيهم ، وقد بايع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يعطي الجزيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألف ألف ، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً ، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار ، وقيل إن رجلاً جلب مرة سكرًا إلى المدينة فكسده عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلانا - وعد جماعة - فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون ، فأتى معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كأحدكم ، ثم أخذ عصاً فتوكل عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا ابن جعفر ؟ فقال : وما تشتهي من شيء فأدعوه ؟ فقال معاوية : أطعمنا حنظلًا ، فقال يا غلام هات حنظلًا ، فأتى بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لغلامه : هات حنظلًا ، فجاء بصحيفة أخرى ملائمة حنظلًا إلى أن فمل ذلك ثلاث مرات ، فتمعجب معاوية وقال : يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء ، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار ، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد ، فمات قدم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال ألف ألف . فقال له : قد أضعفتها لك ، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الملك بن جعفر : بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاك أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدى ، وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فحضر عنده يزيد

ابن معاوية يوماً ففنت الجارية ، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحننا كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد . وكان الحسن البصري ينم ابن جعفر على سماعه الغنى والاهو وشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

﴿ أبو إدريس الخولاني ﴾

اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق ، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل .

﴿ معبد الجبني القدرى ﴾

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم ، راوى حديث : « لا تلتفتوا من الميتة باهاب ولا عصب » . وقيل غير ذلك في نسبه ، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك وصاء ثم اجتمع بعمر و بن العاص فوصاه في ذلك فقال له : أيها يا تيس جبهة ما أنت من أهل السر والعلانية ، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل . وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصاري من أهل العراق يقال له سوس ، وأخذ غيلان القدر من معبد ، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووقف ابن معين وغيره في حديثه ، وقال الحسن البصري : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فمأقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله . وقال سعيد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله ، وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين فأنه أعلم ، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ﴾

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة فاليفلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، وفيها قتل بكير بن بشاش . قتله بجير بن ورقاء الصريمي ، وكان بكير من الأمراء الشجعان . ثم تار لبكير ابن وشاح رجل من قومه يقال له صمصعة بن حرب العوفي الصريمي ، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ، فعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فجعل إلى منزله وهو بأخر رمق ، فبعث

المهلب بصعصعة إليه ، فلما تمكن منه بجير بن ورقاء قال ضعوا رأسه عند رجلي ، فوضعه قطمته بجير بن بخرته حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طارق : أعف عنه فقد قتلت بكير بن وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حتى ثم قتله . وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته فإله أعلم .

﴿ فتنة ابن الأشعث ﴾

قال أبو مخنف : كان ابتداءؤها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة فوافقتنا في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يفضله وكان هو يفهم ذلك ويضمر له سوء و زوال الملك عنه ، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رتبيل ملك الترك ، ففضى وصنع ما قدمناه من أخذ بعض بلاد الترك ، ثم رأى لأصحابه أن يقيموا حتى يتقوا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويقرعه بالجن والنكول عن الحرب ، ويأمره حتما بدخول بلاد رتبيل ، ثم أردف ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا ابن الحائك الغادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الأيغال في أرض العدو وإلا حل بك ما لا يطاق . وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث : ويقول هو أهورج أحق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام وما رأيت قط إلا همت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إلى يمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي خوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف هذا الجبان صاحب غزاة - يعني أن غزاة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة - ثم إن ابن الأشعث جمع رؤس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الأيغال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم أما أنا فلست مطيعه ولا أنقض رأيا رأيته بالأمس ، ثم قام فيهم خطيباً فأعلمهم بما كان رأى من الرأي له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقوا بغلاتها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسيرون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً إلى أن يحصرها رتبيل ملك الترك في مدينة العظماء ، ثم أعلمهم بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمعالجة رتبيل . فثار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع . قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكسائي أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ، وكان مما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا كما قال الأول لأخيه أحمـل عبدك على الفرس فان

هالك هلك ، وإن نجا فلك ، أنتم إذا ظفرتتم كان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء
البعضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج - ولم يذكر خلع عبد الملك - ويايموا الأمير عبد الرحمن
ابن الأشعث فاني أشهدكم أني أول خالع للحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعتنا عدو الله ،
ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن
سروان ، وبعث ابن الأشعث إلى رتبيل فصالحه على أنه إن ظفروا بالحجاج فلاخراج على رتبيل
أبدأ . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاقله ويأخذ منه
العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خلعتنا للحجاج خلع لابن مروان نخسوها وجددوا البيعة
لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلق أئمة الضلالة وجهاد المباحدين ، فإذا قالوا نعم
بايعهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع ابن مروان ، كتب إلى عبد الملك يدعه بذلك
ويستعجله في بعثه الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ،
وكتب إليه يدعوه إلى ذلك فأتى عليه ، وبعث بكتابه إلى الحجاج ، وكتب المهلب إلى ابن
الأشعث يقول له : إني يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبق على أمة محمد ﷺ ،
انظر إلى نفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكسها ،
فإن قلت أخاف الناس على نفسي فإني أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك الدماء ،
أو استحلل محرم والسلام عليك . وكتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا
إليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شيء يردده حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة
في أول مخرجهم ، وصباية إلى أيمانهم ونسائهم ، فليس شيء يرددهم حتى يصلوا إلى أهلهم وينبسطوا
إلى نسائهم ويشموا أولادهم . ثم واقفهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج
كتابه قال : فعل الله به وفعل ، لا والله مالي نظر ولكن لابن عبد نصيح . ولما وصل البريد بكتاب
الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه
كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان فخمه ، وإن كان من
قبل سجستان فلا تخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج
وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأى المهلب فيما أشار به عليه ، وكان في شوره النصيح
والصديق ، وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساءً ، أين
نزل ومن أين ارتحل ، وأى الناس إليه أسرع . وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل
جانب ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل ، وخرج الحجاج
في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تستر وقسم بين يديه مطهر بن حبي الكعبي

أميراً على المقدمة ، ومنه عبد الله بن زميت أميراً آخر ، فأتوها إلى دجيل ، فإذا المقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن ثبان الحارثي ، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل ، فهزمت مقدمة الحجاج وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمائة ، واحتاروا ما في معسكرهم من خيول وقناص وأموال . وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه وأخذ ما دب ودرج . وقد كان قائماً يخطب فقال : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فإنه أرفق بالجنود . فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يسركون منهم شاذاً إلا قتله ، ولا فاذا إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هاربا لا يلوي على شيء حتى أتى الزاوية فمسك عندها وجعل يقول : لله در المهلب نبي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكنا لم نقبل ، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا المكان مائة وخمسين ألف درهم ، وخذق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهلهم وشعوا أولادهم . ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس بهم وبأبائهم وبأيسود على خلق عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، ووافق على خلعهما جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء ، والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فعمل ذلك ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة . وحج بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر والله سبحانه وتعالى أعلم . وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الأندلس فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضى عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط والله أعلم . ومن ترفي فيها من الأعيان بجزير بن ورقاء الصريمي أحد الأشراف بخراسان ، والقواد والأمراء الذي حارب ابن خازم وقتله ، وقتل بكير بن وشاح ثم قتل في هذه السنة .

سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر

أبو أمية الجعفي الكوفي ، شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة ، وكان من كبار المخضرمين ويقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مولده عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل إنه ولد بعده بسنتين ، وعاش مائة وعشرين سنة لم ير يوماً محتجياً ولا متسانداً ، واقتضى بكراً عام وفاته في سنة إحدى وثمانين ، قاله أبو عبيد وغير واحد . وقيل إنه توفي في سنة ثنتين وثمانين والله أعلم .

عبد الله بن شداد بن الهاد

كان من العباد الزهاد ، والعلماء ، وله وصايا وكلمات حسنة ، وقد روى عنده أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين

ثم محمد بن علي بن أبي طالب

أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سوداء سندية من بني حنيفة اسمها خولة . ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فناشده مروان بالله وتبادل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقتل عفوياً يا أمير المؤمنين فمعا عنه وأجرل له الجائزة ، وكان محمد ابن علي من سادات قريش ، ومن النشجبان المشهورين ، ومن الاقوياء المذكورين ، ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه ، فجرى بينهما شر عظيم حتى هم ابن الزبير به وبأهل كذا تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايعه ابن عمر تايده ابن الحنفية ، وقدم المدينة فبات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أوفى التي بصددها ، ودفن بالقيس . والرافضة يزعمون أنه يجبل رضى ، وأنه حي يرزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كثير عزرة في ذلك

ألا إن الأئمة من قريش * ولاية الحق أربعة سواء
على الثلاثة من بنيهم * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر * وسبط غيبة كربلاء
وسبط لا تراد العين حتى * تعود الخيل يقدمها لواء

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل وثالة بن الأسقع وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم خطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ويسميه المهدي ، فبعث المختار أبا عبد الله الجليل في أربعة آلاف فاستنقذوا بني هاشم من يدي ابن الزبير ، وخرج معهم ابن عباس فبات بالطائف ، بقي ابن الحنفية في شيعته ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك : إنما أن تبايعني وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : أبايعك على أن تؤمن أصحابي ، قال نعم فقام ابن الحنفية في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حقق دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن ياتي بالله إلى بلده محفوظاً فليعمل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعمائة رجل ، فأحرم مصر وقتل عديلاً وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فمنعه أن يدخل ، فأرسل إليه : إنما في الحرب ولا قتال ، دعنا ندخل حتى نقضى نكبتنا ثم نخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه من قد قلدها فخرج إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قسم الخجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك السنة محرماً ، فلما سار الخجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه

وذلك بمدة عدة سنين ، وكان القتل ينتشر منه في تلك المدة كلها ، فلما قضى أسكدر رجيع إلى المدينة أقام بها حتى مات ، وقيل إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عمير الله فبايع ، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت ، فقال الحجاج : والله لا قتلناك ، فقال ابن الحنفية : إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجمعني في قضية منها فيكفينيك فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك ويبايعك ، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بمجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس على بيعه عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب بيعته إلى عبد الملك وقد عليه بمدة ذلك . توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحمة وعلى وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأسغر وعون ورقية ، وكأهم

لأمهات شقي . وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يمت وفيه يقول السيد

أقل للوصى فدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقام

أضرب بعشر والوك منا * وسحرك الخليفة والامام

وعادوا فيك أهل الأرض طراً * ستادك فيهم ستمين عام

وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظام

لقد أمسى بمورق شمب رضوى * تراجع الملائكة الكلام

وإن له به لمقبل صدق * وأندية تحدد كرام

هدانا الله ادخرتم الامر * به عليه يلتمس التمام

تمام نوره المهدي حتى * تروا راياته تنرى نظام

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامراء وهناك من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وترهاتهم ، وسنزيد ذلك وضوحاً في موضعه وإن شاء الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ﴾

ففي الحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم توافقوا يوماً آخر فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على

ميمنة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقا كثيرا من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخر الحجاج لله ساجدا بعد ما كان جثى على ركبتيه وسل شيئا من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرم حتى صبر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث أبو الطفيل بن عامر بن وائلة النخعي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عيش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ، ثم انصرف فلتحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم ابن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايع أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان ، وتفريق الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جدا وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، فقال القراء : وكان عليهم جيلة بن زحر : أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سميد بن جبير نحو ذلك ، وقال الشعبي : قاتلوهم على جورهم واستنزلوهم الضعفاء وإماتوهم الصلاة ، ثم حملت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حملة صادقة فبرعوا فيهم ثم رجعوا فاذا هم بمقدمهم جيلة بن زحر صريحا ، فهدم ذلك فناداهم جيش الحجاج يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن مرة التميمي ، فانهزموا ولم يقاتلوا كثير قتال ، فأنكر الناس منهم ذلك ، وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعا لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضا ، وكان ابن الأشعث يمرض الناس على القتال ، فلما رأى ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايع أهلها ، ثم كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة .

﴿ وقعة دير الجماجم ﴾

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج إليه أهلها فملقوه وحفوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شزيمة قليلة أرادت أن تقتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكنهم من ذلك ، فعدلوا إلى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلام فنصبت على قصر الإمارة فأنفذ واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له : استبقني فاني خير من فرسانك ، فحبسه ثم استدعاه فأنفذه وبايعه واستنزل لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء من أهل البصرة ، وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالح من كل جانب ، وحفظت

الشعور والطرق والمسالك . ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والسديب وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين فمنعوا الحجاج من دخول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قره ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دير الجاهم ، ومعه جنود كثيرة ، وفيهم القراء وخواص من الصالحين ، وكان الحجاج بعد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كان ينجر الطير حيث رآني قد نزلت دير قره ، ونزل هو بدير الجاهم . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممن يأخذ المطاء ، ومعهم مشاهير من مواليهم ، وقدم على الحجاج في غبون ذلك أمداد كثيرة من الشام ، وخندق كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتلون قتلاً شديداً في كل حين ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قریش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقتلوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دماهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب معهما كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزائمه عنكم ، وبعثت عليكم أعطيائكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فإن لم تحب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدكم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تروا تسمع بوثوب أهل العراق مع الأشعث النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ما تريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يُفْلَح ، كان الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر ، فتقدم عبد الله ومحمد فنادى عبد الله : يا معشر أهل العراق ، أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإني يعرض عليكم كيت وكيت ، فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال ، وقال محمد بن مروان : وأنا رسول

أخى أمير المؤمنين إليكم بذلك ، فقالوا : ننظر في أمرنا غناً ونرد عليكم الخبر عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبينة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج ، ففر الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا تقبل ذلك ، نحن أكثر عدداً وعدداً ، وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نحيب إلى ذلك أبداً . ثم جددوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية ، وافقوا على ذلك كله .

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعبد محمد أخبر قالاً للحجاج : شأنك بهم إذا ، فنهجن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكأننا إذا بقيت سادنا عليه بالأمرة ويسلم هو أيضاً عليهم بالأمرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتديبها كما كان قبل ذلك ، فمعد ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليمان ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى الخيل سفیان بن الأبرد وعلى الرجالة عبد الرحمن بن حبيب الحسكي . وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حارثة الجشمي ، وعلى الميسرة الأبرد بن قرة التميمي ، وعلى الخيالة عبد الرحمن ابن عياش بن أبي ربيعة ، وعلى الرجالة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وعلى القراء جبلة بن زحر بن قيس الجففي ، وكان فيهم سميد بن جبهر وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكميل بن زياد . وكان سجعاً فأنكا على كبر سنة . وأبو البعثرى الطائي وغيرهم ، وجعلوا يقتتلون في كل يوم ، وأهل العراق تأتيهم الميرة من الرساتيق والأقاليم ، من العلف والطعام ، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أشيق حال من العيش ، وقلة من الطعام ، وقد فقدوا اللحم بالسكية فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى انسلخت هذه السنة وهم على حالهم وقتلهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . وقد قتل من أصحاب الحجاج زياد بن غنم ، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيوفهم واستقلوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث . وفي هذه السنة كانت وفاة المهلب بن أبي صفرة ، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سميد الأزدی أحد أشرف أهل البصرة ووجوههم ودهاتهم وأجوادهم وكرماهم ، ولد عام الفتح ، وكانوا ينزلون فيما بين عمان والبحرين ، وقدارته فومد فقتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعث بهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الحنث ، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين ، ثم ولى حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمائة ، فمظمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فنه : نعم الخصلة السخاء تستر عورة الشريف

وتلحق خسيصة الوضيع ، وتحبب المزهود فيه . وقال : يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه ، ولا أرى لسانه زائداً على عقله .

توفي المهلب غزياً بمرور الرود وعمره ستة وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد وهم : يزيد ، وزيد ، والمفضل ، ومدرك ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، ومحمد ، وهند ، وفاطمة . توفي المهلب في ذي الحجة منهم ، وكان من الشعمان وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج ، وجعل الأمر من بعده يزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأمضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان .

﴿ أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي ﴾

وكان جواداً ممدحاً ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابه فقال : حاجته لا أستطيع ذكرها ، فألح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هند ، فقال له : أخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلى ، وقال له : ما تمنى أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأخى ، وكانت ضئيلة بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الحلى ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

﴿ المغيرة بن المهلب ﴾

ابن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحاً شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

﴿ الحارث بن عبد الله ﴾

ابن ربيعة الخزوعي المعروف بقبياع ، ولى إمرة البصرة لابن الزبير .

﴿ محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة ﴾

كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقابهم ، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع .

﴿ عبد الله بن أبي طلحة بن أبي الأسود ﴾

والد العقيد إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبو طلحة فأخبر النبي ﷺ .

فقال ﷺ : « عرسكم برك الله لكم في ليلتكما » . ولما ولد حنك بتمرات .

﴿ عبد الله بن كعب بن مالك ﴾

كان قائد كعب حين عي ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

﴿ عفان بن وهب ﴾

أبو أيمن الخولاني المصري له صحبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر وبها مات .

﴿ جميل بن عبد الله ﴾

ابن معمر بن صباح بن ظبيان بن الحسن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سرهد بن أسلم بن الحاف بن قضاة . أبو عمرو الشاعر صاحب بئينة ، كان قد خطبها فنعت منه ، فتغزل فيها واشتهر بها ، وكان أحد عشاق العرب ، كانت إقامته بوادي القرى ، وكان عفيفاً حياً ديناً شاعراً إسلامياً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كثير عزة راويته ، وهو يروى عن هذبة بن خثرم عن الخطيئة عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، قال كثير عزة كان جميل أشعر العرب حيث يقول : -

وأخبرتماني أن تيماء منزل * ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمى بليلي المراسيا
ومنها قوله وما زلت بي يابثن حتى لو أني * من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
وما زادني الواشون الإصابة * ولا كثرة الناهين إلا تعاديا
وما أحدث النأي المفرق بيننا * سواً ولا طول اجتماع تقاليا
ألم تعلمي يا عذبة الريق أني * أظل إذا لم ألق وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغة * وفي النفس حاجات إليك كما هيا
وله أيضا إني لأحفظ غيبكم ويسرني * لو تعلمين بصالح أن تذكرني
إلى أن قال ما أنت والوعد الذي تعديني * إلا كبرق سحابة لم تمطر
وقوله وروى لعمرو : ما زلت ابني الحى أتبع فلمهم * حتى دفعت إلى ربيعة هودج
ابن أبي ربيعة . فدنوت محتفيا ألىم بيتها * حتى ولجت إلى خفي الموج
فيما ناله ابن عساكر قالت وعيش أخى واعمه والدى * لأنهن الحى إن لم تخرج
فتناولت رأسي لتعرف مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت * فعلمت أن يمينها لم تخرج
فلنمت فاها آخذاً بقرونها * فرشفت ريقاً بارداً متشكج

قال كثير عزة : لقيني جميل ببئينة فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند هذه الحبيبية ، فقال
وإلى أين ؟ فقلت : وإلى هذه الحبيبية - يعنى عزة - فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى ببئينة
فوالله ما رأيتها ، وكان آخر عهدى بها بوادي القرى ، وهى تغسل هى

وأما ثوباً فتحادثنا إلى الغروب ، قال كثير : فرجعت حتى ألتفت بهم . فقال أبو بئينة : ما ردتك يا ابن أخي ؟ فقلت : أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأنشده وبقينه تسمع من وراء الحجاب : —

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي * إليك رسولا والرسول هو كل
بأن تجهلي بيني وبينك موعداً * وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل
وآخر عهدي منك يوم لقيتني * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل
فلما كان الليل أقبلت بئينة إلى المكان الذي واعدته إليه ، وجاء جميل وكنيت معهم فلما
رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن مناديات ، وانفض ذلك المجلس وما أدرى أيهما أفهم لما في ضمير
صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له :
ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله
إلا الله ؟ قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمن هذا ؟ قال : أنا ، فقلت الله : ما أظنك سلمت وأنت
تشبه بالنساء منذ عشرين سنة ، ببئينة . فقال : لا نالني شفاعة محمد ﷺ ، وإنني لفي أول يوم من
أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريئة ، قال : فلما برحنا حتى
مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه
بئينة فقال : شديداً ، واستنشده من أشعاره ومدائح فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فمأجلته
المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين .

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلاً قال له : هل أنت ، ببلغ عن رسالة إلى حي ببئينة ولك
ماعندي ؟ قال نعم ! قال : إذا أنامت فاركب ناقتي وابس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتاً منها قوله
قومي ببئينة فاندبني بعويل * وابكي خليلاً دون كل خليل
فلما انتهى إلى حبيهم أنشد الأبيات فخرجت بئينة كأنها بدرسرى في جنة وهي تتثنى في مرطها
ف قالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتنى ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقلت : بلى والله صادق
وهذه حالته وفاقته ، فلما تحققت ذلك أنشأت أبياتاً ترثيه بها وتتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب
لها العيش بعده ، ولا خير لها في الحياة بعد فقده ، ثم ماتت من ساعتها : قال الرجل : فلما رأيت أكثر
يا كيا ولا باكية من يومئذ .

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ، فقال : هذا
أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الشعر لحكمة » ،

عن عمر بن عبد الله

ابن ممر بن عثمان أبو حفص القرشي التميمي أحد الأجراد والأمرأ الأبحاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة ، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة ، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم ، وهو الذي قتل قطارى بن الفجاءة ، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما ، وعن عطاء بن أبي رباح ، وابن عون ، وروى عن عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين . قاله المدائني . وحكى أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حباً شديداً وأتفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هذبه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى مابك من قلة الشيء . فلو بعثني وانتفعت بشيء صلح حالك ، فباعها عمر بن عبد الله . وهذا وهو يؤخذ به البصرة . بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية ، فأشارت بمخاطبة سيدها بأبيات شعر وهي : —

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته * ولم يبق في كفي إلا تنكري
أقول لنفسي وهي في كرب عيشة * أقلى فقد بان الخليلط أو كذري
إذا لم يكن في الأمر عنك حيلة * ولم تجدي بداً من الصبر فاصبري
فأجابها سيدها فقال : —

ولولا قعود الدفري عنك لم يكن * لفرقتنا شيء سوى الموت فاصبري
أؤوب بحزن من فراقك موجع * أتأجى به قلباً طويل التذكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن ممر

فلما سمعها ابن ممر قد شبيت قال : والله لا فرقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه المال . وهو مائة ألف . والجارية لما رأى من توجههما على فراق كل منهما صاحبه ، فأخذ الرطل الجارية وثمها وأطلق . توفي عمر بن عبد الله بن ممر هذا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، وروى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته ، وكان له من الولد طمحة وهو من سادات قریش تزوج فأسست القاسم بن محمد بن جعفر بن صدق أربعين ألف دينار ، فأولدها إبراهيم ورواية : تزوج وولده إبراهيم بن علي بن عبد الله بن عباس على صدق مائة ألف دينار رحمهم الله .

عن كميل بن زياد

ابن زريك بن خير النخعي الكوفي . روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة ، وغيرهم مع علي بن سفيان ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً ، قتله الحجاج في هذه السنة ، وقد عاش مائة سنة فله صبراً بين يديه . وإنما تم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمه لطمها إليه . قال أمكته عثمان من لطمه فغاضه . فقال له الحجاج : أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص ؟

ثم أمر فضربت عنقه ، قالوا : ذكر الحجاج علياً في غيرون ذلك فقال منه وصلى عليه كليل ، فقال له الحجاج : والله لأبشن إليك من يميني علياً أكثر مما تحب أنت ، فأرسل إليه ابن أدم ، وكان من أهل حمص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه ، وقد روى عن كليل جماعة كثيرة من التابعين وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أولاه « القلوب أوعية تغيرها أوعاها » وهو طويل قد رواء جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضى الله عن قائله .

✽ ذاذان أبو عمرو السكندی ✽

أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر ، يضرب بالفسبور ، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله ابن مسعود وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق ، وخشية شديدة ، حتى كان في الصلاة كأنه خشية . قال خليفة : وفيها توفي زر بن حبیش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة (شقيق بن سلمة) أبو وائل : أحد من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ (أم الدرداء الصفرى)

اسمها هجيمة ويقال جهيممة نابمية عابدة عالمة قبيصة كان الرجال يقرؤن عليها ويتقنون في الحائط الشمالي بمجامع دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقها مع المتقدمة يستغل عليها وهو خليفة ، رضى الله عنها .

✽ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ✽

استهلكت هذه السنة والناس متواقفون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجاهم ، والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة ، وفي غالب الأيام تكون النصرة لأهل العراق على أهل الشام ، حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعا وثمانين مرة ينتصرون عليهم ، ومع هذا فالحجاج نابت في مكانه صابر ومصابر لا ينزعج عن موضعه الذي هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عنوة ، وكان له خبرة بالحرب ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالخلة على كتيبة القراء ، لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصبر القراء حملة جيشه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحل بهم ، وما انفك حتى قتل منهم خاتماً كثيراً ، ثم حل على ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فل قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن غنم النخعي ومعه عبد بن الحجاج والامرة اعمارة ، فساقوا وراءهم يطردونهم لعلمهم بظفر من به قتالا أو أسراً ، فما زال يسوق ويخترق الأقاليم

والكور وارساتيق ، وهم في ثمره حتى وصل إلى كرمان ، واتبعه الشاميون فنزلوا في قصر كان فيه أهل العراق قباهم ، فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل السكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه من شر أبي خلدة اليشكري يقول :

أيا ملقا ويا حزننا جميعاً * ويا حر الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً * وأسلفنا الحلال والحلينا
فما كنا أناساً أهل دنيا * فنصفنا ولولم نرج دنيا
تركنا دورنا لطعامك * وأنباط القرى والأشعرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل وأثراه عنده وأمنه وعظمه

قال الواقدي : ومرو ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل له في بعض المدن كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأثراه ، فمل ذلك خديعة به ومكراً ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتحصن بها من عدوك ولكن لا تدع أحداً من معك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإنما أراد المكربه ، فنفعه أصحابه فلم يقبل منهم ، فنفرك عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فسكه وأوثقه بالحديد وأراد أن يتخذ به يداً عند الحجاج ، وقد كان الملك رتبيل سر بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله إن آذيت ابن الأشعث لا أبرح حتى أستنزلك وأقتل جميع من في بلدك ، فخافه ذلك العامل وسير إليه ابن الأشعث فأكرمه رتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي ، فغدر بي وفعل ما رأيت ، فأذن لي في قتله ، فقال : قد أمنتك . وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش ابن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصلي بالناس هناك في بلاد رتبيل ، ثم إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه . وهم قريب من ستين ألفاً . فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتبيل فقتلوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عامر النعمان وإخوته وقرابته ، واستحذوا على ما فيها من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن أخرج إلينا حتى نكون معك تنصرك على من يخونك ، وتأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جنداً ومنعة كثيرة منا ، فنكون بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك ، فبقي بعد ذلك رأينا نخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قايلاً إلى نحو خراسان فاعتزله شرذمة من أهل العراق مع عبيد الله بن سمرة ، فقام فيهم ابن الأشعث

خطيباً فذكر غدرهم ونكرو لهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رتبيل
فأكون عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقى معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن
الأشعث بايعوا عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم
أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، ففتحهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عياش
يقول له : إن في البلاد متسماً فاذهب إلى أرض ليس بها سلطان فاني أكره قتالك ، وإن كنت تريد
مالاً بعثت إليك . فقال له : إنا لم نحجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا نستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست
بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كور
خراسان ، فخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفهم اقتتلوا
غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عياش ، وقتل يزيد منهم مقتلة كبيرة ، واحتار عافي
معسكره ، وبعث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد
قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لأبيك لما أطلعتني ، فأطلقه .

قال ابن جرير : وحدثنا الكلام خبر فيه طول ، ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم
وعفا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع
فهو آمن ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالرى فهو آمن ، فلحق بمسلم خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث
فأمنهم الحجاج ، ومن لم يلحق به شرع الحجاج في تتبعهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر
من قتل منهم سعيد بن جبير على ماسياتي بيانه .

وكان الشعبي من جملة من صار إلى مسلم بن قتيبة فذكر الحجاج يوماً قتيلاً له : إنه سار إلى مسلم بن
قتيبة ، فكتب إلى مسلم : أن ابعث لي بالشعبي قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالأمرة
ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله
لا أقول في هذا المقام إلا الحق كائن في ذلك ما كان ، قد والله ترونا عليك ، وخرجنا وجهدنا كل
الجهد فما ألونا ، فما كننا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا
فإن سطوت فبتنوبنا وما جرت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبجهدك ، وبعد فلك الحجة علينا .
فقال الحجاج : أنت والله يا شعبي أحب إلى من يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : ما فعلت
ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هلم يا شعبي ، قال :
فوجل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي ، فقال : كيف وجدت الناس
بعدنا يا شعبي ؟ قال : وكان لي مكرماً قبل الخروج عليه . فقلت : أصلح الله الأمير ، قد اكتحللت
بعدك السهر ، واستوعرت السهل ، واستوخمت الجنب ، واستحلست الخوف ، واستحللت الهم ،

وفقدت صالح الاخوان ، ولم أجد من الأمير خلفا . قال انصرف ياشعبي ، فانصرفت . ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن الشعبي .
وروى البيهقي أنه سأله عن مسألة في الفرائض وهي أم زوج وأخت وما كان يقوله فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك . وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير من سيرهم إليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : أشهد على نفسك أنك قد كفرت ، فإذا قال نعم بآيعة ، وإن أبي قتله ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبي أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأتى برجل فقال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه . وأراد الحجاج مخادعته . فقال : أخدعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون وهامان ونمرود . قال : فضحك الحجاج وخلي سبيله .
وذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج . وكان قد عمل قصيدة هجا فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ومدح فيها ابن الأشعث وأصحابه . فاستنشدته إياها فأنشدته قصيدة طويلة دالية ، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة ، ثم ألح عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى ، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصباح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد الفصحاء البلغاء المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر فعرف به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بحمص فامتدحه ، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جند حمص أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، فقتل الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو واقف لابن الأشعث بعث كتيبا يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم تواقف الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز ما في المعسكر وبات فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم فقالوا عليهم ليلة واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجدته فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكبله ، وانطلق ابن الأشعث هارباً في ثلاثمائة فركبوا دجيلاً في السفن وعبروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هنالك

إلى بلاد الترك ، وكان في دخوله بلاد رتيل ما تقدم ، ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فحصل يقتلهم مئتي وفرادى ، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً ألفاً وثلاثين ألفاً ، قاله النضر ابن شميل عن هشام بن حسان ، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وجماعات من السادات الأخيار ، والعلماء الأبرار ، حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضى عنهم كما سيأتى ذلك في موضعه .

﴿ بناء واسط ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط ، وكان سبب بناءه لها أنه رأى راهباً على أنان قد أجاز دجلة ، فلما مر بوضع واسط وقفت أنانه فبالت ، فقتل عنها وعمد إلى موضع بولها فاحتفروا ورعى به في دجلة ، فقال الحجاج : على به ، فأتى به فقال له : لم صنعت هذا ؟ قال : إننا نجد في كتبنا أنه يبقى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه مادام في الأرض أحد بوحده ، فعند ذلك أخذ الحجاج مدينة واسط في ذلك المسكان وبنى المسجد في ذلك الموضع . وفيها كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية . ومن توفى فيها من الأعيان :

﴿ عبد الرحمن بن جحيرة ﴾

الخلولاني المصري ، روى عن جماعة من الصحابة وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال ، وكان رزقه في العام ألف دينار ، وكان لا يدخر منها شيئاً .

﴿ طارق بن شهاب ﴾

ابن عبد شمس الأحمسي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعا وأربعين غزاة ، توفى بالمدينة هذه السنة .

﴿ عبيد الله بن عدى ﴾

ابن الخيار أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث عن جماعة من الصحابة ﴿ عبد الله بن قيس ابن مخزومة ﴾ ، كان قاضي المدينة . وكان من فقهاء قریش وعلمائهم وأبوه عدى ممن قتل يوم بدر كافراً وتوفى بها في هذه السنة مرثد بن عبد الله أبو الخير البزني . وفيها فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع الأشعث ، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة ، ومنهم من أضر فضرِب الحجاج عنقه ، ومنهم من تتبعه الحجاج حتى قتله ، وقد سمي منهم خليفة بن خياط طائفة من الأعيان ، فمنهم مسلم بن يسار المزني ، وأبو مرانة العجلي قتل ، وعقبة بن عبد الغفار قتل ، وعقبة بن وشاح قتل ، وعبد الله بن خالد الجهمي قتل ، وأبو الجوزاء الربيعي قتل ، والنضر بن أنس ، وعمران والد أبي حمزة الضبيعي ، وأبو المنهال سيار بن سلامة الرياحي ، ومالك بن دينار ، ومرة بن ذباب الهنادي وأبو نجيد الجهمي ، وأبو سبيح الهنائي ، وسعيد بن أبي الحسن ، وأخوه الحسن البصري قال أيوب :

قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عائشة يوم الجمل فأخرج الحسن منك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشعبى ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمروزي بن مويده ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البختري ، وطلمحة بن مصرف ، وزبيد بن الحارث اليماني ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فما منهم صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه ، ولا نجا أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه . ومن أعيان من قتل الحجاج عمران بن عصام الضبي ، والد أبي حنيفة ، كان من علماء أهل البصرة ، وكانت صالحاً عابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له : أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه . عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى محبة . أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب ، خرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ﴾

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصيصة ، وفيها غزا عبد بن مروان ارمينية فقتل منهم خلقاً وصرف كنائسهم وضياعهم وتسمى سنة الحريق ، وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد ابن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد . وفيها ولي عبد الملك الأسكندرية عياض بن غنم البجيني وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي . وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أرومة ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً . وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من أصحاب ابن الأشعث ، منهم :

﴿ أيوب بن القرية ﴾

وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله . وهو أيوب بن زيد ابن قيس أبو سليمان الهلالى المعروف بابن القرية . وعبد الله بن الحارث بن نوفل . وسعد بن إلياس الشيباني ، وأبو غنيم الخولاني . له محبة ورواية ، سكن حمص وبها توفى وقد قارب المائة سنة . عبد الله ابن قتادة ، وغير هؤلاء . جماعة منهم من قتلهم الحجاج . ومنهم من توفى . أبو زرعة الجذامي الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، يخاف منه معاوية ففهم منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا تهدم ركناً بذيته ، ولا تحزن صاحباً سررت ، ولا تشمت عدواً كبت ، فكف عنه معاوية .

وفيها توفى عتبة بن مسعود الأسلمي صحابي جليل ، كان يعد في أهل الصفة . عمران بن حطان الخارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها ، وكان هو دهم الشكل ، فأراد أن يردّها إلى السنة فأبّت فارتدت معها إلى مذهبها . وقد كان من الشعراء

المفلقين ، وهو القاتل في قتل علي وقاتله :

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم * لم يخلطوا دينهم بنياً وعدواناً
وقد كان الثوري يتمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله : -

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على أنهم فيها عراة وجوع
أراها وإن كانت تحب قائمها * سحابة صيف عن قليل تقشع
كركب قضا حاجاتهم وترحلوا * طريقهم بادى العلامة مهيع
مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين . وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل
على رضي الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها :

بل ضربة من شقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش خسراناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه * أشقى البرية عند الله ميزاناً

﴿ روح بن زنباع الجذامي ﴾

كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشير في أموره .

وفيهما كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندي وقيل في التي بعدها فأنه أعلم . وذلك أن
الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث يقول له : والله الذي لا إله إلا هو لن
لم تبعث إلى بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف ألف مقاتل ، ولأخربنها . فلما تحقق الوعيد من
الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج
دياره ويأخذ عامة أمصاره ، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشرين سنين ، وأن لا يؤدي
في كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج ، فأجابه الحجاج إلى ذلك ، وقيل إن الحجاج وعده أن
يطلق له خراج أرضه سبع سنين ، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث فقتل ابنه أمر بضرب عنقه
صبراً بين يديه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً
فقتله وهو بآخر رمق ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقتلهم في الأصفاة وبعث بهم
مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق يمكن يقال له الرجح ، صعد ابن الأشعث وهو
مقيد بالحديد إلى سطح قصر وعده رجل موكل به للتلايف ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه
الموكل به فماتا جميعاً ، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزاه ، وقتل من معه من أصحاب ابن
الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بعثه إلى عبد الملك فطيف

برأسه في الشام ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هنالك ، ثم دفنوا رأسه بمصر وجنته بالرجح ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك : -

هيهات موضع جثة من رأسها * رأس بمصر وجنته بالرجح
وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين فأن الله أعلم .

وعبد الرحمن هذا هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي عن أبيه عن جده عن ابن مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايعان والسلمة قائمة والقول ماقال البائع أو تشاركوا » . وعنه أبو العباس . ويقال إن الحجاج قتل بعد التسعين سنة فأن الله أعلم . والمعجب كل المعجب من هؤلاء الذين بايعوه بالامارة وليس من قریش ، وإنما هو كندی من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الامارة لا تكون إلا في قریش ، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك ، حتى ان الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصديق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد الذي دعا إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه ، كما قرنا ذلك فيما تقدم . فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالامارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صلبية قریش ويبايعون لرجل كندی بيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وقلعة نشأ بسببها شر كبير هلك فيه خلق كثير فأن الله وإنا إليه راجعون

﴿ أيوب بن القرية ﴾

وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارة بن مسلم النمرى الهلالي ، كان أعرابياً أمياً ، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، صحب الحجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولا إلى ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تنقم خطيباً فتخلع الحجاج لأضرب عنقك ، ففعل وأقام عنده ، فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب عنقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما قيل : وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل * وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن خلكان في الوفيات وأطال ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقرية بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها جماعة بنت جشم قال ابن خلكان : ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي العقب صاحب الملحمة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العقب والله أعلم .

﴿ روح بن زنباع ﴾

ابن سلامة الجندامي أبو زرعة ويقال أبو زنباع الدمشقي داره بدمشق في طرف البزورين عند دار

ابن عقب صاحب الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه . وكانت له صحبة . وعيم الداري ، وعبادة بن الصامت ومعاوية وكسب الأخبار وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له صحبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن ما ثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يمتق نسيمة ، قال ابن زيد : مات سنة أربع وثمانين بالاردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد حج مرة فنزل على ماء بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء ، فدعا روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنثر إلى طعامه وقال : إني صائم ، فقال له روح : في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم ياراعي ؟ فقال الراعي : أفأغبن أيامي من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فترله وترك روح بن زنباع ، فقال روح بن زنباع : -

لقد ضنفت بأيامك ياراعي * إذ جاد بها روح بن زنباع

ثم إن روحاً بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفعت ، وقال : انظروا هل تجدون لها آكلًا من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المسكن وقد أخذ الراعي بمجامع قلبه وصغرت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين)

فيها كما ذكر ابن جرير كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث فآله أعلم ، وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير فقيل له إن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالمًا ، فدعى فقال : يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجيده ملسكا أقرع ، من يقم في سبيله يصرع ، قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال : فتعرفني له قال : قد أخبرتك بك . قال : أفتعرف ما لي ؟ قال : نعم ! قال : فن يلى العراق بعدى ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال أفى حياتي أو بعد موتي ؟ قال لا أدري ، قال : أفتعرف صفة ؟ قال يغدر غدرة لا أعرف غيرها قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبعة وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالتقرير والتأييد والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكرًا واستدعى

بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينسكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن مائحت يدي سيأتيه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد ابن حصين بن نمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب . فقال عبيد : لقد شرفتهم وعظمت ولا ينهم وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً فأخلق به . فأجمع رأي الحجاج على عزل يزيد ابن المهلب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخوفه غدرة ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ الكتابي ، فجاءه يزيد بكتاب فيه قد أكرت في شأن يزيد فسمي رجلاً يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج على الفضل بن المهلب فولاه قليلاً تسعة أشهر ، فغزا بلاد عبس وغيرها وغنم مغنم كثيرة ، وامتنحه الشعراء ثم عزله بقتيبة بن مسلم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ، ثم ذكر سبب ذلك ومخلصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يابجأ إليه بمن معه من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من بلدة خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريباً من ترمذ وكان ملكها فيه ضعيف ، فجعل يهادنه ويبعث إليه بالانصاف والتخف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عن الملك فعمل له طعاماً وبعث إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن ائتني في مائة من أصحابك ، فاختر موسى من جيشه مائة من شجعانهم ، ثم دخل البلد فلما فرغت الضيافة اضطلع موسى في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري : فنار أهل القصر إليه فحاجف عنه أصحابه ، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فاقتلوا قتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم ، واستدعى موسى ببقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فخصنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها هارباً فاجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء قوم نحو من مائة رجل أخرجوك من بلدك ، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستنصرهم فبعثوا معه قصاداً نحو موسى ليسمعوا كلامه ، فلما أحس بقدمهم - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن يؤججوا ناراً ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطاون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي تراكم تفعلون ؟ فقالوا لهم : إنا نجد البرد في الصيف والكرب في الشتاء ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلا جن ثم عادوا إلى ملكهم فأخبروه بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجاش بطائفة أخرى فجاءوا فحاصروهم بترمذ وجاء الخزاعي فحاصروهم أيضاً ، فجعل يقاتل الخزاعي أول النهار ويقابل آخره العجم ، ثم إن موسى قتل منهم مقتلة عظيمة وأفرغ ذلك عمر الخزاعي فصالحه وكان معه ، فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً فقال له على وجه النصيح

أصلح الله الأمير ، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح ، فقال : إن عندي سلاحاً ، ثم رفع صدر فراشه فاذا سيفه منتضى فأخذه عمر فضر به به حتى برد وخرج هارباً ، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبيد الله بن خازم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية ، وحسن له ذلك روح بن زنباع الجذامي ، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في الليل ، وكان لا يحجب عنه في أى ساعة جاء من ليل أو نهار ، فعزاه في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله ، وإنما حمله على إرادة عزله أنه أراد أن يمهّد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام ، وذلك عن رأى الحجاج وترتيبه ذلك لعبد الملك ، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز ، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالسكينة ، ويجعل الأمر في أولاده وعقبه ، وأن تكون الخلافة باقية فيهم والله أعلم .

﴿ عبد العزيز بن مروان ﴾

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصبع القرشي الأموي . ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان ، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك ، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة ، وشهد قتل سميد بن عمرو بن العاص كما قدمنا ، وكانت له دار بدمشق وهي دار الصوفية اليوم ، المعروفة بالخانقاه السيساطية ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز ، ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاه للصوفية . وقد روى عبيد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبه بن عامر وأبي هريرة ، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال : « شر ما في الرجل حين خلع وشح هالع » . وعنه ابنه عمر والزهرى وعلي بن رباح وجماعة . قال محمد بن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، وقال غيره : كان يلحن في الحديث وفي كلامه ، ثم تعلم العربية فأقننها وأحسنها فكان من أفصح الناس ، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو ختنه - وهو زوج ابنته - فقال له عبيد العزيز : من ختنك ؟ فقال الرجل : ختنى الختان الذى يختن الناس ، فقال لسكاته ويحك بماذا أجابنى ؟ فقال السكاتب : يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من ختنك ، فألقى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلم العربية ، فمكث جمعة واحدة فتعلمها فخرج وهو من أفصح الناس ، وكان بعد ذلك يجيز عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه ، فتسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية . قال عبد العزيز يوماً إلى رجل : ممن أنت ؟ قال : من بنو عبد الدار ، فقال : تجدها في جارتك ، فنقصت جارتها مائة دينار :

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا مجاهد بن موسى ثنا إسحاق بن يوسف أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن القمطاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إلى حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقا رزقنيه الله عز وجل منك . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس قال : بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فبعت فدفعت إليه الكتاب فقال : أين المال ؟ فقلت : لا أستطيعه الليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله ألف دينار ، قال : فدفعت إلى الكتاب حتى جثته بها ففرقها رضى الله عنه .

ومن كلامه رحمه الله : عجبا لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله يرزقه ويخلف عليه ، كيف يحبس مالا عن عظيم أجر وحسن ثناء . ولما حضرته الوفاة أحضرته مال محصيه وإذا هو ثلاثمائة مدين ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بحر حائل ينجد ، وقال : والله لوددت أني لم أكن شيئا مذكورا ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نباتة بأرض الحجاز ، وقال لهم : ائتموني بكفني الذي تكفوني فيه ، فجعل يقول : أف لك ما أقصر طويلا ، وأقل كثيرا .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن الليث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين ، قال ابن عساكر : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين ، فانه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين . وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كرمًا جوادًا ممدحًا ، وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأصبغ . مات قبله بتقليل فخرن عليه حزنا كثيرا ، ومرض بعده ومات . وسهيل وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين وهن من أمهات شقي ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر في النيل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال والابل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف . من جملة ذلك ثلاثمائة مدين ذهب غير الورق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة ، فانه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالديار المصرية يسأله أن ينزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد أو يكون ولي العهد من بعده ، فانه أعز الخلق نبي . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد . فكتب

إليه عبد الملك يأمره . بحمل خراج مصر . وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكاملها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مغائرها وخراجها وحملها . فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنّاً لا يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاءه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينما يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا أعتب على بقية عمرى فأقبل ، فرق له عبد الملك وكتب إليه : لعمري لا أعتب عليك بقية عمرى . وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن يرد الله أن يطيّبها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليمان : هل قارفتما محرماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتماها ورب السكبة . ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إني قطعني فأقطعه ، فمت في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاءه الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليلاً حزن وبكى وبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سره ذلك من جهة ابنه فإنه نال فيها ما كان يؤمله لهما من ولايته إياهما بعده . وقد كان الحجاج يمثّل إلى عبد الملك يحسن له ولاية الوليد ويزينها له من بعده ، وأوفد إليه وفداً في ذلك عليهم عمران بن عاصم العنبري ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفاء في ذلك وحشوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عاصم في ذلك :

أمير المؤمنين إليك نهدي * على النأي النحية والسلاما
أجبنى في بنيك يكن جوابي * لهم عادية ولنا قواماً
فلو أن الوليد أطاع فيدي * جعلت له الخلافة والذماما
شبهك حول قبته قريش * به يستمطر الناس الغماما
ومثلك في التقى لم يصب يوماً * لدنّ خلع القلائد والتماماً
فإن تؤثر أخاك بها فانا * وجدك لا نطيق لها اتهاماً
ولكننا نتحاذر من بنيدي * بني العلات مآثرة سماماً
ونخشى إن جعلت الملك فيهم * سحاباً أن تعود لهم جهاماً
فلا يك ما جلبت غدا لقوم * وبعد غد بنوك هم العياما
فأقسم لو تخطاني عاصم * بذلك ما عذرت به عصاماً
ولو أني حبوت أخا بفضل * أريد به المقاتلة والمقاما
لعتب في بني علي بندي * كذلك أو لوت له مراماً
فمن يك في أقارب صدوع * فصنع الملك أبطؤ النشاما

قال : فهاج ذلك على أن كتب لأخيه يستنزله عن الخلافة للوليد فأبى عليه ، وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك إمام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد منبيعة الوليد وسليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر بيعة عبد الملك لولده الوليد - ثم من بعده لأخيه سليمان بن عبد الملك)

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، بويع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم ثم لسليمان من بعده ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فضربه ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر وأركبه جملًا وطاف به في المدينة ، ثم أمر به فذهبوا به إلى ثنية ذباب - وهي الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقولون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذا الثياب . ثم كتب هشام بن إسماعيل الخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك ، فكتب إليه يعنفه في ذلك ويأمره باخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرحم مما فعلت به ، وإنا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ، ويروى أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله . وذكر الواقدي أن سعيداً لما جاءت بيعة الوليد امتنع من البيعة فضربه نائبها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه فאלله أعلم .

قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكالة الحجاج ، قال شيخنا الحافظ الذهبي : وتوفي في هذه السنة (أبان بن عثمان) بن عفان أمير المدينة ، كان من فقهاء المدينة العشرة ، قاله يحيى بن القطان . وقال محمد بن سعد : كان ثقة وكان به صمم ووضع كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت . (عبد الله ابن عامر) بن ربيعة . عمرو بن حريث . عمرو بن سلمة . واثلة بن الأسقع . شهد واثلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزلها ، ومسجده بها عند حبس باب الصغير من القبلة . قلت : وقد احترق مسجده في فتنة تمرانك ولم يبق منه إلا رسومه ، وعلى بابه من الشرق قناة ماء . (خالد بن يزيد) بن معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفتون العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطيقاً كأبيه ، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكى إليه أن ابنه الوليد يحقر أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : (إن الملوكة إذا دخلا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) فقال له خالد : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق

عليها القول فدمرناها تدميراً) فقال عبد الملك : والله لقد دخل على أخوك عبد الله فإذا هو لا يقيم
 اللحن ، فقال خالد : والوليد لا يقيم اللحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلحن ، فقال خالد :
 وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد - وكان حاضراً - لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما أتمد في
 العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك وما هو
 المير والنفير غير جدى أبي سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ؟ ولكن
 لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت - يعني أن الحكم كان منفياً
 بالطائف يرعى غنماً ويأوى إلى جبيلة المكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولى - فسكت الوليد وأبوه
 ولم يجيرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين ﴾

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلاداً كثيرة من أرض الترك
 وغيرهم من الكفار ، وسبى وغنم وسلم وتسلم قلاعاً وحصونا وممالك ، ثم قفل فسبق الجيش ، فكتب
 إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكُن في مقدمة الجيش ، وإذا
 قفلت راجعاً فكُن في ساقة الجيش - يعني لتكون ردماً لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد -
 وهذا رأى حسن وعليه جاءت السنة ، وكان في السبي امرأة برمك - والد خالد بن برمك - فأعطاهما
 قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة من على السبي وردت تلك المرأة على
 زوجها وهي حبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا به معهم أيام بنى العباس
 كما سيأتي . ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلغار بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب .

وفيهما كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون القتيات ، لأنه أول ما بدأ بالنساء
 فسمى بذلك . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم واقتنح حصن بولق
 وحصن الأخرم من أرض الروم ، وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت
 أخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة . وفيها هلك ملك
 الروم الأخرم لورى لا رحمه الله . وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب . وحج بالناس فيها هشام بن
 إسماعيل الخزومي . وفي هذه السنة توفي أبو أمادة الباهلي وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن
 الحارث بن جزء الزبيدي في قول ، شهد فتح مصر وسكنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر .
 وفيها في شوالها توفي أمير المؤمنين

﴿ عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين ﴾

وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد الأموي أمير المؤمنين ،

وأمة عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية . سمع عثمان بن عفان ، وشهد الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولله إياها معاوية ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء وروى الحديث عن أبيه وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وبريرة مولاة عائشة . وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان وعروة والزهرى وعمر بن الحارث ورجاء بن حيوة وجابر بن عثمان . ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم وكان يكنى بأبي القاسم ، ثم غير اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة : وأول من سمي في الاسلام بأحمد والد الخليل بن أحمد العروضي . ويومع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين ، وابن الزبير على باقي البلاد ، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك ، وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن ، وكان ربعة من الرجال أقرب إلى القصر . وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ، وكان أفوه مفتوح الفم ، فرما غفل فيفتح فيه فيدخل فيه الذباب ، ولهذا كان يقال له أبو الذباب . وكان أبيض ربعة ليس بالضعيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين أشهل كبير العينين دقيق الأنف مشرق الوجه أبيض الرأس واللحية حسن الوجه لم يخضب ، ويقال إنه خضب بعد . وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفتح ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ابن مروان ، وقال الأعشى عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة ابن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولد الناس أبناء ، وولد مروان أبا . يعنى عبد الملك . وراه يوماً وقد ذكر اختلاف الناس ، فقال : لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه ، وقال عبد الملك : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لي يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تولى أمر هذه الأمة ، فاحترق الدماء فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريته من مسلم يغير حق » . وقد أتى عليه قبل الولاية معاوية وعمر بن العاص في قصة طويلة ،

وقال سعيد بن داود الزبيرى عن مالك عن يحيى بن سعيد بن داود الزبيرى قال : كان أول من حلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وقتين معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التمسك في أمر الله والورع عن محارم الله . وقال الشعبي :

ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فأني ماذا كرت حديثاً إلا زادني منه ، ولا شعراً إلا زادني فيه . وذكر خليفة بن خياط أن معاوية كتب إلى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمسين أن ابعت ابنك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج ، فذكر من كفايته وغناؤه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً . ولم يزل عبد الملك مقبلاً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجلى بني أمية من هناك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الامارة مع أبيه ، وبايعه أهل الشام كما تقدم أقام في الامارة تسعة أشهر ثم عهد إليه بالامارة من بعده ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين . واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك . وقال أبو الطفيل : صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه ، وقد كان بنى له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان حشمة الأحرار - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك . وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فطناً سائساً لأمر الدنيا ، لا يكل أمر دنياه إلى غيره . وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدد أنف حمزة عم النبي ﷺ يوم أحد ، وقال سميد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشى ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الأمر أحبهما إليك . فظفر عبد الملك - وقد كان مصعب من أعز الناس على عبد الملك - وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً . وقال سميد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فانك راع وكل راع مسئول عن رعيته (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) لا أحد والسلام . وبعث به مع سلام فوجدوا عليه إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم فطروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتلوا ذلك منه .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ميسرة عن أبي موسى الخياط عن أبي كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سألت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فآلزموا ما في مصحفكم

الذي حملكم عليه الامام المظلوم ، وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها امامكم المظلوم رحمه الله ، فانه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للاسلام رحمه الله ، فاحكما ما احكما ، واستقصيادما شد عنهما . وقال ابن جريج عن أبيه : حج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين ، فخطبنا فقال : أما بعد فانه كان من قبلى من الخلفاء يأكلون من المال ويوكلون ، وإني والله لا أدوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة المستضعف - يعنى عثمان - ولا الخليفة المداهن - يعنى معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعنى يزيد بن معاوية - أيها الناس إنا نحتمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر ، هذا عمرو بن سعيد حقه حقه ، قرابته وابنه ، قال برأسه هكنا فقلنا بسيفنا هكنا ، وإن الجامعة التي خلفها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضمرها في رأس أحد إلا أخرجها الصمداء ، فلم يبلغ الشاهد الفائب . وقال الأصمعي : ثنا عباد بن سلم بن عثمان بن زياد عن أبيه عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بكراً فأنشأ قائده يقول : -

يا أيها البكر الذي أراك * عليك سهل الأرض في ممشاك

ويحك هل تعلم من علاكا * خليفة الله الذي امتطاك

* لم يحب بكراً مثل ما حباك *

فلما سمعه عبد الملك قال : أيها ياهناه ، قد أمرت لك بمشرة آلاف . وقال الأصمعي : خطب عبد الملك فحصر فقال : إن اللسان بضعة من الانسان ، وإنا نسكت حصراً ولا ننطق هذراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينارسخ عروقه ، وعلينا تملأ أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عينا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب . قال الأصمعي : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وتفسى ارتقاء المنبر وخفاة اللاحن ؟ ولحن رجل عند عبد الملك - يعنى أسقط من كلامه ألفاً - فقال له عبد الملك زد ألف ، فقال الرجل : وأنت فزد ألفاً ، وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غال فيه ولا جاف عنه ، وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسايره في سفره : إذا رفعت له شجرة ، سبحوا بنا حتى تأتي تلك الشجرة ، كبروا بنا حتى تأتي تلك الحجرة ، ونحو ذلك .

وروى البيهقي أن عبد الملك وقع منه فأس في بئر قدرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرج منه ، فقيل له في ذلك فقال : إنه كان عليه اسم الله عز وجل . وقال غير واحد : كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيافون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشديقول :

إنا إذا نالت دواعي الهوى * وأنصت السامع للقائل
واضطرع الناس بالبائهم * تقضى بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقاً ولا * نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا * فنجهل الحق مع الجاهل

وقال الأعشى : أخبرني محمد بن الزبير أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه : لو أن رجلاً خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصراني أو تعرف مكانه لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزول من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ، ولعرفوا له ذلك ، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا ، وإني خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ورأيت له وأكلت معه ، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه ، وإن الحجاج قد أضربني وفعل وفعل ، قال : أخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير ثم قال إلى حامل الكتاب : انطلق بنا إليه نترضاه . وقال أبو بكر بن دريد : كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث : إنك أعز ماتكون بالله أحوج ماتكون إليه ، وأذل ماتكون للمخلوق أحوج ماتكون إليهم ، وإذا عززت بالله فاعف له ، فانك به تعزو إليه ترجع . قال بعضهم : سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالنصراف ، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك : احذر في كلامك ثلاثاً ، إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسعى إلى بأحد من الرعية فانهم إلى عدلى وعفوى أقرب منهم إلى جورى وظالمى ، وإن شئت أقتلك . فقال الرجل : أقتلني فأقاله . وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق : اعفني من أربع وقل ما شئت ، لا تطرنى ، ولا تنجبنى فيما لا أسألك عنه ، ولا تكذبني ، ولا تحملى على الرعية فانهم إلى رافئى ومعدلى أحوج . وقال الأصمعى عن أبيه قال : أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال : اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائى منك ، فقال : وما جزاؤك ؟ فقال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك ، وذلك أنى رجل مشوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم ، وقد بان لك صحة ما ادعيت ، وكنت عليك خيراً من مائة ألف معك تنصحك ، لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه ، وكنت مع فلان فقتل ، وكنت مع فلان فهزم - حتى عهد جماعة من الأمراء - فضحك وخلي سبيله . وقيل لعبد الملك : أى الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة ، وترك النصرة عن قوة . وقال أيضاً لا طمأنينة قبل الخبرة ، فان الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم . وقال : خير المال ما أفاد حمداً ودفع ذماً ، ولا يقولن أحدكم أبداً بن تعول ، فان

الخلق كلهم عيال الله ، وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث . وقال المدائني : قال عبد الملك لمؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فانهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، واحف شعورهم لغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يتقوا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضا ، ويمصوا الماء مصا ، ولا يعبوا عبا ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهنوا عليهم .

وقال الميثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذنا خاصا ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الانسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم (بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين) (ذلك يوم مجموع له الناس وذاك يوم مشهود) (وما تؤخره إلا لأجل معدود) إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ، (فتلك بيوتهم خاوية بما ظاهروا) وإني أحذرك يوم ينادى المنادى (احشروا الذين ظاهروا وأزواجهم) (ألا لعنة الله على الظالمين) قال فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمة ولم تزل الكتابة في وجهه بعد ذلك أياما . وكتب زر بن حبیش إلى عبد الملك كتابا وفي آخره : ولا يطعمك يا أمير المؤمنين في ضول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ماتكم به الأولون إذا الرجال ولدت أولادها * وبليت من كبر أجسادها وجعلت أسقامها تعنادها * تلك زروع قد دنا حصاها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق . وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنهي عن ذكر عمر فانه مرارة الامراء مفسدة للرعية . وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القبانى عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق ، فقالت له : بلغنى أنك شربت الخنلا بعد العبادة والنسك ، فقال : إني والله ، والدما أيضا قد شربتها . ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال : ما حبسك لعنك الله ؟ فقالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فاني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة لعان » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب : إن عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكامل موت قلبه .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال : خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يا رب إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوكم أعظم منها ، اللهم فاهج بقليل عفوكم عظيم ذنوبي . قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام ، وقد روى عن غير واحد نحو ذلك ، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن . وقال مسهر الدمشقي : وضع سماط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لمخاطبه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلا يبه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد ابن معاوية ، قال : مات ، قال فلفلان وفلان - حتى عد أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك قبلنا - فأمر برفع السماط وأنشأ يقول :

ذهبت لذتي وانقضت أيامهم * وغبرت بعدهم ولست بخالد

وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك : ماهذا ؟ أتحن حنين الجارية والأمة ؟ إذا أنا مت فشمروا تزر والبس جلد النمر ، وضع الأور عند أقرانها ، واحذر قریشا . ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيتي ، وانظر إلى أخي معاوية فصل رحمه واحفظني فيه ، وانظر إلى أخي محمد فأمره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمه واعرف حقه ، وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشقت الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، والمعروف مناراً ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالحب ، وبذلك الألسنة بالذكر الجميل ، والله در القائل :

إن الأمور إذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حق وبطش مفند

عزت فلم تنكسر وإن هي بددت * فالكسر والتوهين المعتمد

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فن أبي فالسيف ، وعليك بالاحسان إلى أخواتك فأكرهن وأحبهن إلى فاطمة - وكان قد أعطاها قرطى مارية والدرة البقيعة - ثم قال : اللهم احفظني فيها . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها .

ولما احتضر سمع غسالا يغسل الثياب فقال : ماهذا ؟ فقالوا غسال ، فقال : ياليتني كنت غسالا أكسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم أَلِ الخلافة . ثم تمثل فقال : -

لعمري لقد عمرت في الملك برهة * ودانت لي الدنيا بوقع البوار

وأعطيت جمر المال والحكم والنهي * ولى سلمت كل الملوكة الجبار

فأضحى الذي قد كان مما يسرنى * كحلّم مضى في المزمّنات القوابر
فياليتنى لم أعن بالملك ليسة * ولم أسع في لذات عيش نواضر
وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجدك ؟ فقال أجدننى كما قال الله تعالى
(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتكم ما حولنا كم وراء ظهوركم) الآية . وقال
سعيد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً
بالوادي فقال : ما هذا ؟ قالوا قصار ، فقال : ياليتنى كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ
سعيد بن المسيب قوله قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم . وقال :
لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أنى اكتسبت قوتى
يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربى عز وجل وطاعته . وقال غيره : أما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم
ثم قال : الحمد لله الذى لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينشد : —

فهل من خالد إما هلكنا * وهل بالموت للباقيين عار

و يروى أنه قال : أرفعونى ، فرفعوه حتى شمس الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك القصير ،
وإن كثيرك الحقيق ، وإنا كنا بك لنى غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن تناقشك يارب * عذاباً لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب صفوح * عن مسى ذنوبه كالتراب

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، فى النصف من شوال
سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنه الوليد ونى عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله
أبو معشر وصححه الواقدي ، وقيل ثلاثاً وستين سنة . قاله المدائنى ، وقيل ثمانى وخمسين . ودفن بباب
الجابية الصغير ، قال ابن جرير : ذكر أولاده وأزواجه منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر درج
وعائشة ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن
مازن بن الحارث بن قطيمة بن عباس بن بغيض ، ويزيد ومروان الأصغر ومعاوية درج وأم كلثوم
وأُمهم عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وهشام وأمه أم هشام عائكة — فيما قاله المدائنى —
بنت هشام بن إسماعيل الخزومى . وأبو بكر واسمه بكار وأمه عائكة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله
التميمي ، والحكم درج وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموى ، وفاطمة وأُمها المغيرة
بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الخزومى . وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة
ومحمد وسعد الخير والحجاج لأُمهم أولاد شتى ، فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكراً وإناثاً ،

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركا لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلا بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكتابه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاه ، وصاحب بيت المال والخطام قبيصة بن ذؤيب . وعلى شرطته أبو الزعزعة . وقد ذكرنا أعماله فيما مضى . قال المدائني : وكان له زوجات أخر ، شقراء بنت سلمة بن حلبس الطائي ، وابنة لعل بن أبي طالب ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر . ومن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريرا .

﴿ أرطاة بن زفر ﴾

ابن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن غقمان بن أبي حارثة بن مرة بن شبة بن نبط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الوليد المري ، ويعرف بأبن شهبة ، وهي أمه بنت رامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن جشم بن كعب بن عون بن عامر بن عوف - سبية من كلب - وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زفر وهي حامل فأتت بأرطاة على فراشه ، وقد عمر أرطاة دهرًا طويلا حتى جاوز المائة بثلاثين سنة ، وقد كان سيدا شريفا مطاعا ممسحا شاعرا مطبقا قال المدائني : ويقال إن بني غقمان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث دخلوا في بني مرة بن شبة فقالوا بني غقمان بن أبي حارثة بن مرة . وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زفر هذا على عبد الملك فأنشده أبياتا : -

رأيت المرء تأكله الليالي * كأكل الأرض ساقطة الحديد
وماتبقى المنية حين تأتي * على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكر حتى * توفي نذرها بأبي الوليد

قال : فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه بذلك فقال يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسي ، فقال عبد الملك : وأنا والله سيعرني ما الذي يربك ، وزاد بعضهم في هذه الابيات : -
خلقنا أنفسا وبني نفوس * ولسنا بالسلام ولا الحديد
لئن أجمعت بالقرناء يوما * لقد منعت بالأمل البعيد
وهو القائل وإني لقوام لدى الضيف موهنا * إذا أسبل الستر البخيل المواق
دعا فاجابته كلاب كثيرة * على ثقة مني بأني فاعل
وما دون ضيفي من تلاد تحوزة * لي النفس إلا أن تصان الخلائل

﴿ مطرف بن عبد الله بن الشخير ﴾

كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمران بن حصين ، وكان مجاب الدعوة ، وكان يقول ما أوتي أحد أفضل من العقل ، وعقول الناس على قدر زمانهم . وقال : إذا استوت سريرة العبد

وعلا نيته قال الله هذا عبدى حقاً . وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استطعتم أن يدعوا لكم فإنه قد حرّك - أى قد أوقف من غفلته بسبب مرضه - فدعوه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه . وقال : إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة .

﴿ خلافة الوليد بن عبد الملك بنى جامع دمشق ﴾

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسجد الأعظم بدمشق - فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السلولى وهو يقول : -

الله أعطاك التى لا فوقها * وقد أراد الملمحون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها * إليك حتى قلدوك طوقها

ثم بايعه وبايع الناس بعده . وذكر الواقدي أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه لا مقدم لما أقر الله ، ولا مؤخر لما قدم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحملته عرشه وملائكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لا فاه في هذه الأمة - يعنى بالذى يحق لله عليه - من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الاسلام وإعلانه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارات على أعداء الله عز وجل فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فخازها . وكان جباراً عنيداً . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب ، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كاسيأتى ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الاخبار عن الغيوب المستقبلة ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينياً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صهوة ، ومن جملة محاسنه ما صح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكر آ كان يأتى ذكر آ كما توفى النساء ، كاسيأتى ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته ، وهو بنى مسجد جامع دمشق الذى لا يعرف في الأفاق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنائه في ذى القعدة من هذه السنة ، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهى عشر سنين ، فلما أنهى انتهت أيام خلافته كاسيأتى بيان ذلك مفصلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقى فحولوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربى كنيسة

بحالائه من الدن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فعزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعوضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عوضهم عنها كنيسة توما ، وهنم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى مسجد الصحابة ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزينات والآثار والعمارات ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز ، فدخلها على ثلاثين بعيراً في ربيع الأول منها ، فنزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبيد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا ب رأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدى أو يبالغكم عن عامل لي ظلامة ، فأخرج على من بلغه ذلك إلا أبلغني . فخرجوا من عنده بجزونه خيراً ، وافترقوا على ذلك . وكسب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان - وكان يسئ الرأي فيه - لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب وعلى بن الحسين . قال سعيد بن المسيب لابنه وهو إليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل في تركت ذلك لله وللرحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما على بن الحسين فانه مر به وهو موقوف فلم يتعرض له وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به وتجاوزده ناداه هشام الله يعلم حيث يجعل رسالاته

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصونا كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرسان ، وحصن بولس ، وقيقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى ذرارهم . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من يبلاده من أسارى المسلمين ، وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجهم غفير ، وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل الصغد ومن

حولهم من الأتراك ، فأتوهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق ، فتواقف هو وهم قريباً من
شهرين وهو لا يقدر أن يبعث إليهم رسولا ولا يأتيه منهم رسول ، وأبطأ خبره على الحجاج حتى خاف
عليه وأشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد
وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتلون مع الترك في كل يوم ، وكان
لقتيبة عين من المعجم يقال له تندر ، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلا على أن يأتي قتيبة فيخلذه عنهم ،
فجاء إليه فقال له : أخلصني ، فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تندر :
هذا عامل يقدم عليك سريعا بعزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقل قتيبة لمولاه سياه
اضرب عنقه فقتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد سميع هذا غيري وغيرك وإني أعطى الله عهداً إن
ظهر هذا حتى ينقضي حربنا أخلصتك به ، فاملك علينا لسانك ، فان انتشار هذا في مثل هذا الحال
ضعف في أعضاد الناس ونصرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فحرض الناس على الحرب ، ووقف على
أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ثم أنزل الله على المسلمين الصبر فانتصف
التيار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة ، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم
ويأسرون ماشوا ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفعلة بهدمها فسألوه الصلح على مال
عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلا من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً ، فلما كان منهم
على خمس مراحل نقضوا العهد وقتلوا الأمير وجدعوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها
شهرًا ، وأمر النقبانين والفعلة فعلقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور
فقتل من الفعلة أربعين نفسا ، فسألوه الصلح فأبى ، ولم يزل حتى افتتحها فقتل المقاتلة وسبي الذرية
وغنم الأموال ، وكان الذي ألب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأسر فقال أنا أفتدي نفسي بخمسة
أثواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله
لا أروع بك مسلما مرة ثانية ، وأمر به فضربت عنقه . وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الغنائم
سيدخل فيها ما أراد أن يفتدي به نفسه فان المسلمين قد غنموا من بيكنند شيئا كثيرا من آنية
الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جملتها صنم سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون
ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزائن الملك أموالا كثيرة وسلاحا كثيرا وعددا متنوعة ،
وأخذوا من السبي شيئا كثيرا ، فكتب قتيبة [إلى الحجاج يسأله] أن يعطى ذلك للجند فأذن له
فتمول المسلمون وتقوا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جدا ، وصارت لهم
أسلحة وعدد وخيل كثيرة ففروا بذلك قوة عظيمة والله الحمد والمنة .

وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وقاضيه بها أبو بكر بن محمد بن

عمر بن حزم ، وعلى العراق والمشرق بكامله للحجاج ، وفائبه على البصرة الجراح بن عبد الله الحكيم وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جري بن عبد الله البجلي ، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، وفائبه على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم . وفيها توفي من الأعيان :

﴿ عتبة بن عبد السلمي ﴾

صحابي جليل ، نزل حمص ، يروى أنه شهد بني قريظة ، وعن العرياض أنه كان يقول هو خير مني أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسمين والله أعلم . [قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبد السلمي من أهل الصفة . وروى بقية عن بجير ابن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة » . وقال إسماعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتكيت إلى رسول الله ﷺ العري فكساني خيشتين فلقد رأيتني وأنا أكسي الصحابة] (١)

﴿ المقدم بن معدى كرب ﴾

صحابي جليل ، نزل حمص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين . قال محمد ابن سعد والفلاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة ، وقال غيره : توفي بعد التسمين فأنه أعلم .

﴿ أبو أمامة الباهلي ﴾

واسمه صدق بن مجلان ، نزل حمص ، وهو راوي حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه الطبراني في الدعاء ، وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

﴿ قبيصة بن ذؤيب ﴾

أبو سفيان الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأنى به النبي ﷺ ليدعوه ، روى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصيب عينه يوم الحرة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ، ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

﴿ عروة بن المغيرة بن شعبة ﴾

ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً لبني مطاع في الناس ، وكان أحول . توفي بالكوفة ﴿ يحيى بن يعمر ﴾ ، كان قاضي مرو ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي .

(١) سقط من نسخة طوب قبو بالاسطوانة .

﴿ شريح بن الحارث بن قيس القاضي ﴾

أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر على الكوفة فسكت بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعاية كثيرة ، وكان كوسجاً لا شعر بوجهه ، وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأحنف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وقد اختلف في نسبه وسنه وعام وفاته على أقوال ، ورجح ابن خنكان وفاته في هذه السنة .

[قلت : قد تقدمت ترجمة شريح القاضي في سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك] (١) .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ﴾

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمن معهما من المسلمين حصن طوانه في جمادى من هذه السنة - وكان حصيناً منيعاً - اقتتل الناس عنده قتالاً عظيماً ثم حمل المسلمون على النصاري فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصاري فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجمحي ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ فقال : نادهم يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فراجع الناس فحملوا على النصاري فكسروهم ولجأوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر أزواج رسول الله ﷺ ، وأن يوسع من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، فمن باعك ماسكه فاشتره منه وإلا فقوّمه له قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجرة قصيرة السقف ، وسقفها من جريد النخل ، وحيطانها من اللبن ، وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبي ﷺ فينتفعوا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمرّون فيها إلا بقدر الحاجة ، وهو ما يستروى به ، ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعلى سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الاشراف وجوه الناس من بني هاشم وغيرهم ،

وتبنا كوا مثل يوم مات النبي ﷺ ، وأجاب من له ملك متاخم للمسجد للبيع فاشتري منهم ، وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك ، وأرسل الوليد إليه فمولا كثيرة ، فأدخل فيه الحجرة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد ، وكانت حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد ، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فحشوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى نحتقوا أنها قدم عمر رضى الله عنه ، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - كأنه خشى أن يتخذ القبر مسجداً - والله أعلم

وذكر ابن جرير أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صناعاً للبناء ، فبعث إليه جماعة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي ، والمشهور أن هذا إنما كان من أجل مسجد دمشق فأنه أعلم . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفوارة بالمدينة ، وأن يجري ماءها ففعل ، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والثنايا ، وساق إلى الفوارة الماء من ظاهر المدينة ، والفوارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته .

وفيهما غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربغانون ابن أخت ملك الصين ، ومعه مائتا ألف مقاتل ، من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان مع قتيبة نبزك ملك الترك مأسورا ففكسهم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئا كثيرا ، وقتل منهم خلقا وسبي وأسر .

وفيهما حج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قریش ، فلما كان بالنعميم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلة المطر ، فقال لأصحابه : ألا نستمطر ؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة ومعهم المطر ، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر ، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى ، وأخصبت الأرض هذه السنة خصبا عظيما بمكة وما حولها ، وذلك ببركة دعاء عمر ومن كان معه من الصالحين . وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها .

﴿ ومن توفي فيها من الأعيان - عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازني ﴾

صحابي كآبيه ، سكن حمص ، وروى عنه جماعة من التابعين ، قال الواقدي : توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، زاد غيره وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام ، وقد جاء في الحديث أنه يعيش قرنا ، فعماش مائة سنة .

﴿ عبد الله بن أبي أوفى ﴾

علقة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي ، صحابي جليل ، وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة ، وكانت وفاته فيما قاله البخاري سنة تسع أو ثمان وثمانين ، وقال الواقدي وغير واحد : سنة ست وثمانين ، وقد جاوز المائة ، وقيل قاربها رضى الله عنه .

﴿ وفيها توفي هشام بن إسماعيل ﴾

ابن هشام بن الوليد الحزومي المدني ، وكان حياً عبد الملك بن مروان ونائبه على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيده بن المسيب كما تقدم ، ثم قدم دمشق فأت بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامعة دمشق فأت فيها في السبع .

﴿ عمير بن حكيم ﴾

العنسي الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا هو وابن محيريز أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ﴾

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بلاد الروم فقتل خلقاً كثيراً وفتح حصوناً كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقودية . وغنم شيئاً كثيراً وأسرا جاً غفيراً . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونسف وكش ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم فقتلهم ، وسار إلى بخارى فلقيه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خرقان ، وظفر بهم فقال في ذلك نهار بن توسعة :

وبانت لهم منا بخرقان ليلة * وليلتنا كانت بخرقان أطولا

ثم قصد قتيبة وردان خذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتالا شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه البريد بكتاب الحجاج يعنفه على الفرار والنكول عن أعداء الاسلام ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد - يعني بخارى - فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن يرجع إليها وتب إلى الله من ذنبك وإثمها من مكان كذا وكذا ، ورد وردان خذاه ، وإياك والتحويط ، ودعني وبنيت الطريق .

وفي هذه السنة وفي الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القسري ، فحفر بئراً بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحجون ، فجاءت عذبة الماء طيبة ، وكان يستقي منها الناس . وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح عن نافع مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب الناس : أيها الناس ! أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاء فسقاء ملحا أجاجاً ، واستسقى الخليفة فسقاء عذباً فراثاً - يعني البئر التي احتفرها بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . قال ثم غارت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدرى أين هو إلى اليوم ، وهذا الاسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن

كفراً إن صح عن قائله ، وعندى أن خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صح فهو عدو الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جعل الخليفة أفضل من الرسول الذى أرسله الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر قائلها .

وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم الترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان ، وفتح حصوناً ومداين كثيرة هنالك . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا الذهبي : وفى هذه السنة فتحت صقلية وميوزقة وقيل ميرة ، وهما فى البحر بين جزيرة صقلية وخسدة من بلاد الأندلس . وفيها سير موسى بن نصير ولده إلى النقريس ملك الفرنج فافتتح بلاداً كثيرة . وفيها توفى من الأعيان عبد الله بن ثعلبة بن صمير أحد التابعين المعزى الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حياة النبی ﷺ ، ومسح على رأسه ، وكان الزهرى يتعلم منه النسب . والعمال فى هذه السنة هم المذكورون فى التى قبلها .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة ﴾

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ، ففتحوا حصوناً وقتلوا خلقاً من الروم وغنما وأسرا خلقاً كثيراً . وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولى عليها قرة بن شريك . وفيها قتل محمد بن القاسم ملك السند داهر بن صصة ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج . وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد تفصاها ابن جرير . وفيها طلب طرخون ملك الصغد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصلحه على مال يبذله فى كل عام فأجاب قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهناً عليه . وفيها استنجد وردان خذاه بالترك فأنوه من جميع النواحي - وهو صاحب بخارى بعد اخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحل على المسلمين فخطبهم ثم عاد المسلمون عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك الصغد ، وفتح بخارى وحصونها ، ورجع قتيبة بالجند إلى بلاده فأذن له الحجاج ، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصغد قال للملوك الترك : إن العرب بمنزلة اللصوص فإن أعطوا شيئاً ذهبوا ، وإن قتيبة هكنا يقصد الملوك ، فإن أعطوه شيئاً أخذوه ورجع عنهم ، وإن قتيبة ليس بملك ولا يطلب ملكاً . فبلغ قتيبة قوله فرجع إليهم فكاتب نيزك ملك الترك ملوك ما وراء النهر منهم ملك الطالقان ، وكان قد صالح قتيبة فنقض الصلح الذى كان بينه وبين قتيبة ، واستجاش عليه بالملوك كلها ، فأناد ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يدا واحدة على قتيبة ، واتعدوا إلى الربيع وتعاهدوا وتعاقدوا على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم فى فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة فى ذلك الحين مقتلة

عظيمة جداً لم يسمع بمثليها ، و صلب منهم سباطين في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جموعهم كلهم .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وأخواه المفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فلاحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكايته لذلك ، وكان ذلك يغيظ الحجاج ، قال فائل للحجاج : إن في ساقه أثر نشابة بقي نصلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج أن ينال ذلك الموضع منه بعباب ، فصاح فلما سمعت أخته هند بنت المهلب - وكانت تحت الحجاج - صوته بكت وناحت عليه فطلقها الحجاج ثم أودعهم السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشا إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فخذق حولهم وكل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد ابن المهلب بطعام كثير فصنع للحرس ، ثم تسكر في هيئة بعض الطباقين وجعل لحيته خية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم تبعه يتحققه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن وساروا نحو الشام ، فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك وذهب وهم أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم بحضره قدمهم ويأمره بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثغور والكور بتحصيلهم . وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بهمهم ، وأنه لا يراهم هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ابن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، وتحقق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعدها له أخوه مروان بن المهلب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السماوة ، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلمه بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريما على سليمان بن عبد الملك - فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاؤا مستعيزين بك من الحجاج ، قال : فاذهب فأنتي بهم فهم آمنون مادمت حيا ، فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن آل المهلب قد آمنتمهم ، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلي . فكتب إليه : لا والله لا أبعثه حتى أجيء معه ، فأشرك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحني أو تخفني في جوارى . فكتب إليه : لا والله لا نبجيء معه وأبعث به إلي في وثاق . فقال يزيد : أبعث

في إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، فأبعثني إليه وأبعث معي ابنك واكتب إليه
بألفاظ عذبة تقدر عليها فبعثته وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في الدهليز فادخل
مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في السلسلة ، قال : والله لقد
بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين نفسي فسادك لا تخفر ذمة
أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تنل من
رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أما بعد
يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجارني عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك
لا تنل جوارى ولا تخفرك ، بل لم أجر إلا سامعاً مطيعاً ، حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه
وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك فان كنت إنما تعد قطيعتي واخفار ذمتي والابلاغ في مساءتي فقد
قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعينك بالله من احتداد قطيعتي وانتهاك حرمتي ، وترك برى وإجابتى
إلى ما سألتك ، ووصلتني ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقائى وبقاؤك ، ولا متى يفرق الموت بيني
وبينك ، فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتى أجل الوفاة علينا إلا وهو لى وأصل
ولحقى مؤد ، وعن مساءتي نازع فليفعل ، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشئ من أمر الدنيا بعد
تقوى الله بأسر منى برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إلى من رضائى وسرورى ، ومما
أتمس به رضوان الله عز وجل لصلى ما بينى وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد
صلى وكرامتى وإعظام حقى فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على .

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد أشققتنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ، وتكلم يزيد بن
المهلب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ،
فمن ينس ذلك فلسنا ننساه ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلاننا أهل البيت في
طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ، ما أن المنة فيه علينا
عظيمة . فقال له : اجلس فاجلس فأمنه وكف عنه ورده إلى سليمان ، فكان عنده حسن الهيئة ، ويصف
له ألوان الأطعمة الشهية ، وكان حظاً عنده لا يهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها ، وتقرب يزيد
ابن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقدم ، وكتب الوليد إلى الحجاج إنى لم أصل إلى
يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخى سليمان ، فاكفف عنهم واله عن الكتاب إلى فيهم . فكفف
الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال ، حتى ترك لأبى عيينة بن المهلب ألف
ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس
وتسعين ، ثم ولى يزيد بلاد العراق بعد الحجاج كما أخبره الراهب . وفيها توفى من الأعيان :

﴿ يتاذق الطبيب ﴾

الحاذق ، له مصنفات في فنه وكان حظياً عند الحجاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط .
وفيهما توفي ﴿ عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ﴾ وأبو المالية الرياحي وسنان بن سلمة بن الحباق أحد
الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولى غزو الهند ، وطال عمره . وتوفي في هذه السنة محمد بن
يوسف النخعي أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعب علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حجر
المنذري أن يلعب علياً فقال : بل لعن الله من يلعب علياً ، ولعنة الله على من لعنه الله . وقيل إنه وري
في لعنه قاله أعلم .

﴿ خالد بن يزيد بن معاوية ﴾

أبو هاشم الأموي الدمشقي ، وكانت داره بدمشق تلى دار الحجابة ، وكان عالماً شاعراً ، وينسب
إليه شيء من علم الكيمياء ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي وعنه
الزهري وغيره ، قال الزهري : كان خالد يصوم الأعياد كلها الجمعة والسبت والأحد - يعني يوم
الجمعة وهو عيد المسلمين ، ويوم السبت وهو عيد اليهود ، والأحد للنصارى - وقال أبو زرعة
الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان
ولي العهد من بعد مروان فلم يلتئم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء
الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت النداء والجود حرّاً أنّا * فردا وقالاً إننا لمبيد

فقلت ومن مولا كما فتطاولا * على وقال خالد بن يزيد

إ قال : فأمر له بمائة ألف . قلت : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد رضي الله عنه . فقال :
وقالا خالد بن وليد . والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذي جامع
حمص وكان له فيه أربع مائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه أعتقهم . وكان خالد يبيع الحجاج ، وهو
الذي أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر أن يرسل إليه فيطلقها ففعل . ولما مات مشي
الوليد في جنازته وصلى عليه ، وكان قد تجدد على خالد اصفرار وضعف ، فسأله عبد الملك عن هذا
فلم يخبره فما زال حتى أخبره أنه من حب رملة أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك يخطبها
نخالد فقامت : حتى يطلق نسائه فطلقتهن وتزوجها وأنشد فيها الشعر [(١)]

وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

﴿ عبد الله بن الزبير ﴾

ابن سليم الأسدي الشاعر أبو كثير ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وفد على عبد الله بن

الزبير فامتدحه فلم يمتطه شيئاً فقال : لمن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إن وصاحبها ، يقال إنه مات في زمن الحجاج .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ﴾

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصونا كثيرة أيضاً ، وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك . وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدناً كثيرة ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل أراضي غبرة قاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوخ على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائعة ، فبادوا جميعاً فلا مخبر بها . وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة ، وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي في أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسرهم قتيبة وقتل منهم أمماً كثيرة ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض المواضع من جملة من أخذ منهم سباطين طولهما أربعة فراسخ من ههنا وههنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بجانب الرجل ، وهذا شيء كثير ، وقتل في الكفار قتلاً ذريعاً ، ثم لا يزال يتبع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه حتى حصره في قلعة هناك شهرين متتابعين ، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأطعمة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمناً منه وما أخذوا ، فسيجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلغوا عليه ، فقاتل يقول : أقتله . وقائل يقول لا تقتله فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً أنك إن ظفرت به لقتلته ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمرى إلا ما يسع ثلاث كلمات لقتلته ، ثم قال : اقتلوه اقتلوه اقتلوه ، فقتل هو وسبعمائة من أصحابه من أمرائه في غداة واحدة ، وأخذ قتيبة من أموالهم وحيولهم وثيابهم وأبنائهم ونساءهم شيئاً كثيراً ، وفتح في هذا العام مدناً كثيرة ، وقرر ممالك كثيرة . وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والفساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، ثم سار قتيبة إلى انطاقيان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفارباب وبها مدن ورساتيق ، فخرج إليه ملكها سامما مطيعاً ، فاستعمل عليها رجلاً من أصحابه ، ثم سار إلى

الجورجان فأخذنها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها يوماً واحداً ، ثم خرج منها وقصد نيزك خان ببغلان ، وقد نزل نيزك خان بمسكن أعلى فم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده ، وفي فم الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسية ، لهاوها وارتفاعها واتساعها ، فقدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان ، فاستأمنه على أن ياتيه على مدخل القلعة ، فأمنه وبعث معه رجالاً إلى القلعة فأتوها ليلاً ففتحوها وقتلوا خلقاً من أهلها وهرب الباقي ، ودخل قتيبة الشعب وأتى سمنجان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها ، وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك المدن والبلاد نيزك خان في جيش هائل ، فسار خلفه إلى ببغلان فحصره بها ، وأقام بحصاره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده ترجاناً يسمى الناصح ، فقال له : اذهب فائتني بنيزك خان وأئتني عمتي إلى وليس هو منك ضربت عنقك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فآخذه ، فسار الترجان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له ، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة . وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمّنهم وولى على بلادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الواقدي وغيره : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشرف المدينة فتلّفوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرج به ، وإنما عليه ثياب لاتساوي خمسة دراهم ، فقالوا له : تنح عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلي ههنا وههنا ويدعو الله عز وجل ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فخانت منه التفاتة فقال : من هذا هو سعيد بن المسيب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد علمت بغضه لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، وشرعت أئني عليه ، وشرع الوليد يئني عليه بالعلم والدين ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعترده - فقال : نحن أحق بالسمي إليه ، فجاء فوقف عليه فسلم عليه فلم يقم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا قتيبة الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ فجلس في الخطبة الأولى وانتصب في الثانية ، قال وقال : هكذا خطب عثمان ، ثم انصرف فصرف على الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وفضة كثيرة ، ثم كما المسجد النبوي كسوة من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباح غليظ .

وتوفي في هذه السنة السائب بن يزيد بن سعد بن ثمامة ، وقد حج به أبوه مع رسول الله ﷺ وكان عمر السائب سبع سنين ، رواه البخاري ، فلما قال الواقدي : إنه ولد سنة ثلث من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، والله أعلم .

﴿ سهل بن سعد الساعدي ﴾

صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، لينظروا كيف يسمع الناس من رأيهم ، قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة . قال محمد بن سعد : ليس في هذا خلاف ، وقد قال البخاري وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ﴾

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحوا حصونا كثيرة وغنما شيئا كثيرا وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم ، وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير [بلاد الأندلس في اثني عشر ألفا ، فخرج إليه ملكها أذريقون في جماعته وعليه تاجه ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق فهزموه وغنم مافي معسكره ، فكان من جملة ذلك السرير ، وتملك بلاد الأندلس بكاملها ، قال الذهبي : كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائبا لمولاه موسى بن نصير ^(١) ، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من زقاق سبتة وانتهز الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا فيما بينهم ، وأمعن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها ادريئوق ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح ، وكتب إلى الوليد يبشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعا بجيوشه فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن والأموال ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئا لا يحصى ولا يوصف ولا يعد ، من الجواهر والياقيات والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والخيول والبغال وغير ذلك شيئا كثيرا ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئا كثيرا . وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسنة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف . وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجهز أخاه عبد الرحمن إلى الصغد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان

أموالا كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجع إلى مرءه ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورحل عنه اجتمعت الصفد وقالوا لطارخون : إنك قد بؤت بالنبل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا فيك ، ثم عزوه وولوا عليهم غورك خان - أخا طرخون خان - ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتى .

وفيها غزا قتيبة سجستان يريد تثبيت ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسالة يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ورقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه ، فصالحه . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نائب المدينة . وتوفى فيها عن الأعيان (مالك بن أوس) بن الخندان النضري ، أبو سعيد المدني ، مختلف في صحبته ، قال بعضهم : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر ، وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئا ، وأنكر ذلك ابن معين والبخارى وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له صحبة والله أعلم . مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها فآله أعلم . ﴿ طويس المنفى ﴾

اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني مولى بني مخزوم ، كان بارعا في صناعته ، وكان طويلا مضطربا أحول العين ، وكان مشموما ، لأنه ولد يوم مات رسول الله ﷺ ، وفطم يوم توفى الصديق ، واحتمل يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلكان وغيره . وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويد . وهي على مرحلتين من المدينة - (الأخطال) كان شاعرا مطبقا ، فاق أقرانه في الشعر .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ﴾

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزاة وماسة وغير ذلك . وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سمسطية . وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة . وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالا ورقيقا كثيرا على أن يقتل أخاه ويسلمه إليه ، فانه قد أفسد في الأرض وبغى على الناس وعسفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمع بشئ حسن عند أحد إلا بعث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره ، فأقبل قتيبة نصره الله في الجيوش فسلم إليه خوارزم شاه مباحة عليه ، وبعث قتيبة إلى بلاد أخى خوارزم شاه جيشا فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسرُوا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته ، قتل ألفا بين يديه وألفا عن يمينه وألفا عن شماله وألفا من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم .

﴿ فتح سمرقند ﴾

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء : إن أهل الصغد قد آمنوك علمك هذا ، فإن رأيت أن تسبل إليهم وهم لا يشعرون ، فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريد بها يوماً من الدهر . فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا : قال فلأن يسمه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبيد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسيقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدمهم إليهم اتسحبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحاً في سبائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خنوا عليهم الطريق ، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وفرقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم بالليل - وهم لا يشعرون بهم - نادوا عليهم فاقبل المسلمون هم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا نفر اليسير واحتزوا رؤوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحلاة بالذهب ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطل من الأبطال المسدودين بمائة فارس أو بألف فارس ، فاعلمهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقرب من المدينة المظلمة التي بالصغد - وهي سمرقند - فنصب عليها المجانيق فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم ، وانصحه من ماله عليها من بخاري وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصغد قتلاً شديداً ، فأرسل إليه غورك ملك الصغد : إنما تقتلني باخواني وأهل بيتي ، فأخرج إلى في العرب . ففضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من المعجم وأمر الهجم باعتزالهم ، وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجبناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورمها بالمجانيق ، فثلم فيها ثلمة فسدها الترك بفرار الدخن ، وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من فمها فلم يلبث أن مات ، فبعه الله ، فأعطى قتيبة الذي رمه عشرة آلاف ، ثم دخل الليل ، فلما أصبحوا رماهم بالمجانيق فسلم أيضاً ثلمة ودمد المسلمون فوقها ، وتراها هم وأهل البلد بالنشاب ، فقالت الترك لقتيبة : ارجع عنا يومك هذا ونحن نعصمك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من الفد على ألفي ألف ومائة ألف يخاصونها إليه في كل عام ، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مائة ألف من رقيق ، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام ومافي بيوت التيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبني فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر لينظف عليه ، ويتغدى ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ودمه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد

ووضع فيه الثبر - فصلى في المسجد وخطب وتعدى وأتى بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالقصر العظيم ، ثم أمر بتحريقها ، فتصارخوا وتباكوا وقال المجوس : إن فيها أصناماً قديمة من أحرقتها هلك ، وجاء الملك غورك فنهس عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح ، فقام قتيبة وأخذ في يده شعلة نار وقال : أنا أحرقتها بيدي فسيكوني جيمعاً ثم لا تنظرون ، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقاياها ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب . وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ، ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صالحكم عليه ، ولست أريد من جند يقيمون عندي من جهنم . فانتقل عنها ملكها غورك خان قتلا قتيبة (وأنه أهلك عاداً الأولى وعموداً ثانياً) الآيات ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد سرمد ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل باب سمرقند إلا محتوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تحب عينه حنقه ، فان جفت وهو بها فاقطعه ، ومن رأيت منهم ومعه حديد أو سكين فاقطعه بها ، وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقطعه ، فقال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هي رجل من جهنم :-

كل يوم يحوى قتيبة نبيا * ويزيد الأوال مالا جديدا
باهلي قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى * ترك الصغد بالعراء قمودا
فوليد يميكي لفتد أبيه * وأب مومج يبكي الوليدا
كلما حل بلدة أو أنفا * تركت خيله بها أخودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقا عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان على ماسياتي بيانه في موضعه ، وكان فيها ما يهر العقول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وفيها بعث موسى بن نصير المساكين وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة بلجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتي مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ، وجهاز البعوث والسرايا غرباً

وشرقا وشمالا ، فجلسوا يفتتحون المغرب بلداً بلداً ، وإقليماً إقليمياً ، ويغنمون الأموال ويسبون
الشرارى والنساء ، ورجع موسى بن نصير بغنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثيرة .
وفيها قحط أهل إفريقية وأجدوا جداً شديداً ، ففرج بهم موسى بن نصير يستسقى بهم ، فما زال
يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأئمة المؤمنين ؟ قال :
ليس هذا الموضع موضع ذلك ، فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأملأوا مطراً غزيراً
وحسن حالهم ، وأخصبت بلادهم . وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير
خسعين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك ، وسب فوق رأسه قربة من ماء بارد في يوم شتاء بارد ، وألقاه
على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله . وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف
لا يأمن ، وكان إذا بشر بشئ من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول
هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صياح المرأة المشكلى ، وكان إذا أتى عليه يقول :
خبيب وما خبيب إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فمات فاستقال
وركبه الحزن والخوف من حيثئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلة ،
ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر
وعتق وغير ذلك .

وفيها افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الديبل وغيرها من بلاد
الهند وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك
داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً منتحبة ، فاقتتلوا فهزمهم الله وهرب
الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الملك داهر
وغالب من معه ، وتسبع المسلمون من انهزم من الهنود قتلوه . ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة
الكبرج وبرها ورجع بغنائم كثيرة وأموال لا تحصى كثيرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك ، فكانت
سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض
ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلات قلوب المشركين من المسلمين رعباً ،
لا يترجى المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أئمنوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في النزول والصلحون
والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شريعة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فتنبه
ابن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويغنم ، حتى وصل إلى تخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه
يدعوه ، يخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرة هدية ، وبعث يستعلمه مع قوته وكثرة جنده ،
بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه . ولوعاش الحجاج لما أفلح عن بلاد

الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قتل بعد ذلك ، قتله بعض المسلمين . ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم ويجهدون بمسار الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبني بها مسجدا جامعيا بعهد الله فيه ، وامتلات قلوب الفرنج منهم رعبا . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم . وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الاسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبادئها ، بعد هذه الأقاليم السكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل بلاد الترك ، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائما في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلادا كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة من هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتملكوها أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع المسلم إليها فأخذ منها بلادا كثيرة ، وضعف الاسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضعف الاسلام وقل ناصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بنى أيوب مع نور الدين ، فاستلبوهما من أيديهم وطردهم عنه ، فله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى [(١)]

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمارة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيق وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشوه ، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد بن عمر ضعيف عن إمارة المدينة ومكة ، وهذا وهن وضعف في الولاية ، فأجمل على الخرمين من يشبط أمرهما . فولى على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، وفعل ما أمر به الحجاج . فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فترزل السويدياء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة ليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ومن توفى في هذه السنة من الأعيان :

﴿ أنس بن مالك ﴾

ابن النصر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، أبو حمزة

(١) سقط من نسخة مطبوع فيها بالاستدانة .

و يقال أبو ثعلبة الأنصاري النجاري ، خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ، وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري . روى عن رسول الله ﷺ أحاديث جمة ، وأخبر بعلوم مهمة . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم . وحدث عنه خلق من التابعين ، قال أنس : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثعلبة قال قيل لأنس : أشهدت بديراً ؟ فقال : وأين أغيب عن بديراً أم لك ؟ قال الأنصاري : شهادتها بخدمة رسول الله ﷺ . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي ، قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المغازي والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أمت به . وفي رواية عنه زوج أمه أبو طلحة - إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هذا أنس خادم لبديب يخدمك ، فوهبته مني فقبله ، وسألته أن يدعو له فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . وثبت عنه أنه قال : كسأني رسول الله ﷺ بنخله كنت أجتنبها . وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك ، وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخل في الأمر ، وأنه ألقى فيه ، فغتمه الحجاج في عنقه ، هذا عنق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قدمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنفه ، ففرغ الحجاج من ذلك وصالح أنسا . وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبنى جامع دمشق ، قال مكحول : رأيت أنسا يمشي في مسجد دمشق فقامت إليه فسألته عن الوضوء من الجنابة فقال : لا وضوء . وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : قدم أنس على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . ورواه عبد الرزاق بن عمر عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره . وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقالت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف مما كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعت فيها ما صنعت . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضيعت - يعني ما كان يفعل خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع - كانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته كما سيأتي ، وقال عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويصك أنيس فادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، وفي

رواية قال أنس : فوالله إن مالى لكثير حتى نخلى وكفى ليثمر في السنة مرتين ، وإن ولدى وولدى ولدى ليعتادون على نحو المائة : وفي رواية وإن ولدى لصلبى مائة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة وألفاظ منتشرة جداً ، وفي رواية قال أنس : وأخبرتني بفتى آمنة أنه دفن لصلبى إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومائة . وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة والله الحمد . وقال ثابت لأنس : هل سمت يدك كفى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ! قال فأعطنيها أقبلها ، وقال محمد ابن سعد عن مسلم بن إبراهيم عن المنثى بن سعيد الذراع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى رسول الله ﷺ ثم يبكى . وقال محمد بن سعد عن أبى نعيم عن يونس ابن أبى إسحاق عن المنهال بن عمرو . قال : كان أنس صاحب نمل رسول الله ﷺ وإداوته ، وقال أبو داود : ثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول : يا رسول الله خويدهك .

وقال الامام أحمد : حدثنا يونس ثنا حرب بن ميمون عن الثضر بن أنس عن أنس . قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة : « قال أنا فاعل » قلت فأتى أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قلت : فإذا لم ألقك ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فأنا عند الخوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع يوم القيامة . ورواه الترمذى وغيره من حديث حرب بن ميمون أبى الخطاب صاحب الأعشى الأنصارى به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال شعبة عن ثابت قال قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعنى أنس بن مالك - وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر . وقال أنس : خذ منى فأنا أخذت من رسول الله ﷺ عن الله عز وجل ، ولست تجرد أوثق منى . وقال معتمر بن سليمان عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقى أحد صلى إلى القبلتين غيرى . وقال محمد بن سعد : حدثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الحريرى يقول : أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل . فقال لى : يا ابن أخى هكذا الاحرام . وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن فى بعض أبيات زواج النبی ﷺ فتحدث فقال : مه ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعى بقولى لكم مه . وقال ابن أبى الدنيا : ثنا بشار ابن موسى الخفاف ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : كنت مع أنس فجاءت قهرمانة فقالت يا أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب

يلتئم ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بحث أنس ببعض أهله فقال :
انظر أين بلغت السماء ، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيراً .

وقال الامام أحمد : حدثنا معاذ بن معاذ ثنا ابن عون عن محمد قال : كان أنس إذا حدث عن
رسول الله ﷺ حديثاً فشرع منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ . وقال الأنصاري عن ابن عوف
عن محمد قال : بحث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً عن النبي ﷺ فقال أنس : قال : لا ، فلم يقبله . وقال
النضر بن شداد عن أبيه : مرض أنس فقيل له ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني .
وقال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن يزيد قال : كنت
في القصر مع الحجاج وهو يمرض الناس لينلى ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج : هي
يا خبيث ، جوال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي
نفس الحجاج بيده لا ستأصلك كما تستأصل النعمنة ، ولا جردنك كما تجرد الضب . قال يقول أنس :
إياي يعني الأمير ؟ قال إياك أعني ، أحم الله سمعك ، قال فاسترجع أنس ، وشغل الحجاج فخرج
أنس فتبعناه إلى الرحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي . وفي رواية لولا أني ذكرت أولادي
الصغار . وخفته عليهم ما باليت أي قتل أقتل ، ولكلمته بكلام في مقامى هذا لا يستخفى بعده
أبداً . وقد ذكر أبو بكر بن عياش أن أنسا بحث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله
لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لأكرموا ، وأنا قد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين .
فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جد وفيه : إذا جاءك كتابي هذا فقم إلى أبي حمزة
فتراضه وقبل يده ورجله ، وإلا حل بك مني ما تستحقه . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج
بالملظة والشدة ، هم أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدم
بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجاج بالمصالحة . وكان إسماعيل
صديق الحجاج . فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك إياك أعني واسمعي
يا جارة . أردت أن لا يبقى لأحد علي منطق .

وقال ابن قتيبة : كتب عبد الملك إلى الحجاج - لما قال لأنس ما قال - : يا ابن المستقرمة عجب
الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها إلى نار جهنم ، فأتاك الله أخيفش الميسين ، أفتل
الرجلين ، أسود العاجزين - ومعنى قوله المستقرمة عجب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به ،
ومعنى أركلك أي أرفسك برجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وأسمين . وقال
أحمد بن صالح العجلي : لم يقتل أحد من الصحابة إلا رجلين ، معتيب كان به الجذام ، وأنس بن
مالك كان به وضح . وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال :

رأيت أنسا يأكل فرايته يتمم لهما عظماً ، ورأيت به وضحا شديداً ، وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله ابن معاذ بن يزيد عن أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم فصنع طعاماً ودعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخارى تعليقا . وقال شعبة عن موسى السبلاوى قلت لأنس : أنت آخر من بقى من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقى قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقى ، وقيل له فى مرضه : ألا ندعوك طبيبا ؟ فقال : الطيب أمرضنى ، وجعل يقول : لقنوني لا إله إلا الله وهو محتضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عضيّة من رسول الله ﷺ فأمر بها فدفنت معه . قال عمر بن شبة وغير واحد : مات وله مائة وسبع سنين ، وقال الامام أحمد فى مسنده : ثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنسا عمر مائة سنة غير ستة ، قال الواقدي : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال على بن المدينى والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقليل سنة تسعين ، وقليل إحدى وتسعين ، وقليل ثنتين وتسعين وقليل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور والله أعلم . وقال الامام أحمد : حدثنى أبو نعيم قال : توفى أنس بن مالك وجابر بن زيد فى جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين . وقال قتادة : لما مات أنس قال مؤرق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذاك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا فى الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم : تعالوا إلى من سمع منه .

﴿ عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ﴾

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفى عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل على ، والله أعلم ، وكان مشهوراً بالتغزل المليح البليغ ، كان يتغزل فى امرأته يقال لها الثريا بنت على بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، فقال فى ذلك عمر بن أبى ربيعة : —

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمان
ومن مستجاد شعره ما أوردته ابن خلكان :

حتى طيفاً من الأحية زارا * بعد ما برح الكرى السمارا
طارفا فى المنام بعد دجى * الليل خفيا بأن يزور نهارا
قلت ما بالنا جفينا وكنا * قبل ذاك الأسماع والأبصارا
قال : إنا كما عهدت ولكن * شغل الحلى أهله أن يعاروا

[﴿ بلال بن أبي الدرداء ﴾]

ولى إمرة دمشق ثم ولى القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بن أبي إدريس الطولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، وانظاهر أن هذا القبر الذي بباب الصغير الذي يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء ، لا قبر بلال بن حماسة مؤذن رسول الله ﷺ ، فان بلالاً المؤذن دفن بدارياً والله أعلم .

﴿ بشر بن سعيد ﴾

المزني السيد العابدين الفقيه ، كان من العباد المتقطعين ، الزهاد المعروفين ، توفي بالمدينة .

﴿ زرارة بن أوفى ﴾

ابن حاجب العامري ، قاضي البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحاءها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة في صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ (فاذا نقر في الناقور) خر ميتاً . توفي بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .

﴿ خبيب بن عبد الله ﴾

ابن عبد الله بن الزبير ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له في ذلك فمات ، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبكى . مات بالمدينة .

﴿ حفص بن عاصم ﴾

ابن عمر بن الخطاب المدني ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين . توفي بالمدينة .

﴿ سعيد بن عبد الرحمن ﴾

ابن عتاب بن أسيد الأموي ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً ممدحاً ، وهو أحد الموصوفين بالكرم ، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين (١) .

﴿ فروة بن مجاهد ﴾

قيل إنه كان من الأبدال ، أسر مرة وهو في غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وحبسهم في المسكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم في المضي إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما ترى مانحن فيه من الضيق ؟ فلمس قيودهم بيده فزال عنهم ، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فانفتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

﴿ أبو الشعثاء جابر بن زيد ﴾

كان لا يماكس في ثلاث ، في الكرى إلى مكة ، وفي الرقبة يشترها لنعق ، وفي الأضحية . وقال : لا تماكس في شيء يتقرب به إلى الله . وقال ابن سيرين : كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم ، قلت : كما قيل : —

(١) كذا بالأصل .

إني رأيت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
 فإذا قدرت عليه تم تركته * فاعلم بأن تقوى المسلم
 وقال أبو الشعثاء : لأن أتصدق بدرهم على يقيم ومسكين أحب إلى من حجة بحد حجة الاسلام .
 كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، وكان يفتي في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله
 إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء ؟ وقال له جابر بن عبد الله :
 يا ابن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتي فلا تفتي إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فانك
 إن فعلت غير ذلك فقد هلكك وأهلكك . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أعلم بشي من جابر
 ابن زيد . وقال إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان . وقال
 قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار
 قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب نقرأ للقمضاء أنا أحدهم - أي عمرو - فلو أني ابتليت بشيء
 منه لركبت راحلتي وهربت من الأرض . وقال أبو الشعثاء : نظرت في أعمال البر فاذا الصلاة تهجد
 البدن ولا تهجد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد البدن ، فرأيت أن الحج أفضل من
 ذلك . وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط يقوم قالوا : لو كان
 كلامه به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء . وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف
 على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجهه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من
 دعائك ورغب إليك . وقال سيار : حدثنا حماد بن زيد ثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر
 ابن زيد يأتينا في مصلانا ، قال : فأتانا ذات يوم وعليه ثوبان خلعان ، فقال : مضى من عمري ستون
 سنة فملاي هاتين أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خير قدمته . وقال صالح الدهان : كان جابر
 ابن زيد إذا وقع في يده ستوق كسره ورمى به لئلا يفر به مسلم . الستوق الدرهم المغاير أو الدغل ،
 وقيل : هو المغشوش .

وروى الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الصمد العمري حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر
 ابن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نعم الصنعة
 صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به .
 وقال مالك بن دينار : سألت عن قوله تعالى (إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ) قال :
 ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة (ثم لا نجد لك علينا نصيراً) وقال سفيان : حدثني
 أبو عمير الحارث بن عمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى
 الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما نزل على جابر بن زيد قيل له : ما تشتهي ؟ قال نظرة إلى

الحسن . قال ثابت : فأتيت الحسن فأخبرته فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقدموني ، فجلس فما زال يقول : أعوذ بالله من النار وسوء الحساب .

وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت المهلب بن أبي صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان إباضياً ، فقالت : كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقر بني إلى الله عز وجل إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدي عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضع الحمار - ووضعت يدها على الجبهة - أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس (١)

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ﴾

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل إنه فتح انطاكية ، وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزاه ، وبلغ الوليد بن هشام الميضى أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية . وفيها كانت الرجفة بالشام : وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم . وفيها فتح الله على الاسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقرائه وأمراءه حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند وغنم أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وقد ورد في غزو الهند حديث رواد الحافظ ابن عساكر وغيره . وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خجندة ، وكاشان مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصفد وفتح سمرقند ، ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها ، وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك فقاتلهم قتيبة عند خجندة فبكرهم مراراً وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأسر آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً . قال ابن جرير : وقد قال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة التي هي قريبة من بلاد الصين أبياتاً في ذلك : -

فسل الفوارس في خجندة * دة تحت مرهفة العوالى
هل كنت أجمعهم إذا * هزموا وأقدم في قتالى
أم كنت أضرب هامة الـ * ماني وأصير للنزال
هذا وأنت قريع قيد * س كلها ضخم النوال
وفضلت قيساً في الندى * وأبوك في الحجيج الخوالى

(١) سقط من نسخة طوب قبو بالاستانة .

تمت مروءتكم وما * غي عزكم غلب الجبال
ولقد تبين عدل حكمك * فيهم في كل مال

هكذا ذكر ابن جرير هذا من شعر سحبان وأهل في هذه المروءة . وقد ذكرنا ما أورده ابن الجوزي في منظمه أن سحبان وأهل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الحسين فآله أعلم .

﴿ مقتل سميد بن جبير رحمه الله ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سميد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك ، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سميد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سميد بن جبير إلى أصحابه ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سميد هرب منها ، ثم كان يعمّر في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري ، فأشار من أشار على سميد بالهرب منها فقتل سميد : والله لقد استحييت من الله مما أفر ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلم منه خالد بن الوليد القسري فعين من عنده من مكة سميد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمر بن دينار ، وطلق ابن حبيب . ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواما من أهل الشقاق ، فبعث خالد جهولا إليه ثم عفا عن عطاء وعمر بن دينار لأنهما من أهل مكة ، وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق فمات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سميد ابن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج قتله : يا سميد ألم أشركك في أمانتي ! ألم أستمعك ؟ ألم أفعل ألم أفعل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلى سبيله ، حتى قال له : فما حملك على الخروج عليّ وخلفت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سميد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم عليّ ، فغضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً وانتفخ حتى سقط طرف رداءه عن منكبيه ، وقال له : ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية ؟ قال : بلى ! قال فتشكت بيعتين لأمر المؤمنين واتى بواحدة للحائك ابن الحائك ؟ يا حرسى اضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لاطئة صغيرة بيضاء ، وقد ذكر الواقدي نحوه هنا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فعلت أما فعلت .

قال ابن جرير : فحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر

عن رجل قال : لما قتل الحجاج سعيد بن جبير ففسد رأسه هلال ثلاثاً ، مرة يفضح بها ، وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا يفضح بها . وذكر أبو بكر الباهلي قال : سمعت أنس بن أبي شيبخ يقول : لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال : لمن ابن النصرانية - يعني خالد القسري وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والببيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ما أخرجك علي ؟ فقال : صلح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين بخطيء مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده في شيء فقال سعيد : إنما كانت بيعة في عنقي ، فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله . وذكر عتاب ابن بشر عن سالم الافطاس قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الفرز ، فقال : والله لأأركب حتى تقبوا متعديك من النار ، أضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والتبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود أتى على سعيد ، فقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود :

وقال محمد بن أبي حاتم : ثنا عبد الملك بن عبد الله بن خباب ، قال : جئ بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : كتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كتبت إلى مصعب ، قال : لا والله لأقتلنك قال : إني إذا لسعيد كما سمعتي أمي . قال فقتله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عبد الله فم قتلتنى ؟ فيقول الحجاج : مالي ولسعيد بن جبير ، مالي ولسعيد بن جبير ؟ قال ابن خلكان : كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفيا أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب على الفتياء ، فلما عمى ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتل كنجوم ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل بستة أشهر . وذكر عن الإمام أحمد أنه قال : قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه . ويقال إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد ، وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا . قال ابن جرير : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن جبير من أهل مكة ، وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا التكميل ، وسند ذكر طرفاً صالحاً هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستقضى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن صرد . وحج بالناس فيها العباس بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك ، وكان على نيابة مكة خالد القسري ، وعلى

المدينة عثمان بن حيان ، وعلى المشرق بكمله الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جري ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي ، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان ﴾

سعيد بن جبير الأسدي الوالي مولا لم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الاسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين ، يقال إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمه تامة ، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختمة ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة . وروى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في الكعبة . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه . وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظهر الحجاج هرب سعيد إلى أصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها ، وكان بخراسان لا يتحدث لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما همى ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مختلفاً من الحجاج قريباً من ثلثي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج ، وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية : ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد ابن أبي خلف ثنا شعبان عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ، إنما أنا سعيد بن جبير ، قال لأقتلك ، قال : أنا إذاً كما سمعني أمي سعيداً ؟ قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك ، ثم قال : اضربوا عنقه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال : (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال : إني أستعيذ منك بما استعازت به مريم ، قال : وما عازت به ؟ قال : قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) قال سفيان : لم يقتل بعده إلا واحداً . وفي رواية أنه قال له : لا بد لك بالدينار ناراً تطفى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لآخذتك إلهاً . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، فقال : (أينما تولوا فثم وجه الله) فقال : اجلدوا به الأرض ، فقال : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فقال : اذبح فما أنزعه لا آيات الله منذ اليوم . فقال : اللهم لا تسلطه على أحد بعدى . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد

ابن جبير ، أحسنه هذا والله أعلم ^(١) |

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالمقوبة ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سئل عن وفاته في السنة الآتية ، فقيل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر والله أعلم .

واختلفوا في عمر سميد بن جبير رحمه الله حين قتل ، فقيل تسعاً وأربعين سنة ، وقيل سبعاً وخمسين والله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - والله أعلم .

[قلت : هاهنا كلمات حسان من كلام سميد بن جبير أحببت أن أذكرها . قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذكر له ، وإن أكثر منه التسبيح وتلاوة القرآن . قيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترف من الذنوب ، فكأنما ذكر ذنبه احتقر عمله ، وقال له الحجاج : ويحك ! فقال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله ، فذبح من قفاد ، فبلغ ذلك الحسن فقال : اللهم يا قاصم الجبابرة أقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأتين منه فمات . وقال سميد للحجاج لما أمر بقتله وضحك فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك ^(٢) |

(سميد بن المسيب)

ابن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدني ، سيد التابعين على الإطلاق ، ولد لسنتين مضتا وقبل بقليل بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل لأربع مضين منها ، وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك العشرة وهم منه والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي ﷺ ، وروى عن عمر كثيراً ، فقيل سمع منه . وعن عثمان وعلى وسميد وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وأعلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وحدث عن جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم ، قال ابن عمر : كان سميد أحد المتقين ، وقال الزهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره ، وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم . فما لقيت أعلم من سميد بن المسيب . وقال الأوزاعي : سئل الزهري ومكحول من

أفقه من أئمتنا؟ قالوا : سعيد بن المسيب . وقال غيره : كان يقال له فقيه الفقهاء . وقال مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب : كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد ، قبل مالك : وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه ، وقال الربيع عن الشافعي أنه قال : إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن . وقال الامام أحمد بن حنبل هي صحاح : قال : وسعيد بن المسيب أفضل التابعين . قال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، وهو عندى أجل التابعين . وقال أحمد بن عبد الله السجلى : كان سعيد رجلا صالحا فقيها ، كان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربعائة دينار ، وكان يتجر في الزيت ، وكان أعور . وقال أبو زرعة : كان مدنيا ثقة إماما . وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة ، قال الواقدي : توفي في سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، عن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله .

[وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهدي الناس في فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يعنى ، ومن أكثر الناس أدبا في الحديث ، جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدثه ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تتعن ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع ، وقال برد مولاة : مانودى للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد . وقال ابن إدريس : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة . وقال سعيد : لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالأنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة . وقال : ما يؤس الشيطان من شيء إلا أنه من قبل النساء . وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بعمل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى . وقال : كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله . وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه . وقال : الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل ، وأنزل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غدير سبيلها . وقال : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه . وقال : من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله .

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة - وكانت من أحسن النساء وأكثري أدبا وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج - وكان فقيرا ، فأرسل إليه بخمسة آلاف ، وقيل : بعشرين ألفا ، وقال : استنق هذه . وقصته في ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجها بها ، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كما تقدم ، لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ، ضربه نائمه على المدينة هشام بن

إسماعيل وأخافه المدينة ، وعرضوه على السيف فضى ولم يبالغ ، فلما رجفوا به رأته امرأة فقالت :
 ما هذا الخزي يا سعيد ؟ فقال : من الخزي فررنا إلى مائتين ، أى لو أحببتناهم وقمنا في خزي الدنيا
 والآخرة . وكان يعمل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أنى لم
 أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بؤس
 مروان حتى ألقى الله فيحكم في وفيم ، وأصل منه رحي ، وأؤدى منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه
 على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)

(خلق بن حبيب المنزى)

تابعي جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه
 حميد الطويل والأعشى وطاووس ، وهو من أقرانه وأئني عليه عمرو بن دينار ، وقد أئني عليه
 غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالأرجاء ، وقد كان ممن خرج مع
 ابن الأشعث ، وكان يقول تقوا بالتقوى ، فقيل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هي العمل
 بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله ، وترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . وقال
 أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى ، أو يقوم
 بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا تائبين . وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء
 يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلاً ، ويقول : قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول
 فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم . قال مالك :
 قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير . وقد ذكر ابن جرير فيما سبق أن خالد بن
 عبد الله القسري بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن
 حبيب ، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان والله أعلم .

(عروة بن الزبير بن العوام)

القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني ، تابعي جليل ، روى عن أبيه وعن العبادلة ومعاوية
 والمنيرة وأبي هريرة ، وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وأم سلمة . بعنه جماعة من التابعين ، وخلق ممن
 سواهم . قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث عالماً ماؤناً تبتاً . وقال المعجلي : مدني تابعي
 رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن . وقال الواقدي : كان فقيهاً عالماً حافظاً تبتاً حجة عالماً بالسيرة ،
 وهو أول من صنف المغازي ، وكان من فقهاء المدينة المحدثين ، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ
 يسألونه ، وكان أروى الناس للشعر ، وقال ابنه هشام : العلم لواحد من ثلاثة ، لذى حسب يزين به

حسبه ، أو ذى دين يسوس به دينه ، أو مختلط بساطان يتحفه بنعمه ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة ، وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز . وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل ، وكان أيام الرطب يئثم حائطه للناس فيدخلون ويأكلون ، فإذا ذهب الرطب أعاده ، وقال الزهري : كان عروة يجرأ لا ينزف ولا تنكسر الدلاء . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجعله ، وقد ذكره غير واحد في فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكان من جملة الفقهاء المشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة [وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل ، ولكن هلموا فاقطعوها فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أن ، وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر أشغله بالصلاة فأنه أعلم . ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فمات ، فدخلوا عليه فمزوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت] قالت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة . وكان مبدؤها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فلما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه . وربما ترقق إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له : ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد فاعلموا ذلك وأنا في الصلاة ، فاني لأحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المسكان الحى ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلى ، فلما تصور ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبهم إليه ، فدخل دار الدواب فرفسته فرس فمات ، فأثوه فمزوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة . فلئن كنت قد ابتليت فلطالما

عافيت ، وإن كنت قد أخذت فلما لمنا أعطيت . فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكنا ذلك إلى أحد حتى دخل وادى القرى ، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) فلما دخل المدينة أتاه الناس يسألون عليه ويمزونه في رجله وولده ، فبلغه أن بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذهب عظيم أحدثه . فأنشد عروة في ذلك والأبيات لمن بن أوس :-

لعمرك ما أهويت كفى لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجل
ولا قاذى سمعى ولا بصرى لها * ولا دلبنى رأبى عليها ولا عقل
ولست بمش ما حبيت لمسكر * من الأمر لا يمشى إلى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة * وأؤثر ضيقى ما أقام على أهلى
وأعلم أنى لم تصبى مصيبة * من الدهر إلا قد أصابت فى مثلى

وفى رواية : اللهم إنه كان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة . كذا ذكر هذا الحديث فيه هشام . وقال مسلمة بن محارب : وقعت فى رجل عروة الأكلة فقطعت ولم يمسه أحد ، ولم يدع فى تلك الليلة ورده . وقال الأوزاعى : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أنى لم أمس بها إلى سوء قط . وأنشد البيهقي المتقدمين . رأى عروة رجلاً يصلى صلاة خفيفة فدعا فقال : يا أخى أما كانت لك إلى ربك حاجة فى صلاتك ؟ إني لأسأل الله فى صلاتى حتى أسأله الملاح . قال عروة : رب كلة ذل احتملتها أو رتنتى عزاً طويلاً . وقال البيهقي : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، والسيئة تدل على أختها . وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) حتى يخرج منه والله سبحانه وتعالى أعلم [(١)] .

قيل إنه ولد فى حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر فى سنة ثلاث وعشرين ، وكانت وفاته فى سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مائة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومائة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين فله أعلم .
(على بن الحسين)

ابن على بن أبى طالب القرشى الهاشمي المشهور بزين العابدين ، وأمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له على أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى على هذا الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن على ، وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبى هريرة وصفية وعائشة وأم سلامة ، أمهات المؤمنين . وعنه

جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي بن قر ، وزيد بن أسلم ، وطاووس وهو من أقرانه ، والزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبوسلمة وهو من أقرانه ، وخلقى .

قال ابن خلكان : كانت أم سلمة بنت يزيد جد آخر ملوك الفرس ، وذكر الزخشرى في ربيع الأبرار أن يزيد جد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالما ، والأخرى لمحمد بن أبى بكر الصديق فأولدها القاسم ، والأخرى للحسين بن علي فأولدها عليا زين العابدين هذا ، فكاهم بنو خالة . قال ابن خلكان : ولما قتل قتيبة بن مسلم فيروز ابن يزيد جد بعث بابنتيه إلى الحجاج فأخذ إحداهما وبعث بالأخرى إلى الوليد ، فأولدها الوليد يزيد الناقص . وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكر بلاء ، فاستبقى لصغره ، وقيل لمرضه ، فإنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقد هم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا ففهمه الله منه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بعثهم إلى المدينة ، وكان على بالندينة محترما معظما . قال ابن عساكر : ومسجد بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد على بالناحية الشرقية من جامع دمشق . وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطرز القراطيس ، قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أروع منه ، ولا أفضل . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر ابن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض . وقال الواقدي : كان من أروع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عز وجل ، وكان إذا مشى لا يحيط بيده ، وكان يعم بعلمة بيضاء يرخيها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبا محمد ، وقيل أبا عبد الله . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا كثير الحديث عالما رفيعا ورعا ، وأمه غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه زيد فولدت له عبد الله بن زيد ، وهو على الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد ، وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن في أهل البيت مثله . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى : سمعت على ابن الحسين وهو أفضل هاشمى أدركته يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الاسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا . وفي رواية : حتى إفضتونا إلى الناس . وقال الأصمعي : لم يكن للحسين عقب إلا من على بن الحسين ، ولم يكن لعلى بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو انقضت السرارى بكثر أولادك ، فقال : ليس لي ما أنسرى به ، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السرارى فولدت له وكثير نسله . ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من على بن

الحسين شئ مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله . وقال أبو بكر بن أبي شيبة :
أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، وذكروا أنه احترق البيت
الذي هو فيه وهو قائم يصلي ، فلما انصرف قالوا له : مالك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت عن
هذه النار بالنار الأخرى ، وكان إذا توضأ يصفر لونه ، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقيل
له في ذلك فقال : ألا تدرين بين يدي من أقوم ولمن أناجي ؟ ولما حج أراد أن يلي فارتعد وقال :
أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقال لي : لا لبيك ، فشجوه على التلبية ، فلما لبى غشى عليه
حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة . وقال طاووس : سمعته وهو ساجد عند
الحجر يقول : عبيدك بفنائك ، سائلك بفنائك . فقهرك بفنائك ، قال طاووس : فوالله ما دعوت بها في
كرب قط إلا كشف عني . وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول صدقة بالليل تطفي غضب
الرب ، وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم ،
فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فمروا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به . ولما مات
وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأراذل والمساكين في الليل . وقيل إنه كان
يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة
ابن زيد يعود فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : علي دين ، ولم هو ؟ قال خمسة عشر
ألف دينار . وفي رواية سبعة عشر ألف دينار . فقال : هي علي . وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر
وعمر من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلة من بعده وفاته . ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه
- يريه أنه لم يسمعه - فقال له الرجل : إياك أعني ، فقال له علي : وعنتك أغضى . وخرج يوماً من المسجد
فسبه رجل فانتدب الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ماستره الله عنك من عيوبنا
أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فأتى إليه خميسة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ،
فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء . قالوا : واختم علي بن الحسين وحسن
ابن حسن - وكان بينهما منافسة - فقال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي
ابن الحسين إلى منزله فقال : يا ابن عم إن كنت صادقاً يغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك
والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقته فصالحه . وقيل له من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم ير الدنيا
لنفسه قدراً ، وقال أيضاً : الفكرة مرآة ترى المؤمن حسناته وسيئاته ، وقال : فقد الأجابة غربة ، وكان
يقول : إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ،
وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار . وقال لابنه : يا بني لا تصحب فاسقاً فإنه

يبيعك بأكالة وأقل منها يطعم فيها ثم لا ينالها ، ولا يخيل أنه بخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ، ولا كذاباً فإنه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحق فإنه يريد أن ينفك فيفيضرك ، ولا قاطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله . قال تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تخطى خلق أهل العلم وقرش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث ينفع ، وإن العلم يطلب حيث كان . وقال الأعشى عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين : أنت تطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير ؟ فقلت : ما تصنع به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء . وأشار بيده إلى العراق .

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زر بن عبيد ^(١) قال : كنت عند ابن عباس فقال علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحباً بالحبيب ابن الحبيب . وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : ثنا العلاء ثنا إبراهيم بن بشار عن سفیان بن عيينة عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله ﷺ فدخل عليه الحسين بن علي فضمه إليه وقبله وأقعده إلى جنبه ، ثم قال : « بولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقيم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جداً أورده ابن عساکر . وقال الزهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أفقه منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسمى زين العابدين . وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهما قط . رحمه الله ورضي عنه . وقال محمد بن سعد : أنبأ علي بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردّها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلى بمائة ألف فكرعت أن أقبلها وكرهت أن أردّها ، فابعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عم اخذها فقد طيبتها لك ، فقبلها . وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الاتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء . وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأنجل عليه بالدين ، فإذا كان يوم القيامة

قيل لي فاذا كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل ، وأبخل وأبخل . وذكروا أنه كان كثير البكاء فقيل له في ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً ؟ وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسطط الأبريق من يدها على وجهه فشججه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول (والكاظمين الغيظ) ، فقال : قد كظمت غيظي ، قالت (والعافين عن الناس) فقال : عفا الله عنك . فقالت (والله يحب المحسنين) قال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة اللخمي عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فقالوا منهما ، ثم ابتدئوا في عثمان فقال لهم : أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الذين (أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله) ؟ قالوا : لا قال : فأنتم من الذين (تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم) ؟ قالوا لا ! فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتهم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) الآية ، فقوموا عني لا بارك الله فيكم ، ولا قرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالاسلام ، ولستم من أهل . وجاء رجل فسأله متى يبعث علي ؟ فقال : يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثت عن سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم - أو أهب عرضي اليوم - من استحله . وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفود وهو يشوي شيئاً في النور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله ، فنهض علي بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : إنك لم تتعمد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه . وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي بنصيب من النذل حمر النعم . ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فخرج عليه من أجل إسرافه ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خللاً ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاعة رسول الله ، ورحمة الله عز وجل . وقال المدائني : قارف الزهري ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله ، فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له : يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأ فأمره على بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان

الزهرى يقول : على بن الحسين أعظم الناس على منة .

وقال سفيان بن عيينة كان على بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أو شك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنين على مصيبة إلا أو شك أن يفترقا على غير طاعة . وذكروا أنه زوج أمه من مولى له وأعتق أمه فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وقد أعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش . قالوا : وكان يلبس في الشتاء قميصاً من خز بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقعة ودونها ويتلو قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

(وقد روى من طرق ذكرها الصولى والجري وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبیت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تمنى عنه الناس إجلالاً له وهيبته واحتراماً ، وهو في بزة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل الشام هشام : من هذا ؟ فقال : لا أعرفه - استقصا به واحتراماً لئلا يرغب فيه أهل الشام - فقال الفرزدق - وكان حاضراً - أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبیت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأيته قریش قال فائدها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يسمى إلى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والمعجم
يكاد يحسكه عرفان راحته * ركن الخطيم إذا ماجاء يستلم
يغضى حياءً ويغضى من مهابة * فما يكلم إلا حين يتسم
بكفه خيزران ريجها عبق * من كف أروع في عرينه شمم
مشتقة من رسول الله نبعه * طابت عناصرها والقيم والشيم
ينجذب نور الهدى من نور غرته * كالشمس ينجليب عن إشراقها القيم
همال أفعال أقوام إذا فدحوا * حلوا الشمايل تحلو عنده نعم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بحمد أنبياء الله قد ختموا
من جده دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دانت لها الأمم

عم البرية بالأحسان فانقضت * عنها الغواية والاملاق والظلم
 كالتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يردهما العدم
 سهل الخليفة لا تخشى بوارده * يزينة اثنان الحلم والسكرم
 لا يخلف الوعد ميمون بعيدته * رحب الفناء أريب حين يعترزم
 من معشر حبيهم دين وفضهم * كفر وقر بهم منجى ومقصرم
 يستدفع السوء والبلوى بحبهم * ويستزاد به الاحسان والنعم
 مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل حكم ومخنوم به السكهم
 إن عد أهل التقي كانوا أئمتهم * أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
 لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يبدانهم قوم وإن كرموا
 هم الغيوث إذا ما أزمه أزمته * والأسد أسد الشرى والبأس محترمه
 يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خيم كرام وايد بالندى هضم
 لا ينقص العدم بسطا من أكرمهم * سيان ذلك إن أنروا وإن عدموا
 أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأولية هذا أوله نعم
 فليس قولك من هذا بضارده * العرب تعرف من أنكرت والعجم
 من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الأهم

قال : فغضب هشام من ذلك وأمر بجس الغرزق بمسكان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك
 على بن الحسين بعث إلى الغرزق بائني عشر ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : إنما قلت ما قلت لله
 عز وجل ونصرة للحق ، وقياماً بحق رسول الله ﷺ فى ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشئ .
 فأرسل إليه على بن الحسين يقول : قد علم الله صادق نيتك فى ذلك ، وأقسمت عليك بالله لتقبلها
 فتقبلها منه ثم جعل يهجو هشاماً وكان مما قال فيه :

تحسنى بين المدينة والى * إليها قلوب الناس تهوى منيها
 يقلب راسا لم يكن رأس سيد * وعينين حولاً وبين باد عيوبها
 وقد روينا عن على بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنائز يقول هذين البيتين :
 نراع إذا الجنائز قابلتنا * ونلهو حين نمضى ذاهبات
 كروعة نلّة لغار - سبع * فلما عاب عادت راتعات

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله المقرئ حدثني سفيان بن عيينة عن
 الزهرى قال سمعت على بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجى ربه : -

يأنفس حثام إلى الدنيا سكوتك ، وإلى عمارتها ركوتك ، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك
ومن وارثه الأرض من ألافك ؟ ومن فجعت به من إخوانك ، ونقل إلى الترى من أقرانك ؟ فهم
في بطون الأرض بعد ظهورها ، محاسنهم فيها بوال دوائر .

خلت دورهم منهم وأقوت عراضهم * وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها * وضمهم تحت التراب الخفائر
كم خرمت أيدي النون من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض ببلائها ، وغيت في ترابها ،
من عشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأمارس ، ثم رجعت [عنهم إلى عمل أهل الافلاس : -

وأنت على الدنيا مكب منافس * لخطابها فيها حريص مكائر
على خطر تمشى وتصبح لاهيا * أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرءاً يسعى لدنياه دائماً * وينهل عن أخراه لاشك خاسر

فثمام على الدنيا إقبالك ؟ وبشواتها اشتغالك ؟ وقد وخطك القتير ، وأتاك النذير ، وأنت عما
يراد بك ساه وبلدة يومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعانيت ما حل بهم من
المصيبات ، وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى * عن الله والذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الأربعين تربص * وشيب قذال منسدر للسكر
كانك معنى بما هو ضائر * لنفسك عمدا وعن الرشد حائر

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الغانية كيف اختطفتهم عقبان الأيام ، ووافاهم الحام ، فانهمت
من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، وأضحوا رما في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب ،

أمسحوا رما في التراب وعطلت * مجالسهم منهم وأخلي مقاصر
وحلوا بدار لا تراور بينهم * وأنى لسكان القبور النزاور
فما أن ترى الإقبوراً قد نووا بها * مسطحة تسقى عليها الأعاصر

كم من ذى منعة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها مائمه ، وبنى فيها
التصور والدساكر : وجمع فيها الأموال والذخائر ، وملح السرارى والحرائر .

فما صرفت كف المنية إذ أنت * مبادرة تهوى إليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى * وحف بها أنهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة * ولا طمعت في اللب عنه المساكر

أناه من الله مالا يرد ، ونزل به من قضائه مالا يصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز
القهار ، قاصم الجبارين - ومبيد المتكبرين ، الذى ذل لعزه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان .

مليك عزيز لا يرد قضاءه * حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
 عفى كل ذى عز لمة وجهه * فكم من عزيز المهيم صاغر
 لقد خضعت واستسلمت وقضات * لعزة ذى العرش الماوك الجبار
 فالمدار البدار والحدار الحذار من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لك من مصايدها ، وتحلت لك من
 زينتها ، وأظهرت لك من بهجتها ، وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواطلها وهلاكاتها ،
 وفي دون ما عاينت من فجاعتها * إلى دفعها دافع وبالزهد أمر
 فجد ولا تغفل وكن متيقظا * فمما قليل يترك الدار عامر
 فشمم ولا تفتقر فعمرك زائل * وأنت إلى دار الإقامة صار
 ولا تطلب الدنيا فان نعيمها * وإن نلت منها غبه لك ضار
 فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ؟ وهو على ثقة من فناءها ، وغير طامع في بقائها ،
 أم كيف تنام عينا من يخشى البيات ، وتسكن نفس من توقع في جميع أمور الممات .
 ألا لا ولكننا نغتر نفوسنا * وتشغلنا اللذات عما نحاذر
 وكيف يلذ العيش من هو موقف * بموقف عدل يوم تبلى السرائر
 كأننا نرى أن لانشور وأتنا * سدى مالنا بعد الممات مصادر
 وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف عجائبها وقوارع
 فجائتها ، وكثرة عذابه في مصائبها وفي طلبها ، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها
 أما قد نرى في كل يوم وليلة * يروح علينا صرفها ويباكر
 تعاورنا آفاتنا وهمومها * وكما قد ترى يبق لها المتعاور
 فلا هو مغبوط بدنياء آمن * ولا هو عن تطلباها النفس قاصر
 كم قد غرت الدنيا من مخلص إليها ، وصرعت من مكب عليها ، فلم تنعشه من عثرته ، ولم تنقذه
 من صرخته ، ولم تشفه من ألمه ، ولم تبره من سقمه . ولم تخلصه من وصمه
 بل أوردته بعد عز ومنعة * موارد سوء ما لهن مصادر ^(١)
 فلما رأى أن لانجاة وأنه * هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
 تندم إذ لم تغن عنه ندامة * عليه وأبكته الذنوب الكبائر
 إذ بكى على ماسلف من خطايا ، وتحمس على ما خلف من دنياه ، واستغفر حتى لا ينفعه
 الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المنية ونزول البلية .

أحاطت به أحزانه وهمومه * وأبلى لما أعجزته المقادر
فليس له من كربة الموت فارح * وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه * ترددها منه الأله والخناجر
هنالك خف عواده ، وأسفه أهله وأولاده ، وارتفعت البرية بالعويل ، وقد أيسوا من العليل ،
فقمضوا بأيديهم عينيه ، ومد عند خروج روحه رجله ، وتخلّى عنه الصديق ، والصاحب الشفيق
فكم موجع يبكي عليه منجع * ومستعجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصاً * يعمد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته * وعما قليل للذي صار صار
فشقت جيوبها نسائه ، ولطمت خدودها إماءه ، وأحول لفقدها جيرانه ، وتوجع لرزقته إخوانه ،
ثم أقبلوا على جهازه ، وشعروا بالبرازة ، كأنه لم يكن بينهم العزيز المقدي ، ولا الحبيب المبدي .
وحل أحب القوم كان بقربه * بحث على تجهيزه ويبادر
وشعر من قد أحضره لفساد * ووجه لما فاض للقبر حافر
وكفن في ثوبين واجتمعت له * مشيعة إخوانه والعشار
فترأيت الأصغر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، ويخشى من الجزع عليه ، وخضبت
الدموع عينيه ، وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه وأحزابه : —

لما نيت من قبس المشية منظرًا * يبال لمآه ويرتاع ناظر
أكابر أولاد بهيج اكتمالهم * إذا ماتت أساه البنون الأصاغر
وربة نسوان عليه جوازع * مدامهم فوق الحدود غوازر
ثم أخرج من سعة قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللحد وهي عليه اللبن ، احتوشته أعماله
وأحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم حشا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا البكاء عليه
والالتحاب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب
فولوا عليه معولين وكلمهم * مثل الذي لاقى أخوه محاذر
كشأ رتاع آمنين بدا لها * بمدية بادي الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلاً وأنجلت * فلما نأى عنها الذي هو جازر
نادت إلى مرعاها ، ونسيت ما في أختها دهاها ، أفتأفعل الأنعام اقتدينا ؟ أم على عادتها جرينا ؟
عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .
نوى مفرداً في لحد وتوزعت * مواريته أولاده والأصاغر

وأحنوا على أمواله يقسمونها * فلا حامد منهم عليها وشاكر
 فيها عامر الدنيا ويأساعيا لها * ويا آمنة من أن تدور الدوائر
 كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة ؟ أم كيف ضيعت حياتك وهي مطيتك إلى
 مماتك ؟ أم كيف تشيع من طعامك وأنت منتظر حمامك ؟ أم كيف تهنأ بالشهوات ، وهي مطية الآفات
 ولم تزود للرحيل وقد دنا * وأنت على حال وشيك مسافر
 فيالطف نفسي كم أسوف توبى * وعمرى فان والردى لى ناظر
 وكل الذى أسلفت فى الصحف مثبت * يجازى عليه عادل الحكم قادر
 فكم ترفع بأخرتك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضعيف اليقين ، يذوثر الدنيا على الدين
 أبهذا أمرك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ أما تذكر ما أمدك من شدة الحساب ، وشر الحساب
 أما تذكر حال من جمع وتمر ، ورفع البناء وزخرف وعمر ، أما صار جمهم بورا ، ومسا كنهم قبورا :
 تخرب ما ييسقى وتعمر قانيا * فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
 وهل لك إن وافاك حتمك بغتة * ولم تكتسب خيرا لدى الله عاذر
 أنرضى بأن تنفى الحياة وتنقضى * ودينك منقوص ومالك وافر

وقد اختلف أهل التاريخ فى السنة التى توفى فيها على بن الحسين ، زين العابدين ، فاشتهر عن
 الجمهور أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة أربع وتسعين - فى أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصلى
 عليه بالبقيع ، ودفن به ، قال الفلاس : مات على بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن
 عبد الرحمن سنة أربع وتسعين ، وقال بعضهم : توفى سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب المدائنى
 فى قوله : إنه توفى سنة تسع وتسعين والله أعلم انتهى ما ذكره المؤلف [من ترجمة على بن الحسين
 وقد رأيت له كلاما متفرقا وهو من جيد الحكمة ، فأحببت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه :
 قال حفص بن غياث عن حجاج عن أبي جعفر عن على بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض
 أشرو بظرا ، ولا خير فى جسد يأشرو ويظتر . وقال أبو بكر بن الانبارى : حدثنا أحمد بن الصلت
 حدثنا قاسم بن إبراهيم العلوى حدثنا أبى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال على بن الحسين : فقد
 الأحبة غربة . وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن فى لوانع العيون علانيى ، وتقبح فى خفيات
 الغيوب سريرى ، اللهم كما أسأت وأحسنك إلى ، فإذا عدت فعد إلى . اللهم ارزقنى مواساة من
 قترت عليه رزقك بما سمعت على من فضلك . وقال لابنه : يا بنى اتخذ ثوبا للعائط فانى رأيت الذباب
 يقع على الشئ ثم يقع على الثوب . ثم انقبه فقال : وما كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد ،
 فروضه . وعن أبى حمزة الثمالى قال : أتيت باب على بن الحسين فكرهت أن أصوت فتممت على

الباب حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد على السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط فقال : يا حزمة ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فاني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فاذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في نجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! مالي أراك كئيباً حزينا على الدنيا ! فمى رزق حاضر يأخذ منها البر والفاجر . فقلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال على الآخرة ؟ فمى وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، فقلت : ما على هذا أحزن لأنه كما تقول . فقال : فسلام حزئك ؟ فقلت : ما أخوف من الفتنة - يعني فتنة ابن الزبير - فقال لي : يا علي ! هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ! قال ويخاف الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقيل لي : يا علي ! إن هذا الخضر الذي جاءك لفظ الخضر زاد فيه من بعض الرواة .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الخضرى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عمر بن حارث . قال : لما مات علي بن الحسين فغسوه جماعاً ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . فقالوا : ماهذا ؟ فقيل : كان يحمل جُرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين .

وروى عبد الله بن حنبل عن ابن اشكاب عن محمد بن بشر عن أبي المنهال الطائي أن علي بن الحسين كان إذا ناول المسكين الصدقة قبله ثم ناوله . وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن زكريا الغلابي حدثنا العتيبي حدثني أبي . قال قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم الأربعة - يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تخيب أخاك إلا في الأمر الذي مضته عليك أكثر من منفعتك لك . وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالساً في جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وتعجبوا من صبره ، فقال : إن أهل بيت نطيع الله عز وجل فيما نحب ، ونحمد على ما نكره . وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقيم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة . فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! قالوا : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حملنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أمسى إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين . ثم ينادى مناد : يقيم أهل الصبر . فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، وصبرناها على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين . ثم ينادى المنادى : يقيم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم :

انطلقوا إلى الجنة ، فتمتلكهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : هم استحققتهم مجاورة الله عز وجل في داره ؟ فيقولون : كنا نزاور في الله ، ونتمجاس في الله ، ونقتبذل في الله عز وجل . فيقال لهم ، ادخلوا الجنة فتمتعوا بآجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذبذب التواب . وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ ككتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقى منهم تقاة . قالوا : وما تقاة ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطفئ . وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أحداً أورع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا ! قال : ما رأيت أورع منه . وروى سفيان بن عيينة عن الزهري . قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيكم كنتم ؟ قلت : كنا ننذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال : يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان . وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزهري قلت : فسرهن يا ابن رسول الله ﷺ ، قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجد الاضام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعتل لمن لم يجد الهدى وصوم جزاء الصيد ، يقوم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الخطاة . وأما الذي صاحبها بالخيار فصوم الاثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبها بالخيار . فأما صوم الأذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا باذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك ، نهيتنا أن نصومه لرمضان . وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا باذن صاحبه ، قال رسول الله ﷺ : « من نزل على قوم فلا يصومون تطوعاً إلا بأذنهم » . وأما صوم الاباحة فنأكل أو شرب ناسياً أجزاء صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر . وأما نحن فنقبل : يفطر في الحالين ، فإن صام في السفر والمرض فمليه القضاء ^(١)

﴿ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ﴾

ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد القضاة السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من

الأولاد والاختوة كثير ، وهو تابعي جليل ، روى عن عمار وأبي هريرة وأسما بنت أبي بكر ، وعائشة وأُم سلمة وغيرهم ، وعنده جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر ، ومولاه سمي ، وعاصم الشعبي وعمر بن عبد العزيز ، وعمر بن دينار ، وبجاهد ، والزهرى . ولد في خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قريش ، لكثرة صلاته ، وكان مكفوفاً ، وكان يصوم الدهر ، وكان من الثقة والأمانة والفقہ وصحة الرواية على جانب عظيم ، قال أبو داود : وكان قد كف وكان إذا سجد يضع يده في طست لعلته كان يجدها . والصحيح أنه مات في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . والله أعلم .

{ قلت : ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال : -

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسمة جبراً عن الحق خارجه

نفذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وفيهما توفي الفضل بن زياد الرقاشي ، أحد زهاد أهل البصرة ، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً ، قال : لا يلهيكم الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخص إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بكيك وكيت ، فإنه محفوظ عليك ما قلت . وقال : لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثه لذنب قديم .

أبو سلمة أبو عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، كان أحد فقهاء المدينة ، وكان إماماً علماً ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان واسع العلم . توفي بالمدينة .

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي ، له روايات كثيرة ، وكان علماً ، وخلف كتباً كثيرة من علمه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وأسر يوم وقعت ابن الأشعث فأطلقه الحجاج .

عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمة ، قاضي مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته ، كان علماً فاضلاً ، روى الحديث وعنده جماعة (١)

* ثم دخلت سنة خمس وتسعين *

ففيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم ، وافتتح حصوناً كثيرة . وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة في بلاد الروم ، ثم حرقها ثم بناها بعد ذلك بعشر سنين ، وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المواليا (٢) من بلاد الهند ، وأخذ منها أموالاً جزيلة ، وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية وبعده الأموال على العجل تحمل من كثيرها ، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي ، وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش ، ففتح مدناً وأقاليم كثيرة ، فلما كان هناك جاءه الخبر بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مصر وتمثل بقول بعض الشعراء :

(١) زيادة من المعصرية . (٢) كذا وعلما (الملتان) .

أعمرى لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقتهم الحبال
فان تحي لأملك حياتي وإن تم * فما في حياتي بعد موتك طائل

وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويعده على ذلك ويجزيه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتال أهل الكفر والعناد . وقد كان الحجاج يستخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصريين - الكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كبشة ، وولى خراجهما يزيد بن مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على ذلك فأقرهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة الحجاج لحس ، وقيل لثلاث بقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي . وفيها قتل الوضاحي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه ، وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس .

وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته

هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو عبد الثقفي ، سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى ، وروى عنه أنس بن مالك ، وثابت البناني ، وحسين الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجاهد ، وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قاله ابن عساکر ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق . وقدم دمشق وافداً على عبد الملك ، ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم ، سمعت أبي يقول : خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى وأبكى من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : « ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره إلا بكى » . وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره ، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : ثنا يسار عن جعفر عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث حسن عن رسول الله ﷺ ؟ فقلت : بلى ! فقال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى . قال قال رسول الله ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة مفروضة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسانيد والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تتخلل - أي تخلل أسنانها لتخرج ما بينهما من أذى - وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت باكرت الغداء إنك لرعينة دنية ، وإن كان أندي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة إنك لقمذرة ، فطلقها فقالت : والله ما كان شيء مما ذكرت ، ولكنني باكرت ما تبأكره الحرة من السواك ، فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها فانها خلقة بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقيل له في النوم : ما أسرع ما ألقمت بالمبر .

قال ابن خنكان : واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كادة الثقفي طبيب العرب ، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك . وذكر صاحب العقد أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الفلمان بالطائف ، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا يتزولون لتزول ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضر بهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أقمه وإنما فعلت أنت ، فان يدي يديك ، وسوطي سوطك ، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبديل الفلام غلامين ، ولا تكسرن في الذي وليتني ؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده . قال : وبنى واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك . قال : وفي أيامه نقطت المصاحف ، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليبا ، ثم سمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا يخرج له حتى فتح له مخرج ، وأنه لم يرتضع أياماً حتى سقوه دم جدي ثم دم صالح ولطخ وجهه بدمه فارتضع ، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه ، ويقال إن أمه هي التميمية لنصر بن حجاج بن علاط ، وقيل إنها أم أبيه والله أعلم . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه رهق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة ، وكان يغضب غضب الملوك ، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ، ولا سواء ولا قريب . وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة سليم بن عثر التجيبي قاضي مصر ، وكان من كبار التابعين . وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجارية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها ،

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه يتصرف في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عثر هذا فتمض إليه أبو

الحجاج فسلم عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم ! تسأله أن يعزاني عن القضاء . فقال : سبحان الله !! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه : يا أبة أتقوم إلى رجل من تيجب وأنت تقف ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرجون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونهم ويخرجون عليه ويعضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضرب عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقياً . وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجهة عند الخليفة ، وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فانه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك .

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شاباً لبيناً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . وقال الدارقطني : ذكر سليمان بن أبي منيع عن صالح بن سليمان قال قال عقبة بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة فحاصره بها وأقام للناس الحج عامئذ ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا تمكن ابن الزبير ومن عنده من الوقوف ، ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى العراق بعد موت أخيه بشر ، فدخل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إirاده مفصلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة . وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وجرت له فصول قد ذكرناها . ونحن نورد هنا أشياء أخر مما وقع له من الأمور والجرائم والأقدام ، والتهاون في الأمور العظام ، مما يمدح على مثله ومما يندم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره :

فروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن كثير بن أنس بن إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجانب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئاً - فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله في السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه - وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينارعه رداؤه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد

فقال له : يا سارق يا خائن ، تصلى هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك . فلم يرد عليه ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزبير كر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصد الحجاج نفشى الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال : نعم ! قال : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً : ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكرك قولك . ثم قام ومضى . وروى الرياشي عن الأصمعي وأبي زيد عن معاذ بن العلاء - أخى أبي عمرو بن العلاء - قال : لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ! بلغني إكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار همة الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها ، فترع طاعة الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع العصاة لمنت آدم حرمة الله ، إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ثنا عون عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنتك أُلحِد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل . فقالت : كذبت ، كان براً بوالديه ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه يخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . ورواه أبو يعلى عن وهب بن بريقه عن خالد عن عون عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله ، وقال أبو يعلى : ثنا زهير ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن الأحنف عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة . وسمعت يقول : « يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكتاب فقد رأيته ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج . وقال عبيد بن حميد : أنبأ يزيد بن هارون أنبأ العوام بن حوشب حدثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يمزجها في ابنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد - تعني المختار - وأما المبير فأنت . وتقدم في صحيح مسلم من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله ، وقد روى غير أسماء عن النبي ﷺ فقال أبو يعلى : ثنا أحمد بن عمر الوكيعي ثنا وكيع حدثنا أم عراب عن امرأة يقال لها عقيقة عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله ﷺ : « في ثقيف كذاب ومبير » . تفرد به أبو يعلى . وقد روى الامام أحمد عن وكيع عن أم عراب - واسمها

طلحة - عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه ، وروى من حديث ابن عمر ، فقال أبو يعلى : ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن ربيع ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصفية قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ﷺ أن في ثقيف مبيرا وكذابا » وأخرجه الترمذى من حديث شريك عن عبد الله بن عاصم ويقال عصفية . وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعى : ثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالى قتال ابن الزبير والحجاج بنى ، فكان لا يصلى مع الحجاج . وقال الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يسلم عليه ولم يكن يصلى وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أنبأ جريز عن القعقاع بن الصلت قال : خطب الحجاج فقال : إني ابن الزبير غير كتاب الله ، فقال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئت أقول : كذبت لفعلت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حملك على ذلك ؟ فقال : إنما نجى للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تفتق ماشئت بعد من تفتقه .

وقال الاصمعى : سمعت عوى يقول : بلغنى أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشرٌ حال ، قتل ابن حواري رسول الله ﷺ ، فقال الحجاج : ومن قتله ؟ فقال : الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته ، من قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ ! أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ! فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضرراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال ذلك الساعة . فلما تحقق الشيخ الحد قال : والله إن هذا هو العجب يا حجاج ، لو كنت تعرفنى ماقلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبى داود ، أصرع كل يوم خمس مرات ، فقال الحجاج : انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة عن ابن أبى رافع عن عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكنه من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : كيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما فى صدرى على آل الزبير منذ تزوجت^(١) رملة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان نائماً فأيقظه ، فكتب إلى الحجاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها . وقال سعيد بن أبى عروبة : حج الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة فأتى بغذائه فقال الحاجبه :

(١) كذا بالأصول والظاهر أن فى مواضع من هذا الخبر تحريفاً .

انظر من يأكل ممي ، فذهب فاذا أعرابى تأم فضر به برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تغسل ممي ، فقال : إنه دعاني من هو خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبت ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم صمت اليوم هو أشد حرّاً منه ، قال : فافطر وصم غدا ، قال : إن صممت لى البقاء لغد . قال : ليس ذلك لى ، قال : فكيف تسألنى عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طمأننا طمام طيب ، قال : لم تطيبه أنت ولا الطبايح ، إنما طيبته المافية

﴿ فصل ﴾

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إياهم بفترة ، وتبديده ووعيده إياهم ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمير بن ضبان ، وكنكك قتل كميل بن زياد صبرا ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا ، ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والأمرء والعباد والقراء ، حتى كان آخر من قتل منهم سميد بن جبير . قال القاضي المعافى زكريا : ثنا أحمد بن محمد بن سعد السكاكي ثنا محمد بن زكريا الفلابي ثنا محمد - يعني ابن عبد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحجاج أهل العراق بعد دير الجماجم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم ، والعصب والسماع ، والأطراف ، ثم أفضى إلى الأسماخ والأفخاخ ، والأشباح والأرواح ، ثم ارتفع فعمش ، ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج ، فحشاكم نقاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، اتخذتموه دليلاً تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤمناً تشاورونه وتستأمنونه ، فكيف تنفعم بجزية ، أو ينفعكم بيان ؟ أستم أصحابي بالأهواز حيث منيتهم المكر واجتمعتم على التمرد ، واتفقتم على الكفر ، وظننتم أن الله يخلد دينه وخلافته ، وأنا والله أرميكم بظرفي وأنتم تتسللون لوأذا ، وتهزؤون سراعاً . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، مما كان من فشلكم وتنازعكم ونحاذلكم وبراعة الله منكم ، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كلاب الشاردة عن أوطانها النوازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوئى الشيخ على بنيه ، حين عضكم السلاح ، ونحمتكم الرماح . ويوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم ، بها كانت الممارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقبله ، ويذهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق يا أهل الكفران بعد الفجران ، والغدران بعد الخلدان ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثناكم إلى ثغوركم ثلاثم وختم ، وإن أمنتم أرجعتكم ، وإن خفتم نافقتكم ، لا تذكرن نعمة ، ولا تشكرون مبرؤفاً ، ما استخفكم ناكث ، ولا استغفواكم غاو ، ولا استنقذكم عاص ، ولا استنصركم ظالم ، ولا استعصمكم خالع ، إلا لبئتم دعوتكم ، وأجبتكم صيحتكم ، ونفرتكم إليه خفافاً وتقالاً ، وفرساناً ورجالا . يا أهل العراق هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر زافر

إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟ يا أهل العراق ألم تنفسمكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوتائع ؟ ألم يشدد الله عليكم وطأته ، ويندقكم حر سيفه ، وأليم بأسه ومثلاته ؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظلم الزامح عن فراخه ينفي عنها القدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذباب . يا أهل الشام ! أنتم الجنة والبرد ، وأنتم السلاة والجلد ، أنتم الاولياء والأأنصار ، والشمار والدثار ، بكم ينب عن البيضة والحلوة ، وبكم ترحى كتائب الأعداء ويهزم من عاند وتولى .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي سمعت شيخاً من قريش يكنى أبا بكر التميمي قال : كان الحجاج يقول في خطبته - وكان اسناب - : إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأشاعهم على ظهرها ، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وعتسكوها بالمساحي والمرور ، ثم أدال الله الأرض منهم فردهم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها ، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها ، وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحي والمرور .

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ : الرجل وكلكم ذلك الرجل ، رجل خطم نفسه وزمها فقائها بخطاياها إلى طاعة الله ، وكفها زمامها عن معاصي الله ، رحم الله امرأاً رد نفسه : امرأاً اتهم نفسه ، امرأاً أخذ نفسه عبوداً ، امرأاً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره ، امرأاً نظر إلى ميزانه ، امرأاً نظر إلى حساباته ، امرأاً وزن عمله ، امرأاً فكر فيما يقرأ غداً في صحيفته ويراد في ميزانه ، وكان عند قلبه زاجراً ، وعند همه آمراً ، امرأاً أخذ بمنان عمله كما يأخذ بمنان جملة ، فان قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كف ، امرأاً عقل عن الله أمره ، امرأاً فاق واستغاق ، وأبغض المعاصي والنفاق ، وكان إلى ما عند الله بالأشواق . فما زال يقول امرأاً امرأاً ، حتى بكى مالك بن دينار .

[وقال المدائني عن عوانة بن الحكم قال قال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يبرزكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهرها طول الأمل بقصر الأجل] ^(١) وقال المدائني عن أبي عبد الله الشافعي عن عمه قال : سمعت الحسن البصري يقول : وقد تني كلمة سمعتها من الحجاج سمعتها يقول على هند الأعداء : إن امرأاً ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لخرى أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة . وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير قال قال الحجاج يوماً : من كان له بلاء أعطيناه على قدره ، فقام رجل فقال :

اعطى فاني قتلت الحسين ، فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرت به بالرمح دسرا ، وهبته بالسيف هبرا ، وما أشركت معي في قتله أحدا . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه شيئا . وقال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخى خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت المطاء وقد هدمت دارى ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

حنانك من تجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بدين قريبه * ونجا المقارف صاحب الدنب ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أصدق من هذا ، قال : وما قال ؟ قال (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا نفذ أحدنا مكانه إنا نراك من الحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) قال : يا غلام أعد اسمي في الديوان وابن داره ، وأعطه عطاءه ، ومر مناديا ينادى صدق الله وكذب الشاعر . وقال الهيثم بن عدي عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلى برأس أسلم بن عبد البكرى ، لما بلغني عنه ، فأحضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بفتنة فقبضوا أن تصيدوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وما بلغه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما هن كسب غديرى وهن بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا بنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصلح الله الأمير ، وجئت على ركبتيها وقالت : -

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعماته يندبهن الليل أجمعا

أحجاج كم تقتل به إن قتلت * ثمانا وعشرا واثنين وأربعا

أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فهلا إن نردنا تضعضعا

أحجاج إما أن نجود بنعمة * علينا وإما أن تقتلنا معا

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدتن ترضعنا ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتعقدوها في كل وقت . وقيل إن الحجاج خطب يوما فقال : أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأفل حياءك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبت وضل سعيك ، فقال للحرس خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذى جرأك على ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت

تجترئ على الله ولا تجترئ أنا عليك ، ومن أنت حتى لا تجترئ عليك . وأنت تجترئ على الله رب العالمين ، فقال : خلوا سبيته ، فأطلق

وقال المدائني : أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهم ، فقال أحدهما : إن لي عندك يماً ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أنك فرددت عليه ، فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا ، فسأله فقال : نعم ! فقال : ما منكم أن تفعل كما فعل ؟ قال : بغضك ، قال أطلقوا هذا لصديقه ، وهذا لعمري . فأطلقوهما . وذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكاً بأرض البصرة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حملك على ما كنت تصنعه ؟ فقال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكأب الزمان ، ولو اختبرني الأمير لوجدني من صالح الأعوان ، وشهم الفرسان ، ولو جدي من أصلح رعيته ، وذلك أنني ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر فان قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته خلتنا سبيك . ثم أودعه السجن مقيداً مغلولاً يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسر أن يبعث بأسد عظيم ضار ، وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا أشعاراً يتحزن فيها على أمر أنه سلمي أم عمرو يقول في بعضها :

أليس الليل يجمع أم عمرو * وإيانا فنذك بنا تداني
بلى وترى الهلال كما نراه * ويمارها النهار إذا علاني
إذا جاوزتما نخلات نجد * وأودية البصرة فانياني
وقولا جحدر أمسي رهينا * يحاذر وقع مصقول يمانى

فلما قسم الأسد على الحجاج أمر به فجوع ثلاثة أيام ، ثم أبرز إلى حائر - وهو البستان - وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده اليمنى مغلولاً بحالها ، وأعطى سيفاً في يده اليسرى وخلي بينه وبين الأسد وجلس الحجاج وأصحابه في منطرة ، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول :

ليث وليث في مجال ضحك * كلاهما ذو ألف ومحك
وشدة في نفسه وفك * إن يكشف الله قناع الشك
فهو أحق منزلة بترك *

فلما نظر إليه الأسد زأر زارة شديدة ، وتطى وأقبل نحوه فلما حار منه على قدر رمح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضر به ضربة خالط ذهاب السيف لهواته ، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد وشدة موضع

القيود عليه ، فكبر الحجاج وكبر أصحابه وأشار جهمس يقول :

يا جمل إنك لو رأيت كريهتي * في يوم هول مسدف وعجاج
وتقدمي ليث أرسف موثقاً * كما أساوره على الأخراج
شئن برائنه كأن نيوبه * ذرق المعاول أو شبة زجاج
يسمو بنظرين تحسب فيهما * لهباً أحدهما شعاع سراج
وكأنما خيطلت عليه عباءة * برقاء أو خرقة من الديداج
لعلت أنى ذو حفاظ ماجد * من نسل أقوام ذوى ابراج

فعند ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختر المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً . وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته ، فقال له يحيى بن يعمر : كذبت ! فقال الحجاج : لنأتينى على ما قلت بيينة من كتاب الله أو لأضرب عنقك ، فقال قال الله (ومن ذريته داود وسليمان) إلى قوله (وزكريا ويحيى وعيسى) فعيسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ . فقال الحجاج : صدقت ، ونفاه إلى خراسان .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبدل إن المكسورة بان المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) إلى قوله (أحب إليكم) فيقرأها برفع أحب . وقال الأصمى وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد : فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً فأمل . وقال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق ، وسع على الناس في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال منشداً :

عليك بتقوى الله في الأمر كله * وكن يا عبيد الله تخشى وتضرع
ووفر إخراج المسامين وفيأثم * وكن لهم حصناً تحجير وتمنع
فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم * قراطيس تملأ ثم تطوى فتطبع
كتاب أنانى فيه لين وغلظة * وذكرت والذكري لذي اللب تنفع

وكانت أمور تفتري كثيرة * فأرضع أو اعتل حيناً فامنع
إذا كنت سوطاً من عذاب عليهم * ولم يك عندي بالمنافع مطعم
أرضى بذلك الناس أو يسخطونه * أم احمد فيهم أم الأم فأقذع
وكان بلاد جنتها حين جنتها * بها كل نيران العداوة تنفع
فقاويت منها ما علمت ولم أزل * أصارع حتى كدت بالموت أصرع
وكم أرفقوا من رجة قد سمعها * ولو كان غيري طار مما يروع
وكنت إذا هموا باحدى نهايتهم * حسرت لهم رأسي ولا أتقنع
فلو لم يند عنى صناديد منهم * تقسم أعضائي ذئاب وأضع

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك . وقال الثوري عن محمد بن المستورد الجمحي
قال : أتى الحجاج بسارق فقال له لقد كنت غنياً أن تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل
عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قل ذات اليد سخت النفس بالمثالب . قال : صدقت
والله لو كان حسن اعتذار يبطل حتماً لكنت له موضعاً . يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، فقطع
يده . وقال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال : تفدى الحجاج يوماً مع الوليد بن
عبد الملك فلما انقضى غداؤهم دعاه الوليد إلى شرب النبيذ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين الحلال ما أحلت ،
ولكنني أنهي عن أهل العراق وأهل عملي ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح (وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنهيكم عنه) . وقال عمر بن شبة عن أشياخه قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج يعتب
عليه في إسرافه في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزائنه ، وسيمان
منع حق أو إعطاء باطل : وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات : -

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها * وتطلب رضائي في الذي أنا طالبه
وتخشي الذي يخشاه مثلك هارباً * إلى الله منه ضيع الدر حالبه
فإن تر مني غفلة قرشية * فياربما قد غص بالماء شاربه
وإن تر مني وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تعد ما يأتيك مني فإن تعد * تقم فاعلمن يوماً عليك نوادبه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الأموال ،

(١) ما يسمى في هذا العصر نبيذاً هو - لمر الحوض ، وهو خير ما كان يسمى سلفتنا نبيذاً . والنبيذ
عندهم هو التمر أو الزبيب يترك عليه الماء ويسمونه بعد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر . وفي
كلتا الحالتين فإنه أشبه بعصير القصب اليوم إن لم يكن دونه .

والدماء ، فوالله ما بالفت في عقوبة أهل المصيبة ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فإن كان ذلك سرفاً
فليجحد لي أمير المؤمنين جحداً أنتهي إليه ولا أنجاوزه ، وكتب في أسفل الكتاب :
إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى * أذاك فيومي لا توارت كواكب
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نواديه
أسلم من سلمت من ذي هراة * ومن لا تسلمه فاني محاربة
إذا أنا لم أدن الشفيق لتصعبه * وأقص الذي تسرى إلى عقاربه
فمن يتقى يومي ويرجو إذا غدى * على ما أرى والدهر جم عجائبه
وعن الشافعي أنه قال قال الوليد بن عبد الملك للغازي بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه :
هل يجحد في نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي لبنان
أو سبيل ذهباً : نفقه في سبيل الله مكان ما أبلاني الله من الطاعة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

(فيما روى عنه من الكلمات النافعة والجرأة البالغة)

قال أبو دواد : ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول :
اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مشنوية ، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مشنوية لأمر المؤمنين عبد الملك ،
والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر خلعت لي دماؤهم وأموالهم ،
والله لو أخرجت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً ، وما عذيري من عبد هذيل يزعم أن قرآنه
من عند الله ، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه ﷺ ، وعذيري من هذه
الجرأ ، يزعم أحدكم يرعى بالحجر فيقول لي إن تقع الحجر حدث أمر ، فوالله لأدعهم كالأمس
الداير . قال : فذكرته للأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه . ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة عن محمد بن
يزيد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول
ذلك ، وفيه والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب خلعت لي دماؤكم ، ولا
أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولا أحكمتها من المصحف ولو بضلع خنزير .
ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل
لأضرب عنقه . وهذا من جرأة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيئ ، والدماء الحرام .
وإنما تقم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الأمام الذي جمع
الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان وهو واقفيته والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر عن عباس الدوري عن مسلم بن إبراهيم : ثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسميت الأرض من دمه . قال وسميته على منبر واسط وتلا هذه الآية (هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) قال : والله إن كان سليمان لحسوداً . وهذه جراءة عظيمة تفضي به إلى الكفر : قبحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه .

[قال أبو نعيم : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة . قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني جئتكم من عند رجل يملئ المصاحف عن ظهر قلب ، ففرغ عمر وغضب وقال : ويحك ، انظر ما تقول . قال : ما جئتكم إلا بالحق ، قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : ما أعلم أحداً أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك . « إنا سهرنا ليلة في بيت عند أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي ﷺ ثم خرجنا ورسول الله ﷺ يمشي بيني وبين أبي بكر ، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ فقام النبي ﷺ يستمع إليه ، فقلت : يا رسول الله أعمت ، ففمزني بيده - يعني أسكت - قال : فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر ، فقال النبي ﷺ : سل نفسك (١) ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، فعلمت أنا وصاحبي أنه عبد الله بن مسعود ، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : سبقك بها أبو بكر ، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه » وهذا الحديث قد روى من طرق ، فرواه حبيب بن حسان عن زيد بن وهب عن عمر مثله ، ورواه شعبة وزهير وخديج عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ، ورواه عاصم عن عبد الله ، ورواه الثوري وزائدة عن الأعمش نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عمر بن ثابت عن أبي إسحاق عن حمير بن مالك قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي مع الصبيان ، فأنا لا أدع ما أخذت من في رسول الله ﷺ » . وقد رواه الثوري وإسرافيل عن أبي إسحاق به . وفي رواية ذكرها الطبراني عنه قال : « لقد تلقيت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت ، وله ذؤابة يلعب مع الغلمان » . وقد روى أبو داود عنه وذكر قصة رعيه الغنم لعقبة بن أبي معيط ، وأنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إنك غلام معلم » ، قال : فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينزعني فيها أحد » . ورواه أبو أيوب الأفرقي وأبو عوانة عن عاصم عن زر عنه نحوه . وقال له النبي ﷺ : « إنك أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادى حتى أمهك » . وقد روى هذا عنه من طرق .

وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن أهاد أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواد والسواك (١) هذا الخبر في الاستيعاب لابن عبد البر ، لكنه اختصر هذا الموضع منه .

والعلمين . وروى غيره عن علقمة قال : قامت الشام فجلست إلى أبي الدرداء فقال لي : من أنت ؟
فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : اليس فيكم صاحب الوساد والسواك ؟ وقال الحارث بن أبي أسامة :
حدثنا عبد العزيز بن ثبان حدثنا قنبر بن خليفة حدثنا أبو وائل قال سمعت حذيفة يقول ، وابن
مسعود قائم : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ ، من أقربهم وسيلة يوم القيامة . وقد روى
هنا عن حذيفة من طرق ، فرواه شعبه عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة ورواه عن أبي
وائل فاضل الأحنب وجانب بن أبي راشد ، وعبيدة ، وأبو سنان الشيباني ، وحكيم بن جبير ، ورواه
عبد الرحمن بن يزيد عن حذيفة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبه عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد
يقول : قلنا لحذيفة أخبرنا برجل قريب أشدني راسمت من رسول الله ﷺ حتى نلزمه ، فقال :
ما أعلم أحداً أقرب هدياً منا من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد ، ولقد علم
المحفوظون من أصحاب النبي ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله وسيلة . قلت : فهذا حذيفة بن اليمان
صاحب سر رسول الله ﷺ ، وهذا قوله في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . فكذب الحجاج وفجر ،
ولطم النار والحجر فيما يقوله فيه ، وفي رميه له بالنفاق ، وفي قوله عن قراءته : إنها شعر من شعر هذيل ،
وإنه لابد أن يحكمها من المصحف ولو بضلع خنزير ، وأنه لو أدركه لضرب عنقه ، فحصل على إثم
ذلك كله بنية الطيبة . وقال عفان : حدثنا حماد حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : كنت
أجتنى لرسول الله ﷺ سواكاً من أراك ، فكانت الريح تكفوه ، وكان في ساقه دقة ، فضحكك
القوم ، فقال النبي ﷺ : « ما يضحككم ؟ » قالوا : من دقة ساقه ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي
بيده لهما أثقل في الميزان من أحسد . ورواه جرير وعلى بن عاصم عن مغيرة عن أم موسى عن
علي بن أبي طالب . وروى عنه بن كميل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
« تمسكوا بعهد عبد الله بن أم مسعود » ورواه الترمذي والطبراني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن أبي إسحاق . قال : سمعت أبا الأحوص
قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين توفي ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه : أتراه ترك بمسده
مسدداً . قال : إن قلت ذلك إنه كان ليؤذن له إذا خرجنا ، ويشهد إذا غبنا . وقال الأعشى : يعني
عبد الله بن مسعود . وقال أبو معاوية : حدثنا الأعشى عن زيد بن وهب . قال : أقبل عبد الله بن
مسعود ذات يوم وعمر جالس فقال : كيف ملي فقها . وقال عمر بن حفص : حدثنا عاصم بن علي
حدثنا المسعودي عن أبي حصين عن أبي عتبة أن أبا موسى الأشعري قال : لا تسألونا عن شيء
مادام هذا الخبر بين أظهرنا من أصحاب محمد ﷺ . - يعني ابن مسعود - وروى جرير عن الأعشى

عن عمرو بن عروة عن أبي البختري قال : قالوا لهي : حدثنا عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : عن أبيهم ؟ قالوا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما . وفي رواية عن علي قال : علم القرآن ثم وقف عنده وكفى به . فهذانا الصعابة العالون به ، العارفون بما كان عليه ، فهم أولى بالاتباع وأصدق أقوالاً من أصحاب الأهواء الخائدين عن الحق ، بل أقوال الحجاج وغيره من أهل الأهواء : هذيانات وكذب واقترأ ، و بمضها كثير وزندقة ، فان الحجاج كل عثمانيا أمويا ، يعيل إليهم ميلا عظيما . ويرى أن خلافهم كفر . ويستحل بذلك السماء ، ولا تأخذ في ذلك لومة لائم . ^(١١)

ومن الطامات أيضا مارواه أبو داود : ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا جرير . وحديثنا
زهير بن حرب ثنا جرير عن المنيرة عن يزيد بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في
خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله على أن لا أصلي
خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوما يجاهدونك لأجاعدنك معهم . زاد إسحاق فقاتل في الجاهل
حتى قتل . فان صح هنا عنه فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن
الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول . وقال الأصبغى : ثنا أبو عاصم النبيل ثنا أبو حفص الثقف
قال : خطب الحجاج يوما فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فقال : إن الحجاج
كافر ، ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر . قبل ذلك مراراً ، ثم قال : كافر يا أهل
العراق باللات والعزى . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة ثنا ابن شاذب
عن مالك بن دينار قال : بينما الحجاج يخطبنا يوما إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ماله في شيء يريد ؟
قال : الحجاج كافر بيوم الأربعاء والبقعة الشهباء . وقال الأصبغى قال عبد الملك يوما للحجاج :
ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه : فصفت عيب نفسك ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فأبى ،
فقال : أنا الجوج حقود حسود ، فقال عبد الملك : مافي الشيطان ترميما ذكرت . وفي رواية أنه قال :
إذا بينك وبين إبليس نسب .

وَبِالْجَلَّةِ فَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ قَدِمَةً عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ يَتَسَلَّفُ لَهُمْ مِنَ الْمَذَنِّبِ ، وَالْخُرُوجِ عَلَى الْأَعْمَةِ ،
وَوَخْدَ لَانِهِمْ لَمْ يَكُنْ عَصِيَانَهُمْ ، وَخَالَفَتِهِمْ ، وَالْإِقْبَاتِ عَلَيْهِمْ . قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَالِحٍ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِحٍ حَدَّثَنِي مَالُوتَةُ بْنُ سَالِحٍ عَنْ شَرِيحِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ حَدِيثِهِ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ
ابْنِ الْخَطَّابِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ حَضَبُوا أَمِيرَهُمْ فَخَرَجَ غَضَبِيَانِ : فَصَلَّى لِمَا صَلَّاهُ فَسَهَا فِيهَا ، حَتَّى
جَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : سَبَّحَانَ اللَّهَ سَبَّحَانَ اللَّهَ ، فَذَا مَا لَمْ أَقْبَلْ عَلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ؟

فقام رجل ثم قام آخر ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرّخ ، اللهم انهم قد لبسوا عليهم فلبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقي ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا ينجأ عن مسيئهم . وقد رويناه في كتاب مسند عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما ائتمنتهم نخائوني ، ونصحت لهم ففشوني فسلط عليهم فتي ثقيف الذئبال الميسال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ . ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أنس بن الحذعان عن علي أنه قال : الشاب الذئبال أمير المصريين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته . وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي : ثنا سعيد بن مسعود : ثنا يزيد بن هارون أن أبا العوام بن حوشب حدثني حبيب بن أبي ثابت . قال قال علي لرجل : لامت حتى تدرك فتي ثقيف ، قال : وما فتي ثقيف ؟ قال : ليقال له يوم القيامة : اكفنا زانية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة ، أو بضماً وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بن أطاعه من عصاه . وقال الطبراني : حدثنا القاسم بن زكريا ثنا إسماعيل بن موسى السدوسي ثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجدلية قالت : استأذن الأشعث بن قيس على علي فردده فنبذ فادعى أنه فخرج على فقال : مالك وله يا أشعث ، أما والله لو بعبد ثقيف تحرشت لأقشعرت شعيرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام يلهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلاً ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ . وقال البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأ الحسن بن الحسن بن أيوب ثنا أبو حاتم الرازي ثنا عبد الله بن يوسف التميمي ثنا ابن يحيى الغناني . قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم لجاءت كل أمة بخبيئتها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم . وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود أنه قال : ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج .

وقد تقدم الحديث « إن في ثقيف كذاباً ومبيرا » وكان المختار هو الكذاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولاً ويبطن الكفر الخضم ، وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبياً يبغيض علياً وشيعته في هوى آل مروان بن أمية ، وكان جباراً عنيداً ، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة . وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا . فإن كان

قد تاب منها وأقلم عنها ، وإلا فهو باقى في عهدتها ، وإن كان قد يخشى أنها رويت عنه بشوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوه ، وربما حرقوا عليه بعض السكك . وزادوا فيما يكونه عنه بشاعات وشناعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطيخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فإله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسائرهما ، وخفيات الصدور وضامرها :

[قلت : الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه منحة باعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطى على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثمانية درهم . والله أعلم .] (١)

وقال المصنف بن زكريا الجري المعروف بابن طرار البغدادي : ثنا محمد بن القاسم الانباري ثنا أبي ثنا أحمد بن عبيد ثنا هشام أبو محمد بن السائب السكابي ثنا عوانة بن الحكم السكابي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له إني يا أنس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنك كما تستأصل الشاة ، ولأدمننك كما تدمنغ الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمير أصلح الله ، قال : إياك أعنى صك الله سمك . قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغيرة ما باليت أي قتلة قتلت . ولا أي مينة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبيد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، وتماظم ذلك من الحجاج ، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فإن الحجاج قال لي هجراً ، واستمنى نكراً ، ولم أكن لذلك أهلاً ، فغذلي على يديه ، فاني أمت بخدمة رسول الله ﷺ وصحبي إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر . وكان مصادقاً للحجاج . فقال له : دونك كتابي هذين فخذهما وأركب البريد إلى العراق ، وأبدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ فأرفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أباحرة فقد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمك ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خدام رسول الله ﷺ ،

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكائتك للحجاج ، وما سلطته عليك ولا أمرته
بالإساءة إليك ، فإن عاد لئلهما أكتب إلى بذلك أنزل به عفو بقى ، وتحسن لك معونتى . والسلام .
فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته قال : جزى الله أمير المؤمنين عنى خيراً ، وعافاه
وكفاه وكافاه بالجنة ، فهذا كان ظنى به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة
إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنى ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك فى جامعة ثم دفع
إليك ، ففار به وداره تمش منه بخير وسلام . فقال أنس : أفعل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من
عند أنس فدخل على الحجاج ، فقال الحجاج : مرحباً برجل أحبه وكنت أحب لقاءه ، فقال إسماعيل :
أنا والله كنت أحب لقاءك فى غير ما أتيتك به ، فتدبر لون الحجاج وخاف وقال : ما أتيتنى به ؟ قال :
فارق أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضباً عليك ، ومنك بهداً ، قال : فاستوى الحجاج جالساً
مرعوباً ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويمرّق ، وينظر إلى إسماعيل
أخرى ، فلما فضيه قال : قم بنا إلى أبى حمزة نعتذر إليه ونترضا ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال :
كيف لا أعجل وقد أتيتنى بأبدة ؟ وكان فى الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد
فإنك عبد طمت بك الأمور ، فسموت فيها وعدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية
إذا ، وأردت أن تدمولى فإن سوغتكم مضيت قسماً ، وإن لم أسوغها رجعت القهقرى ، فلمنك
الله من عبد أخفش العينين ، منقوص الجاعرتين . أنسيت مكاسب آبائك بالطائف ، وحفرهم الآبار ،
وقلبهم الصخور على ظهورهم فى المناهل ، يا ابن المستفزية بمجم الزبيب ، والله لأغمرنك غمر اللايث
الغلب ، ولصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، فلم تقبل له
إحسانه ، ولم تنجأه عن إساءته ، جرأة منك على الرب عز وجل ، واستخفافاً منك بالعهد ، والله
لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلاً خدع عزير بن عزرى ، وعيسى بن مريم ، لعظمته وشرفه وأكرمه
وأحبته ، بل لو رأوا من خدع حمار المزير أو خدع حواري المسيح لعظموه وأكرموه ، فكيف وهذا
أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ تمانى سنين ، يطالع على سره ، ويشاوره فى أمره ، ثم هو مع
هذا بقية من بقايا أصحابه ، فإذا قرأت كتابى هذا فكأن أطوع له من خفه ولعه . وإلا أنك منى سهم
بكل حنف قاض ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . وقد تكلم ابن طرار على ما وقع فى هذا الكتاب
من المريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الزبير - يعنى ابن عدى - قال :
أنس بن مالك | شكوا إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتى عليكم عام أو زمان

أو يوم إلا والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، ثم من نبيكم ﷺ . وهذا رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان وهو الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس من يروى هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام تزدلون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم .

قلت : قد مر بي مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : كل يوم تزدلون . ورأيت للامام أحمد كلاماً قال فيه : وروى في الحديث كل يوم تزدلون نسماً خبيثاً . فيحتمل هذا أنه وقع للامام أحمد مرفوعاً ومثلاً أحمد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد روى عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدل على أنه أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يتناوله الناس قرناً بعد قرن ، وحيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولا سيما من بعد فتنة تمرانك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا ظاهر أن تأمل ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد قال سفيان الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج . وقال أبو نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر . قال قال الشعبي : والله إن بقيتم لتفنون الحجاج . وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنقيسات .

وقال ميمون بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن وقد تم به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأتينهم ؟ قال : ماتوا . قال : فسكن الحجاج رأسه وخرج الحسن . وقال أيوب السخيتي : إن الحجاج أراد قتل الحسن مهاداً فقصمه الله منه ، وقد ذكر له معه مناظرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ، وإنما خرج بهم مكرهاً كما قدمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو نعمة فلا تقابل نعمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع . وقال ابن دريد عن الحسن بن الحضرمي عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقبل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال فعثمان ؟ فأثنى خيراً ، قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فإثنى على كل بما يناسبه ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال :

الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من بعض خطاياهم . | (١)

وقال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال : أتى الحجاج باصرة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ،

فقلت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت . وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن بسطام بن مسلم عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير : خرجت على الحجاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر ، ويقال إنه لم يقتل بعد إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم من خرج مع ابن الأشعث . وقال أبو عيسى الترمذي : ثنا أبو داود سليمان بن مسلم البلخي ثنا النضر بن شميل عن هشام بن حسان قال : أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً قال الأصمعي : ثنا أبو صم عن عباد بن كثير عن قحطم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وتمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج ، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضت السجنون بمد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل ربهض مدينة واسط ، وكان فيمن أطلق فأنشأ يقول :

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وصلينا بغير حساب

وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر ، قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي : ثنا سليمان بن أبي سنح ثنا صالح بن سليمان قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثتها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا آخرة لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العارة ، فأخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدى إلى عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن عثمان بن عثمان ثنا أبي سمعت جدي قال . كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة : بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه ، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقته ، و يأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا سعيد بن أسد ثنا ضمرة عن الريان بن مسلم . قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فاني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شريبت في العمل ، ففرقهم في العمل على قدر هوائهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنما نفاهم . وقال الاوزاعي : سمعت القاسم بن مخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عري الأسلام ، وذكر حكاية . وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبتها الحجاج بن يوسف ، وقال يحيى بن عيسى الرهلي عن الأعمش : اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهداً فقال : تسألون عن الشيخ الكافر .

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالجنة والطاغوت ، كافر بالله العظيم .
 كذا قال والله أعلم . وقال الثوري عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : عجبا لاخواننا من أهل
 العراق يسمون الحجاج مؤمنا ؟ ! وقال الثوري عن ابن عوف : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج
 أكشده من أهل النار ؟ قال أتأمروني أن أشهد على ^(١) الله العظيم . وقال الثوري عن منصور :
 سألت إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبابرة فقال : ليس الله يقول (ألا لعنة الله على الظالمين)
 وبه قال إبراهيم وكفى بالرجل عيا أن يعمى عن أمر الحجاج . وقال سلام بن أبي مطيع لانا بالحجاج
 أرجى مني لمرو بن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمر بن عبيد أحدث للناس
 بدعة شنعاء ، قتل الناس بعضهم بعضاً ، وقال الزبير : سببت الحجاج يوماً عند أبي وائل فقال :
 لا نسب له الله قال يوماً اللهم أرحنى فيرحه ، إليك وبالحالة من يقول أرأيت أرأيت . وقال عوف :
 ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يهديه الله عز وجل فبذنبه ، وإن
 يغفر له فبهدائه ، وإن يأت الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب الذنوب ، من هو خير منه .
 فقيل له ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والابتن ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن
 الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال أبو قاسم البغوي : ثنا أبو سعيد ثنا أبو أسامة قال قال رجل لسفيان الثوري : أكشده على
 الحجاج وعلى أبي مسلم الخراساني أنهما في النار ؟ قال : لا ! إن أقرأ بالتوحيد . وقال الرياشي : حدثنا
 عباس الأذرق عن السري بن يحيى قال : مر الحجاج في يوم الجمعة فسمع استغاثته فقال : ما هذا ؟
 فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فما عاش
 بعد ذلك إلا أقل من جمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار . وقال بعضهم : رأيته وهو يأتى الجمعة وقد
 كاد يهلك من العلة . وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن
 طائفة من أهل الشقاق والنفاق ترغ الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فله ؟ أهمل
 يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرنى أن لا أموت وأن إلى الدنيا وما فيها ، وما رأيته
 الله رضى التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له (إنك من المنظرين) فأنظره إلى يوم
 الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال (هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فأعطاه الله ذلك إلا
 البقاء ، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال (توفي مسلماً وحقيقياً بالصالحين) فما
 عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأنى والله بكل حي منكم ميتاً ، وبكل رطب يابساً ،
 ثم نقل في أنساب أكتفائه ثلاثة أذرع طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، ومصمت صديده ،

(١) كذا بالأصول .

وانصرف الخبيث من ولده يتسم الخبيث من ماله ، إن الذين يقاتلون يقاتلون ما أقول ، ثم نزل .
وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى النساني عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال :
ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين
حضرت الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا
على بن الجعد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة المناجشون عن محمد بن المنكدر . قال :
كان عمر بن عبد العزيز يفيض الحجاج بنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي فإنهم
يزعمون أنك لا تفعل . قال : وحدثني بعض أهل العلم قال قيل للحسن : إن الحجاج قال عند الموت
كذا وكذا ، قال : قالوا ؟ قالوا : نعم ! قال فسا عسى . وقال أبو العباس المزي عن الرياشي عن
الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا * بأننى رجل من ساكنى النار
أجلفون على عيياء ويحهم * ما علمهم بعظيم العفو غفار
قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجون بهما . وزاد بعضهم فى ذلك : -
إن الموالى إذا شابت عبيدهم * فى رقهم عتقهم عتق أبرار
وأنت يا خالق أولى بهذا كرمًا * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى
أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام ، وميتهم الأيتام ، ومرمل النساء ، ومفلق الهام ،
وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول : -

اليوم برحنا من كان يفيضنا * واليوم يأمننا من كان يخشانا

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق
وفاته قال : (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) وروى غير واحد أن الحسن لما
بشّر بموت الحجاج سجد شكراً لله تعالى ، وكان محتفيا فظهر ، وقال اللهم أمته فأذهب عنا سنته .
وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح . وقال أبو بكر بن
أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال زياد بن أربيع بن الحارث لأهل
السجن يموت الحجاج فى مرضه ههنا فى ليلة كذا وكذا ، فلما كانت تلك الليلة لم يمت أهل السجن
فرحاً ، جلسوا يشغلون حتى يسمعوا الناعية ، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان
ذلك لخمس بقين من رمضان ، وقيل فى شوال من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين
سنة ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بمدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، مات بواسط

وعفى قبره ، وأجرى عليه الماء لكيلا يذبلش ويحرق والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أعجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم . وقال الواقدي : ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : ثنا عيسى قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة . وقال شهاب بن خراش : حدثني عيسى بن يزيد بن حوشب قال : بعث إلى أبو جعفر المنصور فقال : حدثني بوصية الحجاج ابن يوسف ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيى ، وعليها يموت ، وعليها يبعث ، وأوصى بتسعمائة درع حديد ، ستائة منها لمنافق أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمائة للترك . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي . وكان قائماً على رأسه . فقال : هذه والله الشيعة لا شيعتكم . وقال الأصمعي عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلتني بكل قتلة قتلت بها إنساناً ، قال : ثم رأيتك بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص بظرائمه أما سألت عن هذا عام أول ؟ وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زى رأيتك ؟ قال : في زى قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذلك يا ماص بظرائمه ! فقال هارون : صدق والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليدع صرامته حياً وميتاً . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة بن أبي شاذب عن أشعث الخزاز . قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قتلة إلا قتلتني بها . قال ثم أمرني إلى النار ، قلت ثم مه ، قال ثم أرجو ما أرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إني لأرجوه ، فبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه . وقال أحمد بن نبي الخواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فقرأ في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلت بكل قتيل قتلته ثم عزلت مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه والله أعلم .

[وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأ ابن المبارك أنبأنا سفيان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وأقرباً معه معاوية بن قرة ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال : إن صدقناكم قتلتمونا ، وإن كذبتناكم خشيتم الله عز وجل ، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك : لا تعرض له ، فتباد إلى السند فكان له بها موافق ^(١) .

﴿ ومن توفي فيها من الأعيان ﴾

إبراهيم بن يزيد النخعي [قال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف ذلك فينا أياماً ، لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنازكم بأحاديث دنياكم . وقال : لا يستقيم رأي الإبروية ، ولا روية الإبرأى . وقال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالكبيرة الأولى فاغسل يديك من فلاحه . وقال : إني لأرى الشيء مما يهاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلى به . وبكى عند موته فقل له ما يبكيك ؟ فقال : انتظر ملك الموت ، ما أدرى يبشرني بجنة أو بنار] (١) .

﴿ الحسن بن محمد بن الحنفية ﴾

كنيته أبو محمد ، كان المقدم على إخوته ، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والفقه ، قال أيوب السخيتاني وغيره : كان أول من تكلم في الأرجاء ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها . وقال غيرهم : كان يتوقف في عثمان وعلى وطلمعة والزبير ، فلا يتولاهم ولا يندمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال : ويحك ألا تتولى أباك علياً ؟ وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين ، وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

﴿ حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ﴾

وأمه أم كاثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً ، له روايات كثيرة .

﴿ مطرف بن عبد الله بن الشخير ﴾

تقدمت ترجمته ، وهؤلاء كلهم لهم تراجم في كتاب التكميل . وفيها كان موت الحجاج بواسط كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد . وفيها كان مقتل سميد بن جبير في قول علي بن المدائني وجماعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين ﴾

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشف من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يهدده ويوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يظاً بلاده ويختم ملوكهم وأشرفهم ، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الإسلام . فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها ، يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع تساعها كالشامة في ملك الصين ، والصين لا يحتاجون إلى أن

يسافر وافي ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، لقهره وكثرة جنده وعدده . والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة [ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة] ^(١) بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة - فقال الملك لترجمانه : قل لهم : ما أنتم وعاتريدون ؟ فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوك إلى الاسلام ، فإن لم تفعل فالجزية ، فإن لم تفعل فال حرب . فغضب الملك وأمر بهم إلى دار ، فلما كان الغد دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلهكم ؟ فصلوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب مهنهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا الوشي والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : هذه أشبه بهيمة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والببيض وتقلدوا السيوف ونكبوا القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين ، فقبل لهم : ارجعوا - وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم - فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلفوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا كهؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له الملك حين دخل عليه : قد رأيتم عظم ملكي ، وليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فان تصدقني وإلا قتلتك ، فقال : سل : فقال الملك : لم صنعتن ما صنعتن من زى أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطبينا عندهم ، وأما ما فعلنا ثلثي يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا . فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم - يعني قتيبة - وقولوا له ينصرف راجعاً عن بلادى ، فأتى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعث إليكم من يهلككم عن آخركم . فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حر يصا من خلف الدنيا قادراً عليها ، وغزالك في بلادك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فانا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضر فأكرمها عندنا القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه .

فقال الملك : فما الذي يرضى صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطاء أرضك ويختم ملوكك ويجي الجزية من بلادك ، فقال أنا أبر يمينه وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صافية لا تقوم ولا يدري قدرها ، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن يبعث صحافاً من ذهب متسمة فيها تراب من أرضه ليطاء قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، وبعث بمال جزيل ليعبر بيمين قتيبة ، وقيل إنه بعث أربعمائة من أولاده وأولاد الملوك ، فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه لما تحتم يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فانه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره . وفيها غزا مسامة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبدًا بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فهم أول من بناها ، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتميزة ، وهي القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك ، فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل ، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاد وتكاملوا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرقوه أنهاراً تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أفناء أبنية الدور بدمشق ، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التمايز المعجبة ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبهم إلى جهته ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف الحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبنى بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة

إليه ، وكان غربي المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقي المعبد قصر جبرون الملك ، الذي كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يملك دمشق قديما منهم ، ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة الملوك ، ويحيط بهذه الدور والمعبد سور واحد عال منيف ، بحجارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخيل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال ابن عساكر فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إن اليونان مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة ، وقد حفر وأساس الجدران حتى واثقهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن هذا المعبد لا يخرب أبداً ولا يخلو منه العبادة ، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة . قلت : أما المعبد فلم يخل من العبادة . قال كعب الأحمار : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة ، وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنده ، فبادت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأرادهم في الغالب إلى زماننا هذا . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدداً طويلة ، تزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة ، وقد ورد إبراهيم الخليل دمشق ونزل شملها عند برزة ، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة ، يثرونه كبراً عن كبر وإلى زماننا والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك عاصمة آهلة بمن فيها من اليونان ، وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، وهم خصماء الخليل ، وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قرنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » والله الحمد وبالله المستعان . والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق ويبنون فيها وفي معايلاتها من أرض حوران والبقاع وبلدات وغيرها ، البنايات الهائلة الغريبة العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذي بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم وهي القسطنطينية ، وهو الذي وضع لهم القوانين ، وقد كان أولاهم وقومه وغالب أهل الأرض يونانا ، ووضعت له بطاركة النصارى ديناً مخترعاً مركباً من أصل دين النصرانية ، ممزوجاً بشئ من عبادة الأوثان ، وصلوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلوا الخنزير ، وعادوا أولادهم الأمانة الكبيرة فيما يزعمون ، وإنما هي في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الحجم

ضعيرة . وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف و بيناه . فبني لهم هذا الملك الذي ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة في دمشق وفي غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتى عشرة ألف كنيسة ، وأوقف عليها أوقافا دارة ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقمامة في القدس ، بنتها أم هيلانة الغنداقية ، وغير ذلك .

والمقصود أنهم - يعنى النصارى - حولوا بناء هذا المعبد الذى هو بدمشق معظما عند اليونان فجعلوه كنيسة يوحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فكان من شأنه ما تقدم بمضيه فى كتاب السيرة من هذا الكتاب ، وقد بعث إلى ملك الروم فى زمانه - وهو قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل يدعو إلى الله عز وجل ، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبى سفيان ما تقدم ، ثم بعث أمراءه الثلاثة ، زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من تخوم الشام ، فبعث الروم إليهم جيشا كبيرا فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة من معهم من الجيش ، فمزم النبي ﷺ على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضعف الحال ، وضيقه على الناس . ثم لما توفى بعث الصديق الجيوش إلى الشام بكاملها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول فى ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها ، وساق بره إليها ، وكتب أمير الحرب أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاب أمان ، أقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التى كانوا يسمونها كنيسة مريخنا ، بحكم أن البلد فنحه خالد من الباب الشرق بالسيف ، وأخذت النصارى الأمان من أبى عبيدة ، وكان على باب الجابية الصلح ، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحا ونصفه غنوة ، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعلوه أبو عبيدة مسجداً يصلى فيه المسلمون ، وكان أول من صلى فى هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بعده فى البقعة الشرقية منه ، التى يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بمحراب محن ، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذى فتح المحاريب فى الجدار القبلى [قلت : هذه المحاريب متجددة ليست من فتح الوليد ، وإنما فتح الوليد محراباً واحداً ، إن كان قد فعل ، ولعله لم يفعل شيئاً منها ، فكان يصلى فيه الخليفة ، وبقية فتح قريباً ، لكل إمام محراب ، شافعى وحنفى ومالكى وحنبلى ، وهؤلاء إنما أحدثوا بعد الوليد بزمان] ^(١) وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحاريب ، وجعلوه من البدع المحدثه ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد ،

وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلة ، مكان الحراب الكبير الذي في المقصورة اليوم ، فينصرف النصراني إلى جهة الغرب إلى كنيسةهم ، ويأخذ المسلمون ينه إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصراني أن يجهر أو بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا يناقوسهم ، اجلالا للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية في أيام ولايته على الشام دار الامارة قبلى المسجد الذي كان للصحابة ، وبنى فيها قبسة خضراء ، وفرفت الدار بكاملها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا . ثم لم يزل الامر على ما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى ، من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وثمانين في ذى القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك في شوال منها ، فمرم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ، وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصراني الانجيل ، ورفع أصواتهم في صلواتهم ، فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصراني وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ، ويعوضهم إقطاعات كثيرة ، وعرضها عليهم ، وأن يبقى بأيديهم أربع كنائس لم تدخل في العهد ، وهي كنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى ، وكنيسة تل الجبن ، وكنيسة حميد بن درة التي بدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الاباء ، فقال : ائتوني بمهودكم التي بأيديكم من زمن الصحابة ، فأبوا بها فقرئت بحضرة الوليد ، فاذا كنيسة توما التي كانت خارج باب توما على حافة النهر لم تدخل في العهد ، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريحنا ، فقال الوليد : أنا أهديها وأجعلها مسجداً ، فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى ونطيب له نفسا بقية هذه الكنيسة ، فأقرهم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . هذا قول ، ويقال إن الوليد لما أهده ذلك وعرض ما عرض على النصراني فأبوا من قبوله . دخل عليه بعض الناس فأرشده إلى أن يقدس من باب شرقى ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت في العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الریحان تقريباً ، فاذا الكنيسة قد دخلت في العنوة ، فأخذوها . وحكى عن المغيرة بن الوليد قال : دخلت على الوليد فوجدته مهموماً فقالت : مالك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم المسجد ، فأحضرت النصراني وبذات لهم الأموال في بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد فيتسع على المسلمين فأبوا ، فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين عندى ما يزيل همك ، قال : وما هو ؟ قلت : الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب شرقى بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك فرزوا إلى أبى عبيدة يطلبون منه الأمان فأمنهم ، وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيدة

بالصلح ، فنهجن نماسجهم إلى أى موضع بلغ السيف أخذناه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها في العنوة ، فتدخل في المسجد . فقال الوليد : فرجت عني ، فتول أنت ذلك بنفسك ، فتولاه المنيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق الزيجان فوجد السيف لم يزل عمالاً حتى تجاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسره فدخلت الكنيسة في المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت في العنوة فليس لنا دونكم ، فقالوا : إنك أولاً دفعت إلينا الأموال وأقطعنا الاقطاعات فأيننا ، فن إحسان أمير المؤمنين أن يصالحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الأربع بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس والله أعلم .

وقيل إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم عند باب الفراديس داخله فسموها صريخنا باسم تلك الكنيسة التي أخذت منهم ، وأخذوا شاهداً فوضعه فوق التي أخذوها بدلها فأنه أعلم . ثم أمر الوليد باحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء ، وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نريد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يحن ، فقال الوليد : أنا أحب أن أجن في الله ، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قبلي ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضلاع المعروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب عندهم ، فأمره الوليد بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك ، فأخذ الوليد بقفاه فلم يزل يدفعه حتى أنزله منها ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذي يسمونه الشاهد ، وهو تمثال في أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع فأسى في رأس الشاهد ، ثم كبر وضربه فهدمه ، وكان على الوليد قباه أصفر لونه سقرجلي قد غرز أذيله في المنطقة ، ثم أخذ فأساً بيده فضرب بها في أعلى حجر فألقاه ، فتبادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح الغساني ، أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ، ففعل ذلك ، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جدد النصارى في ترميم هذا المعبد من المذابح والأبنية والحنايا ، حتى بقي المكان صرحاً مرتفعة ، ثم شرع في بناءه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التي لم يشتهر مثلها قبلها كما سنذكره .

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفعلة ، وكان المستحث على عمارته أخوه وولي عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، ويقال إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صناعات في الرخام وغير ذلك ، ليستعين بهم على عمارته هذا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليفز من بلاده بالجيش ، وليخر بن كل كنيسة في بلاده ، حتى

كنيسة القدس ، وهي قمامة ، وكنيسة الزها ، وسائر آثار الروم ، فبمشت ملك الروم إليه صناعاً كثيرة جداً ، مائى صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذى تصنعه وتركه فانه لوصمة عليك ، وإن لم يكن فهمه وفهمت أفنت لوصمة عليه ، فما وصل ذلك إلى الوليد راد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده لذلك ، فكان فيهم الفرزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو ويحك ؟ فقال قال الله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وسليمان هو ابن داود ، ففهمه الله ما لم يفهمه أبوه . فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا إلى ملك الروم . وقد قال الفرزدق فى ذلك : —

فرقت بين النصارى فى كنائسهم * والعابدين مع الأسحار والغم
وهم جميعاً اذا صلوا وأوجههم * شتى إذا سجدوا لله والصم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه * أهل الصليب مع القراء لم تم
فهمت تحويلها عنهم كما فهمنا * إذ يحكى لهم فى الحرب والغم
داود وملك المهدي إذ جزأ * ولادها واجتزاز الصوف بالجم
فهمك الله تحويلا لبيعتهم * عن مسجد فيه ينلى طيب الكلام
ما من أب حملته الأرض لعلمه * خير بنين ولا خير من الحكم

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد فى سمك الحيطان . وقال الحسن بن يحيى الخشني : إن هودا عليه السلام هو الذى بنى الحائط القبلى من مسجد دمشق . وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التى وسط الرواقت — وهى قبة النسر وهو اسم حادث لها ، وكانهم شبهوها بالنسر فى شكلها ، لأن الرواقت عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها — حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ، ثم إنهم وضعوا فيه زيادة الكرم ، وبنوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت ، فقال الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبني لى أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبنيتها أحد غيرى ، ففعل . فبنى الأركان ثم غلفها بالبوارى ، وغاب عنها سنة كاملة لا يدرى الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهم به الوليد فأخذه وهمه رؤس الناس ، فكشف البوارى عن الأركان فإذا هى قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له : من هذا أتيت ، ثم بناها فانهقدت . وقال بعضهم : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص أعظم بذلك شأن هذا البناء ، فقال له المعمار : إنك لاتقدر على ذلك ، فضر به خمسين سوطلا ، وقال له : وراك ! أنا لا أقدر على ذلك ونزع من أنى أعجز عنه ؟ وخراج الأرض وأموالها تنجى إلى ؟ قال : نعم أنا أبين لك ذلك ، قال : فبين

ذلك ، قال : اضرب ابنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما ضرب منه لبنة فاذا هي قد دخلها ألوف من الذهب ، فقتل : يا أمير المؤمنين إنا نريد مثل هذه اللبنة كذا وكذا ألف لبنة ، فان كان عندك ما يكفي من ذلك عمدناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خمسين ديناراً ، وقال إني لا أنجز عما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك . ثم عقدها على ما أشار به الممار . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جاونات ، وباطنها مسطحة مقروناً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بعدك في طين أسطحهم ، لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير . يشير إلى أن التراب يغلو والقمة تقتل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام . فأمر الوليد أن يجمع مافي بلاده من الرصاص ليجمعه عوض الطين ، ويكون أخف على السقوف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فعازوا فاذا عند امرأة منه قناطر مقلطرة ، فساوموها فيه ، فقالت : لا أبيعها إلا بوزنه فضة ، فكتبوا إلى الوليد فقال : اشتروه منها ولو بوزنه فضة ، فلما بدلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد ، فكتبوا على ألواحها بطابع « الله » ويقال إنها كانت إسرائيلية ، وإنه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الأمرايلية .

وقال محمد بن عائد : سمعت المشايخ يقولون : ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل من التوم أو القملة الفلس ورأس المسمار فيأتي به حتى يضعه في الخزانة . وقال بعض مشايخ الدماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر . وقال بعضهم : اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت المنبر ، من حرب ابن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار . وقال دحيم عن الوليد بن مسلم : ثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم ، وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد ابن مسلم عن عمرو بن مهاجر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أنفقه الوليد على الكرم^(١) التي في قبلي المسجد فاذا هو سبعمون ألف دينار .

وقال أبو قصى : أنفق في مسجد دمشق أربع مائة صندوق من الذهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . قلت : فعلى الأول يكون ذلك (١) هي فسيفساء على هيئة الكرم مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج المربع مبطن بالذهب أو الألوان ، وكان منها بقايا إلى أيام الحريق الأخير سنة ١٣١٠ هـ ويوجد قريب منها في قبة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم .

خمسة آلاف ألف دينار ، وستائة ألف دينار ، وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأموي
 أحد عشر ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار . وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير ، والله أعلم .
 قال أبو قصى : وأنى الحرمى إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين
 بيوت الأموال في غير حقها . فنودى في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فصعد الوليد المنبر
 وقال : إنه بلغنى عنكم أنكم قد أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال : يا عمر بن مهاجر ،
 قم فأحضر أموال بيت المال ، فمذت على البقال إلى الجامع ، ثم بسط لها الانطباع تحت قبة النسر ،
 ثم أفرغ عليها المسال ذهباً صبيهاً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا قام من
 الجانب الواحد لا يرى الرجل من الجانب الآخر ، وهذا شيء كثير ، ثم جرى بالقباكين فوزنت
 الأموال فاذا هي تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفي رواية ست عشرة سنة مستقبلة ، ولم
 يدخل للناس شيء بالكافية ، فقال لهم الوليد : والله ما أنفقت في عمارة هذا المسجد درهما من بيوت
 المال ، وإنما هذا كله من مالى . ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ، ودعوا للخليفة
 وانصرفوا شاكرين داعين . فقال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد
 شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالى ، لم أرأىكم من أموالكم شيئاً . ثم قال الوليد : يا أهل
 دمشق ، إنكم تفخرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائتكم وفاكم تكم وحماتكم ، فأحببت أن
 أزيدكم خامسة وهى هذا الجامع . وقال بعضهم : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح من ذهب بلا زور ،
 في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الإسلام ، ونبيينا محمد ﷺ . أمر ببنيان
 هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذى القعدة سنة ست
 وثمانين ، وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم إلى آخر
 الفاتحة ، ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت ، قالوا : ثم بحيث بعد بحجى المؤمنون إلى
 دمشق . وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها ، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات ، وفوق
 الرخام كرامة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرامة الفصوص المذهبة والخضر والحر والزرى والبيض ، قد
 صوروا بها سائر البلدان المشهورة ، الكعبة فوق الخراب ، وسائر الأقاليم يمنة ويسرة ، وصوروا مافى
 البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة
 فيها جميعها من ذهب وفضة ، وأتوار الشموع في أماكن مفرقة . قال : وكان في محراب الصحابة برنية
 حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجراً من جوهر دهرى الدرة ، وكانت تسمى الفليسة ، وكانت إذا
 طفت القناديل تضى لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد . وكان يحب البلور وقيل

الجوهر... إست إلى سليمان وإلى شرطة دمشق أرسلت بها إليه ، فسرقتها الوالى خوفا من الناس وأرسلها إليه ، فلما ولى المأمون ردها إلى دمشق ليشتع بذلك على الأمين . قال ابن عساکر : ثم ذهبت بعد ذلك ليحمل مكانها برنية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يحمل مكانها شيء ، قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها الستور مرصاة ، وكذلك الستور على سائر جدرانها إلى حد السكوة التي فوقها الفصوص المنهبة ، ورؤس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعملوا له شرفات تحيط به ، وبني الوليد المنارة الشمالية التي يقال لها مأذنة المروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدهور متطاولة ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبود حومة شاهقة جداً ، بفتحها اليونان للرصد ، ثم بعد ذلك سقطت الشماليتان وبقيت القبليتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعمائة ، فنقضت وجدد بنائها من أموال النصاري ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الأشكال ، بيضاء بناتها وهي والله أعلم الشرفة التي ينزل عليها عيسى بن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان .

[قلت : ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجددت ، وكان أعلاها من خشب فبنيت بحجارة كلها في آخر السبعين وسبعمائة ، فصارت كلها مبنية بالحجارة] (١)

والمقصود أن الجامع الأموي لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيها نظره لحسنه وجماله ، ولا يمل ناظره ، بل كلما أدمن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكافة ، لا من الحيات ولا من العقارب ، ولا الخنافس ولا العناكب ، ويقال ولا المصافير أيضاً تعيش فيه ، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به الناس . وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف هذا المعبد ، مما يلي السبع ، فأحرق نسا أحرق ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربعمائة ، في دولة الفاطميين كما سيأتي ذلك في موضعه . وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان بعضها باق إلى يومنا هذا والله أعلم .

فن ذلك العمود الذي في رأسه مثل الكرة في سوق الشمير عند قطرة أم حكيم ، وهذا المكان يعرف اليوم بالعلميين ، ذكر أهل دمشق أنه من وضع اليونان لمسر بول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق باطنه فبال ، وذلك مجرب من عهد اليونان .

[قال ابن تيمية عن هذا الممود : إن تحته مدفون جبار عنيد ، كافر يعذب ، فإذا داروا بالخيران حوله سمع المنادى فرأى وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعت أصوات المعدنين انطلق بولها . والممود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة فقد أخطأ خطأ فاحشاً . وقيل إن تحته كنزاً وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرحمة إلى الدنيا كما قال تعالى (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمؤمنين) والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

وما زال سلمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع الأموي بعد موت أخيه مدة ولايته ، ووجدت له فيه المتصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده مما فيه من الذهب ، ويقدم السلاسل والرخام والفسيفساء ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال ، ويجهل مكان ذلك كله طيناً ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه ، وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكلت لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلغنا عنك كذا وكذا ، قال : نعم ! فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا ابن الكافرة ؟ - وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فقد ولدت رجلاً مؤمناً ، فقال : صدقت ، واستمعوا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لميت المال ، فأطرق عمر . قالوا : وافق في ذلك الزمان قوم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والزخرفة التي لم يسمع بمثله ، صمق كبيرهم وخر مفتعلاً عليه ، فخلعوه إلى منزلهم ، فبقى أياماً مدنفاً ، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مدتهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن الغيظ أهلك الكفار ، دعوه . وسألت النصارى ، في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلساً في شأن ما كان أخذه الوليد منهم ، وكان عمر عادلاً ، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم ، فأدخله في الجامع ، ثم حقق عمر القضية ، ثم نظر فإذا الكنائس التي شى خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتب له من الصحابة ، مثل كنيسة دير مران بسفوح قايسون ، وهي بقرية المعظمية ، وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج باب توما ، وسائر الكنائس التي بقرى الحواجز ، فخيرهم بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو تبقى تلك الكنائس ويطيروا نفسا المسلمين بهذه البقعة ، فانفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمن بها ،

و يطيبوا نفساً بهذه البقعة ، فكتب لهم كتاب أمان بها .

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته ، قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم في قصر من قصور الجنة - يعنى الجامع - وقال أحمد بن أبي الخوارى عن الوليد بن مسلم عن ابن نوبان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجددها . قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين النهدي دمشق يريد زيارة القدس نظر إلى جامع دمشق فقال لسكرانه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا بنو أمية بثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبنبل المولى ، وبعمر ابن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لسكرانه : وهذه رابعة . ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم ، وقاضيه يحيى بن أكرم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكرم : الرخام وهذه العقدة ، فقال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقاسم التمار : أخبرني باسم حسن أسمى به جاريتي هذه ، فقال : سمها مسجد دمشق ، فإنه أسمن شيء . وقال عبيد الرحمن عن ابن عبد الحكم عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هذه - يعنى منارة ذى القرنين بالمكندرية - والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة امرأة بباب الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ . وقيل ينظر من بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الاتفاق عليه ، والخامس الرخام والفسساء ، فإنه لا يدري لما موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والمدايل على ذلك أنه يذوب على النار .

قال ابن عساکر : وذكر إبراهيم بن أبي الليث السكاتب - وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة - في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزفته أرجة ، وشوارحه فرجة ، فثبت ما مشيت شممت طيباً ، وأين سمعت رأيت منظرًا عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعها شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا الرأي أن يعرفه ، وجملة أنه كثير الدهر ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريرة الأوقات ، وقد أثبت الله عز وجل به ذكرًا يدرس ، وخلاب به أمراً لا يخفى ولا يدرس . قال ابن عساکر : وأنشدني بعض المحمدين في جامع دمشق عمره الله بذلك وفي دمشق فقال :

دمشق قد شاع حسن جامعها * وما حوته ربي مرابعها

بديعة الحسن في الكمال لما * يدركه الطرف من بدائعها

طيبة أرضها مباركة * باليمن والسند أخذ طالعها
 جامها جامع المحاسن قد * فاقته به المدن في جوامعها
 بنية بالانقان قد وضعت * لاضيع الله سبي واضعها
 تذكر في فضله ورفعته * آثار صدق راقته لسامعها
 قد كان قبل الحريق مدهشة * فغيرت ناره بلاقمها
 فأذهبت بالحريق بهجته * فليس يرجى إياب راجعها
 إذا تفكرت في الفصوص وما * فيها تيقنت حلق راصعها
 اشجارها لا تزال مشمرة * لا ترهب الريح من مدافعها
 كأنها من زمرد غرست * في أرض تهر تفشى بذافعها
 فيها ثمار تخالها ينعت * وليس يخشى فساد يانعها
 تقطف باللحظ لا بجارحة الـ * أيدي ولا تجتنى لبائعها
 وتحتها من رخامة قطع * لا قطع الله كف قاطعها
 أحكم ترخيمها المرخم قد * بان عليها إحكام صانعها
 وإن تفكرت في قناطره * وسقته بان ستفق رافعها
 وإن تبينت حسن قيمته * تحير اللب في أضالعها
 تخترق الريح في منافذها * عصفا فتقوى على زعازعها
 وأرضه بالرخام قد فرشت * ينفسح العارف في واطعها
 مجالس العلم فيه مؤفة * ينشرح الصدر في مجامعها
 وكل باب عليه مطهرة * قد آمن الناس دفع مانعها
 يرتفق الناس من مراقبها * ولا يصدون عن منافعها
 ولا تزال المياه جارية * فيها لما شق من مشارعها
 وسوقها لا تزال آهلة * يزدحم الناس في شوارعها
 لما يشاؤون من فواكهها * وما يريدون من بضائعها
 كأنها جنة معجالة * في الأرض لولا مسرى فجائعها
 دامت برغم العدى مسلة * وحاطها الله من قوارعها

﴿ فصل ﴾

(فيما روى في جامع دمشق من الآثار وما ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار)
 روى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى (والتين) قال : هو مسجد دمشق (والزيتون) قال : هو
 مسجد بيت المقدس (وطور سينين) حيث كلم الله موسى (وهذا البلد الأمين) وهو مكة ^(١) . رواه
 ابن عساکر . وقال صفوان بن صالح عن عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس
 الكلبي قال قال كعب الأخبار : لبيدين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الدنيا أربعين عاماً . وقال
 الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى
 الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال ففعل فأوحى الله إليه
 أما إذا فعلت فاني سأبني لى في خطتك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تذهب
 الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع .
 وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق
 فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعنى أنه رفع الجدار فعلاه من حديد الرخام والكرمة إلى فوق -
 وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القبلي فقط . ونقل عثمان بن أبي العاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في
 قوله تعالى (والتين) قالوا : هو مسجد دمشق .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرّج المعروف بابن البرامى الدمشقي : ثنا إبراهيم بن مروان
 سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن
 أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فما تقبل منه جاءت نار
 فأكلته ، ولم يقبل منه بقى على حاله . قلت : وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات ، وهي
 موجودة إلى الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابن آدم قربانها فتقبل من
 أحدهما ولم يقبل من الآخر ، فالله أعلم .

وقال هشام بن عمار : ثنا الحسن بن يحيى الحسنى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به « صلى
 في موضع مسجد دمشق » قال ابن عساکر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لامن هذا
 الوجه ولا من غيره . وقال أبو بكر البرامى : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة
 المقرئ حدثني أبي عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال : إني أريد
 أن أصلي الليلة في المسجد ، فلا تتركوا أحداً يصلي الليلة ، فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا

(١) في الأصل « قال دمشق » . وصححه من حديث قتادة في تاريخ ابن عساکر ١ : ١٩٦

الخطير يصلي في المسجد في كل ليلة ، وفي رواية أنه قال لهم : لا تتركوا أحداً يدخله ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فاذا رجل قائم بين الساعات وباب الخطراء الذي يلي المقصورة يصلي ، وهو أقرب إلى باب الخطراء منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم أمركم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصلي في المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخطير يصلي كل ليلة في المسجد . في إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بثبوتها وجود الخطير بالكلية ، ولا صلاته في المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر في الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبيلية عند باب المأذنة الغربية تسمى زاوية الخطير ، وما أدرى ما سبب ذلك ، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التي صلوا فيها ، وأول من صلى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة ، وصلى فيه خاق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل أن يغيره الوليد إلى هذه الصفة ، فلما بعد أن غير إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن مالك ، فانه ورد دمشق سنة ثنتين وتسمين ، وهو يبنى فيه الوليد ، فصلى فيه أنس ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قدمنا ذلك في ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسمين ، وسيصلي فيه عيسى بن مريم إذا نزل في آخر الزمان ، إذا خرج الدجال وعت البورى به ، وانحصر الناس منه بدمشق ، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر ، فيأتي وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أقيمت لك ، فيصلي عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي فانه أعلم .

ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عقبة أفيق ، وقيل بباب لد فيقتله بيده هناك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، والبلد محصور ومحصن من الدجال ، فينزل على المنارة . وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصارى . ثم يكون نزول عيسى حنفاً لهم وهلاكاً ودماراً عليهم ، ينزل بين ملوكهم وأرضاً يديه على مناكبهم ، وعليه مهر وذتان ، وفي رواية مختصتان ^(١) يقطر رأسه ماء كأنما خرج من ديباس ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة

(١) المصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة .

وقد أقيمت الصلاة ، وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق ، وهو هذا الجامع . وما وقع في صحيح مسلم من رواية النواس بن سمعان السكلابي : فينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق ، كأنه والله أعلم صرّح بالمعنى بحسب ما فهمه الراوى ، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، وقد أخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك ، في بعض ألفاظ هذا الحديث ، في بعض المصنفات ، والله المسؤل المأمول أن يوقفني فيوقفني على هذه اللفظة ، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه ، وهي بيضاء بنفسها ، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها ، ولا أنبهى ولا أعلى منها ، والله الحمد والمنة [قلت : نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموى غير مستنكر ، وذلك أن البلاء بالدجال يكون قد عم فينحصر الناس داخل البلد ، ويحصرهم الدجال بها ، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبعا للدجال ، أو مأسورا معه ، فان دمشق في آخر الزمان تكون معقل المسلمين وحصنهم من الدجال ، فاذا كان الأمر كذلك فمن يصلى خارج البلد ، والمسلمون كلهم داخل البلد ، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة فيصلّى مع المسلمين ، ثم يأخذهم ويطلب الدجال ليقته ، وبعض العوام يقول : إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق ، منارة مسجد بلاشو ، خارج باب شرقى . وبعضهم يقول : إنها المنارة التي على نفس باب شرقى . فالله أعلم بمراد رسول الله ﷺ ، وهو سبحانه العالم بكل شئ ، المحيط بكل شئ ، القادر على كل شئ ، القاهر فوق كل شئ ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض] ^(١)

(الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام)

وروى ابن عساكر عن زيد بن واقد قال : وكان الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا فيه مغارة فعرّفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل واقانا وبين يديه الشمع ، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح الصندوق فاذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى ابن زكريا عليهما السلام . مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكريا ، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه ، وقال : اجعلوا العمود الذى فوقه مغيراً من بين الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسطّح الرأس ، وفي رواية عن زيد بن واقد أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة - يعنى قبل أن تبنى - قال : وكان على الرأس شعر و بشر . وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال : حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة ، فوضع تحت عمود الكاسة ، قال الأوزاعي والوليد بن مسلم : هو العمود الرابع المسطّح . وروى أبو بكر بن البراهي عن أحمد بن أنس ابن مالك عن حبيب المؤذن عن أبي زياد وأبي أمية الشعنانيين عن سفيان الثوري أنه قال : صلاة (١) زيادة من المصرية .

في مسجد دمشق ثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً . وروى ابن عساکر من طريق أبي مسهر عن المنابر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية عن رجل قدماء - أن وائلة ابن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جبرون فلقبه كعب الأخبار فقال : أين تريد ؟ قال وائلة : أريد بيت المقدس . فقال : تعال أريك موضعاً في المسجد من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الوالي - يعني الخليفة - إلى الحنية - يعني القنطرة الغربية - فقال : من صلى فيها بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال وائلة : إنه مجلسي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذلك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يعتمد على مثله . وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبشوا به إلى الوليد فبعثه إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأسبان فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط - ويقال ذلك الحائط بناء هود عليه السلام - فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت بسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طول ما ترجو من أملاك ، وإعما تلقى ندمك لو قد زل بك قدمك . وأسلمك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الحبيب وأسلمك الصاحب والقريب ، ثم صرت تدعى فلا نجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عملك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحل بك أجلك . وتنزع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمعه ، ولا ولد ولده ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ النرى ، وبجواردة الموتى ، فاغتنم الحياة قبل الممات ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن^(١) داود عليهما السلام .

وقال ابن عساکر : قرأت على أبي محمد السلمي عن عبد العزيز النخعي أنبأ تمام الرازي ثنا ابن البرامي سمعت أبا مروان عبد الرحمن بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً ، فلم يفتحوه وأغلقوا به الوليد ، فخرج حتى وقف عليه ، وفتح بين يديه ، فإذا داخل مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فرس من حجارة ، في يده التمثال الواحدة الدرة التي كانت في الخراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فإذا فيها حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذا البلاد قمح ولا شعير . وقال الحافظ أبو حمدان الوراق - وكان قد عمر مائة

(١) كذا بالأصول ، ولعل سقط منه لفظ « سليمان بن » .

سنة - : سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقسلاط
 - على السفود الحديد الذي في أعلاه - صنما ماداً يده بكف مطبقة ، فكسروه فاذا في يده حبة قمح ،
 فسألوا عن ذلك فقيل لهم : هذه الحبة قمح جعلها حكاء اليونان في كف هذا الصنم طلسمها ، حتى
 لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة . قال ابن عساكر : وقد رأيت أنا في هذا
 السفود على قناطر كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القناطر التي في السوق الكبير ، عند الصابونيين
 والطارق بن اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الاسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ،
 وخالد من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير . وقال عبد العزيز التميمي
 عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في
 سقف الجامع طلسم عملها الحسكاه في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلسم للصنونات ،
 لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للغار والحيات
 والعقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا الغار ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها ، وطلسم
 للعنكبوت حتى لا ينسج فيه ، وفي رواية فيركبه الغبار والوسخ . قال الحافظ ابن عساكر : وسمعت
 جدي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلقة
 في السقف فوق البطائن مما يلي السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق .
 فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين
 وأربعمائة ، وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبيين
 الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لعسريول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات
 انطلق باطنها . وقد كان شيخنا ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك مفرد مدفون هنالك
 يعذب ، فإذا سمعت الدابة صراخه فزعت فانطلق باطنها وطبعها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى
 مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فتنطلق طبايعها وتروث ، وما ذاك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون
 والله أعلم .

﴿ ذكر الساعات التي على بابه ﴾

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زهر : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك
 بسكار الساعات ، كان يعمل بها كل ساعة تمضي من النهار : عليها عصافير من نحاس ، وحية من
 نحاس وغراب ، فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصمرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في
 الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرها . قلت : هذا يحتمل أحد شيئين
 إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع ، وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد
 قيل إنه أحدث بعد بناء الجامع ، ولا ينبغي ذلك أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زهر ،

و إما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرقى منه في الحائط القبلى باب آخر في محاذ باب الزيادة ،
وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم .
[قلت : باب الوراقين قبلى أيضا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع
والله أعلم ، أو لجارته للجامع ولبابه] ^(١)

قلت : فأما القبة التى فى وسط صحن الجامع التى فيها الماء الجارى ، ويقول العامة لها قبة أبى نواس
فكان بناؤها فى سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة . وأما
القبة الغربية العالية التى فى صحن الجامع التى يقال لها قبة عائشة ، فسميت شيخنا الذهبى يقول : إنها
إنما بنيت فى حدود سنة ستين ومائة فى أيام المهدي بن منصور العباسى ، وجعلوها لحواصل الجامع
وكتب أوقافه ، وأما القبة الشرقية التى على باب مسجد على فيقال : إنها بنيت فى زمن الحاكم العبيدى
فى حدود سنة أربع ومائة . وأما الفوارة التى تحت درج جيرون فعملها الشريف نجر الدولة أبو على
حزرة بن الحسن بن العباس الحسنى ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجعل إليها قطعة من حجر كبير من
قصر حجاج ، وأجرى منها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الاول سنة سبع عشرة وأربعمائة
وعملت حولها قناطر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاكت عندها وازدحت ،
وذلك فى صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فأعيدت ثم سقطت أعينتها وما عليها من حريق اللبادين
والحجارة فى شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر .

قلت : وأما القصعة التى كانت فى الفوارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم رفعت
بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت اللبادين بسبب
حريق النصارى فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ثم استوفى بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما
كانت ، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر ، ثم عمل الشاذروان الذى شرقى فوارة جيرون ، بعد
الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأمامى)

قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا أبو عباس موسى بن عامر المرمى ثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال قال
أبو عمر الأوزاعى عن حسان بن عطية قال : الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومى ، فى
قعدة قدمها على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح فى مسجد دمشق فسمع قراءة فقال :
ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ فى الخضراء ، فقرأ هشام بن إسماعيل ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة
هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا بقراءته . وقال هشام

ابن عمار خطيب دمشق : ثنا أيوب بن حسان ثنا الأوزاعي ثنا خالد بن دهقان قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة الخزومي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشى . قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على المدينة النبوية ، وهو الذى ضرب سبيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزاه عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا السبع جماعات من سادات السلف من الثمانيين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، وكان مكتباً لأولاد عبد الملك بن مروان ، وقد ولى إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان . وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، وغير بن أوس الأشمري ، ويزيد بن أبي الهمداني ، وسالم بن عبد الله المحاربي ، ومحمد ابن عبد الله بن لبيد الأسدي . ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن دولي معاوية ، ومكحول ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن الملاء بن زبر ، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن عراك ، وعبد الرحمن بن عامر اليحصبي - أخو عبد الله بن عامر - ويحيى بن الحارث الدماري ، وعبد الملك بن نعمان المري ، وأنس بن أنس العنبري ، وسليمان ابن بنديغ القاري ، وسليمان بن داود الخشني ، وعمران - أو هران - بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد ابن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعباس بن دينار وغيرهم . هكذا أوردتهم ابن عساكر . قال : وقد روى عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولاوجه لانكاره . ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : ثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن الملاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عروب يشكر الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت ، وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ . قال ابن عساكر : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ^(١) في خلافة عمر بن عبد العزيز .

﴿ فصل ﴾

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، هدمت الكنيسة التي كانت موضعه في ذي القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين ، فكان الفراغ منه في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكلها أخوه سليمان كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد (١) كذا بالأصول ، والصواب : في سنة تسع وتسعين .

دمشق وهذه الكنيسة قال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم أنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة
الداخلية صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما - قال هشام وتلك أكبر من هذه الداخلية - قال فرضوا أن يهدم
كنيسة الداخلية وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو المحراب الذى يصلى
فيه ، قال : وهدم الكنيسة فى أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا فى بنائها سبع سنين حتى
مات الوليد ولم يتم بناءه ، فأتته هشام من بعده ففهم فوائده وفيه غلط ، وهو قوله إنهم مكثوا فى بناءه
سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفى فى هذه السنة - أعنى
سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، والذى أتم ما بقى من
بنائه أخوه سليمان لهشام والله سبحانه وتعالى أعلم .

[قلت : نقل من خط ابن عساكر وقد تقدم ، وقد جددت فيه بعد ذلك أشياء ، منها القباب
الثلاث التى فى صحنه . وقد تقدم ذكرها . وقيل إن القبة الشرقية عمرت فى أيام المستنصر العبيدى فى
سنة خمسين وأربع مائة وكتب عليه اسمه واسم الأئمة عشر الذين تزعم الرافضة أنهم أئمتهم ، وأما
العمودان الموضوعان فى صحنه فجعلوا للتنوير ليلالى الجمع ، وصنعوا فى رمضان سنة إحدى وأربعين
وأربع مائة ، بأمر قاضى البلد أبى محمد ^(١)]

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك بنى جامع دمشق وذكر وفاته فى هذا العام
هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،
أبو العباس الأموى ، يورث له بالخلافة بعد أبيه بعد منه فى شوال سنة ست وثمانين . وكان أكبر
ولده ، والولى من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العبسى . وكان مولده
سنة خمسين ، وكان أبواه يترفانه ، فشب بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أثر
جدرى خفى ، أفتس الأنف سائلاً ، وكان إذا شئ يتوكف فى المشية - أى يتبختر - وكان جميلاً
وقيل دميماً ، قد شاب فى مقدم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك لما قدم عليه سألته
ما سمع فى أشراط الساعة ، كما تقدم فى ترجمة أنس ، وسمع سعيد بن المسيب وحكى عن الزهري وضميره
وقد روى أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية فجمع الوليد جماعة
من أهل النحو عنده فأقاموا سنة ، وقيل سنة أشهر ، فخرج يوم خرج أجمل مما كان ، فقال عبد الملك :
قد أجهد وأعذر ، وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا ألفينك إذا مت تجلس تعصر
عينيك ، وتحن حنين الأمة ، ولكن شمر وا تزد ، ودانى فى حفرتى ، وخلقى وشائى ، وادع الناس إلى
البيعة ، فن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . وقال الليث : وفى سنة ثمان وتسعين ^(٢) غزا الوليد
(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصول . وفيها تحريف ظاهر لأنه مات سنة ٩٦ هـ .

بلاد الرعم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد ماطية وغيرها ، وكان نقش خاتمه أو من بالله مخلصاً . وقيل كان نقشه يوليد إنك ميت ، ويقال إن آخر ماتكلم به سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وقال إبراهيم بن أبي عملة قال لي الوليد بن عبيد الملك يوما : في كم نحتم القرآن ؟ قلت في كذا وكذا ، فقال : أمير المؤمنين على شغله يحنتمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة . قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وأين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة فأقسمها على قراء بيت المقدس .

وروى ابن عساكر بإسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال : خرج الوليد يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المئذنة الشرقية يأكل شيئاً ، فأنه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وثراباً ، فقال له : ما حالك على هذا ؟ قال : القنوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عينك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً حملاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصداً إلى الكسوة ، إذ زرمي البول فعدلت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فخرته فإذا مال صبيب ، فلأت منه غراثى ، ثم انطلقت أقود برواحلي وإذا بمخلصة معي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت : إني سأتى الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك الخلصة من ذلك المال فلم أهد إلى المكان بعد الجهد في الطلب ، فلما أليست رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجدها الطعام ، فأليت على نفسي أني لا آكل إلا خبزاً وثراباً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، ففرض له في بيت المال .

قال ابن جرير : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها حارسه فوضعها في بيت المال ، وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إبلتك فخذها ، وقيل إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يقيته وعياله . وقال نعيم بن عبيد الله الشعماني عن أبيه قال قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يفعل هذا بذكر .

[قلت : فنفي عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة ، والفاحشة المذمومة ، التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات ، وأحل بهم أنواعاً من المثالب ، التي لم يعاقب بها أحداً من الأمم السالفات ، وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء ، والتجار والعوام والكتاب ، والفقهاء والقضاة ونحوهم ، إلا من عصم الله منهم ، فإن في اللواط من المفسد ما يفوت الحصر والتعداد ، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه ، ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره ، فإنه يفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً ، إلا أن يشاء الله ، ويذهب خبر المفعول به . فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه ، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاحين ، الذين اعتمد رسول الله ﷺ .

وقد اختلف الناس : هل يدخل الجنة مفعول به ؟ على قولين ، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحاً ، ورزق إجابة إلى الله وصلاحاً ، وبذل سيئاته بحسنات ، وغسل عنه ذلك بأنواع الطاعات ، وغض بصره وحفظ فرجه ، وأخلص معاملته لربه ، فهذا إن شاء الله مغفور له ، وهو من أهل الجنة ، فإن الله يغفر الذنوب للنائبين إليه (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) . وأما مفعول به صار في كبره شراً منه في صفة ، فهذا توبته متعذرة ، وبعد أن يؤهل لتوبة صحيحة ، أو لعمل صالح يحو به ما قد سلف ، ويخشى عليه من سوء الخاتمة ، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم ، لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا ، وبعضهم ختم له بشر خاتمة ، حتى أوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله . وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل بذكرها .

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخلل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له ، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان . فيقع في سوء الخاتمة . قال الله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) بل قد وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة الواط ، وقد كانوا مثلبسين بذنوب أهون منها . وسوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأعماله ، فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبس الحق الاشبلي ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقداً ، وظاهره عملاً ، ومن له جرأة على الكبر ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

والمقصود أن مفسدة الواط من أعظم المفاسد ، وكانت لا تعرف بين العرب قديماً كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم . فلها قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواد أهل السنن وصححه ابن حبان وغيره . وقد لعن النبي ﷺ من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات ، ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه ، وإنما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في بقاءهما بين الناس ، لغساد طويتهما ، وخبيث بواطنهما ، فمن كان بهذه المثابة فلا خير للخلق في بقاءه ، فإذا أراح الله الخلق منهما صلح لهم أمر معاشهم ودينهم . وأما اللعنة فهي الطرد والبعد ، ومن كان مطروداً مبعداً عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صالح عباده فلا خير فيه ولا في قومه . ومن رزقه الله تعالى توبتها وفراصة ، ونوراً وفرقاناً عرف من سجن الناس وجوههم أعمالهم ، فإن أعمال الرجال بالئة ولائحة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم .

وقد ذكر الله اللاوطينة وجعل ذلك آيات للمتوسمين فقال تعالى : (فأخستهم الصيعة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجين إن في ذلك لآيات للمتوسمين) وما بعدها . وقال تعالى : (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينا لهم فلمعرفتهم بسياهم ولنعرفتهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) ونحو ذلك من الآيات والأحاديث . فاللاوطينة قد عكس الفطرة ، وقلب الأمر ، فأثى ذكراً قلب الله قلبه ، وعكس عليه أمره ، بعد صلاحه وفلاحه ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وخصال التائب قد ذكرها الله في آخر سورة براءة ، فقال : (التائبون العابدون) فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للآخرة ، وإلا فالنفس هامة متحركة ، إن لم تشغلها بالحق والإشغلتك بالباطل ، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات ، وأن يتدارك ما فرط فيها وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير ، ويحفظ لحظاته وخطواته ، ولفظاته وخصراته . قال رجل للجنيد : أوصني ، قال : توبة تحمل الأصرار ، وخوف يزيل العزة ، ورجاء مزعج إلى طرق الخير ، ومراقبة الله في خواطر القلب . فهذه صفات التائب . ثم قال الله تعالى : (الحامدون السائحون الراكعون الساجدون) الآية فهذه خصال التائب كما قال تعالى : (التائبون) فكان قائلاً يقول : من هم ؟ قيل هم العابدون السائحون إلى آخر الآية ، وإلا فكل تائب لم يتبلس بعد توبته بما يقر به إلى من تاب إليه فهو في بعد وإدبار ، لاقى قرب وإقبال ، كما يفعل من اغتر بالله من المعاصي المحظورات ، ويدع الطاعات ، فان ترك الطاعات وفعل المعاصي أشد وأعظم من ارتكاب الحرامات بالشهوة النفسية . فالتائب هو من اتقى المحذورات ، وفعل المأمورات ، وصبر على المقدورات ، والله سبحانه وتعالى هو المعين الموفق ، وهو عليه بذات الصدور ^(١)

قالوا : وكان الوليد لحافاً كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته (يا ليتها كانت القاضية) فظم التاء من ليتها ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وكان يقول : يا أهل المدينة . وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش : إنك لرجل لو لا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : لكن ابني سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن . وقال ابن جرير : حدثني عمر ثناء على - يعني ابن محمد المدائني - قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلأئهم ، بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى الجندوميين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضرب قائداً ، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيمة ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم ، ففتح الهند والسند

والاندلس وأقاليم بلاد المعجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك ، قال : وكان مع هذا يمر بالبقل فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبسح هذه ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فانك تربح . وذكروا أنه كان يمر حملة القرآن ويكرمهم ويقضى عنهم ديونهم ، قالوا : وكانت همه الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك يأتى الرجل الرجل فيقول : ماذا بقيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همه أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همه عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟ .
[والناس يقولون : الناس على دين ملئكمهم ، إن كان خیاراً كثر الخير ، وإن كان لوطياً فكذلك وإن كان شحيحاً حرصاً كان الناس كذلك ، وإن كان جواداً كرماً شجاعاً كان الناس كذلك ، وإن كان طماعاً ظلوماً غشوماً فكذلك ، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كذلك . وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص ، والله أعلم ^(١) .

وقال الواقدي : كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب ، لجوجاً كثير الأكل والجماع مطلقاً ، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الاماء . قلت : يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك بنى الجامع والله أعلم .

قلت : بنى الوليد الجامع على الوجه الذى ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، وبنى صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة ، وبنى مسجد النبي ﷺ ، ووسمه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، قال ابن جرير : هذا قول جميع أهل السير ، وقال عمر بن على الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل بمقابر باب الفراديس ، حكاه ابن عساكر . وكان الذى صلى عليه عمر بن عبد العزيز [لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل صلى عليه ابنه عبد العزيز ^(٢) . وقيل بل صلى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز والله أعلم . وهو الذى أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لننزله غير موسى ولا محمد ، قد خلفت الأسلاب وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقبراً إلى ما قدمت ، غنيا عما آخرت . وجاء من غير وجه عن عمر أنه أخبره أنه لما وضعه - يعنى الوليد - في لحده ارتبكض في أكفانه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه . وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولدا ذكرا ، وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وقام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسروق وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشرو يزيد ويحيى . قام عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عمه عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى . قال المدائني : وقدرناه جرير فقال : -

يا عين جودى بدمع هاجه الذِّكر * فما لدمعك بعد اليوم مدخر

إن الخليفة قد وارت شمائله * غبراء ملحمة في جوفها زور

أضفى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من يديها القمر

كانوا جميعاً فلم يدفع منيته * عبد العزيز ولا روح ولا عمر

ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك (يزيد بن حارثة التميمي) الدمشقي ، كانت داره غربي قصر الثقفين ، روى عن حبيب بن مسلمة الفهري في النهي عن المسألة لمن له ما يفديه ويمشيه ، وفي النقل . ومنهم من زعم أن له صحبة ، والصحيح أنه تابعي . روى عنه عطية بن قيس ومكحول ويونس ابن ميسرة بن حابس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول ، وثقه النسائي وابن حبان ، روى ابن عساكر أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخت الصلاة ، فقال : والله ما بعث الله نبيا بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأخذ فأدخل الخضراء فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

﴿ عبد الله بن عمر بن عثمان ﴾

أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً ممدحاً والله أعلم .

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

بويح له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت لانيص من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طاوعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة ، وقد أشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانعقدت البيعة إلى سليمان ، فخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فعزل سليمان وولى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب ، فأعاده إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاينة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . واسمع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبابكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء ، وقد

كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتاباً يعزبه في أخيه ، ويهنئه بولايته ، وينذره فيه بلاءه وعنايه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه ، وأنه له على مثل ما كان للوليد من الطاعة والنصيحة ، إن لم يعزله عن خراسان ، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب ، ثم كتب كتاباً ثانياً يذكّر ما فعل من القتال والفتوحات وهيبته في صدور الملوك والأعاجم ، وينمّ يزيد بن المهلب أيضاً ، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلفن سليمان عن الخلافة ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالكيفية ، وبعث بها مع البريد وقال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد ابن المهلب فادفع إليه الثالث ، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - واتفق حضور يزيد عند سليمان - دفعه إلى يزيد فقرأه ، فنشأه البريد الكتاب الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فنشأه البريد الكتاب الثالث فقرأه فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه ، فتغير وجهه ، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بانزال البريد في دار الضيافة ، فلما كان من الليل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهباً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرره عليها ، فلما وصلا بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع خليفة ، فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه إلى بريد قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان .

﴿ ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله ﴾

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذكر لهم هتته وفتوحه وعمله فيهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم ، فلما فرغ من مقاتله لم يجبه أحد منهم إلى مقاتله ، فشرع في تأنيبهم وذمهم ، فبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، ففضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرقوا ، وعملوا على مخالفته ، وسموا في قتله ، وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سود ، فجمع جموعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذي الحجة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الفراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زرارة ، فحتمت أحواله ، وعمر بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح وإسار ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم فقتلهم كلهم وكيع بن سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي ، من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان وذوى الجروب والفتوحات السميدة ، والآراء الحميدة ، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصىهم إلا الله ، فأسلموا ودانوا لله عز وجل ،

وفتح من البلاد والأقاليم السكبار والمدن المقام شيئا كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ، والله سبحانه لا يضيع سميه ولا يخيب تيمنه وجهاده .

ولكن زل زلة كان فيها حتمه ، وفعل فملة رغم فيها أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ، ويضاعف به حسناته ، والله يسامحه ويعفو عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذى الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قتل مع مصعب بن الزبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، واستفاد وأفاد فيها خيراً كثيراً ، وقد رثاه عبد الرحمن بن جمانة الباهلي فقال : -

كان أبا حفص قتيبة لم يسر * بجيش إلى جيش ولم يمل منبراً
ولم تخفق الرايات والقوم حوله * وقوف ولم يشهد له الناس عسكرياً
دعته المنايا فاستجاب لربه * وراح إلى الجنات عفا مطهراً
فما رزئ الإسلام بعد محمد * بمنزل أبي حفص فبكيه عبيراً

ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الأخير . وعبر ولد له . وقال الطرماس في هذه الواقعة التي قتل فيها على يد وكيع بن سود :

لولا فوارس مدحج ابنة مدحج * والازد زعزع واستبيح العسكر
وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب * منهم إلى أهل العراق مخبر
واستضلعت عقد الجماعة وازدرى * أمر الخليفة واستحل المنكر
قوم هموا قتلوا قتيبة عنوة * والخييل جاحجة عليها العنبر
بالمرج مرج الصين حيث تبينت * مضر العراق من الأعز الأكر
إذ حالفت جزعا ربيعة كلها * وتفرقت مضر ومن يتمضر
وتقدمت ازد العراق ومدحج * للموت يجمعها أبوها الأكر
فقطان تضرب رأس كل مدحج * تحمى بصائرهن إذ لا تبصر
والازد تعلم أن تحت لوائها * مُلكاً قراسية وموت أحر
فبعزنا نصر النبي محمد * وبنا تثبت في دمشق المنبر

وقد بسط ابن جرير هذه القصيدة بسطاً كثيراً وذكر أشعاراً كثيرة جداً . وقال ابن خلكان

وقال جرير يرثي قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :

ندمت على قتل الأمير ابن مسلم * وأنتم إذا لا قيم الله أنتم

لقد كنتم من غزوه في غنيمة * وأنتم لمن لاقيتم اليوم مقم
على أنه أفضى إلى حورجنة * وتطبق بالبلوى عليكم جهنم
قال : وقد ولى من أولاده وذريته جماعة الأمرة في البلدان ، ففهم عمر بن سعيد بن قتيبة بن
مسلم وكان جواداً ممدحاً ، رثاه حين مات أبو عمرو وأشجع بن عمرو السلي المرى نزيل البصرة يقول :

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا أنه فيه مادح
وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصنائع
وأصبح في لحد من الأرض ضيق * وكانت به حيا تضيق الضعاضع
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض * فحسبك مني ما فجر الجوائح
فما أنا من رزئي وإن جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح
كأن لم يميت حتى سواك ولم تقم * على أحد إلا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المرائي وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح

قال ابن خلدكان : وهي من أحسن المرائي وهي في الحاسة ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مرذولة
عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض المجاميع أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أنتسكافاً
دماؤنا ؟ قال : « نعم ! ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك » . وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تدخل
الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك . وسأل بعض الأعراب رجلاً من
أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يرفى له قال : وأريدك أنى لست من الصميم وإنما أنا من مواليهم .
فجعل يقبل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في
الدنيا إلا ليعوضك الجنة في الآخرة .

ثم قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قره بن شريك العبسي أمير مصر وحاكها . قلت :
هو قره بن شريك أمير مصر من جهة الوليد ، وهو الذي بنى جامع الفيوم . وفيها حج بالناس
أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان هو الأمير على المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن
عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن
عبد الرحمن ، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها
عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء المكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن سود
والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ﴾

وفيها جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمر ابنه داود على الصائفة ،

ففتح حصن المرأة ، قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي [بناه] الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا مسلمة أيضاً برجة ففتح حصونها وبرجة وحصن الحديد وسررا ، وشق بأرض الروم . وفيها غزا عمر بن هبيرة الفزارى في البحر أرض الروم وشق بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، مع حبيب بن أبي عبيد القهري ، وفيها ولي سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتبية بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتبية إلى سليمان فخطى عنده وكتب له بامرة خراسان ، فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن ابن الأتهم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلب في إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن سود ، فسار ابن الأتهم - وكان ذا دهاء ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبعث بعهد مع ابن الأتهم ، فسار في سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف بها ، وبعث يزيد ابنه مخلداً بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتبية بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيده وابعث به إلى ، فتقدم مخلد فأخذ وكيعاً فعاقبه وحبسه قبل أن يجيئ أبوه ، فكانت إمرة وكيع بن أبي سود الذي قتل قتبية تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد بن المهلب فسلم خراسان وأقام بها ، واستناب في البلاد نواباً ذكروهم ابن جرير .

قال : ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصور ، وإناها هي جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له صول ، فنحول عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأمرؤا وغنموا . قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن سود ، وولياها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﴾

أبو محمد القرشي الهاشمي ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليتهم غفر الله له ذنوبه » . وعن عبد الله بن جعفر عن علي في دعاء الكرب ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين ، وعنه ابنه عبد الله وجماعة ، وقد علق عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج ، وأقره وحده على ولاية صدقة علي ، وقد ترجمه ابن عساكر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته ، قيل إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة : إن الحسن بن الحسن كاتب

أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مائة ضربة ، وقفه للناس ، ولا تراني إلا قاتله . فأرسل خلفه فمعه علي بن الحسين ^(١) كلمات الكرب فقلها حين دخل عليه فنجاه الله منهم ، وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم . توفي بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزارى . وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقربة إلى الله عز وجل ، فقال له الرجل : إنك تمزح ، فقال : والله ما هذا منى بمزح ولكنه الجد . وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ؟ . فقال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال : أيها الناس أعلموا أن هذا ولي أمركم من بعدى ، وهو القائم عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه على لسان أول من نزل أمر الله ورسوله ، وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم توبة ، ويلكم غررتمونا من أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباء وأمه ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا إذ لم يعلمونا بذلك قد ظلمونا وكنتموا عنا أفضل الأمور ، والله إنى لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين ، كما أنى لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم أحبونا إن أطلعنا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

﴿ موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي رحمه الله ﴾

ولاهم ، كان مولى لا امرأة منهم ، وقيل كان مولى لبنى أمية . افتتح بلاد المغرب ، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا توصف ، وله بها مقامات مشهورة هائلة ، ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد في سنة تسع عشرة ، وأصله من عين التمر ، وقيل إنه من أراشة من بلى ، سبى أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصراً فصغر ، روى عن نعيم الدارى ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق اليحصبي ، وولى غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرص ، وبني هنالك حصونا كما لما غرصة وحصن بالنس وغير ذلك من الحصون التي بناها بقبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحالك بن قيس ، فلما قتل الضحالك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأى وتدين وحزم وخبرة بالحرب ، قال البيهقي ^(٢) . ولى موسى ابن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً ومدناً وأقاليم ، وقد ذكرنا أنه ^(١) كذا بالأصول وقد تقدمت وفاة علي بن الحسين قبل هذا . ^(٢) في المصرية الفسوى .

افتتح بلاد الاندلس ، وهى بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فسي منها ومن غيرها خلقاً كثيراً ، وغنى أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والدواب فشئ لا يدرى ما هو ، وسبى من الغلمان الحسنان والنساء الحسنات شيئاً كثيراً ، حتى قيل إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على المعجل لكثرتها وعجز الدواب عنها

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح فى بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح فى بلاد المشرق ، فجزاها الله خيراً ، فسكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، واسكن موسى بن نصير حظى بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الاندلس جاءه رجل فقال له : ابعث معى رجالاً حتى أدلك على كنز عظيم ، فبعث معه رجالاً فأتى بهم إلى مكان فقال : احفروا ، فحفروا ، فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لواوين حسنة ، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والنزبرجد ما أبهرتهم ، وأما الذهب فشئ لا يعبر عنه ، ووجدوا فى ذلك الموضع الطنافس ، الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منظومة بالؤلؤ الغالى المتعطر ، والطنفسة منظومة بالجواهر المشتمن ، واليواقيت التى ليس لها نظير فى شكلها وحسنها وصفاتها ، ولقد سمع يومئذ مناد ينادى لا يرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذرکم . وقيل إنهم وجدوا فى هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التى كان يأكل عليها . وقد جمع أخباره وما جرى له فى حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيرى .

ودرى الحافظ ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شئ رأيت فى البحر ، فقال : اتهمنا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة مختومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بواحدة منها فنقبت فإذا قد خرج منها شيطان ينفذ رأسه ويقول : والذى أكرمتك بالنبوة لأعود بعنقها أفسد فى الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لأرى بهاء سليمان وملوكه ، فانساخ فى الأرض فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواقى فرددت إلى مكانهن .

وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التى بقرب البحر المحيط الأخضر ، فى أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرقوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطاتها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقبل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض ، فلم

يبلغوا أعلى سورها ، فأمر فممل سلاط فصعدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلا فصعد على سورها ، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصعود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علما ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجرار المذكورة وجدتها فيها ، ووجد عليها رجلا قائما ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحدا خارجا من هذه المدينة أو دخلا إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياما ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والعهد على من ذكر ذلك أولا .

وقد استسقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقبلوا بإفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بين الناس وميز أهل الذمة عن المسلمين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضعيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمر المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل ، فسقام عز وجل لما قال ذلك . وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثيابا حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاما من أبناء الملوك الذين أسرمهم ، والأسبان ، وقد أنبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأبهة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخاطب الناس على منبر جامع دمشق بيت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أبدته به ووسع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئا كثيرا ، وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشيء كثير ، من ذلك مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها ، وكانت من خليطين ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة . وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضا من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم أربعون ألف رأس قال الناس : إن هذا أحق ، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم ؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو انقاد الناس لى لقدمتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى ، ولما قدم على الوليد قدم معه ثلاثين ألفاً من السبي غير ما ذكرنا ، وذلك خمس ما كان غنمه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف والآلات والجواهر ما لا يحذولاً يوصف ، ولم يزل مقيماً بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتباً على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة . ولم يزل في يده حتى حج بالناس سليمان في هذه السنة وأخذ معه فمات بالمدينة ، وقيل بوادي القرى ، وقد قارب الثمانين ، وقيل توفي في سنة تسع وتسعين فله أعلم ورحمه الله وعفا عنه بمنه وفضله آمين .

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين)

ففي هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراء الجيش الذين هم بها ، فسار إليهما ومعه جيش عظيم ، ثم التف عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدين من طعام ، فلما وصل إليهما جمعوا ذلك فاذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلمة : أتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه في بلادهم ، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلوه ، وابنوا لكم بيوتاً من خشب ، فانا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتتحها إن شاء الله . ثم إن مسلمة داخل رجلاً من النصاري يقال له اليون ، وواطاه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصيح في بادئ الأمر ، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية ، فدخل اليون في رسالة من مسلمة وقد خافته الروم خوفاً شديداً ، فلما دخل إليهم اليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا نخرج فأعمل الحيلة في القدر والمكر ، ولم يزل قبحه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلمة : إنهم ماداموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم في القتال ، فلو أحرقته لتحتقوا منك العزم ، وسلموا إليك البلاد سريعاً ، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر اليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتة الجيش في الليل ، وأصبح وهو في البلد محارباً للمسلمين ، وأظهر العداوة الأكيدة ، وتحصن واجتمعت عليه الروم ، وضاق الخيال على المسلمين حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، ففكروا راجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهداً شديداً ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء محسباً ، رحب الغناء شاهقاً في السماء .

وقال الواقدي : لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببغيت المقدس ، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والساتيق والحصون ،

حتى يدلع المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها ، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع مادونها من البلاد ويفتحها عنوة ، فمضى ما فتحت فان باقى مادونها من البلاد والحصون بيدك ، فقتل سليمان : هذا هو الرأى ، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والاقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومى المرعشى ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابعث إلينا إليون نشاؤره ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك وتملكك علينا ، فرجع إلى مسلمة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تنهض عنهم ، فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فخلف له أنه يدفع إليه مفتاحها وما فيها ، فلما تنهض عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار : وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك ، فعبد عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فمات أيوب في حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ونعم ما فعل . وفيها فتحت مدينة الصقالبة . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلعة من الناس في هذه السنة ، فبعث إليه سليمان جيشاً فقاتل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل . وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالاً شديداً ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبراً ، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة مالا يحصى ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجمعى . وكان فارساً شجاعاً باهراً . على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضر به التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها ، وضر به ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركي ناشب في

خودته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب فقال : ما رأيت منظرًا أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نسّم الرجل لولا انهما كه في الشراب . ثم صمم يزيد على محاصرة جرجان ، وما زال يضيق على صاحبها حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف ثوب ، وأربعمائة حمار موقرة زعفراناً ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس : على الترس طيلسان وجام من فضة وسرفة من حرير ، وهذه المدينة كان سميد بن العاص فيها فتحها صلحاً على أن يحملوا الخراج في كل سنة مائة ألف ، وفي سنة مائتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف ، ويمنعون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جلة وكفروا ، فعزاهم يزيد بن المهلب وردّها صلحاً على ما كانت عليه في زمن سميد بن العاص . قالوا : وأصاب يزيد بن المهلب من غيرها أموالاً كثيرة جداً ، فكان من جملة ما تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا ؟ قالوا : لا نسلمه ، فقال : والله إني لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه ، ثم دعا بمحمد بن واسع - وكان في الجيش مغازياً - فعرض عليه أخذ التاج فقال : لا حاجة لي فيه ، فقال : أقسمت عليك لتأخذنه ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلاً أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فمر بسائل فطلب منه شيئاً فأعطاه [التاج] بكأله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوضه عنه مالا كثيراً

وقال علي بن محمد المدائني قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مائة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ، فقال له يزيد : هي لك ، ثم استدعى الذي وشى به فشتّمه ، فقال في ذلك القطامي الكلابي ، ويقال إنها لسنان بن مكلّم النخعي ، لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بمدك ياشهر أخذت به شيئاً طفيفاً وبمته * من ابن جوينبوذان هذا هو الغدر وقال مرة بن النخعي :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ * لولاك كان كصالح القراء

قال ابن جرير : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وعشرين ألفاً ، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أنابهم الله ، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان وسلمت الطرق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً ، ثم عزّم يزيد على المسير إلى خوزستان ، وقدم بين يديه سرية هي أربعة آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف إنّا لله وإنا إليه راجعون . ثم إن يزيد عزّم على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صالحه صاحبها - وهو الأصمعيدي - بمال كثير ، سبعمائة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المتاع والرقيق . ومن توفي فيها

من الأعيان : **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة** :

كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روایات كثيرة عن جماعت من الصحابة .
أبو الحفص النخعي . عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله سبحانه
وتعالى أعلم . **ثم دخلت سنة تسع وتسعين** :

ففيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر ماضين ، وقيل بقرين من صفر
منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت
خلافته سنتين وعثمانية أشهر ، وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقيت من رمضان
منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون
سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي
الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جذيلة ، ونشأ بالشام عند أبيه ، وروى الحديث عن
أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الافك ، رواه ابن عساكر من طريق ابنه عبد الواحد
ابن سليمان عنه ، وروى عن عبد الرحمن بن هنيدي أنه صحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال فسكت
فقال لي ابن عمر : مالك ؟ فقال : إني كنت أمتي . فقال ابن عمر : فما تمنى يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال
لي : لو أني أحداً ههنا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرمت ذلك . أو قال : ما خشيت أن
يفسر بي . رواه محمد بن يحيى التميمي عن أبي صالح عن الليث عن يزيد بن الرحمن بن خالد بن مسافر عن
الزهرى عنه .

قال ابن عساكر : وكانت داره بدمشق موضع ميساة جبرون الآن في تلك المساحة جميعها ،
وبني داراً كبيرة مما يلي باب الصغير ، موضع الدرب المعروف بدرب محرز ، وجعلها دار الامارة ،
وعمل فيها قبة صفراء تشبهها بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعديل محباً للغزو ، وقد أخذ
الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوه على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي أن عبد الملك جمع بنيه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم
القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استنشدهم الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم يكلموا أو يحكموا شعر الأعشى ،
فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قاله العرب ولا يفحش ، هات
يا وليد ، فقال الوليد :

ما مركب وركوب الخيل يعجبني * كركب بين دماوج وخلخال

فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرق من هذا ، هات يا سليمان ، فقال :

حبيبتنا رجعت يديها إليها * في يدي درعها تحمل الأزارا
فقال : لم تصب ، هات يا مسامة ، فأشده قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربني * بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال : كذب امرؤ القيس ولم يصب ، إذا ذرفت عينها بالوجد فما بقي إلا اللقاء ، وإنما ينبغي
للماشق أن يغتضي^(١) منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فمن
أتاني به فله حكمه ، أي مهما طلب أعطيته ، فمضوا من عنده فبينما سليمان في مركب إذا هو بأعرابي
يسوق إليه وهو يقول :

لوضربوا بالسيف رأسي في مودتها * لئلا يهوى سريعا نحوها رأسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتكم بما سألت ، فقال : هات ،
فأشده البيت فقال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ولا تنس
صاحبك . فقال : يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعدك للوليد ، وإنني أحب أن أكون ولي
العهد من بعده ، فأجابته إلى ذلك ، وبهته على الخبيث في إحدى وثمانين ، وأطلق له مائة ألف درهم ،
فأعطاهما سليمان لذلك الأعرابي أنذى قال ذلك البيت من الشعر ، فلما مات أبوه سنة ست وثمانين
وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كالوزير والمشير ، وكان هو المستحث على عمارة جامع
دمشق ، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان
سليمان بالردة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه
هناك ، وعزم على الإقامة بالقدس ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس ، فلم يروا وفادة هناك ، وكان يجلس
في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، ويجلس أكبر الناس على الكراسي ، وتقيم
فيهم الأموال ، ثم عزم على الحجى إلى دمشق . فدخلها وكل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المقصورة وأخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ، وقال له :
إننا قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فرب به فليكتب ، وكان من
ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرا ، وبذل الأغطية بالعراق ،
ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسمعها
من عمر بن عبد العزيز ، وأمر بغزو القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر
نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، ومث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر ،
عليهم عمر بن هبيرة . وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة ، وبهته ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك
(١) يغتضي الجفاء أي يغتضي عنه . ولعله « يغتضي » بمعنى يخلمع ، في مقابل قوله « ويكسوها »

في جماعة من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قدم عليه من بلاد المغرب ،
والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم النكوفي عن جابر بن عون الأسدي . قال :
أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء
رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، وزينة تقلب ،
تضحك باكية وتبكي ضاحكة ، وتخيف آمن وتؤمن خائفاً ، تغتر مثيراً ، وتترى فقيرها ، ميلة لأعبة
بأهلها . يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً ، وأرضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما
قبله ، وإن ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كبد الشيطان وضمانه كما
يجلو ضوء الصبح إذا تنفس أديار الليل إذا غمس . وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن
أبي مسهر عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على
سائر الكلام كفضل الله على خلقه . وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن
عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنا نحل الدنيا على رحيل ، لم تمض لهم فئة
ولم تطعن بهم حتى يأتي أمر الله وعنده وهم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائتها ولا
تبقى من شر أهلها ثم يأتو (أفأريت إن متعتهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا
يعملون) وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان كان | : آمنت بالله مخلصاً ، وقال أبو مسهر عن أبي
مسلم سلمة بن العيص الفزاري . قال : كان محمد بن سيرين يترجم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول :
افتتح خلافته بخير وختمها بخير ، افتتحها بأجوبة الصلاة لمراقبيها ، وختمها باستخلافة عمر بن عبد العزيز .
وقد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حجج بالناس في سنة سبع وتسعين ، وهو خليفة ، قال الهيثم
ابن عدي قال الشعبي : حجج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس باليوم قال لعمر بن عبد العزيز :
ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عندهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، فقال : يا أمير المؤمنين
هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غدا خصماؤك عند الله ، فبكى سليمان بكاء شديداً ثم قال : بالله أستمعين .
وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جرير عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن
عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأساء لهم الدماء برصد و برق : فقاموا وروح شديدة ، حتى
فزعوا لذلك ، فجعل عمر بن عبد العزيز يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ، أما ترى ما نحن
فيه ، فقال له : يا أمير المؤمنين هذا آثار رحمة فيها شئائد ما ترى . فكيف بأفكار سخط وعظيمة ،
وهو كلامه الحسن رحمه الله قوله : يا أمة من أمة الله لا يقر هذا إلا هذا . ودخل
عليه رجل فكلمه فأعجبته منطقته ثم فتشده فلم يجد عقله . فقال : فضل منطلق الرجل على عقله خدعة ،

وفضل عقله على منطقته الخجلة ، وخير ذلك ما أشبهه بعضه بعضاً وقال : الماقل أحرص على إقامة لسانه منه على طالب معاشه ، وقال أيضاً : إن من تسكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن . ومن شعره يتسلى عن صديق له مات فقال :
وهو ن وجدى فى شراحيل أنى * متى شئت لاقيت امرأة مات صاحبه
ومن شعره أيضاً :

ومن شيمى ألا أطارق صاحبي * وإن ماى إلا سألت له رشدا
وإن دام لى بالود دمت ولم أكن * كآخر لا يرعى ذمماً ولا عهدا
وسمع سليمان ليلة صوت غناء فى مسكره فلم يزل يفحص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : إن الفرس ليصل فتستودق له الرمكة ، وإن الجمل ليهدر فتضيق له الناقة ، وإن التيس لينب فتستخذى له المنزلة وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة ، ثم أمر بهم فقال : اخصوهم ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين إنها مثله ، ولكن انقبهم ، ففهم . وفى رواية أنه خصى أحدهم ، ثم سأل عن أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة : فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن حزم يأمره أن يخصى من عنده من المغنين الحننين .

وقال الشافعى : دخل أعرابي على سليمان فطعمه إلى أكل الفالودج وقال له : إن أكلها يزيد فى الدماغ فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل [رأس] البغل . وذكروا أن سليمان كان نهما فى الأكل ، وقد تناولوا عنه أشياء فى ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح فى بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة بشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع الناس على العادة فى السباط العام^(١) . ودخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيعه أن يحشى ثماره ، فدخله ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمر هو يأكل أكلأ ذريعا من تلك الفواكه ، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على أكل الفاكهة ، ثم أتى بدجاجتين فأكلهما ، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل منها ، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوءاً سويقاً وسمناً وسكراً فأكله ثم عاد إلى دار الخلافة ، وأتى بالسباط فما فقدوا من أكله شيئا^(٢) . وقد روى أنه عرضت له حتى عقب هذا الأكل أدته إلى الموت ، وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أربعمائة بيضة وستين تيناً فأنه أعلم .

وذكر الفضل بن أبى المهلب أنه لبس فى يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء
(١) هذا والله من مبالغات الاعاجم التى كانوا ينقرونها إلى بنى العباس . وسيأتى فى ص ١٨٣
أن سليمان رحمه الله أنه كان نحيفاً جميلاً ، وعى صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه (٢) الذى اخترع هذه الأكاذيب نسى أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها ، وقد قيل إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً

واعتم بهامة خضراء وجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ثم نظر في المرأة فأعجب حسنه ، وشكر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب ، وقيل إنه كان ينظر في المرأة من فرقة إلى قدمه ويقول : أنا الملك الشاب ، وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً ، وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حبيباً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي رواية جمعة ، حتى مات . قالوا : ولما حرم شرع يتوضأ فغداً بجارية فصببت عليه ماء الوضوء ثم أشتدته :

أنت نعم المتع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير أنك فان

قالوا : فصاح بها وقال : عزتني في نفسي ، ثم أمر خاله الوليد بن العباس القمقام العنسي^(١) أن يصيب عليه وقال :

قرب وضوءك يا وليد فانما * دينك هدى بلمنة ومتاع

فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً * فالدهر فيه فرقة وجماع

ويروى أن الجارية لما جاءت بالطست جعلت تضطرب من الحمى . فقال : أين فلانة ؟ فقالت : محبومة ، قال : فلانة ؟ قالت : محبومة ، وكان بمرج دابق من أرض قنسين ، فأمر خاله فوضأ ثم خرج يصلي بالناس فأخذته بحة في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته الحمى فمات في الجمعة المقبلة ، ويقال : إنه أصابه ذات الجنب فمات بها رحمه الله .

وكان قد أقسم أنه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك ، فمات قبل ذلك رحمه الله وأكرم مثواه ، قالوا : وجعل يلهج في مرضه ويقول :

إن بنى صفار * أفلح من كان له كبار

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يقول :

إن بنى صبية صيفيون * قد أفلح من كان له ربيعون

ويروى أن هذا آخر ما تكلم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك من قبل أن تموت . ثم قضى . وروى ابن جرير عن رجاء بن حيوة . وكان وزير صديق أبي أمية . قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم ، فقلت : إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، فقلت : إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدري أحى هو أم ميت ، فقال : من ترى ، فقلت : رأيتك يا أمير المؤمنين ،

قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسليماً يحب الخير وأهله ، ولكن أتخوف عليه إخوانك أن لا يرضوا بذلك ، فقال : هو والله على ذلك وأشار رجالاً ^(١) أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك بنو مروان ، فكسب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، إلى قد وليته الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيقطع فيكم عدوكم . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حمزة الميموني صاحب الشرطة ، فقال له : اجمع أهل بيتي فرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب محتوماً ، فمن أبى منهم ضرب عنقه . فاجتمعوا ودخل رجل منهم فسلموا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه ، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً ، قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحرمتي وهو دقي إلا أعلتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستمع فيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيه على ما أقدر عليه الساعة ، فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً . قال : ولقيه هشام بن عبد الملك فقال : يارجاء إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، فأخبرني هذا الأمر إن كان لي علمت ، وإن كان لا يرى لها مثلي قصرت به عن هذا . فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرته إلى أمير المؤمنين ، قال رجاء : ودخلت على سليمان فاذا هو يموت ، فجعلت إذا أخذته السكرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فاذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يارجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يارجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فمات رحمه الله . قال : ففطيت بقطيفة خضر وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حمزة فجمع الناس في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا من في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايعنا ، فقلت : بايعوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن هشام ^(٢) بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . ونادى هشام لا نبايعه أبداً ، فقلت : أضرب عنقك والله ، قم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تعمله رجلاً حتى أخذوا بضميته فصعدوا على المنبر ، فسكت حيناً ، فقال : رجاء بن حروة : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فبايعوه ، فنهض التوم فبايعوه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايعهم ، ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال عمر : نعم إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت

(١) في النصيرية : وأشار سليمان بن رجاء . واهله : وأشار رجاء (٢) كذا بالأصول ، والذي تقدم في كتاب العهد وما قبله أنه يزيد بن عبد الملك .

تتنازع هذا الأمر . ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وبليدة ، فكان مما قال في خطبته : أيها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني متبع ، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأتوا واليكم ، وإن هم أبوا فلست لكم بوال ، ثم نزل ، فأخذوا في جهاز سليمان ، قال الأوداس : فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب ، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب ، ثم صلى على سليمان ودفن به بالمغرب ، فلما انصرف عمر أتى بمراتب الخلافة [فأتى أن يركبها] وركب دابته وانصرف مع الناس حتى أتوا دمشق ، فقالوا به نحو دار الخلافة فقال : لا أنزل إلا في منزلي ^(١) حتى تفرغ دار أبي أيوب ، فاستحسنوا ذلك منه ، ثم استدعى بالكتاب فجعل يملئ عليه نسخة الكتاب الذي يبيع عليه الأمصار ، قال رجاء : فما رأيت أفصح منه .

قال محمد بن إسحاق : وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قيسرين يوم الجمعة لعشر ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين ، على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد ، وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته ، ومنهم من يقول : لعشر بقين من صفر ، وقالوا : كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم . وقول الحاكم أبي أحمد : إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقين من رمضان سنة تسع وتسعين ، حكاه ابن عساكر ، وهو غريب جداً ، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله ، وعندهم أنه جاوز الأربعين فقليل بثلاث وقيل بخمس والله أعلم . قالوا : وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً ، حسن الوجه ، مقرن الحاجبين ، وكان فصيحاً بليغاً ، يحسن العربية ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله ، واتباع القرآن والسنة ، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله ، وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قرية من بلاد حلب - لما جهز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية ، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت ، فمات هنالك كما ذكرنا ، فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله ، فهو إن شاء الله ممن يجرى له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما مضونه : إن مسامة ابن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على أهل القسطنطينية ، وتجمع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك ، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان ^(٢) يستنصره على مسامة ، ويقول له : ليس لهم

(١) كان منزله في موضع مدرسة السيمساطية الآن مما يلي باب مسجد بني أمية الشمالي . أما قصر الخلافة الذي يسمى (الدار الخضراء) فكان وراء الجدار القبلي من مسجد بني أمية . ويسمى موضعه الآن (المصبغة الخضراء) (٢) الأرجح أنهم أمة البلغار ، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية .

همة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم فالأقرب ، وإنيهم متى فرغوا مني خلصوا إليك ، فهم ما كنت صانعاً حينئذ فاصنع الآن . ففعل ذلك شرع لعنه الله في المكر والحديفة ، فكتب إلى مسلمة يقول له : إن إليون كتب إلى يستعصمني عليك ، وأنا معك فرتي بما شئت . فكتب إليه مسلمة : إني لا أريد منك رجلاً ولا عدداً ، ولكن أرسل إليسا بالميرة فقد قل ما عندنا من الأزداد . فكتب إليه : إني قد أرسلت إليك بسمق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يتسلمها ويشتري منها . فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن ينهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير فوجدوا هناك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا بذلك ، ولا يشرون بما أوصد لهم الخبيث من الكائن بين تلك الجبال إني هناك ، فخرجوا عليهم بغتة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأمسروا آخرين ، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم ، فأناب الله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان بخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل جيشاً كثيراً صحبة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يبرزوا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان ، ثم يهودوا إلى مسلمة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الشجيرات ، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً ، فهزم المسلمون بأذن الله ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسبوا وأمسروا خلقاً كثيراً ، وخلصوا أسرى المسلمين ، ثم تبرزوا إلى مسلمة فكانوا عندهم حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عديهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طوييلة أنابهم الله .

وفي هذه خلافة عمر بن عبد العزيز أشجع بني مروان رضي الله عنه وأكرمه .

فقد تقدم أنه يولي له بالخلافة يوم الجمعة ثمان مائة وخمسين ، وقد قيل يقين من حصر من عامه السنة - أعني سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قدمنا ، وقد ظهرت عليه مخاضيل الورع والدين والتقشف والصيانة والزاهدة ، من أول حركة بادت منه ، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وعن الخيول الحسان الجياد المسددة شاء ، إلا جترأ به ركوبه الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة ، ويقال إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي نفساً توافقه لا تمطى شيئاً إلا نأقت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة نأقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فاعبوني عبيها يرحمكم الله . وستأتي ترجمته عند وفاته إن شاء الله ، وكان مما بادر إليه عمر في حسنة السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم يحاصرون القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضائق عليهم الحال ، لأنهم عسكر كثير ، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم . وبعث إليهم بطعام كثير وخيول كثيرة متناق . يقال خمسمائة فرس ، وفرح الناس بذلك ،

وفيها أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين ، فوجه إليهم عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر وهو محاصرة . وقد كان المؤذنون يدركونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقة الليل يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن مرد لهم بذلك والله أعلم . فروى ابن عساكر في ترجمة جرير بن عثمان الرحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه في الصلاة : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، الصلاة قد قاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وبعث عدي بن أرطاة الفزاري على إمرة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصري ، ثم استعفاه فأعفاه ، واستقضى مكانه إياس بن معاوية الذكي المشهور ، وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشعبي . قال الواقدي : فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحنكي ، وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة ، وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل القضاة إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس ، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله الحزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الحسن بن محمد بن الحنفية

تابعي جليل ، يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفي في سنة خمس وتسعين . وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي في الإعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

عبد الله بن محيريز بن جنادة بن عبيد

القرشي الجهمي المكي ، نزيل بيت المقدس ، تابعي جليل ، روى عن زوج أم أبي مخنف المؤذن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سميد ، ومعاوية ، وغيرهم ، وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزهرى ، وآخرون . وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بما بهم ابن عمر ، فانا نفخر عليهم بما بهنا عبد الله ابن محيريز . وقال بعض ولده : كان يختم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه .

قالوا : وكان صموئيل معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله المحمودة ، ورأى علي بن إمام الأئمة حلة من حرير فأنكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء . وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين . فقال له ابن محيريز : لا تمدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين . وقال الاوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فان الله لا يضل أمة فيها مثله . قال بعضهم : توفي أيام الوليد ، وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام ، والله سبحانه أعلم .

دخل ابن محيريز مرة حائوت بزاز ليشتري منه ثوباً فرفع في السوم ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن محيريز ضع له . فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال : اذهب بنا ، إنما جئت لئشتري بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه . ﴿ محمود بن لبيد بن عقبة ﴾

أبو نعيم الأنصاري الأشيلي ولد في حياة النبي ﷺ ، وروى عنه أحاديث لكن حكمها حكم الارسال . وقال البخاري : له صحبة . وقال ابن عبد البر : هو أحسن من محمود بن الربيع . قيل إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسعين ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين ﴿ نافع بن جبير بن مطعم ﴾

ابن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني ، روى عن أبيه وعنه وعن العباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان ثقة عابداً يجمع ماشياً ومركوباً به يقاد معه ، قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة .

﴿ كريب بن مسلم ﴾

مولى ابن عباس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان عنده حمل كتب ، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة .

﴿ محمد بن جبير بن مطعم ﴾

كان من علماء قریش وأشرفها ، وله روايات كثيرة ، وكان يعقل محبة محمد النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين . توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

﴿ مسلم بن يسار ﴾

أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد ، له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً كثير الصلاة كثير الخشوع ، وقيل إنه وقع في داره حريق فأطفاؤه وهو في الصلاة لم يشعر به . وله مناقب كثيرة رحمه الله . قالت : وإنهدمت مرة ناحية من المسجد ففرع أهل السوق لها ، وإنه أتى المسجد في صلاته فما التفت . وقال ابنه : رأيته ساجداً وهو يقول : متى ألقاك

وأنت عني راض ، ثم يذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته

﴿ حنش بن عمرو السمناني ﴾

كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وبافريقية توفي غارياً وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة .

﴿ خارجة بن زيد ﴾

ابن الضحاك الأنصاري المدني الفقيه ، كان يفتي بالمدينة ، وكان من فقهائها المعدودين ، كان عالماً بالفرائض وتقسيم الموارث ، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم .

﴿ سنة مائة من الهجرة النبوية ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا علي بن حفص أنبأ و رثاء عن منصور عن الزهالي بن عمرو عن نعيم بن دجاجة قال : دخل ابن مسعود على علي فقال : أنت القائل قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة » ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة من هوحى ، وإن رخاء هذه الأمة بعد المائة » . تفرد به أحمد . وفي رواية لابنه عبد الله أن علياً قال له : يافروخ أنت القائل لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف من هوحى اليوم ، وإنما رخاء هذه الأمة وفرحها بعد المائة ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ، أخطأت أستك الحفرة ، وإنما أراد من هو اليوم حى » . تفرد به (١) وهكذا جاء في الصحيحين عن ابن عمر . فوهل الناس في قتال رسول الله ﷺ تلك ، وإنما أراد انحرام قرنه وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالمرأى فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسرهم الحرورية ، فبعث عمر إليه يلومه على جيشه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفروا الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج - وكان يقال له بسطام - يقول له : ما أخرجك علي ؟ فإن كنت خرجت غضباً لله فأنا أحق بذلك منك ، وأنت أولى بذلك مني ، وعلم أنا ظرك ، فإن رأيت حقاً اتبعته ، وإن أبديت حقاً نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسألهما : ماذا تسمون ؟ فقالا : جعلك يزيد بن عبد الملك (٢) من بعدك ، فقال : إني لم أجعله أبداً وإنما جعله غيري . قالا : فكيف ترضى به أمينا للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظراني ثلاثة ، فيقال ان بنى أمية دست إليهم سما فقتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ويمنعهم الأموال والله أعلم .

(١) كذا بالأصول . ولعله سقط منه لفظ « عبد الله بن أحمد » (٢) نسخة : هشام بن عبد الملك

وفيهما غزا عمر بن الوليد بن هشام الميظني ، وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص ، الصائفة
وفيهما ولي عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الجزيرة فسار إليها . وفيها حمل يزيد بن المهلب إلى عمر
ابن عبد العزيز من العراق ، فأرسله عدي بن أرطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر ينفذ
يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما
قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده ، فقال : إنما كتبت ذلك لأرهب
الأعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكانتي عنده . فقال له عمر : لا أسمع
منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين ، وأمر بسجنه . وكان عمر قد بعث على إمرة
خراسان الجراح بن عبد الله الحسكي غرضه ، وقدم ولد يزيد بن المهلب ، فخلد بن يزيد ، فقال :
يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد من على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكون نحن أشقى الناس بك
فعلام تجبس هذا الشيخ وأنا أقوم له أوصالني عنه ؟ فقال عمر : لا أصلحك عنه إلا أن تقوم بجميع
ما يطلب منه ، ولا آخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت
لك بينة عليه بما تقول وإلا فاقبل عينه أو فصلني عنه ، فقال : لا آخذ منه إلا جميع ما عنده .
فخرج مخلص بن يزيد من عند عمر ، فلم يلبث أن مات مخلص . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم
إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلب جبة صوف ويركب على بعير إلى جزيرة دهلك التي كان ينفي
إليها الفساق ، فشنعوا فيه فردوه إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب
من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كاسياني (١) ، وأظنه
كان عالما أن عمر قد سقى سما .

وفيهما رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحسكي عن إمرة خراسان ،
بعد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزيرة من أسلم من الكفار ويقول : أنتم إنما
تسلمون فراراً منها . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزيرة ، فكتب إليه عمر : إن
الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جابياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري
على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم
عن الشر ، ويبين لهم الحق ويوضح لهم ، يعظهم فيما بينه وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، وكان
فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً لله ناصحاً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أهلى بك
من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولأنولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المأروف بالضرورة لهم ،

والتوفير عليهم . وأدنى الامانة فيما استرعى ، و إياك أن يكون ميلك إلى غير الحق ، فان الله لا تخفى عليه خافية ، ولانه من عن الله مذهباً ، فانه لا ملجأ من الله إلا إليه . وكتب مثل ذلك مواعظ كثيرة إلى العمال . وقال البخاري في صحيحه : وكتب عمر إلى عدي بن عدي : إن للامانة فرائض وشرائع وحدوداً وسلباً ، من استكملها استكمل الامانة ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الامانة ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تمأنوا بها ، وإن أمت لها أنا على صحبتكم بحر يصب .

(وفيها كان بدو دعوة بني العباس)

وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وكان مقبلاً بأرض الشراة - بعث من جهته رجلاً يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى وهم محمد بن حنيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق ، وحيان المطهر - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان ، وعليها ومند الجراح ابن عبد الله الحنكي قبل أن يعزل في رمضان ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من اقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم إلى ميسرة الذي بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن علي ففرح بها واستبشر وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله إتمامه ، وأول رأى قد أحكم الله إتمامه ، أن دولة بني أمية قد بان عليها غيايل الوهن والضعف ، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتي بيانه . وقد اختار أبو محمد الصادق محمد بن علي اثني عشر ثقيلاً ، وهم سليمان بن كثير الخزازي ، ولاهر بن قريظ التميمي ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل ، والتمام بن جعاش التميمي ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبي مغيطة - ومالك بن الهيثم الخزازي ، وطاحنة بن دريق الخزازي ، وعمرو ابن أعين أبو حمزة - مولى لخزاعة - ، وشبلي بن طهمان أبو علي الخروزي - مولى لبني حنيفة - وعيسى ابن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون مثلاً وسيرة يتأمنون بها ويسرون بها .

وقد خرج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نزم ، نائب المدينة ، والنواب على الأمصار هم المذكورون في التي قبلها ، سوى من ذكرنا من عزل وتولى غيره والله أعلم . ولم يخرج عمر ابن عبد العزيز في أيام خلافته لشغل بالأموال ، وأما كتب كان يبردها إلى المدينة فيقول له : سلم على رسول الله ﷺ ، وسألتني بإستاده إن شاء الله .

ومن توفى فيها من الأعيان :

(سالم بن أبي الجهم الأشجعي) - مولاهم السكوني . أخو زياد وعبد الله ، وعبيد الله وعمران

ومسلم ، وهو تابعي جليل ، روى عن ثوبان^(١) وجابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان بن بشير وغيرهم . وعنه قتادة والأعمش وآخرون ، وكان ثقة نبيلًا جليلاً .

﴿ أبو أمامة سهل بن حنيف ﴾

الأَنْصَارِيُّ الْأُمَوِيُّ الْمَدَنِيُّ ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ورآه وحديث عن أبيه وعمر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس . وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة ، قال الزهري : كان من عملية الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدرًا . وقال يوسف بن الماجشون عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خرجة خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة حصبه الناس وحالوا بينه وبين الصلاة ، فصلى بالناس يومئذ أبو أمامة سهل بن حنيف . قالوا : توفي سنة مائة والله أعلم

﴿ أبو الزاهرية حدير بن كريب الحمصي ﴾

تابعي جليل ، سمع أبا أمامة صدى بن عجلان ، وعبد الله بن بسر ، ويقال إنه أدرك أبا الدرداء والصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلة ، وقد حدث عنه جماعة من أهل بلده ، وقد وثقه ابن معين وغيره . ومن أغرب ما روى عنه قول قتيبة : ثنا شهاب بن خراش عن حميد عن أبي الزاهرية قال : أغقيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السدنة فأغلقت الباب ، فما انتبهت إلا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعوراً فاذا الملائكة صفوف ، فدخلت معهم في الصف . قال أبو عبيدة وغيره : مات سنة مائة .

﴿ أبو الطفيل عامر بن واثلة ﴾

ابن عبد الله بن عمرو الليثي السكناني ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاة بالاجماع قال : رأيت النبي ﷺ يستلم الركن بمحجنه ، وذكر صفة النبي ﷺ ، وروى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود ، وحدث عنه الزهري وقاتدة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وجماعة من التابعين ، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ، لكن تقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان حامل رايته ، وقد روى أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدهر من ثكالك علياً ؟ فقال : تكمل المعجوز المقلدة والشيخ الرقوب ، فقال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى . وإلى الله أشكو التقصير . قيل إنه أدرك من حياة النبي ﷺ عثمان بن عفان ، ومات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة والله أعلم . قال مسلمة بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ومات سنة مائة .

﴿ أبو عثمان النهدي ﴾

عبد الرحمن بن أبي البصرى ، أدرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة

(١) في خلاصة تذهيب السكال « قال أحمد : لم يلق ثوبان . وقال البخاري : لم يسمع منه »

النبي ﷺ ولم يره ، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي ﷺ ، ومثل هذا يسره أمه
الحديث مخضرمًا ، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب ، فسمع منه ومن علي وابن مسعود
وخلق من الصحابة وصحب سلمان الفارسي ثقي عشرة سنة حتى دفعه ، وروى عنه جماعة من التابعين
وغيرهم ، منهم أيوب ، وحيد الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وقال عاصم الأحول : سمعته
يقول : أدركت في الجاهلية يفتو صفا من رصاص يحمل على جمل أجرد ، فاذا بلغ وأديا برك فيه
فيقولون : قد رضى ربكم لكم هذا الوادي فينزلون فيه ، قال : وسمعت وقد قيل له أدركت النبي
ﷺ ؟ فقال : نعم ! أسلمت على عهده ، وأديت إليه الزكاة ثلاث مرات ، ولم ألقه ، وشهدت البراءة
والقادسية وجولاء ونهاوند . كان أبو عثمان صوامًا قوامًا ، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه ، وكان
يصلى حتى يفشى عليه ، وحج سنين مرة ما بين حجة وعمره ، قال سليمان التيمي : إني لأحسبه
لا يصيب ذنبًا ، لأنه ليله قائمًا ونهاره صائمًا ، وقال بعضهم : سمعت أبا هيثم التيمي يقول : أتت
على ثلاثون ومائة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا ألي فاني أجده كما هو . وقال ثابت البناني
عن أبي عثمان . قال : إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل ، قال فيقول : من أين تعلم ذلك ؟ فيقول
قال الله تعالى (فاذكروني أذكركم) فاذا ذكرت الله ذكرني . قال : وكنا إذا دعونا الله قال : والله
لقد استجاب الله لنا : قال الله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قالوا : وعاش مائة وثلاثين
سنة ، قاله هشيم وغيره . قال المدائني وغيره : توفي سنة مائة ، وقال الفلاس : توفي سنة خمس
وتسعين ، والصحيح سنة مائة والله أعلم .

وفيها توفي عبيد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وكان يفضل على والده في العبادة والاعتكاف
عن الناس ، وله كلمات حسان مع أبيه ووعظه إياه .

(ثم دخلت سنة إحدى ومائة)

فيها كان هرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز ، فواعد غلاماته
يلقونه بالخيل في بعض الأماكن ، وقيل بابل له ، ثم نزل من محبسه ومعه جماعة وأمرأته عائكة بنت
الفرات العامرية ، فلما جاء غلاماته ركب رواحله وسار ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله
ما خرجت من سجنك إلا حين بلغني مرضك ، ولودرجوت حياتك ما خرجت ، ولكنني خشيت من
يزيد بن عبد الملك فانه يتوعدني بالقتل ، وكان يزيد يقول : لئن وليت لأقطعن من يزيد بن المهلب
طائفة ، وذلك أنه لما ولي العراق عاقب أصحابه آل عقيل ، وعم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان
يزيد بن عبد الملك مزوجا ببنت محمد بن يوسف ، وله ابنه الوليد بن يزيد الفاسق المقتول في سبأ
ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن قال : اللهم إن كان يزيد بهذه الأمة

سوءاً فأكفهم شره وادد كيده في نحره ، ثم لم يزل المرض يتزايد بهمر بن عبد العزيز حتى مات وهو بخصاصة ، من دير سمعان بين حماد وحلب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الاربعاء خمس بقين من رجب من سنة السنة - أعني سنة إحدى ومائة - عن سبع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فآله أعلم .

وكانت خلافته فيما ذكر غير واحد سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً وورعاً دينياً ، لا تأخذه في الله لومة لائم رحمه الله تعالى .

وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأموي الأمام المعروف المشهور رحمه الله وأكرم مثواه .

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين ، وأمه أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاطب رضي الله عنهما ، ويقال له أشج بن مروان ، وكان يقال : الأشج والنقص أعدلا بن مروان . فهذا هو الأشج وسيأتي ذكر النقص . كان عمر قاصياً جليلاً ، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف عجباني صغير . وروى عن خالق بن التابعين . وعنه جماعة من التابعين وغيرهم . قال الأمام أحمد بن حنبل : لا أدرى قول أحد من التابعين أحسنه إلا قول عمر بن عبد العزيز . يروي له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك كإقدام ، ويقال : كان مولده في سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي بن أبي طالب ، قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة سبع وخمسين ، فآله أعلم . وكان له جماعة من الأخوة والسكن الذين هم من أبويه أبو بكر وعاصم ومحمد ، وقال أبو بكر بن أبي خزيمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث . قال : بلغني أن عمران بن عبد الرحمن ابن شرحبيل بن حسنة كان يحدث أن رجلاً رأى في المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة ولي الخلافة شك أبو بكر - أن منادياً بين السماء والأرض ينادي : اتاكم اثنين ولدين وإظهار العمل الصالح في المسلمين ، قتلت : ومن هو ؟ فتزل فيكتب في الأرض ع م ر . وقال آدم بن إياس : ثنا أبو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه فضر به فرس فشجه ، فجعل أبو بكر يمسح الدم عنه ويقول : إن كنت أشج بن أمية إنك إذا لسعيد . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة ، وقال لعيم بن حماد : ثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبأنح أمه فأرسلت إليه فتأت : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكت أمه . وكان قد جمع القرآن وهو صغير ، وقال الضمعاك بن عثمان الخزامي : كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يودبه ، فلما حج أبوه اجتاز به في

المدينة فسأله عنه فقال : ما خبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام . وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان : ما شئت ؟ فقال : كانت درجتي تسكن شمري ، فقال له : قد شئت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلّمه بذلك ، فبعث أبو عبد رسولاً فلم يكلمه حتى حنق رأسه . وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسبح منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً ، فلما أتاه عمر عرض عبيد الله عنه وقام يصلي ، فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر غضباً وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضيت عنهم ؟ قال ففهمها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود ، قال : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبي ثنا المفضل بن عبد الله عن داود بن أبي هند . قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب . وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ﷺ . فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا يتعلم القرآن في السنن ، ويؤمن أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني العتيبي قال : إن أول ما استيقن من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبو لهب إخراجاه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبة أو غير ذلك لعل يكون أنفع لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى قهاتيا وأتأدب بأدائهم ، ففعل ذلك أرسله أبو لهب إلى المدينة ، وأرسل معه الخدم ، فقدمهم مشايخ قریش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبو لهب أخذ عمر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الخليفة بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بنت الخليفة والخليفة جدها * أخت الخلائف والخليفة زوجها

قال : ولا تعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العتيبي : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز يقيم عليه شيئاً سوى متابعتة في النعمة ، والاختيال في المشية ، وقد قال الأحنف بن قيس : السكامل من عدت هفواته ولا تعد إلا من قلته . وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والديار هو وإخوته ما لم يرثه غيره فيما أعلم ، كما تقدم ذلك ، ودخل يوماً على عمه عبد الملك وهو يتجاف في مشيته فقال : يا عمر مالك تمشي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحاً ، فقال : دأين هو من جسدك ؟ قال : بين الرائقة والصفى - يعني بين طرف الالية وجلة الخصية - فقال عبيد الملك لروح بن زبياع : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل

هذا الجواب . قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعمين يوماً ، ولما ولى الوليد عاد بهما كان أبوه يعامل به ، وولاد المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج الوليد بالناس سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

و بنى في مدة ولايته هذه مسجداً للنبي ﷺ ووسعه عن أمر الوليد له بذلك ، فدخل فيه قبر النبي ﷺ ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، كان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم أو من حضر منهم ، وهم عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خزيمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرج عن قول سميد بن المسيب ، وقد كان سميد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة ، وقال إبراهيم بن عتبة : قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره ، وقد ندبهم عمر يوماً إلى رأى

وقال ابن وهب : حدثني الليث حدثني قادم البربري أنه ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسى بيده ما أخطأ قط . وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك . قال : ماصليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتي . يعني عمر بن عبد العزيز . حين كان على المدينة . قالوا : وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود ، وفي رواية صحيحة أنه كان يسبح في الركوع والسجود عشراً عشراً ، وقال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النضر المديني ، قال : رأيت سليمان ابن يسار^(١) خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم . قلت : تعلمونه ؟ قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم . وقال مجاهد : أتينا عمر فمنا حتى تعلمنا منه . وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ، وفي رواية قال ميمون : كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء . وقال الليث : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمرو ابن عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأحواله وأفعاله ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة . وقال عبد الله بن طائوس : رأيت أبي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا ، فلما افترقا قلت : يا أبا من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت -

يعنى بنى أمية - وقال عبد الله بن كثير قلت لعمر بن عبد العزيز ما كان بدء إنابلك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي فقال لي : أذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة (١)

وقال الامام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى في سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه : يا مناحم ، نخشى أن نكون من نفت المدينة - يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكبير خبث الحديد - وينصح طبيبها . قلت : خرج من المدينة فنزل مكان قريب منها يقال له السويداء حيناً (٢) ، ثم قدم دمشق على بنى عمه . قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني ، فلما قدمت الشام نسيت . وقال الامام أحمد : حدثنا عثمان بن أحمد بن زيد بن وهب عن الزهري قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثته ، فقال : كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت . وقال ابن وهب عن الليث عن عقيل عن الزهري قال قال عمر بن عبد العزيز : بعث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو نابس ، فأشار إلي أن اجلس ، فجلست فقال : ماتقول فيمن يسب الخلفاء أيقول ؟ فسكت ، ثم عاد فسكت ، ثم عاد فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سب ، فقلت : يشكك به ، فمضب وبانصرف إلى أمه . وقال لي ابن الريان السيف : اذهب ، قال : خرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه . وقال عثمان بن زبر : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على مسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال ، فقال سليمان : ما تقول يا عمر في هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المشغول عن ذلك كله ، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ، وأنب أمية ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدري ، فقال : ما ظنك أنه يقول ؟ قلت : كأنه يقول : من أين جاءت وأين يذهب بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبك ؟ فقال عمر : أعجب من عرف الله فمصاد ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها .

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر بمروة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر : هؤلاء رعيتك

(١) بالأصول « يوماً صبيحتها » يعنى يوم القيامة . وجميعهم من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صفحة ١٤٩ (٢) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، واستقطب فيها من عطائه عين ماء ، وله فيها قصر مبن . ولما تنازل البيت المال عن جميع ما ورثه عن آبائه أبقى (السويداء) و (خير) لأنه أطمأن إلى أنها حلال مخلص ليس فيها شبهة ، وكان هو خليفة يأكل من غلتها وينفق ما يزيد عن الضرورة

اليوم وأنت مسئول عنهم غدا ، وفي رواية وهم خصماؤك يوم القيامة ، فبكى سليمان وقال : يا الله نستعين .
وتقدم أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فزع سليمان وخشع عمر فقال له : أترضك ؟ فقال : نعم هذه
آثار رحمته ونحن في هذه الحال ، فكيف بأثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال ؟ وذكر الامام مالك
أن سليمان وعمر تناولوا مرة فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت ، فقال : تقول كذبت ؟ والله
ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ، ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه
سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه وقال له : ما عرض لي أمرهم مني إلا خطر على بالي . وقد ذكرنا أنه
لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك والله الحمد .

﴿ فصل ﴾

وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله بن أبي سلمة الماجشون ثنا عبد الله
ابن دينار قال قال ابن عمر : يا عجبا ١١ يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلى رجل من آل عمر
يعمل بمثل عمل عمر ، قال : وكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر ، قال : وكان بوجهه أثر ، فلم يكن
هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمه ابنة عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقال البيهقي :
أنبأ الحاكم أنبأ أبو حامد بن علي المقرئ ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عفان ثنا
عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن أسماء عن نافع . قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال :
إن من ولدي رجلا بوجهه شجان يلى فيملا الأرض عدلا . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر
ابن عبد العزيز . ورواه مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن نافع . وقال : كان ابن عمر يقول : ليت
شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟ قال وهيب بن الورد : بينما
أنا نائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني شيبه وهو يقول : يا أيها الناس ! ولى عليكم كتاب الله .
فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفرك فاذا مكتوب عليه عمر ، قال فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز . وقال
بقية عن عيسى بن أبي رزين حدثني الخزازي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في
روضة خضراء فقال له : « إنك ستلى أمر أمتي فزع عن الدم فزع عن الدم » ، فان اسمك في الناس
عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن الحسين بن
محمد بن مودود الحراني ثنا أيوب بن محمد الوزان ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا السري بن يحيى عن رباح بن
عبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن
(١) وزعه بزعه فأنزع ، أى كيف عنه

هذا الشيخ جاف ، فلما سأل ودخل لحقه فقلت : أصليح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي أتى بكته
بك ؟ فقال : يا رياح رأيتك ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً ، ذلك أخي
الحضر الثاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني سأعدل فيها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمير ثنا ضمرة عن علي بن خولة عن أبي عذيس . قال :
كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عليه مقطعات فأخذ بيد خالد ، فقال : هل
علينا من عين ؟ فقال أبو عذيس : فقلت عليكم من الله عين بصيرة ، وأذن سمعة ، قال : فترقت
عيناً الفتي . فأرسل يده من يد خالد وولى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخي
أبى المؤمنين ، ولئن طالت بك حياة ليرينه إمام هدى . قلت : قد كان عميد خالد بن يزيد بن
معاوية شيئاً جيداً من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينظر في النجوم والعلب . وقد ذكرنا في ترجمة
سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يهدى إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الصالح
رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء
فكتب سليمان العهد في صحيفة وختمها ولم يشتر بذلك عمر ولا أحمد من بني مروان سوى سليمان
ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة بالحضار الأشرار ورؤوس الناس من بني مروان وغيرهم ، فبأدبوا
سليمان على ما في الصحيفة المختومة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبأدبوا
ثانية قبل أن يهدوا ، ثم فتحها فقرأها عليهم ، فإذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ،
فأخذوا شجسوه على المنبر وبأدبوه فأنفذت له البيعة .

وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصى الوصية في كتاب يشهد على ما فيه
من غير أن يقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم ، قال
القاضي أبو الفرج المسافى بن زكريا الجريدي : أجاز ذلك وأضاه وأفتى الحكم به جمهور أهل الحجاز .
وروى ذلك عن أبي عبد الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسleme الخرمي ومكحول ، وغيرهم .
أوس وزرعة بن إبراهيم ، والأولاهي وسعيد بن عبد العزيز . ومن وافقهم من فقهاء الشام . وحكى
نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاه جندب ، وهو قول الألبان بن سعد فيمن وافقه
من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاهم . وهو عن قتادة عن سوار
ابن عبد الله وعبد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ المنبري فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ بهنا عدد
كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد أحسن به البخاري في
تحقيقه . قال المسافى : وأبي ذلك جماعة من فقهاء العراق . منهم إبراهيم وجماعة الحسن ، وهو مذهب
الشافعي وأبي ثور ، قال : وهو قول شيخنا أبي جعفر . وكان بعض أصحاب الشافعي بالعراق يذهب

إلى القول الأول ، قال الجري : وإني القول الأول فذهب . وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أكراماً كعب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأنشأ يقول : -

فلولا التقي نعم النبي خشية الردى * إماميت في حب الصبا كل زاجر
ففي ما قضى فيما مضى ثم لا ترى * له صبوة أخرى إلا إلى الغواير

ثم قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فنهوا إلى بغلق ، ثم أمر ببيع تلك المرا كعب الخليفة فيمن يريد ، وكانت من الخيول الجياد المئونة ، فباعها وجعل أثمانها في بيت المال . قالوا : ولما رجع من الجلاء ، وزيد إليه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتم مهموم ، فقال له موله : مالك ما لك يا بني ؟ فقال : ليس هذا بوقت هذا ، ويحك ومالي لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من علم الأمة إلا وهو يطالبني بحجة أن أؤديه إليه ، كتب إلى في ذلك أولم يكتب ، طلبه حتى أراكم يمشي ، قالوا : ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن تطلق بأهلها ، فبكت وبكى جوارها لبكائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه حل كل حال رحبها الله . وقال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغل شاغل * وعدلت عن طرق السلامة
ذهب الفراغ فلا فرا * غ لنا إلى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز سنة الثمانين وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس ولا فتياناً ، يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نبتدى إليه ، ولا يفتننا عننا أحد ، ولا يعرض فينا ليعنيه . فانشع عنه الشعراء والخطباء فمات منهم الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعد أن يفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله . وقال سفيان ابن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاء بن حيوة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : أجعل الشيخ أباي ، بالشاب أخاه ، والصغير ولداً ، وبرأباك وصل أخاك ، وتعطف على ولدك . وقال رجاء : ارض بالدين ، بشي نفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأت به إليهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت . فقال سالم : أجعل الأمر واحداً وصم فيه عن شهوات الدنيا ، وأجعل آخر فطرك فيه الموت . فكانت هذه أقوالهم ، فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال أبو بكر : خطب عمر بن عبد العزيز يوماً الناس فقال : وقد خنته العبرة - أيها الناس ا
توبوا إلى الله فليصنع الله دياركم ، وأصلحوا أسراركم يصلح لكم علايتكم ، والله إن عبداً ليس

بينه وبين آدم أب إلا قد مات ، إنه لمعرق له في الموت . وقال في بعض خطبه : كم من عامر مرفق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مقتبط عما قليل يظن . فأحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس قرير العين فيها يافع ، إذ دعا الله بقدره ثم رماه بسهم حنقه ، فسلبه إثارة دنياه ، وصير إلى قوم آخرين مصالمة ومقتاة ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلا وتحزن طويلا . وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهياجر قال : لما كان استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا تنفع بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ولكفي منفعة ، وإني لست بمتبع ولكني متبع ، إن الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم إلا أن الامام الظالم هو الناسي ، والظالم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل . وفي رواية أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكنني أثقلكم حملا ، ألا طاعة لمخلوق في معصية الله ، ألا مثل أسمعت .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الخولاني ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن سليمان عن شعيب بن صفوان حدثني ابن السعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فأنكم لم تخلقوا عبدا ، ولم تتركوا مدي ، ه إن لكم ما إذا يقول الله فيحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وبجرم جنة شريتها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع قافيا بريق ووافا بفاذا نفاد له ، وقليل بكثير ، وخوفا بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وبينكم وبينهم ما بينكم والباقيين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيرون فاديا راء إلى الله ما ليس قد قضى نحبته حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غدير ويسد بلاءهم قد طلق الأحاب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك فقير لما قدس ، فاقب الله قبل القضاء ، وراقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع طرفه على وجهه فبكى وأبكى من حوله . وفي رواية : وإيم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الغائب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنها سنن من الله عاقله ، أمر فيها بطاعته ، وأمر فيها من معصيته ، وأستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بل لحيته . فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول : « ادن يا عمر ، فدنوت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا وليت فاعمل نحو ما عمل هذين » فإذا كهان قد اكتنفاه ، فقلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر . . . وروينا أنه قال : لسالم بن عبد الله بن عمر : اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها ، فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك .

قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجهد على الخير أعوانا ، وأنت لا تجهد من يمينك على الخير . وقد روى أنه كان نقش خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية أنت بالله ، وفي رواية الوفاء عزيز . وقد جمع يوما رموس الناس فخطبهم فقال : إن فديك كانت بيد رسول الله ﷺ يضمها حيث أراد الله ، ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك ، قال الأصمعي : وما أدرى ، قال في عثمان ، قال : ثم إن مروان أفضنها فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أردته أغلى منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله ﷺ . قال : فيئس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال وسماها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم يجمع فيه شيء ، وقال لهم : لتدعني وإلا ذهبت إلى مكة فتزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به ، وقال : والله لو أقت فيكم خمسين عاما ما أقت فيكم إلا ما أريد من العمل ، وإني لأريد الأمر فما أنفذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

وقال الامام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ، ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد . وقال طرادوس : هو مهدي وليس به ، إنه لم يستكمل العدل كله ، إذا كان المهدي ثبت على المسئء من إساءته ، وزيد المحسن في إحسانه ، سمح بالمال شديد على العمال رحيم بالمساكين . وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران ، فقيل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما فمن عمر الآخر ؟ قال : يوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر بن عبد العزيز ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشجع بني مروان . وقال عباد السماك وكان يجالس سفيان الثوري : سمعت الثوري يقول : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد . وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكر غير واحد في الأئمة الأئمة عشر ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى يكون فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قریش » .

وقد اجتهد وحسده الله في مدة ولايته . مع قصرها . حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، وكان مناديه في كل يوم ينادي : أين الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أشي كل من هؤلاء . وقد اختلف العلماء فيهم أفضيل هو أو سفيان بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته وعبادته وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته وصحبته ، حتى قال بعضهم : نعيم شهادة معاوية من رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز وأباه وأهل بيته . وذكر ابن

عساكر في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جوارى زوجته فاطمة بذت عبد الملك ، فكان سألها إياها إمامياً أو هبة ، فكانت تأتي عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبستها وطيبتها وأهدتها إليه و وهبتها منه ، فلما أخلتها به أعرض عنها ، فتمرضت له فصدف عنها ، فقالت له : ياسيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك إياي ؟ فقال : والله إن محبتك لباقية كما هي ، ولكن لا حاجة لي في النساء ، فقد جاءني أمر شغلني عنك وعن غيرك ، ثم سألها عن أصلها ومن أين جلدوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إن أبي أصاب جنابة ببلاذ المغرب فصادره موسى بن نصير فأخذت في الجنابة ، وبعث بي إلى الوليد فوهبني الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك ، فأهدتني إليك . فقال عمر : إن الله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهلك ، ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاذ واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعماري المجبور ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور . والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير ، والمسال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي عز وجل سيأني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحت نفسي فبكيت . وقال ميمون بن مهران ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض . وكتب إلى بعض عماله : إذا دعيتك قدرتك على الناس إلى مظلمة ، فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تأتي إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للأسلام سنن وأفرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش أيتها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بمرخص . وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بحز وما به . وذكر الصولي أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله فاتها هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يناب إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل . وقال : من علم أن كلامه من عمل قل كلامه إلا فيها يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير . وقال : من لم يعد كلامه من عمل كثرت خطاياها . ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وكله رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردت أن يستغفرني الشيطان بعزة السلطان فأنا لك منك ماتماله مني غشياً ؟ قم عافاك الله لا حاجة لنا في مقاولتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة ، والعفو في المقدرة ، والرفق في الولاية ، ومارفقي عبد

بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة . وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشجبه صبي منهم ،
فاحتواها الصبي الذي شجج ابنه وجاءوا به إلى عمر ، فسمع الجارية تفرج اليهم ، فإذا مريضة تقول : إنه
أبني وإنه يتيم ، فقال لها عمر : هوني عليك ، ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ، قال :
فأكتبوه في الذرية . فقالت زوجته فاطمة : أتفعل هذا به وقد شجج ابنك ؟ فهل الله به وفعل ، المرة
الأخرى يشجج ابنك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يتيم وقد أفزعتموه . وقال مالك بن دينار : يقولون
مالك زاهد ، أي زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فاعرة فاها فتركها جملة .
قالوا : ولم يكن له سوى قميص واحد فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى يلبس ، وقد وقف مرة
على راهب فقال له : ويحك عظمي ، فقال له : عليك بقول الشاعر : -

تجرد من الدنيا فانك إنما * خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

قال : وكان يمجبه ويكرهه وعمل به حق العمل . قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألتها أن تقرضه
درهما أو فائسا يشتري له بها عنباً ، فلم يجد عندها شيئاً ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في
خزانتك ما تشتري به عنباً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنم .
قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسين طين ، قالوا : وبعت يوماً غلامه ليشوى له لحمة
لجاء بها سريعاً مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ قال : في المطبخ ، فقال : في مطبخ المسلمين ؟ قال :
نعم . فقال : كلها فاقى لم أرزقها ، هي رزقت . وسخنوا له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم
خطباً . وقالت زوجته : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة . قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام
الأسود أنه يحدث عن ثوبان بحديث الخوض فبعت إليه فأحضره على البرية وقال له : كالتوضيع
له : يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك ، ولكن أردت أن تشافهني بالحديث مشافهة ، فقال : سمعت
ثوبان يقول قال رسول الله ﷺ : « خوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء مأوذاً أشد بياضاً من اللبن ،
وأحلى من العسل ، وأكوابه عديد نجوم السماء » من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وأولى
الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رؤساء ، اللدس ثياباً ، الذين لا يشكحون المتهمات ،
ولا تفتح لهم السدد » . فقال عمر : لكنني تكلمت المتهمات ، فاطمة بنت عبد الملاك ، فلا جرم لا أغسل
رأسي حتى يشعث ، ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ . قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج
لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً . وكان يقرأ في المصحف
كل يوم أول النهار ، ولا يعطيل القراءة ، وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى ، وأهدى له رجل
من أهل بيته تفاحاً فاشتبه ثم رده مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محالها ، فقال له رجل :
يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، فقال : إن الهدية

كانت لرسول الله ﷺ هدية ، فأما نحن فهي لشارشوة . قالوا : وكان يوسع على عماله في النفقة ، يملأ الرجل منهم في الشهر مائة دينار ، ومائتي دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين ، فقالوا له : لو أنفقت على غيالك كما تنفق على عمالك ؟ فقال : لا أمنعهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك ، وقال يوماً لرجل من ولد علي : إني لأستعصي من الله أن تقف بياني ولا يؤذن لك ، وقال لآخر منهم : إني لأستعصي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدنيا لما أكرمكم الله به . وقال أيضاً : كنا نحن وبنو حمنا بنو هاشم مرة لما ومرة علينا ، نلجأ إليهم ويلجئون إلينا ، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسدت كل نافق ، وأخرست كل منافق ، وأسكنت كل ناطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أبي خطاب ثنا خالد بن خديش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي . وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة . قال : كانت الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد ، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت : إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد فقال : كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نعوذ ، وله شاهد من وجه آخر ، ومن دعائه : اللهم إن رجلاً أطاعوك فيما أمرتهم واتبعوا عما نهيتهم ، اللهم إن توفيتك إياهم كن قبل طاعتهم إياك ، فوفقني . ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر . وقال له رجل : أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك ، فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفاك مع الأبرار . وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت بطيئاً بطيئاً ، منلوئاً بالخطايا ، أتمنى على الله عز وجل . ودخل عليه رجل ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة . وإنما ذلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر ^(٢)

وإذا اللد زان حسن وجوده * كان للدر حسن وجهك زينا

قال : فأعرض عنه عمر . وقال رجاء بن حيوة : سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فمضى السراج فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أتبه هذا الغلام أصاحه ؟ فقال : لا ادعسه فنام ، لا أحب أن أجمع عليه عاملين . فقلت : أفلا أقوم أصاحه ؟ فقال : لا ، ليس من المروءة استعمال الضيف ، ثم قام بنفسه فأصلحه وصحب فيه زينا ثم جاء فقال : قلت : أنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست ، وأنا عمر ابن عبد العزيز ، وقال : أكرهوا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها . وقال : الله ليمنى من كثرة ذكرها فغداة المباهلة . وبالله أن رجلاً من أصحابه توفي . فـ . إلى عهد أبي بكر . فصرخوا في وجهه .

(١) هو بلال بن أبي بردة حفيد بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (٢) هو مالك بن أمية .

بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وإن الذي يرزقكم حتى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا ^(١) لم يسد شيئاً من حفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خبرة إلا امتلأت عبرة ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم با كيا فليبك على نفسه ، فإن الذي صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائي بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلاث ، واستحكم فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم من صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله . وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه : فقوا حتى آتى قبور الأحبة ، فاتاهم فجعل يبكي ويدعو ، إذ هتف به التراب فقال : يا عمر ألا تسأني ما فعلت في الأحبة ؟ قال قلت : وما فعلت بهم ؟ قال : مرقت الأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت الحذقتين ، ونزعت الكفين من الساعدين ، والساعدين من العضدين ، والعضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصلب ، والقدمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر أدلك على أكفان لا تبلى ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح . وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقّت الليلة مفكراً ، قال : وفيهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وسأكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قر به بعد طول الأنس منك بناحيته ، ولرأيت بيننا تجول فيه الهوام ، وتخترق فيه الديدان ، ويجرى فيه الصديد ، مع تغير الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شفق شهقة خرو مقشياً عليه . وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقراً (وقمهم إنهم مسؤولون) فجعل يكرها وما يستطيع أن يتجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ، قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه الأحافى رحمة له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

وقال علي بن زيد : ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز . وقال بعضهم : رأيت يبي حتى بكى دما ، قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ (إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) الآية ، ويقرأ (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون) ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ، ثم يبيكون حتى كأن بينهم جنازة ، وقال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما تزود مما كان يجمعه * سوى حنوط غداة البين في خرق
وغير نفحة أعواد تشب له * وقل ذلك من زاد لمنطلق
بأعما بلد كانت منيته * إن لا يسر طائعا في قصدها يسق

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس وانحازوا إلى الظل فبكى وأنشد :

من كان حين تصيب الشمس جبهته * أو الغبار يخاف الشين والشعنا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته * فسوف يسكن يوما راغبا جدنا
في قعر مظلمة غبراء موحشة * يطيل في قعرها تحت الثرى اللبنا
تجهزي بجهاز تبليغين به * يا نفس قبل الردى لم تخلق عبثا

أ هذه الأبيات ذكرها الآجري في أدب النفوس بزيادة فيها فقال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا أبو حفص عمر بن سعد الترمذي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا حدثني محمد بن صالح القرشي أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولا إلى اليون طاغيسة الروم يدعوهم إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إئذن لي في بعض بني بخرج معي - وكان عبد الأعلى له عشرة من الذكور - فقال له : انظر من يخرج معك من ولدك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إني رأيت ابنك عبد الله يمشي مشية كرهتها منه ووقتته عليها ، وبلغني أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : أما مشيته تلك ففريزة فيه ، وأما الشعر فأنما هو نواحة ينوح بها على نفسه ، فقال له : مر عبد الله يأتيني وخذ معك غيره ، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستندبه فأشده ذلك الشعر المتقدم :

تجهزي بجهاز تبليغين به * يا نفس قبل الردى لم تخلق عبثا
ولا تكدي لمن يبقى وتفتري * إن الردى وارث الباقي وما ورننا
واخشي حوادث الدهر في مهل * واستيقظي لا تنكبي كالذي يحشا
عن مديّة كان فيها قطع مدته * فوافقت الحريث موهورا كما حرننا

لا تأمنى بفتح دهمر متصرف فعمل * قد استوى عنده من طلب أو خبثا
 يارب ذى أمل فيه على وجل * أضهى به آملنا أمسى وقد جدنا
 من كان حين تصوب الشمس جهته * أو الغبار يخاف الشين والشمنا
 ويألف الظل كي تبقى بشاشته * فكيف يسكن يوما راحنا جدنا
 قمرنا موحشة غبراء مظلمة * يطيل تحت الثرى من قمرها الابهنا
 وقد ذكرها ابن أبي الدنيا فذكر أنشد لها عنه : والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكان عمر يشتمل بها كثيرا : يكي (١)

وقال الفضل بن عباس الخطابي : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :
 ولا تخير في عيش أسرى لم يكن له * من الله في دار القرار نصيب
 زاد غيره : مع بيتا حسنا وهو قوله :

فان لم يصيب الدنيا أناسا فانها * متاع قليل والزوال قريب
 ومن شعره الذي أنشده ابن الجوزي :

أنا ميت وعمر من لا يموت * قد تيقنت أنني سأموت
 ليس ملك يزيله الموت ملكا * إنما الملك ملك من لا يموت
 وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول (٢) :

تسر بما يقضى وتفرح بالماضي * كما اشكر بالذات في النوم حلم
 لم يترك يافقوه سهم وغفلة * عليك نوم والردى لك لازم
 وسميت فيما سوف تذكر غبة * كذلك في الدنيا تعيش البهائم
 وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يوم نفسه :

يقظان أنت اليوم ثم أنت نائم * وكيف يطيق النوم حيران هائم
 فلو كنت يقظان الغداة لحرقمت * حاجر حديدك الدوع الدواجم
 بل أصبحت في النوم الغافل بل وقد كنت * إليك أمور مفطمت عظام
 وتكدر لي سوف تذكر غبة * كذلك في الدنيا تعيش البهائم
 فلا أنت في الله نوما بسلام * ولا أنت في الاقفاظ يقظان حالم

وعلى ابن أبي الدنيا : سمع من فاطمة بنت عبد الملك قالت : أتته عمر ذات ليلة وهو يقول :
 لا بأس لي بالليل ولا نعيمه فقلت : أخبرني بها فقلت : حتى أصبح فلما صلى بالمسلمين دخل

(١) سقط من نسخة الاستاذ (٢) هي من نظم عبد الله بن عبد الأعلى .

فسأله فقال : رأيت كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنه
الفضة تخرج منه خارج فننادي أين محمد بن عبد الله ، أين رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ ، حتى
دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فننادي : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادي
أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادي أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم
خرج آخر فننادي أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادي أين عبد العزيز بن
قعثم فدخلت فجاست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب ، وهو عن يسار رسول الله ﷺ ، وأبو بكر
عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، فقالت : لابي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ،
ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نور لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز نسلك بما أنت عليه ،
وأثبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أخذني في المروءة فخرجت ، طائف طائفًا فلما كان بين عثمان وعمر
خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي أصر لي ربي ، وإذا لي في القصر يقول : الحمد لله
الذي غفر لي ربي .

فصل

وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال : إن
الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها . فقال جماعة من أهل العلم منهم
أحمد بن حنبل فيها ذكره ابن الجوزي وغيره : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى .
وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحقه لأما عمر بن عبد العزيز ، وقيل له ما جاء به في تنزيه الحاشي ،
فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيرًا ما تشبه به ، وقد جمع الشيخ أبو الفرج
ابن الجوزي سيرة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردنا سيرة عمر بن الخطاب في
مجلد على حدة ، وبسنده في مجلد ضمهم ، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها ما سطرنا
هنا ، يستعمل به على ما لم نذكره .

وقد كان عمر رحمه الله يعطى من التمتع إلى المسح الجوع من بلاد وغيره ، اللغة وأكثر ما علم
وتلاوة القرآن ، في كل عام من بيت المال مائة دينار . وكان يكتب إلى عماله أن يأخذوا بالسنة ،
ويقول : إن لم تأخذهم السنة فلا تأخذهم الله ، وكتب إلى سائر البلاد أن لا يركب ذي من اليهود
والنصارى وغيرهم على سرج ، ولا يلبس قبله ولا يلبس ثوبه ولا يلبس ريش . ولا يشين أحد منهم إلا
برئار من جلده ، وهو مقر من الناصية ، ومن وجدته في منزله سراج أضاء به ، وكتب أيضًا أن
لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن . فإن لم يكن عندهم غير فقير غيرهم إلى أن لا يكمل عمله
خير . وكان يكتب إلى عماله : اجنبوا الأشغال عند حشره والصلوة . فإن من أضافها فهو لما سواها

من شرائع الاسلام أشد تضييماً . وقد كان يكتب الموعدة إلى العامل من عماله فينخلع منها ، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة وطوى البلاد من شدة ما تنفع موعدته منه ، وذلك أن الموعدة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعد . وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظ حسنة ولو تضييها ذلك لطال هذا الفصل . ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك . وكتب إلى بعض عماله : أذكر ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيامة ، فيلها من ليلة وياله من صباح ، وكان يوماً على الكافر بن عسيرا . وكتب إلى آخر : أذكر كرك طول سهر أهل النار في النار مع خالد الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانهطاع الرجاء منك ، قالوا : نخلع هذا العامل نفسه من العمالة وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

﴿ فصل ﴾

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا ، حتى أنه رد فص خاتم كان في يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حق ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعم في اللبس والمأكل والمشاع ، حتى أنه ترك التمتع بزوجه الحسناء ، فاطمة بن عبد الملك ، يقال كانت من أحسن النساء ، ويقال إنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعين ديناراً في كل سنة ، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنه عبد الملك أجملهم ، مات في حياته في زمن خلافته ، حتى يقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضى الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة يزقي بالتميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان يمد ذلك يلبس التميميص الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينه . وكان يلبس الفرواة الغليظة ، وكان سراجده على ثلاث قصبات في رأسه طين ، ولم يبدل شيئاً في أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه ، وكان يأكل الغليظ ولا يبالى بشيء من النعم ، ولا يتبعه نفسه ولا يوده . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر ملك الدنيا بعنا فبرها وزهد فيها ، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ أيس من جرب كمن لم يجرب . وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز . وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً ، وذكروا أنه أمر جارية تروحه حتى ينام فروحته ، فنامت هي ، فأخذ المروحة من يدها وجعل

يروحها ويقول : أصابك من السحر ما أصابني ، وقال له رجل : جزاك الله عن الاسلام خيراً ، فقتل :
بل جرى الله الاسلام عن خيراً ، ويقال إنه كان يلبس تحت ثيابه سمها غليظاً من شجرة ، ويضع
في رقبته غسلاً إذا قام يصلي من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان ويختم عليه فلا يشرب به أحد ،
وكانوا يظنون أنه مالا أو جوهراً من حرصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المكان فإذا فيه غل ومصح .

وكان يبيكي حتى يبكي الدم عن السوء ، ويقال إنه انكى فوق سطح حتى سال عنه من المنياب ،
وكان يأكل من السمسم ليرق قلبه ، ولقد رده عنه ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله ، وقرأ
رجل عنده (وإذا أتوا منها مكاناً ضيقاً مقرّبين) الآية ، فيبكي بكاء شديداً ثم يتم فدخل منزله
وتفرق الناس عنه ، وكان يكثّر أن يقول : اللهم سلم سلم ، وكان يقول : اللهم أسلمع من كل في ملاحه
صلاح لأمة محمد ﷺ ، وأهلك من كان في هلاك صلاح أمة محمد ﷺ . وقال : أفضل العباد أداء
الغرائض واجتناب المحرم . وقال : لو أن المرء لا يأسي بالمرء ولا ينس عن المنكر حتى يحكم أمر
نفسه لتواكل الناس الخير ، ولذهب الأمر بالمرء والآل عن المنكر ، والبل الواغظون والساعون
للله بالنصيحة . وقال : الدنيا عبادة أولياء الله ، وولاية أعداء الله ، وما الأولياء فمعتهم وأحزنتهم ،
وأما الأعداء ففرحتهم وشتتتهم وأبعدتهم عن الله . وقال : قد أفلح من غلب من المرء والغضب
والطبع . وقال لرجل : من نسب قومك قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تقبل . وقال : أهدد
الناس في الدنيا على بن أبي طالب . وقال : لقد بوركنا في سيرة أكثر فيها سؤال رب ، وأعلى
بمنع . وقال : قيداوا العلم بالكتاب ، قال لرجل : علم تلك الفقه الأكبر : الشناعة وكف الأذى .
وتكلم رجل عنده فاعلمون فقال : هنا هو السحر الجليل . وقصته مع أبي حازم : فلو أنه حين رأى خليفة
وقد شحب وجهه من التمشف ، وتغير حاله ، فقتل له . ألم يكن نوبك تقياً ، ووجهك وضياً ، وطعامك
شيباً ، ومركبك وطياً ؟ فقال له : ألم تخبرني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن من
ورائكم عقبة كنود لا يجوزها إلا كل ضامر بهزول » ، ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفلق فذكر أنه
اتى في شبيبة تلك أن القبانة قد قامت ، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة .
ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعى فمأمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل
فسأله عما كان من أمرهم فأخبره ، ثم قال للسائل : من أنت ؟ قال : أنا الطيخ بن يوسف ، فتألم ،
وبكى فقلقه ، ثم ها أنا أنظر ما ينتظره الموحدين . وفشا الله وما أكره كثيره حسداً ، وفيها ذكرنا كذبة
ولله الحمد والمنة ، وحيم حسيداً وأعم الأكل ، ولا سؤل ولا قوة له إلا بس .

(ذكر سبب وفاته وجهه الله)

كان سببها السلي ، وقيل سببها أن مولى له عمه في سام أذ شرب ، وأمدلي على ذلك أن

دينار ، فحبل له بسبب ذلك مرض ، فأخبر أنه مسموم ، فقال : لقد علمت يوم سئيت السم ، ثم استدعى مولاه الذي سقاه ، فقال له : ويحك !! ما جعلك على ما صنعت ؟ فقال : ألق دينار أعطيتها ، فقال : فأتاها ، فأحضرها فوضفها في بيت المال ، ثم قال له : اذهب حيث لا يراك أحد قهلك . ثم قيل لأمير : تدارك نفسك ، فقال : والله لو أن شفائي أن أمس شحمة أذني أو أوتني بطيب فأشمه ما فعلت ، فقيل له : هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشئ فانهم فقراء ؟ فقال : (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) والله لا أعطيهم حق أحد وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فإنا كنت لأعينه على فسقه . وفي رواية فلا أبالي في أي وادهاك . وفي رواية أقادع له ما يستمين به على معصية الله فأكون شريكاً فيما يعمل بعد الموت ؟ ما كنت لأفعل . ثم استدعى بأولاد فودعهم وعزاهم بهذا : وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال : انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلقة عليكم . قال : فلقه رأينا بعض أولاد عمر ابن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله ، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتساطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز ، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل ، وسليمان وغيره إنما يكافون أولادهم إلى ما يدعون لهم ، فيضيئون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قيل لأمير بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت في القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فقال : والله لأن يسندني الله بكل عذاب ، إلا النار فإنه لا صبر لي عليها ، أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني لذلك الموضع أهل . قالوا : وكان مرضه يدبر سمعان بن قري حصى وكانت مائة مرضه عشرين يوماً ، ولما احتضر قال : أجلسوني فأجلسوه فقال : إني أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني ففعلت ، فلانا ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحد النظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين ، فقال : إني لأرى حضرة ما هم بانس ولا جان ، ثم قبض من ساعته . وفي رواية أنه قال لأهل : اخرجوا عني ، فخرجوا وجلس على الباب ، فسبى بن عبد الملك وأخته فاطمة ، فسمعه يقول : سرحنا بهذه العزير التي ليست بوجود أس ولا جان ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة لله تدين) ثم هدأ الصوت فسبحها عليه فمسيبوه قد فاض وسوى إلى القبلة وتبعض .

وقال أمير بن أبي شيبه : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الدراوردي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب

فقرأوها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لمر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه .

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساکر في ترجمة عبد الحميد بن إسماعيل بسنده عن عمير ابن سبیب السلمي ، قال : أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم يشرب رقابنا ، فقتل أصحابي وشفع في بطريق من بطارقة الملك ، فأبطلني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذالة ابنة مثل الشمس ، فمريضها على أن يقاسمني نسبه وأدخل معه في دينه فأبیت ، وعلقت في ابتداء فمررت نفسها على فائست ، فقالت : ما عندك من ذلك ؟ قلت : يميني ديني ، فلا أترك ديني لأمرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، قالت : سر على هذا النجم بالليل إذا كن بالنهار ، فإنه يلقيك إلى بلادك ، قال : فمريت كذلك ، قال فيرد أنا في اليوم الرابع مكان إذا بجبل متبلة خشيت أن تكون في طلي ، فإذا أنا بأصحابي الذين قبلوا زعمهم آخر من على دواب شهب ، فقالوا : عمير ؟ قلت : عمير . فقلت : لهم أديس قد قتلت ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عز وجل أشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا بمنازة عمر بن عبد العزيز ، قال : ثم قال لي بعضهم : ناولني يداك يا عمير ، فأردفتي فسرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون الحنفى شرب . وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أعشقه وأكف ، فإذا حلت حنة الكفن أن أنظر في وجهه فادلى ، ففعلت فإذا وجهه مثل القراطيس بيضاء ، وكان قد أخبرني أنه كل من دفنه قبله من الخلفاء وكان يحل عن وجوههم فإذا هي مسودة . وروى ابن عساکر في ترجمة يوسف ابن مارك قال : بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لمر بن عبد العزيز من النار . فافقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن مارك عن كره ، وفيه شهادة شديدة والله أعلم . وقد وثقت له منامات سالحة ، وتأسف عليه أنساب العالمين ولاسيما العلماء والزهاد والعباد . ورفاه الشراء ، فمن ذلك ما أنشد أبو عمر ، الشيعاني لكثير عزة يرقى عمر :

عمت صنائعهم فمهم هلاكهم فالتاس فيه كاهم ما جاور
والناس انهم عليه واحد في كل دار رقة زفير
يتقى عليك لسان من لم نوله خيراً لأنك بائنا بديع
ردت حشائهم عليه حبيته فلكأنت من أمة غدا ينفور

وقال جرير يرقى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : —

ينسى النعمة أمير المؤمنين لما ياخير من منج بيت الله وأهله

جاءت أمراً عظيماً فاضطلمت به ، وسرت فيه بأمر الله يا حمرا
الشمس كاشفة ليست بطالفة ، تبيكي عليك نجوم الليل والقمر

وقال محارب بن دثار رحمه الله يرقى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

لو أعظم الموت خلقاً أن يراقبه * لعادله لم يصبك الموت يا عمر

كم من شريعة عادل قد نهشت لهم * كادت تموت وأخرى منك تنظف

يا لطف نفسي ولف الواجدين مني * على المدلول التي تأنس بالفر

ثلاثة حارات عيني لهم شهباً * نظم أعظمهم في المسجد الحنفر

وأنت قهرهم لم تزل مجتهداً * ستيا لنا سنن بالحق تفتقر

لو كنت أملك والاقفار غالبة * تأوى رواحا وتبينا فقه كـ

سرفت عن عمر الخيرات مصرعه * بدير سحمان لكن يندب القدر

قالوا : وكانت يد يرسمان من أرض حمص ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة خمس مائة ، وقيل

بقرين من رجب ، وقيل لشر بقرين منه ، ستة إحدى وقيل ثنتين ومائة ، وصلى عليه ابن عمه مسلمة

ابن عبد الملك ، وقيل صلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وقيل ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ،

وكان عمر يوم مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهر آ ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل بسنة ،

وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعاً وثلاثين ، وقيل

ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، ولم يبلغها . وقال أحمد بن عبد الرزاق

عن حمير : مات على رأس خمس وأربعين سنة . قال ابن عساکر : وهذا وهم ، والصحيح الأول

تسعاً وثلاثين سنة وأشهر آ . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ،

وقيل سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أسمر دقيق الوجه حسنة الخفيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بوجهته أثر شجرة

وكان قد شاب فخطب رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

الفصل في

إيادى عمر بن عبد العزيز الخليفة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحرية على عادته مع

الخلفاء قبله ، فقال له عمر : مالي ذلك ، تابع عني ، إنما أنا رجل من المسلمين . ثم سار وساروا معه

حتى دخل المسجد ، فجمع المذهب واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ! إني قد ابتدأت بهذا الأمر

عن غير رأيي فإني فيه ، فلا طلبية له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم

من يميني ، فأشاروا بالأيديكم ولا يركب من تريدون . ففزع المسلمون سبيحة واحدة : قد اخترناك

لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . فلما هدأت أصواتهم - حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في كتابها ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! من أطاع الله وحبته ملاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل فامر بالستور فنهكت والسياب التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل اثمنها في بيت المال ، ثم ذهب يتبوا مقيلاً ، فأتاه ابنه عبيد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ما ذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقبل ، قل : تعيل ولا ترد المظالم إلى أهلها ، فقال : إني سميرت البارحة في أمر سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : أدن مني أي بني ، فدننا منه فقبل بين عينيهِ وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يميني على يميني . ثم قام وخرج وترك القائلة وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلمة فليرقمها ، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص^(١) فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قل : ما ذاك ؟ قال : المباس بن الوليد بن عبيد الملك اغتصبني أرضي . والمباس جالس ، فقال له عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم فاردد عليه ضيعته ، فردها عليه . ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه ، فأرغمت إليه مظلمة لإردوها ، سواء كانت في يده أو في يد غيره حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم ، مما كان في أيديهم بغير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يقدم ذلك شيئاً ، فأتوا عتيم فاطمة بنت مروان - وكانت عمته - فشكوا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويستمعون عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء ، ولا ترد لها حاجة ، وكانوا يكرهونها ويعظمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامت فركبت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ، لأنها أخت أبيه ، وألقى لها وسادة ، وشرع يحادثها ، فראها غضبي وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه مالك ؟ فقالت : بنو أخي عبيد الملك وأولادهم يهانون في زمانك ولا يملك ، وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم ، ويسبون عتيدك فلا تترك ، فضحك عمر وعلم أنها متحملة ، وأن عقلها قد كبر ، ثم شرع يحادثها والغضب لا يبعث عندها ، فلما رأى ذلك أخذ منها في الجدة ، فقال : يا عمه ! اعلم أن النبي ﷺ

(١) في الأصل من أهل حمص - وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صفحة ١٠٤

مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر بعده ذلك الرجل رجل آخر فلم يستقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر ففكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه ، وإيم الله لأن أبقاني الله لأردته إلى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم ؟ فقالت : فلا يسبوا نفسك ؟ قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظالمه فأخذ له بها . ذكر ذلك ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال مسعدة بن عبد الملك : دخلت على عمر في مرضه فإذا عليه قيض وسبخ ، فقلت لفاطمة : ألا تسألوا قيض أمير المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قيض غيره ، وبكى فبكت فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما أفضلت عنهم البيرة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرت منصوراً الخلدية من بين يندى الله ، فريقي في الجنة وفريقي في السير ، ثم صرخ وغشى عليه .

وعرض عليه مرة مسك من بيت المال فسأله حتى وضع ، فقبل له في ذلك قتال : وهل ينتفع من المسك إلا بريجه ؟ ولما احتضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال : بنفسى الفقية . وكان عمر بن عبد العزيز يمثّل كثيراً بهذه الأبيات : —

يرى مستكيناً وهو لا قول ، ماقت * به عن حديث القوم ما هو شاغل
وأزعجه علم عن الجهل كله * وما عالم شيئاً كمن هو جاهل
عبوس عن الجهال حين يراهم * فليس له منهم خدين يهزل
تذكر ما يبقى من العيش فارغوى * فأشغل عن عاجل العيش آجل

وروى ابن أبى الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابق البربرى وهو ينشد شعراً ، فأنتهى في شعره إلى هذه الأبيات : —

فكم من صحيح بات للموت آمناً * أنت الدنيا بغتة بمد ما شمع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة * فراراً ولا منه بقوة امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقتعاً * ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرب من حصد فصار مقيل * وفارق ما قد كان بالأُس قد جمع
فلا يترك الموت الفنى لله * ولا ممدماً في المال ذا حاجة يدع

وقال رجا بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده

في الخلافة ، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال ليزيد يا أمير المؤمنين ! إن هذا المرأى - يعني عمر ابن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين ، في بيتين في داره بمناوين ، وهما مقولان على ذلك الدر والجوهر . فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغني أن عمر خلف جوهرًا ودرًا في بيتين مقولين . فأرسلت إليه : يا أخي ما ترك عمر من سبد ولا لبد ، إلا ما في هذا المنديل . وأرسلت إليه به ، فخله فوجد فيه قميصا غليظا مرقوعا ، ورداء قشيبا ، وحببة خشوة غليظة واهية البطانة . فقال يزيد لارسل : قل لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين . فأرسلت تقول له : والذي نجني بأمر المؤمنين ما دخلت بيتين البيتين منذ ولي الخلافة ، لعلي بكرهته لذلك ، وعنده مفاتيحهما فتعال فحول ما فيهما لبيت مالك . فركب يزيد و معه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فإذا فيه كرسي من آدم وأربع أجرأت مبسوطات عند الكرسي ، وقم . فقال عمر بن الوليد : أستغفر الله ، ثم فتح البيت الثاني فوجد فيه مسجدة مفروشة بالحصى ، وسلسلة معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبتيه ، وربما كان يضربها إذا نسي شيئا ينام ، ووجدوا صندوقا مقفلا ففتح فوجدوا فيه سبطا ففتحه فإذا فيه فراشة وتبان ، كل ذلك من مسوح غليظ ، فبكى يزيد ومن معه وقال : يرحمك الله يا أخي ، إن كنت لنتي السريرة ، نتي الملاينة . وخرج عمر بن الوليد وهو مخشون وهو يقول : أستغفر الله ، إنما قلت ما قيل لي .

وقال رجاء : لما احتضر جمال يقول : اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب لما عملت تأخيرا ، ولا لما أخرت أمجلا . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحت ومالي في الأمور هوى إلا في مواضع قضاء الله فيها .

وقال شعيب بن حنفول : كتب سالم بن عبد الله بن عمرو بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة : أما بعد يا عمر فانه قد ولي الخلافة والمالك نملك أقاليم ، فأتوا على ما قد رأيت ، وأتوا الله فإدى بهما الجوع والخفة والحشم ، وعلجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانفقت أعينهم التي كانت لا تنظر لظن لظن ، وانفقت رقابهم غير مومنين بمسئلاتهم ، وتظاهر الفرش والمرافق بالسرور والحشم ، وانفقت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وساروا جيها بمسح طيب الروائح العطرية ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين من كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذى بهم ، وانفقت منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والشياب الفاخرة البينة ، كانوا ينفقون الأموال إسرافا في أغراضهم وأهوائهم ، ويقترنون في حق

الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتبون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتين بشئ فافعل ، واستعن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملك عي قليل بسالم * ولو كثرت أحراسه وموا كيه
ومن كان ذاباب شديد وحاجب * فما قليل يهجر الباب حاجبه
وما كان خير الموت حتى تفرقت * إلى غيره أعوانه وحبابه
فأصبح مسروراً به كل حاسد * وأسلمه أصحابه وحبابا
وقيل إن هذه الأبيات لغيره .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص : حدثنا عاصم بن عامر حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال عن ميمون بن مهران قال : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطق وهو عظة حسنة ، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه ، فقالت له : يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فاني أرجو أن ين الله به على من سمعه أو بلغه ، فقال : إليك عني يا أبا أيوب ، فان في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالؤمن من المقال . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، فأنهم الله ، أما كانوا يعيشون على القبور ! : وروى عبد الرزاق قال : سمعت ممرأى يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : وبلغه عنه بعض ما يكره : أما بعد فانه غرت بك جمالستك القراء ، وعجاستك السوداء ، وإرسالك إياها من وراء ظهرك ، وإني أحسنت العلانية فأحسننا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون .

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سنته ، وكفوا مؤنته ، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال دليل عليها - فماليك لزوم السنة ، فانه إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحق والخطأ والتميق : ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد ، وإنما كان علمهم على الأئمة ، ولو كان فيما يحملون أنفسهم فضلي لسكانوا فيه أخرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير ، فان قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ودرغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووضعوا عنه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، ولقد

قصر أقوام دينهم فحقوا ، وطمح عنهم آخرون ففعلوا ، فرحم الله ابن عبد العزيز ، ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمناجاة ومحبة ما كان عليه الصعابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

وروى الخطيب البغدادي عن طريق يعقوب بن سفيان الحافظ عن سميد بن أبي مرهم عن رشيد بن سميد قال : حدثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : من رسول الله ﷺ وخلفاؤه بعده سنننا ، الأخذ بها تمديدك الكتاب الله ، واستعمال طاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاد جهنم وساءت مصيرا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم فقال في خطبته : إني لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعدل لذلك ويستبد له أحق ، والمكذب له كفر . ثم تلا قوله تعالى (ألا إنهم في مرة من لقاء ربهم) وقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤدب لهم إلى الطائفة يعلمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بنس ما علمت ، إذ قدمت إمام المسلمين سيدا لم يعرف النية ^(١) - أو لم تدخله النية - ذكره في كتاب النية له . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الزكاة والبكاء ، عن مولى عمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ليس الخير أن يسمع لك وتطاع ، وإنما الخير أن تكون قنيد غفلات عن ربك عز وجل ثم أظمته ، يا بني لا تأذن اليوم لأحد على حتى أصبح ويرفع النهار ، فإني أخاف أن لا أعقل من الناس ولا يفهمون عني ، فقل له مولد : رأيك البارحة بكيت بكاء ما رأيك بكيت مثله ، قال فبكى ثم قال : يا بني إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل . قال : ثم غشى عليه فلم يفق حتى علا النهار ، قال : فما رأيته بعد ذلك منبها حتى مات .

وقرأ ذات يوم (وما تكون في شأن وما تأمل منه من قرآن ولا تعلمون من عمل إلا كنا عليكم شهودا) الآية ، فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة فجلست تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائها ، فجاء ابن عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبا ماريك ، فقال : يا بني خير ، ودأبك أنه لم يعرف الدنيا فلم تعرفه ، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله المنبري . قال : رأيت عمر بن عبد العزيز

(١) كنا بالأموال والظاهر أن فيه نقصا .

خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، ورائه حبشي يمشي ، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحمكم الله ، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ (إذا الشمس كورت) فقال : وما شأن الشمس (وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلقت) فبكى وبكى أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه ، ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة ، وانتهيت إلى الغاية ، والله سائلك عني . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاث بنات . ففرض له على ثلثائة ، وفرض لبناته مائة مائة ، وأعطاه مائة درهم من ماله ، وقال له : اذهب فاستنقها حتى تخرج أعطيات المساكين فتأخذ معهم .

وجاءه رجل من أهل أذربيجان فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشمل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، من يوم تلقاه بلائقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال له : ما حاجتك ؟ فقال : إن عادلك بأذربيجان عداً عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، فليرد عليه ، ثم أرسله مع البريد . وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردة شاتية ، فجملت أصطلى على كائوت هناك ، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين فجعل يصطلى معي على ذلك الكائون ، فقال لي : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قص عليّ ، قلت ما أنا بقاص ، فقال : تكلم ، فقلت زياد ، فقال : ماله ؟ فقلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة ، فقال : صدقت ، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذي في الكائون .

وقال له زياد العبدي : يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك في الوصف وأعمالها في المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه ، ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله ؟ قال : سيء الحال ، قال : فان كانا خصمين ألدن ؟ قال : فهو أسوأ حالا ، قال : فان كانوا ثلاثة ؟ قال : ذلك حيث لا يشته عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك ، قال : فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فان من الناس من شرب في هذا الشراب ، وينشون عنده أموراً انتهكها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام ، والمال الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال ، فمن انتبه فلا ينتبه إلا من أسقية الأدم ، واستغنوا بما أحل الله عما حرم ، فانا من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه ، جعلنا له عقوبة شديدة ،

ومن استعنف بما حرم الله عليه فله أشد عقوبة له وأشد تسكيلا ^(١)

﴿ خلافة يزيد بن عبد الملك ﴾

بويج له بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أغنى سنة إحدى ومائة - بإيعة الناس البيعة العامة ، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة ، فمزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولي عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فحرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضغائن ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة أخيه حدين فيها

وفيها كانت وقعة بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جنود الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكانت الخوارج أن تنكسرهم ، فنداموا بينهم فطعنوا الخوارج طعنًا عظيماً ، وقتلواهم عن آخرهم ، فلم يبقوا منهم فائرة . وفيها خرج يزيد بن المهلب لفتح يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة ، وقتال طويل ، فلما ظهر عليها بسط العدل في أهلها ، وبذل الأموال ، وحبس عاملها عدى ابن أوطاة ، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا ، ولما ظهر على قصر الأمانة أي بعدى بن أوطاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيد بن المهلب : إني لأعجب من ضحكك ، لأنك هربت من القتال كما تهرب النساء ، وإنك جئتني وأنت تثلُّ كما يثلَّ البهائم . فقال عدى : إني لأضحك لأن بقائي بقاء لك : وأن من ورأى طالبا لا يتركني ، قال : ومن هو ؟ قال : جنود بني أدية بالشام ، ولا يتركونك ، فدارك نفسك قبل أن يرمى إليك البحر بأموالهم ، فقتلهم الاقالة فلا تقال . فرد عليه يزيد جواباً ، قال : ثم سجنه كما سجن أهل ، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان . ومعه جماعة من المقاتلة ، فلما بلغ خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدمة بين يدي عهدة بن عبد الملك ، وهم في جنود الشام . فقدم بن البصرة لقتله ، ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليه أخاه مروان بن المهلب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء فيما ذا يعتمد ، فاختاروا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز ليتحصن في رؤس الجبل ، فقال : إنما تريدون أن تجعلوني طائفاً في رأس جبل ؟ وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزلها بأحسن حصن فيها ، ويجمع

عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام ، واستلخت هذه السنة وهو نازل بواسط وجيش الشام قاصده . وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضمك بن قيس أمير المدينة ، وعلى هككة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى قضائها عامر الشامي ، وعلى البصرة يزيد بن المهلب . قد استمخوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد ابن عبد الملك . وفيها توفي عمر بن عبد العزيز ، ورأس بن حراش ، وأبو صالح السمان وكان عابداً صادقاً مثبثاً ، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين ومائة ﴾

ففيها كان اجتماع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب ، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب من واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ، حتى بلغ مكاناً يقال له القفر ، وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها ، وقد التقت المقدمةان أولاً فافتنوا قتلاً شديداً ، فهزم أهل البصرة أهل الشام ، ثم تناسر أهل الشام فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان ، منهم المنتوف ، وكان شجاعاً مشهوراً ، وكان من موالى بكر بن وائل . قتال في ذلك الفرزدق : -

تبكي على المنتوف بكر بن وائل * وتنبى عن أبي مسمع من بكاهما

فأجابته الجعد بن درهم مولى الثوريين من همدان ، وهذا الرجل هو أول الجهمية ، وهو الذي ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد : -

تبكي على المنتوف في نصر قومه * وليتنا نبكي الشائد بن أباهما

أرادا فناء الحى بكر بن وائل * فسر تميم لو أصيب فئسهما

فلا نفيا روحاً من الله ساعة * ولا رقاً عيناً شحى بكاهما

أفي الغش نبكى إن بكينا عليهما * وقد نفيا بالغش فيما رداهما

ولما اقترب مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب ، خطب يزيد بن المهلب الناس وحرّضهم على القتال - يعني قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف ، وعشرين ألفاً ، وقد بايعوه على السمع والطاعة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى أن لا يعاد الجنود بالأدهم ، وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ، ومن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن خالفنا قاتلناه .

وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة . وبنهاهم أشد النهي ، وذلك لما وقع من القتال الطويل العريض في أيام ابن الأشعث ، وما قتل بسبب

ذلك من النفوس المدينة ، وجمال الحسن يخطب الناس ويظهرهم في ذلك ، وبأمرهم بالكف ، فبلغ ذلك نائب البصرة عبد الملك بن المهلب ، فقام في الناس خطيباً فأمرهم بالجد والجهاد ، والنفر إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي ... ولم يسمه - يخطب الناس ، أما والله ليكنن عن ذلك أولاً فممن ، ولأفعلن ، وتوعد الحسن ، فلما بلغ الحسن قوله قال : أما والله ما أكره أن يكرهني الله بهوانه ، فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم ، وذلك أن الجيوش لما توجهت تهازل الناس قليلاً ، ولم ينشب الحرب شديداً حتى فر أهل العراق سريراً ، وبلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه حرق فانهم ساءوا ، فقال : يزيد بن المهلب : ما بال الناس ، ولم يكن من الأمر ما يفر من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه قد حرق . فقال : قبضهم الله ، ثم رام أن يرد المنزعين فلم يمكنه ، فغبت في عصابة من أصحابه وجمال بهضمهم يتسللون منه حتى بقي في شردة قليلة ، وهو مع ذلك يسير قدما لا يمر بخيل إلا هزمهم ، وأهل الشام يتصاورون عنه يميناً وشمالاً ، وقد قتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حنقا وغضباً ، وهو على فرس له أشهب ، ثم قصد نحو مسلة بن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب ، وقتلوا السمينع ، وكان من الشجعان ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجلاً يقال له القميل بن عياش ، فقتل إلى جانب يزيد ابن المهلب ، وجاؤا برأس يزيد إلى مسلة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، واستحوذ مسلة على ما في مسكر يزيد بن المهلب ، وأسر منهم نحواً من ثلاثمائة ، فبعث بهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلة فنزل الحيرة

ولما انتهت هزيمة ابن المهلب إلى ابنه معاوية وهو بواسط ، عهد إلى نحو من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . عدى بن أرطاة رحمه الله وابنه ، ومالك وعبد الملك ابنا مسمع ، وجماعة من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة وعده الخزان من الأموال ، وجاء معه عمه المفضل بن المهلب إليه ، فاجتمع آل المهلب بالبصرة فأعدوا السفن وتجهزوا ثم الجهاد واستعدوا للهرب ، فساروا بهيولهم وأثقالهم حتى أتوا جبال كرمان فنزلوها ، واجتمع عليهم جماعة من قل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب ، وقصد أمرهم المفضل بن المهلب ، فأرسل مسلة جيشاً عليهم هلال بن ماجور المخاري في طلب آل المهلب ، ويقال إنهم أمروا عليهم رجلاً يقال له مدرك بن ضب السكابي ، فلحقهم بجبال كرمان فاقبلوا عناناً شديداً ، فقتل جماعة من أصحاب المفضل وأسر جماعة من أشرافهم وانهم بقتلهم ، ثم لحقوا المفضل فقتلوه وحمل رأسه إلى مسلة بن عبد الملك ، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخذوا لهم أماناً من أمير الشام

منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، ثم أرسلوا بالأقوال والأموال والنساء والذرية فوردت على مسلمة بن عبد الملك ومعهم رأس المفضل ورأس عبد الملك بن المهلب ، فبعث مسلمة بالرؤس وتسعة من الصبيان الحسان إلى أخيه يزيد ، فأمر بضرب أعناق أولئك ، ونصبت رؤسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها ، وحالف مسلمة بن عبد الملك لبيهم ذراري آل المهلب ، فاشترأهم بعض الأمراء إبراراً لقسمه بمائة ألف ، فأعتقهم وخلي سبيلهم ، ولم يأخذ مسلمة من ذلك إلا مير شيئا وقد رثا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير .

﴿ ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان ﴾

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستجاب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان ختمه - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقب بفخديته ، فسار إليها فخرض أهلها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالا من كان ينوب لآل المهلب ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة ، ومات بعضهم تحت العقوبة .

﴿ ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين ﴾

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشاً إلى الصفند لقتال المسلمين ، عليهم رجل منهم يقال له كورصول ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصره وفيه خلق من المسلمين ، فصالحهم نائب سمرقند - وهو عثمان بن عبد الله بن مطرف - على أن يمين ألفاً ودفع إليهم سبعة عشر دهنقاراً رهائن عندهم ، ثم نصب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الرياحي في أربعة آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق [خطبهم] فحثهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقى في سبعمائة مقاتل ، فسار بهم حتى غلق جيش الأتراك ، وهم محاصروا ذلك القصر ، وقصد عزم المسافون الذين هم فيه على قتل أسائهم وذبح أولادهم أمامهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم ، فبعث إليهم المسيب يثبثهم يومهم ذلك ، فثبثوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السحر فكبر وكبر أصحابه ، وقد جعلوا شعارهم يا محمد ، ثم حملوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعثروا دواب كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلواهم قتالاً شديداً ، حتى فر أكثر المسلمين ، وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل وترجل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالاً عظيماً ، والتفت الجماعة بالمسيب وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يبارون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادى منادى المسيب :

أن لا تتبعوا أحدا ، وعليكم بالقصر وأهل : فاحتلواهم وساروا مافي منسكر أو أهلك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة وأنصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءت الترك من الغد فلم يجدوا به داعياً ولا مجيباً ، فقتلوا في أنفسهم : هؤلاء الذين أقونا بالأفس لم يكونوا إنسا ، إنما كانوا جنأ . ومن توفي فيها من الأعيان والسادة :

(الضحاک بن سراجم الهلالي)

أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني ، كان يكون ببلخ وسمرقند ونيسابور ، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعة من التابعين ، وقيل إنه لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع ، وإن كان قد روى عنه أنه جاوره سبع سنين ، وكان الضحاک إماما في التفسير ، قال الثوري : حدثوا التفسير عن أربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاک ، وقال الإمام أحمد : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيد عنه ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضميماً . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال : لم يشافه أحداً من الصحابة ، ومن قال : إنه لقي ابن عباس فقد وهم ، وجمعت به أمه سفتين ، ووضعته وله أسنان ، وكان يعلم الصبيان حسبة ، وقيل إنه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله أعلم .

(أبو المتوكل الناجي)

اسمه علي بن البصري ، تابعي جليل ، ثقة ، رفيع القدر . مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ثلاث ومائة)

فيها عزل أمير المراق وهو عمر بن هبيرة سعيد - الملقب خديثة - عن نيابة خراسان ، وولى عليها سعيد بن عمرو الجريشي ، باذن أمير المؤمنين ، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج له الترك وخافوه خوفا شديداً ، وتقهقروا من بلاد الصغد إلى ما وراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها ، وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاک بن قيس بين إمرة المدينة وإمرة مكة ، وولى عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف . وحج بالناس فيها أمير الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاک بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

(يزيد بن أبي مسلم)

أبو العلاء المدني . عطاء بن يسار الهلالي ، أبو محمد القاسم المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعة من الصحابة ، ووفقه غير واحد من الأئمة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقيل توفي قبل المائة بالأسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

﴿ مجاهد بن جبير المكي ﴾

أبو الحجاج القرشي الخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب الخزومي ، أحد أئمة التابعين والمفسرين كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكن أحد يريد بالعلم وجه الله إلا مجاهد وطاؤوس : وقال مجاهد : أخذ ابن عمر بركابي وقال : وددت أن ابني سالما وغلامي نافعا يحفظان حفظك . وقيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل مرتين : أقفه عند كل آية وأسأله عنها ، مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة ، وقيل إحدى وقيل ثلاثين وقيل ثلاث ومائة ، وقيل أربع ومائة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابن عمرو وأبي سعيد ورافع بن خديج . وعنه خلق من التابعين . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تنامن إلا على وضوء فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن) قال : يسلم عليه إذا لقيه وقيل هي المصافحة . وروى عمرو بن مرة عنه أنه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : اتق لا يأخذك الله على ذنب لا ينظر فيه إليك فتلقاه حين تلقاه وليست لك حاجة . وروى ابن أبي شيبة عن أبي أمامة عن الأعشى عن مجاهد . قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوى حاجة ، عندهم رأس شاة فأصابوا شيئاً ، فقالوا : لو بعثنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا ، فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم أولاً . وروى ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموت إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً . وقال : فلا أنفسهم يهدون . قال : في القبر . وروى الأوزاعي عن عتبة بن أبي لبانة عن مجاهد قال : كان يحج من بني إسرائيل مائة ألف ، فإذا بلغوا أرواف الحرم دخلوا ثم دخلوا الحرم حفاة . وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : (يا مريم اقنتي لربك) قال : اطأبي الركود . وفي قوله تعالى : (واستغفر من استغفرت منهم بصوتك) قال المزاهير . وقال في قوله تعالى : (أنكالا وججيا) قال : قيود . وقال في قوله : (لا حجة بيننا وبينكم) قال لا خصومة . وقال : (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال : عن كل لذة في الدنيا . وروى أبو الدبيع عن جرير ابن عبد الحسيب عن منصور عن مجاهد . قال : من إبليس أربع رنات ، حين لمن ، وحين أهبط ،

وحيث بث النبي ﷺ وحيث أنزلت (الحمد لله رب العالمين) وأنزلت بالمسيرة . وكان يقال : الرنة
والخبرة من الشيطان ، فليس من رن أو خبر . وروى ابن نجيب عنه في قوله تعالى (أتنبئون بكل
ريح آية تعمون) قال : بروج الحسام . وقال في قوله تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) قال :
التمجرة . وروى ليث عن مجاهد قال (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغوا) قال : استغوا فلم
يشركوا حتى ماتوا . وروى يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبي عمير عن طلق بن عمار عن مصرف عن مجاهد
(ولم يكن له كفوا أحد) قال : صاحب . وقال ليث عن مجاهد قال : الغلة التي كملت سليمان كانت
مثل الذئب العظيم

وروى الطبراني عن أبي نجيب عن مجاهد . قال : كان الغلام من قوم عاد لا يحلم حتى يبلغ
مائتي سنة . وقال : (سأل سائل) دعا داع . وفي قوله (ماء غدقا لغسلهم فيه) حتى يرجعوا إلى عالمي
فيه (لا يشركون بي شيئا) قال لا يحبون غيري . (الذين يكرهون السيئات) قال هم المراءون .
وفي قوله تعالى : (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) قال هم الذين لا يدرون أنهم
الله عليهم أم لم ينعم . ثم قرأ (وقد كرهم بأيام الله) قال : أيام نعمه ونعمه . (فردوه إلى الله والرسول)
فردوه إلى كتب الله وإلى رسوله ما دام حيا ، فإذا مات فإلى سيوفه . (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة) قال : أما الظاهرة فلا سلام والقرآن والرسول والرزق ، وأما الباطنة فبما ستر من الميوب
والذنوب . وروى الحسبك عن مجاهد قال : لما قدمت مكة نساء على سليمان عليه السلام رأيت خطبا
جزلا فقالت لغلام ساميان : هل يعرف مولادكم ؟ زن دخان هذا الخطب ؟ فقال الغلام : دعني مولاى
أنا أعرفكم وزن دخانه ، فكيف مولاى ؟ قالت : فكم وزنه ؟ فقال الغلام : هو زن الخطب ثم يحرق
الخطب ويوزن رواده فما نقص فهو دخانه . وقال في قوله تعالى : (ومن لم يقب فأولئك هم الظالمون)
قال : من لم يقب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين . وقال ما من يوم ينقضى من الدنيا إلا قال
ذلك اليوم : الحمد لله الذى أراحني من الدنيا وأشأها ، ثم يطوى عليه فينضم إلى يوم القيامة ، حتى
يكون الله عز وجل هو الذى يقض خاتمه . وقال في قوله تعالى : (يوفى الحسنة من يشاء) قال : العالم
والعقل ، وقال إذا دلى الأمر منكم الفقهاء . وفي قوله تعالى : (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)
قال : البدع والشبهات . وقال : أفضل العبادة إلى الحسن . يعني اتباع السنة . وقال : ما أدرى أى
المتعدين أفضل ، أن عدائي للإسلام ، أو عفاي من الأهواء . وقال في رواية : أو الأمر منكم ،
أصحاب محمد ، وربما قال : أبو العقل والعقل في دين الله عز وجل (يا أيها الناس) قال السريته .
(يا أيها الناس) قال : السهم في الثياب . (ومن ألقاهم بني) قال : الأضراس . (حفيا) قال
رحيما . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت في كتاب محمد بن أبي حاتم بخط يده : حدثنا

بشر بن الحارث حدثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد . قال : لو أن رجلاً أتفق مثل أحد في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين . وفي قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال : العداوة (بينهما برزخ لا يبغيان) قال : بينهما حاجز من الله فلا يبغي الحلو على المالح ولا المالح على الحلو . وقال ابن منبه : ذكر محمد بن حميد : حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش قال : كان مجاهد لا يسمع بأحجرة إلا ذهب فنظر إليها ، قال : وذهب إلى حضرموت إلى بشر برهوت . قال : وذهب إلى بابل ، قال : وعليها وال صديق لمجاهد : فقال مجاهد : تعرض على هاروت وماروت ، قال : فدنا رجلا من السحرة فقال : اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وماروت . فقال اليهودي : بشرط أن لا تدعو الله عندهما ، قال مجاهد : فذهب بي إلى قلعة فقطع منها حجراً ثم قال : خذ رجلي ، فهو بي حتى انتهى إلى حوالة ، فاذا هما مملكتين منسكين كالجبلين العظيمين ، فما رأيتهما قلت : سبحان الله خالقكما ، قال : فاضطربا فكأن الدنيا قد تدككت ، قال : فمشى على وعلى اليهودي ، ثم أفاق اليهودي قبلي ، فقال : قم ! كنت أن تهلك نفسك وتهلكني .

وروى ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثة نفر ، بالغي ، والمرضى ، والعبد المملوك . قال : فيقول الله عز وجل للغي : ما شغلك عن عبادتي التي إنما خلقتك لها ؟ فيقول يارب أكثر لي من المال فطقت . فيؤتى سليمان عليه السلام في ملكه فيقول لها : أنت كنت أكثر مالا وأشد شغلا أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله له : فإن هذا لم ينعمه ما أوتي من الملك والمال والشغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمرضى فيقول : ما منعك عن عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول : يارب شغلني عن هذا مرض جسدي ، فيؤتى بأيوب عليه السلام في ضربه وبلائه ، فيقول له : أنت كنت أشد ضرا ومرضا أم هذا ؟ فيقول : بل هذا ، فيقول : إن هذا لم يشغله ضربه ومرضه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول الله له : ما منعك من عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول رب فضلت علي أربابا فملكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوسف عليه السلام في رقه وعموديته فيقول الله له : أنت كنت أشد في رقتك وعموديتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله : فإن هذا لم يشغله ما كان فيه من الرق عن عبادتي . وروى حميد عن الأعرج عن مجاهد . قال : كنت أصحب ابن عمر في السفر فاذا أردت أن أركب ديك ركابي ، فاذا ركبت سوى علي ثيابي فرآني مرة كأني كرهت ذلك في ، فقال : يا مجاهد إنك لضيق الخلق ، وفي رواية : صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن رجل عن مجاهد . قال : جعلت الأرض ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء ، وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها

منهم . وقال : لما هبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للخراب ولد للفناء . وروى قتيبة عن جبر عن منصور عن مجاهد . (وياهمم اللاعنون) قال : تلصص عصاة بني آدم دواب الأرض وما شاء الله حتى الحيات والعقارب ، يقولون : منما القطر بذنوب بني آدم . وقال غيره : تسلط الحشرات على العصاة في قبورهم ولما كان ينالهم من الشدة بسبب ذنوبهم ، فتلصص الحشرات من العقارب والحيات هي السميات التي كانوا يملأونها في الدنيا ويستلذونها ، صارت عذابا عليهم . فسأل الله العافية . وقال : (بن الإنسان لربك كنود) لكفور . وقال الإمام أحمد : حدثنا عمر بن سليمان حدثني مسلم أبو عبد الله عن ليث عن مجاهد قال : من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وأراح نفسه . وقال عمرو بن ذروق : حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد . قال (فظن أن لن نقدر عليه) أن لن نعاقبه بذنبه . وهذا الإسناد قال : لم أكن أحسن ما الزخرف حتى سمعتها في قراءة عبد الله بيضا من ذهب . وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا خلف بن خديفة عن ليث عن مجاهد : إن الله عز وجل لم يصلح بمصالح المبدأ ولده . قال : وبنفي أن عيسى عليه السلام كان يقول : طوبى المؤمن كيف يخلفه الله فيمن ترك بخير . وقال الفضيل بن عياض عن عبيد المكتب عن مجاهد في قوله تعالى (وتقطعت بهم الأسباب) الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا . وروى سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : (لا يرقبون في مؤمن إلا زخوة) قال : إلا الله عز وجل . وقال في قوله تعالى (بقية الله خير لكم) طاعة الله عز وجل . وفي قوله تعالى (ولن خاف مقام ربه جنتان) قال : هو الذي يذكر الله عند الهم بالعلماء . وقال الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد : (سيأهم في وجوههم) الخشوع . وفي قوله تعالى : (وقوهوا لله قائمين) قال الثوري والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رغبة الله . وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة هب الرحمن أن يشد بصره أو يلتفت أو يقاب الخضاة أو يعيث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا . إلا خشعا مادام في صلاته . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عمرو حدثنا ابن إدريس حدثني عقبة بن إسحاق سوائني عليه خيرا . حدثنا ليث عن مجاهد . قال : كنت إذا رأيت العرب استعففتها وجنتها من وراء دينها ، فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجساد ليست فيها أرواح . وروى الأعمش عنه قال : إنما القلب منزلة السكف ، فإذا أذنب الرجل ذنبا قبض هكيدا . وضم الخضر حتى ضم أصابعه كلها أصبعاً أصبعاً . قال : ثم يطبع ، فكأنوا يرون ذلك الران : قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلبهم ما كانوا يكسبون) وروى قبيصة عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد : (إلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) قال : الذنوب تعبط بالقلوب كالخناط المبنى على الشيء المحيط ، فلما عمل ذنبا ارتفعت حتى غشى القلب حتى تكون هكيدا . ثم قبض يده . ثم قال : هو الران . وفي قوله : (بما

قدم وأخر) قال : أول عمل السبد وآخره (و إلى ربك فارغب) قال : إذا فرغت من أمر الدنيا فمضت إلى الصلاة فأجمل رغبتك إليه ، ونيتك له .

وعن منصور عن مجاهد (النفس المطمئنة) قال : هي النفس التي قد أيقنت أن الله ربهما وضربت حاشا لأمره وطاعته . وروى عبيد الله بن المبارك عن ليث عن مجاهد : قال : ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه : إن كان من أهل الذكر فن أهل الذكر ، وإن كان من أهل اللهو فن أهل اللهو . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد . قال : قال إبليس : إن يعجزني ابن آدم فإن يعجزني من ثلاث خصال : أخدمال بشيرتي ، وإفائه في غير حقته (١)

وقال أحمد : حدثنا ابن نمير قال قال الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه حر مباح قد ضل حماره فرسه . وعن ليث عن مجاهد قال : من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه . قال شعبة عن الحكم عن مجاهد قال قال لي : يا أبا النازي كم لبث نوح في الأرض ؟ قال : قلت ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال : فإن الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا نقصاً . وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي شيبة عن ليث عن مجاهد قال : ذهبت العلماء فما بقي إلا المتعلمون ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم . وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن حياء منه ينمعه من المساوي لكان في ذلك خير . وقال : الفقيه من يخاف الله وإن قل علمه ، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه . وقال : إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . وقال في قوله تعالى : (وثيابك فطهر) قال : عمالك فأصلح . (واسألوا الله من فضله) قال : ليس من عرض الدنيا . (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال : هم الذين يحشون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه . وقال : يقول القرآن للعبد إني معك ما اتبعته ، فإذا لم تعمل بي اتبعتك . (ولا تنس نصيحتك من الدنيا) قال : خذ من دينك لا آخرتك ، وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عز وجل . وقال داود بن الحصير عن عباد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه مجاهد بن جبير قال : قلت لابن عمر : أي حجاج بيت الله أفضل وأعظم أجراً ؟ قال : من جمع ثلاث خصال ، نية صادقة ، وعقلاً وافراً ، ونفقة من حلال ، فقد كرت ذلك لابن عباس فقال : صدق . فقلت : إذا صدقت نيته وكانت نفقته من حلال فماذا يضره قلة عقله ؟ فقال : يا أبا حجاج ، سألتني عما سألت عنه رسول الله ﷺ فقال : « والذي نفسي بيده ما أطاع العبد الله بشيء أفضل من حسن العقل ، ولا يقبل الله صوم عبده ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكون من عمله من أنواع الخير إن لم يعمل بعقل . ولو أن جاهلاً فاق المجتهد في العبادة ، كان ما يفسد أكثر » (١) كذا بالأصل . . .

فما يصلح . قلت : ذكر العقل في هذا الحديث ورفعه إلى النبي ﷺ من المذكات والموضوعات ،
والثلاث الخصال موقوفة على ابن عمر ، من قوله من جمع ثلاث خصال ، إلى قوله : قال ابن عباس
صدق ، والباقي لا يصلح رفعه إلا وقفه ، وداود بن الحبر كذبه أبو سليمان ، قال الحاكم : حدث به قناد
عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة ، حدث بها عن الطائفة بن أبي أسامة ، وله كتاب العقل ،
وأكثر ما أودع ذلك الكتاب موضوع على رسول الله ﷺ ، وذكر العقل في بعضها في هذه الرواية
لأنه من جهتها ، والله أعلم . وقد كذبه أحمد بن حنبل ^(١)

(أحمد بن حنبل بن محمد بن أبي قحاص)

تأبى جليل القدر . موسى بن طلحة بن عبيد الله الحبشي ، كان يلقب بالمعنى لصلابه ، كان
تأبى جليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله

ثم دخلت سنة أربع مائة

فيها قاتل سعيد بن عمرو الحرشي نائب خراسان أهل الهند وسامير أهل خيبر وقاتل خلقا
كثيرا ، وأخذ أموالا جزيلة ، وأمر رقيقا كثيرا جدا ، ونسب بذلك إلى يزيد بن عبد الملك ،
لأنه هو الذي ولاه . وفي ربيع الأول منها عزل يزيد بن عبد الملك عن إمرة الحرمين عبد الرحمن
ابن الضحاك بن قيس ، وكان سعيد أنه شارب طاعة يزيد بن عبد الملك ، فاستدعى من قبل ذلك ، فأقبل
عليها وتوعدوا ، فأرسلت إلى يزيد تشكرا ، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب
الطائف فولاه المدينة ، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسبح صوته ، أمير المؤمنين
وهو متسكى على فراشه يمشي ، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار ، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن وكب
إلى دمشق واستجار بمسدة بن عبد الملك ، فدخل على أخيه قتيل : إن لي إليك حاجة ، فقال : كل
حاجة تقولها فهي لك إلا أن تمكن ابن الضحاك ، فقال : هو والله طاعني ، فقال : والله لا أقبلها ولا
أعقر عنه ، فردد إلى المدينة فأسلمه سعيد الراشد ، فجلس به وأخذ بالله حتى تركه في جيرة سوف ، فسأل
الناس بالمدينة ، وكان قد باشر زيارة المدينة ثلاث سنين وأشهر ، وكان الزعم في هذا أشد عليه برأي
سعيد ، وهو أن يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر فلم يقبل ، ولم يفعل . فأبغضه الناس وخذوا الشراء
ثم كان هذا آخر أموره

وفيها عزل عمر بن عمرو سعيد بن عمرو الحرشي ، وذلك أنه كان يستخف بأمر ابن هبيرة ،
فلما عزله أحضره بين يديه بصفية وأخذ منه أموالا كثيرا ، وأمر بقتله ثم عقده عنه ، وعلى علي
خراسان سليم بن سعيد بن أسلم بن زوجه الكلابي . فقتل إليها فاستخلص أموالا كانت متكررة في

(١) من أول الفصل إلى هنا زيادة من المصنف وفي بعض النسخ لم يرد إلى صوابه

أيام سميد بن عمرو الحرشي . وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحسكي نائب أرمينية وأذربيجان ، أرض الترك ، ففتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم وذراريسهم في الماء ، وسبى منهم خلقا كثيرا ، وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر ، وأجلى عامة أهلها ، والتقى هو والحقان الملك فجرت بينهما وقعة هائلة آل الأمر فيها إلى أن انهزم خلقان ، وتبعهم المسلمون ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصى . وحينئذ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري أمير الحرمين والطائف ، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر ، ونائبه على خراسان مسلم بن سميد يومئذ . وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح ، أول خلفاء بني العباس وقد بايع أباه في الباطن جماعة من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان :

(خالد بن سديد السكلاعي)

| له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيا جليلا ، وكان من العلماء وأئمة الدين المحدثين المشهورين ، وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصلي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن ، وروى الجوزجاني عنه أنه قال : من اجتهد على الملاوم في مراد الحق ، قلب الله تلك الجاهل عليه ذما . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلا وله أربعة أعين . عيان في وجهه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بالعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما أمر آخرته وهما غيب ، فأمن الغيب بالغيب ، وإذا أراد الله بالعبد خلافاً ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظر فلا ينتفع ، فإذا نظر بقلبه نفع ، وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى (١)

(عامر بن سعد بن أبي وقاص النخعي)

له روايات كثيرة عن أبيه وغيره ، وهو تابعي جليل ، ثقة مشهور

(عامر بن شراحيل الشعبي)

توفي فيها في قول | كان الشعبي من شبيب همدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماما حافضا ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة ، وروى عنهم وعن جماعة من التابعين ، وعنده أيضا روى جماعة من التابعين ، قال أبو جعفر : ما رأيت أقف من الشعبي . وقال مكحول : ما رأيت أهدأ أعلم بسنة ما ضية منه . وقال داود الأودي : قال لي الشعبي : قم معي ههنا حتى أفيذك علما ، بل هو رأس العلم . قلت : أي شيء تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا أعلم فقل : الله أعلم ، فانه

علم حسن . وقال : لو أن رجلاً سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعاً ، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لو رأيت سفره عقوبة وضياعا وقال : اعلم أكثر من عدد الشجر ، نخلة من كل شيء أحسنه ^(١) .

(أبو بردة بن أبي موسى الأشعري)

تولى قضاء الكوفة قبل الشيعي ، فان الشيعي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، واستمر إلى أن مات ، وأما أبو بردة فإنه كان قاضياً في زمن الحجاج ، ثم عزله الحجاج وولى أخاه أبا بكر ، وكان أبو بردة قاضياً حافظاً عالماً ، له روايات كثيرة .

(أبو قلابة الجرمي)

عبد الله بن يزيد البصري ، له روايات كثيرة من جملة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطلب القضاء فبرب منه وترب ، وقدم الشام فآزرل دارياً وبها مات رحمه الله . قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكن همك ما يحدث به الناس ، فلمل غيرك ينفع ويستغنى وأنت في الظلمة تتمر ، وإني لأرى هذه المجالس إنما هي مناج الباطل . وقال : إذا بلغك عن أخيك شيء تذكره فامس له عذراً جهلك ، فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل لأخي عذراً لا أعلمه ^(٢) (ثم دخلت سنة خمس ومائة)

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحسكي بلاد العراق ، وفتح حصونا كثيرة ، وبلاداً مقبلة الأكناف من وراء البصرة ، وأصاب غنائم جمّة ، وسبي خلقاً من أبلاد الأتراك . وفيها غزا مسلم بن سعيد بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصفد ، فصالحه ما تكلم على مال كثير يصحله إليه . وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم ، فبعث بين يديه سرية ألف فارس ، فأصيبوا جميعاً . وفيها سلس بقين من شمعان منها توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان بأربد من أرض البلقاء ، يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وعنه ترجمته :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، قيل إنها دفنت بقبر عاتكة فاسبت الخلة إليها ^(٣) والله أعلم . بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومائة بعد من أخيه سليمان . أن يكون الخليفة بعد عمر ابن عبد العزيز ، سلس بقين من رجب ، قال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا كثير بن هشام ثنا جعفر ابن برقان حدثني الزهري قال : كنز لا يربح المسلم الكافر ولا الكافر المسلم في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلما ولي الخلفاء معاوية وقت المسلم من الكافر . ولم يربح الكافر من

(١) زيادة من المصرية (٢) قبر عاتكة مخرقة من شلالات دمشق معروفة . بهذا الاسم إلى اليوم

المسلم ، وأخذ بذلك الخلفاء من بعده ، فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السنة الأولى ، وتبمه في ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام أخذ سنة الخلفاء - يعني أنه ورث المسلم من الكافر - وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فهممنا أن نوسع له ، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ، ينعم التواضع .

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولي عزم على أن يتأسي بعمر بن عبد العزيز ، فما ترك قرناه السوء ، وعسنوا له الظلم ، قال حرمة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك قال : يروا بسيرة عمر ، فكثرت كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيعاً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عتاب ، وقد اتهمه بعضهم في الدين ، وليس بصفه صحيح ، إنما ذلك ولده الوليد بن يزيد كاسياني ، أما هذا فما كان به بأس ، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز : أما بسيد فاني لا أراي إلا علماني ، وما أرى إلا امرئ لا سيفضى إليك ، فوالله الله في أمة محمد ، فإني لما قليل ميت فتسرع الدنيا إلى من لا يستترك ، والسلام . وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بانته أنك استبطنات حياته ونميت وفاته وورثت الخلافة ، وكتب في آخره

مضى رجال أن أموت إن أموت * فذلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * متى مت ما الباغى على بخلد
منيته تجري لوقت وحده * يصادفه يوماً على غيره وعد
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى * ثيباً لأخرى مثلها وكان قد

فكتب إليه هشام : جعل الله يميني قبلي يملك ، وولدي قبلي والملك ، فلا خير في العيش بسلك

وقد كان يزيد هذا يحب حظيرة من حظائمه يقال لها حبابة ... بتشديد الباء الأولى ... والصحيح تخفيفها ... واسمها العالي ، وكانت بحيرة جداً ، وكان قد اشتراها في زمن أخيه بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حنيف . فقال له أخوه سليمان : لقد همت أحجر على يدك ، فباعها ، فلما أخذت إليه الخلافة قالت له امرأته سمدة يوماً : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء ؟ قال : نعم ، حبابة ، فبعت امرأته فاشتريتها له وبستها فوجدت أمراً يستهان به وراء الاستارة ، وقالت له أيضاً : يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدين شيء ؟ قال : أو ما أخبرتك ؟ فقالت : هذه حبابة - وأمر زوجها وأخذت بها ولم تكن - فبعت الجارية حنمة ، وكان ذلك زوجته أيضاً ، فقال يوماً : أشتهي أن أخلو بحبابة في قصر مدة من الدهر ، لا يكون عندنا أحد ، ففعل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له بألوان الفرش واللبط المذابة ، والخدمة الكثيرة السابقة ،

فبينما هو فيها في ذلك القصر على أسر حال وأنعم بال ، وبين يديهما عنب يأكلان منه ، إذ رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت ، فسكت أياما يقبلها وبرشفيها وهي ميتة حتى أنقست وجيغت فأمر بدفنها ، فلما دفنها أقام أياما عندها على قبرها دائما ، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها فوقف عليه وهو يقول :

فإن تسلُ عنك النفس أو تسع الصبا * فباليأس تساو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قاتل * من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

ثم رجع فصار خرج من منزله حتى خرج بنمسه وكان مرضه بالسل . وذلك بالسواد سواد الاردن يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومائة -

وكانت خلافته أربع سنين وشهرا على المشهور ، وقيل أقل من ذلك ، وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة . وقيل خمسا وقيل ستا وقيل ثمانيا وقيل تسعا وثلاثين . وقيل إنه بلغ الأربعين فأنه أعلم .

وكان طويلا جسيما أبيض مدور الوجه أفخم الفم لم يثب ، وقيل إنه مات بالجولان ، وقيل بحوران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد ، وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل بل صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك ، وهو الخليفة بعده ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق ، وكان قد عهد بالأمر من بعده لأخيه هشام ، ومن بعده لولده الوليد بن يزيد ، فبايع الناس من بعده هشاما ثم خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان .

بويج له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه خمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه ولد لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثنتين وسبعين ، فبها منصور اتفأولا ، ثم قدم فوجد أمه قد أسقطت باسم أبيها هشام ، فأقره . قال الواقدي : أنه بالخلافة وهو بالديوشنة في منزل له ، فجاء البريد بالعصا والخاتم ، فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمر الخلافة أتم القيام ، فعزل في شوال عنها عن إمرة العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد الله القسري ، وقيل إنه استعمله على العراق في مسنة ست ومائة ، والمشهور الأول . وحجج بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الحنظلي خال أمير المؤمنين ، أخو أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل ، ولم تلد من عبد الملك سواء حتى طاقها ، لأنها كانت حقة . وفيها قوى أمر دعوة بني العباس في العراق ، وحصل لدعوتهم أموال جزيلة يستعينون بها على أمرهم ، وما هم بصدد . وفيها توفي من الأعيان :

(أبان بن عثمان بن عفان)

تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين ، كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، قال عمرو بن شعيب

ما رأيت أعلم منه بالحديث والفقہ ، وقال يحيى بن سعيد القطان : فقهاء المدينة عشرة ، فذكر أبان بن عثمان أحدهم ، وخارجة بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، وعروة ، والقاسم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن . قال محمد ابن سعد : كان به صمم ووضح ، وأصابه الفالج قبل أن يموت بسنة ، وتوفي سنة خمس ومائة . أبو رجاء العطاردي . عامر الشعبي . في قول وقد تقدم ، وكثير عزة في قول . وقيل في التي بعدها كما سيأتي :

﴿ ثم دخلت سنة ست ومائة ﴾

ففيها عزل هشام بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وولى على ذلك كله ابن خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الحزمي ، وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلقية عندها الترك ، وكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها الخاقان وطائفة كبيرة من الترك ، وفيها أوغل الجراح الحسكي في أرض الخزر ، فصالحوه وأعطوه الجزية والخراج . وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم وسلم . وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان مسلم بن سعيد ، وولى عليها أخاه أسد بن عبد الله القسري . وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن الملك ، وكتب إلى أبي الزناد قبل دخوله المدينة ليلتقاه ويكتب له مناسك الحج ، ففعل ، فتلقاه الناس من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أمر به ، وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله ابن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب ، فالعنه أنت أيضاً ، قال أبو الزناد : فشق ذلك على هشام واستنقله ، وقال : ما قدمت لستم أحد ، ولا لعنة أحد . إنما قدمنا حجاجاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه وأقبل على أبي الزناد بحادثته وما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيم بن طلحة فتظلم إليه في أرض ، فقال له : أين كنت عن عبد الملك ؟ قال : ظمئني ، قال : فالوليد ؟ قال : ظمئني ، قال : فسليمان ؟ قال : ظمئني ، قال : فعمرو ابن عبد العزيز ؟ قال : ردها علي ، قال : فيزيد ؟ قال : انتزعها من يدي ، وهي الآن في يدك ، فقال له هشام : أما لو كان فيك مضرب لضربتك ، فقال : بلى في مضرب بالسوط والسيف ، فأنصرف عنه هشام وهو يقول لمن معه : ما رأيت أفصح من هذا . وفيها كان العامل على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق وخراسان خالد القسري والله سبحانه أعلم . ومن توفي فيها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عمر والعقيد ، أحد الفقهاء وأحد العلماء | وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من العباد الزهاد ، ولما حج هشام بن عبد الملك دخل

الكمة فاذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال له : سالم ؟ ^(١) سئلت حاجة ، فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له : الآن قد خرجت من بيت الله فسئلت حاجة ، فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألكم أن لا يملككم ؟ وكان سالم خشن العيش ، يلبس الصوف الخشن ، وكان يعالج بيده أعضائه وغيرها من الأعمال ، ولا يقبل من الخلفاء ، وكان متواضعا وكان شديد الأدمة وله من الزهد والورع شيء كثير .

(وطاوس بن كيسان البجلي) من أكبر أصحاب ابن عباس وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل والله الحمد انتهى وقد زدنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادة حسنة . فلما طاوس فهو أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان البجلي ، فهو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طاوس جماعة من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثروا روايته عن ابن عباس ، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد وعطاء وعمر بن دينار ، وإبراهيم ابن ميسرة ، وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر ، والزهري وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سليم ، والضحاك بن مزاحم . وعبد الملك بن ميسرة ، وعبد الكريم بن الحارثي وهب بن منبه ، والمغيرة ابن حكيم الصنعاني ، وعبد الله بن طاوس ، وغير هؤلاء .

توفي طاوس بمكة حاجا ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودفن بها رحمه الله تعالى . قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال قال أبي : مات طاوس بمكة فلم يصلوا عليه حتى بعث هشام ابنه بالحرس ، قال فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضعا السرير على كاهله ، قال : ولقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداؤه من خلفه - يعني من كثرة الزحام - فكيف لا وقد قال النبي ﷺ : « الايمان بمان » وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء المشار إليهم في هذا وغيره ، منهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، وهب وكعب وطاوس وغير هؤلاء كثير . وروى ضمرة عن ابن شاذب قال : شهدت جنازة طاوس بمكة سنة خمس ومائة ، فجمعوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حج أربعين حجة .

وقال عبد الرزاق : حدثنا أبي قال : توفي طاوس بالمزدلفة - أو يعني - حاجا ، فلما حمل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سيره . فما زالوا حتى بلغ القبر . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق

قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقبل طاوس : إن من فضله ومن ، ومن ، فلو أتيتك
قال : مالى إليه حاجة ، فقالوا : إنا نخاف عليك ، قال : فما هو إذا كما تقولون : وقال ابن جرير قال لى
عطاء : جاءنى طاوس فقال لى : يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل
دونه حجاباً . وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ووعدك
الاجابة . وقال ابن جرير عن مجاهد عن طاوس (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال : بعيد من
قلوبهم ، وروى الأحمري عن سفيان عن ليث قال قال لى طاوس : ما تعلمت من العلم فتعلمه
لنفسك ، فان الأمانة والصدق قد ذهباً من الناس . وقال عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن زيد
عن الصلت بن راشد . قال : كنا عند طاوس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم ، صاحب خراسان ،
فسأله عن شئ فأنهره طاوس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، قال : ذاك
أهون له على . وقال طاوس : إن منزلك قد استرم ، فقال : أمسينا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس فى قوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) قال : فى
أمر النساء ، ليس يكون فى شئ أضعف منه فى النساء . وقال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا يحيى بن
بكير حدثنا إبراهيم بن نافع عن ابن طاوس عن أبيه قال : لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس
فقال إبليس لعيسى : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوف
بذروة هذا الجبل فتد منه . فانظر أتعيش أم لا . قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجربنى
عيسى ، فأنى أفعل . أشئت . وفى رواية عن الزهرى عنه قال قال عيسى : إن العبد لا يختبر ربه ،
ولكن الرب يختبر عبده ، وفى رواية أخرى : إن العبد لا يبتلى ربه ، ولكن الرب يبتلى عبده .
قال : فخصه عيسى عليه السلام . وقال فضيل بن عياض عن ليث عن طاوس قال : حج الأبرار
على الرجال ، رواه عبد الله بن أحمد عنه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو ثعلبة عن ابن أبى داود . قال : رأيت طاوساً وأصحاباً له إذا صاوا
العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى فى الدعاء . وقال : من لم يبخل ولم
يل مال يقيم لم ينله جهد البلاء . روى عنه أبو داود الطيالسى ، وقد رواه الطبرانى عن محمد بن
يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبى داود فذكره . وقال لابنه : يا بنى صاحب العتلاء
تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن
لكل شئ غاية . وغاية المرء حسن عقله . وسأله رجل عن مسألة فأنهره ، فقال : يا أبا عبد الرحمن
إنى أخوك ، قال : أخى من دون الناس ؟ وفى رواية أن رجلاً من الخوارج سأله فأنهره ، فقال :
إنى أخوك ، قال : أمن بين المسلمين كلمهم ؟ . وقال عفان عن حماد بن زيد عن أيوب قال : سأل

رجل طاوساً عن شيء فانهزه ، ثم قال : تريد أن تجعل في عنق جبار ثم يطاف بي ؟ ورأى طاوس رجلاً مسكيناً في عينه عشم وفي نوبه وسخ ، فقال له : عد ! إن الفقر من الله ، فأين أنت من الماء ؟ وروى الطبراني عنه قال : إقرار بعض الظلم خير من القيام فيه ، وعن عبد الرزاق عن داود ابن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج ، فشق الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد ، فنزل الناس يمينا وشمالاً فأتوا أنفسهم ، وقام طاوس يصلي ، فقال له رجل - وفي رواية فقال ابنه - : ألا تنام فمالك قد سهرت ونصبت هذه الليلة ؟ فقال : وهل ينام السحر أحد ؟ وفي رواية : ما كنت أظن أحداً ينام السحر . وروى الطبراني من طريق عبد الرزاق عن أبي جريح وابن عيينة . قالوا : حدثنا ابن طاوس قال : قلت لأبي : ما أفضل ما يقال على الميت ؟ قال الاستغفار .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت النعمان بن الزبير الصنعاني يحدث أن محمد بن يوسف - أو أيوب بن يحيى - بعث إلى طاوس بسبعمائة دينار وقال الرسول : إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك . قال : نخرج بها حتى قدم على طاوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها الأمير إليك . فقال : مالي بها من حاجة ، فأراده على أخذها بكل طريق فأبى أن يقبلها ، فغفل طاوس فرمى بها الرجل من كوة في البيت ثم ذهب راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذها ، فمكثوا حيناً ثم بلغهم عن طاوس ما يكرهون - أو شيء يكرهونه - فقالوا : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بما لنا ، فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعثه إليك الأمير رده إلينا ، فقال : ما قبضت منه شيئاً ، فرجع الرسول إليهم فأخبرهم ، فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : المال الذي جئت بك به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضت منك شيئاً ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى المكان الذي رمى به فوجدها كما هي ، وقد بنت عليها المنكبوت ، فأخذها فذهب بها إليهم .

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال : انظروا إلى فقيرها أسأله عن بعض المناسك ، قال : نخرج الحاجب يلتمس له ، فرطاوس فقالوا : هذا طاوس البصري ، فأخذه الحاجب فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : اعفني ، فأبى ، فأدخل عليه ، قال طاوس : فلما وقعت بين يديه قلت : إن هذا المقام يسألني الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ! ! ! ويلك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشركه الله في حكمه بخاره . وفي رواية ذكرها الزهري أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت ، له جمال وكال . فقال : من هذا يا زهري ؟ فقلت : هذا طاوس ، وقد أدركه عدة من الصحابة ، فأرسل

إليه سليمان فأثابه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعمل فيهم » . فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال ابن شهاب : ظننت أنه أراد علياً - قال : دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قریش ، ثم قال : « إن لكم على قریش حقاً ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحوا رحوا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا ائتمنوا أدوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . قال : فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبو ميمر عن ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان - فقال طاوس مالى إليه من حاجة ، فكأنه عجب من ذلك ، قال : سفيان وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبل الكعبة : ورب هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاوس . قال : وجاء ابن سليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن أعلم هو وأبوه أن الله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم . وقد روى عبد الله بن أحمد عن ابن طاوس قال : خرجنا حججاً فنزلنا في بعض القرى ، وكنت أخاف أبى من الحكام لشدة بغلظه عليهم ، قال : وكان في تلك القرية عامل لمحمد بن يوسف - أخى الحجاج بن يوسف - يقال له أيوب بن يحيى ، وقيل يقال له ابن نجيع ، وكان من أخبت عماله كبراً وتجبراً ، قال : فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فإذا ابن نجيع قد أخبر بطاوس فجاء فقعده بين يدي طاوس ، فسلم عليه فلم يجبه ، ثم كلمه فأعرض عنه ، ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه ، فلما رأيت ما به قتت إليه وأخذت بيده ثم قلت له : إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك ، فقال طاوس : بلى إني به لعارف ، فقال الأمير : إنه بي لعارف ، ومعرفة بي فعلت بي ما رأيت . ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً ، فلما دخلت المنزل قال لي أبى : يالكع ، بينما أنت تقول أريد أخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن تدبس عنهم لسانك .

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاوساً فاستأذنت عليه فخرج إلى ابنه شيخ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : لا ! أنا ابنه ، فقلت : إن كنت أنت ابنه فإن الشيخ قد خرف ، فقال : إن العالم لا يخرف ، فدخلت عليه فقال طاوس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أوجزت لك ،

فقال تريد أن أجمع لك في مجلسي ههنا التوراة والانجيل والفرقان ؟ قال : قلت نعم ! قال : خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه ، وارجع رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب لنفسك .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : يجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيتحاجان ، فيقول صاحب المال للمال : جمعتك في يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا ، فيقول المال : ألم أقض لك الخواش ؟ أنا الذي حلت بينك وبين أن تصنع فيما أورك الله عز وجل من حبك إياي . فيقول صاحب المال إن هذا الذي نفذ على حبال أوثق بها وأقيد ، وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن الضريس عن أبي سنان عن حبيب ابن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي من غيرهم قط ، عطاء وطاوس ، وبجاهد وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعمامة ، وكان طاوس يدخل مع العطاء ، وقال حبيب : قال لي طاوس إذا حدثتك حديثاً قد أثبتته فلا تسأل عنه أحداً - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيري .

وقال أبو أسامة ، حدثنا الأعمش عن عبيد الملك بن مسرة عن طاوس قال : أدركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أخبرني ابن طاوس قال : قلت لأبي : أريد أن أتزوج فلانة ، قال : اذهب فانظر إليها ، قال : فذهبت فلبست من صالح ثيابي ، وغسلت رأسي ، وادهنت ، فلما رأيته في تلك الحال قال : اجلس فلا تذهب . وقال عبد الله بن طاوس : كان أبي إذا سار إلى مكة سار شهراً ، وإذا رجع رجع في شهر ، فقلت له في ذلك ، فقال : بلغني أن الرجل إذا خرج في طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله . وقال حمزة عن هلال بن كعب . قال : كان طاوس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك الميعة القديمة الجاهلية ، وقال له رجل : ادع الله لي ، فقال : ادع نفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل فيما خلا من الزمان ، وكان عقالاً ابياً ، فكبر فقمه في البيت ، فقال لابنه يوماً : إني قد اعتمدت في البيت ، فلو أدخلت على رجلاً يكلموني ، فذهب ابنه فجمع نفراً فقال : ادخلوا على أبي فحدثوه ، فإن سمعتم منه منكر فاحذروه فإنه قد كبر ، وإن سمعتم منه خيراً فاقبلوه . قال : فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال : إن أكيس الكيس التي ، وأعجز العجز الفجور ، وإذا تزوج الرجل فليتزوج من معدن صالح ، فإذا اطلعتم على خيرة رجل فاحذروه فإن لها أخوات

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا أحمد بن نصر بن مالك حدثنا عبد الله بن عمر بن مسلم الجبيري عن أبيه قال قال طاوس لابنه : إذا قبرتني فانظر في قبري ، فان لم تجدني فاحمد الله تعالى ، وإن وجدتني فانا لله وإنا إليه راجعون . قال عبد الله : فأخبرني بعض ولده أنه نظر فلم يره ولم يجد في قبره شيئاً ، ورؤى في وجهه السرور ، وقال قبيصة : حدثنا سفيان عن سميد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهم احرمي كثرة المال والولد ، وارزقي الإيمان والعمل . وقال سفيان عن معمر حدثنا الزهري قال : لو رأيت طاوس بن كيسان علمت أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدثنا جابر بن منصور - أخو إسحاق بن منصور - السلولي عن عمران ابن خالد الخزامي . قال كنت جالساً عند عطاء فجاء رجل فقال : أبا محمد إن طاوساً يزعم أن من صلى العشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى : ألم تنزل السجدة ، وفي الثانية تبارك الذي بيده الملك كتب له مثل وقوف عرفة وليلة القدر . فقال عطاء : صدق طاوس ما تركتهما . وقال ابن أبي السرى : حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان ربها داوى المجانين ، وكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجنون ، فجئ بها إليه ، فنزلت عنده فأعجبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن علم بها افتضحت ، فاقتلها وادفنها في بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، قال : ماتت ، فلم يهتموه لصالحه ومنزله ، فجاءهم الشيطان فقال : إيتا لم تمت ، ولكن قد وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها في بيته ، في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا : ماتتكم ولكن أخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ؟ فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ، فأخذوه فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فان كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله فأطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل ، فقتل فنتبرأ منه الشيطان حينئذ . وقال طاوس : ولا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه وفي مثله (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين ، فرض ، فقال أحدهم : إما أن تمرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فرضه حتى مات ودفنه ولم يأخذ من ميراثه شيئاً ، وكان فقيراً وله عيال ، فأتى في اليوم فقتل له : إيت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار نخدها ، فقال الآتي في المنام : ببركة أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهب نخدها فان من بركتها أن تكسوني منها ولعيش منها . فأتى وقال : لا آخذ شيئاً ليس فيه بركة . فلما أمسى أتى في منامه فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذه

منه عشرة دنانير ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لاسرائيل فقالت له مثل ذلك فأبى أن يأخذها ، ثم أتى في الليلة الثالثة فقبل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارا ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بركة ، قال : نعم إذا ، فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أشير إليه في المنام فوجد الدينار فأخذه ، فوجد صيادا يحمل حوتين فقال : بكم هما ؟ قال : بدينار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما إلى امرأته فقالت تصاحبهما ، فشقت بطن أحدهما فوجدت فيه درة لا يقوم بها شيء ، ولم ير الناس مثلها ، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه درة مثلها ، قال : فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعث يطلبها حيث كانت ليشتريها ، فلم توجد إلا عنده ، فقال الملك : إيت بها ، فأتاه بها ، فلما رآها حلاها الله عز وجل في عنقه ، فقال : بعنيها ، فقال : لا أنتقصها عن قر ثلثين يملا ذهباً ، فقال الملك : ارضوه ، فخرجوا به فوق رؤاه ثلثين يملا ذهباً ، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً ، فقال : ما تصالح هذه إلا بأختها ، اطلبوا لي أختها ، قال : فأتوه فقالوا له : هل عندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيتك ؟ قال : وتعملون ؟ قالوا : نعم . فأتى الملك بها ، فلما رآها أخذت بقلبه فقال أرضوه ، فأضفوا له ضعف أختها ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا وهيب بن الورد حدثنا عبد الجبار بن الورد قال حدثني داود ابن سابور قال قلنا لطائوس : أدع بدعوات ، فقال : لا أجسد لملك حبة . وقال ابن جرير عن ابن طاوس عن أبيه قال : البخل أن يبخل الإنسان بما في يده . والشح أن يحب أن له ما في أيدي الناس بالحرام لا يقنع : وقيل الشح هو ترك القناعة ، وقيل : هو أن يشح بما في يد غيره ، وهو مرض من أمراض القلب يلغى للعبد أن يعزله عن نفسه وينفقه ما استطاع ، وهو يأمر بالبخل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم » [أمرهم] بالبخل فبخلوا وبالقطيعة فقطعوا وهذا هو الخرص على الدنيا وحباها ، وقال ابن أبي شيبة : حدثنا الحارثي عن ليث عن طاوس قال : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك ، ومن زاد زيد في ثوابه ، وقال قتبية بن سعيد : حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس . قال : لا يتم نساك الشاب حتى ينزوح . وعن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : تشكح أن لا أقول لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزهراء : ما يملك من التشكح إلا عجز أو فجور . وقال طاوس : لا يجرد من المؤمن إلا حفرته . وقال عبد الرزاق عن معمر بن طاوس وغيره أن رجلاً كان يسير مع طاوس ، فسمع الرجل غراباً يعيب . فقال : خير . فقال طاوس : أي خير عند هذا أو شر لا تصحبنى ولا تمس مني . وقال بشر بن موسى : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه . قال : إذا غدا الإنسان أتبعه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فسلم فكس الشيطان

وقال : لا مقيل ، فاذا أتى بفدائه فذكر اسم الله قال : ولا غداء ولا مقيل ، فاذا دخل ولم يسلم قال الشيطان : أدركنا المقيل ، فاذا أتى بفدائه ولم يذكر اسم الله عليه قال الشيطان : مقيل وغداء ، وفي المشاء مثل ذلك . وقال : إن الملائكة ليكتبون صلاة بني آدم : فلان زاد فيها كذا وكذا ، وفلان نقص فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود .

وقال : لما خلقت النار طارت نفثة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنت ، وكان إذا سمع صوت الزعد يقول : سبحان من سبحت له . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد لطاوس : يا أبا عبد الرحمن ! رأيتك تصلي في الكعبة والنبي ﷺ على بابها يقول لك : اكشف قناعك ، وبين قراءتك . فقال له : اسكت لا يسمع هذا منك أحد . ثم تحيل إلى أن انبسط في الحديث . وقال أحمد أيضا بهذا الأسناد : إن طاوسا قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ! من قال وأتى الله خير ممن صمت وأتى . وقال مسعر عن رجل إن طاوسا أتى رجلا في السحر فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحدا ينام في السحر . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا ابن يمان عن مسعود ، فذكره . قال الثوري : كان طاوس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك فقال : حيف الأئمة وفساد الناس .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال : كان طاوس يصلي في غداة باردة معتمة ، فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاجبها - وهو أخو الحجاج بن يوسف - وطاوس ساجد ، والأمير راكب في مركبه ، فأمر بساج أو طيلسان مرتفع القيمة فطرح على طاوس وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته ، فلما سلم نظر فاذا الساج عليه فانتفض فألقاه عنه ، ولم ينظر إليه وخصى إلى منزله وتركه ملقى على الأرض . وقال نعيم بن حماد : حدثنا حماد بن عيينة عن ابن جريج عن عطية عن طاوس عن ابن عباس : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أئتمنه في مرضه ، فلما مرض الامام أحمد أن فقيل له : إن طاوسا كان يكره أن ينال المرض فتركه . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبيه عن داود بن شاور . قال : قال رجل لطاوس : ادع الله لنا ، فقال : ما أجدر بقايا خشية فأدعوا لك . وقال ابن طلوت : حدثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن أبي الحصين العنبري . قال : مرّ طاوس برؤاس قد أخرج رؤسا فغشى عليه . وفي رواية كان إذا رأى الرأس المشوية لم يتمش تلك الليلة .

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري . قال قال طاوس إن الموتى يغتفون في قبورهم سغيا ، وكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام . وقال ابن إدريس : سمعت أبا نجيح يقول عن طاوس وذكر النساء فقال : فيهن كفر من مضى وكفر من بقي . وقال

أبو عاصم عن بقيقة عن سلمة ابن وهرام عن طاوس قال : كان يقال : اسجد للقرء في زمانه ، أي
 أطعمه في المعروف . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أسامة حدثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم .
 قال قال طاوس : ما رأيت مثل ^(١) أحد آمن على نفسه ، ولقد رأيت رجلاً لو قيل لي : من أفضل من
 تعرف ؟ قلت : فلان ذلك الرجل ، فكشمت على ذلك حينئذ أخذه وجعل في بطنه ، فأصاب منه شيئاً
 استنضح بطنه عليه ، فاشبهاه ، فرأيت في نطع ما أدرى أي طرفيد أسرع حتى مات عرقاً . وروى
 أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن طاوس أنه رأى فتية من قریش يرفلون في مشيتهم ،
 فقال : إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباءكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفافون أن يمشوها .
 وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أن طارماً قام على رفيق له مرض حتى فاته الحج - لعله
 هو الرجل المتقدم قبل هذا استنضح بطنه - وقال مسعر بن كدام عن عبد الكبير المعلم قال طاوس
 قال ابن عباس : سئل النبي ﷺ : من أحسن قراءة ؟ قال : « من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى
 الله عز وجل » . وقد روى هذا أيضاً من طريق ابن هبيرة عن عمرو بن دينار عن طاوس قال قال
 ابن عباس : إن النبي ﷺ قال : « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزون به » . وعنه عن
 عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأي رسول الله ﷺ وعلى ثوبان مصفران فقال : « أملك
 أمرك بهذا ؟ قلت : أغسلهما ؟ قال : بل أحدهما » . ورواه مسلم في صحيحه عن داود بن راشد عن
 عمر بن أبوب عن إبراهيم بن نافع عن سليمان الأحمول عن طاوس به .

وروى محمد بن مسلمة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عمرو قال قال رسول الله
 ﷺ : « الجلاوذة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطالق .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسن الأنطاقي البغدادي حدثنا عبد المتعم بن إدريس
 حدثنا أبي عن وهب بن منبه عن طاوس عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
 لعلي بن أبي طالب : « يا علي استكن من المعارف من المؤمنين فيكم من معرفة في الدنيا بركة في
 الآخرة » . فظني على فأقام حيناً لا يلقى أحداً إلا اتخذ له للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له
 رسول الله ﷺ : « ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قال : قد فعلت يا رسول الله ، فقال له النبي ﷺ :
 اذهب فابل أخبارهم . فذهب ثم أتى النبي ﷺ وهو منكس رأسه ، فقال له النبي ﷺ : اذهب
 فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي ﷺ تبسم | فقال : ما أحسب يا علي ثبت معك إلا أبناء
 الآخرة ؟ فقال له علي : لا والذي بعثك بالحق . فقال له النبي ﷺ (الأختاء يومئذ بعضهم لبعض
 عدو إلا المتقين يا عبادي لاخوف عليكم) يا بني ! أفبلى على شأنك ، وأملك لك ملك ، وأخفل من
 (١) كذا بالأصل ، ولعله : ما رأيت مثلي أحداً آمن .

تعاشر من أهل زمانك تسكن سالماً غانماً . لم يرو إلا من هذا الوجه فيما نعلم والله أعلم ^(١) .

﴿ ثم دخلت سنة سبع ومائة ﴾

فيها خرج باليمن رجل يقال له عباد الرعيني فدعا إلى مذهب الخوارج واتبعه فرقة من الناس وحملوا قضايتهم يوسف بن عمر فقتله وقتل أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة . وفيها وقع بالشام طاعون شديد ، وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة وعلى جيش أهل الشام ميسون بن مهران ، فقطعوا البحر إلى قبرص وغزا مسامة في البر في جيش آخر . وفيها ظفر أسد بن عبد الله القسري بجماعة من دعاة بني العباس بخراسان فصلبهم وأشهرهم . وفيها غزا أسد القسري جبال نمرود ، ملك القرقيسيان ، مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نمرود وأسلم على يديه . وفيها غزا أسد الغوري - وهي جبال هراة - فعمد أهلها إلى حواصلهم وأموالهم وأثقالهم فجعلوا ذلك كله في كهف منيع ، لا سبيل لأحد عليه ، وهو مستعل جداً ، فأمر أسد بالرجال فجعلوا في توابيت ودلائم إليه ، وأمر بوضع ما هنا لك في التوابيت ورفعهم فسلخوا وغنموا ، وهذا رأى سديد . وفيها أمر أسد بجمع ما حول بلخ إليها . واستناب عليها برمك والد خالد بن برمك وبنائها بناء جيداً جديداً محكماً وحصنها وجعلها مقعداً للمسلمين . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ سليمان بن يسار أحد التابعين ﴾

[وهو أخو عطاء بن يسار ، له روايات كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، توفي بالمدينة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، دخلت عليه امرأة من أحسن الناس وجهاً فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزلها وخرج هارباً منها ، فرأى يوسف عليه السلام في المنام . فقال له : أنت يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف الذي هممت ، وأنت سليمان الذي لم تهتم . وقيل إن هذه الحكاية إنما وقعت في بعض منازل الحجاج ، وكان معه صاحب له ، فبعثه إلى سوق الحجاج ليشتري شيئاً فانحطت على سليمان امرأة من الجبل حسناء فقالت له : هيت لك ، فبكى واشتد بكاءً فلما رأت ذلك منه ارتفعت في الجبل ، وجاء صديقه فوجده يبكي فقال له : مالك تبكي ؟ فقال خير ، فقال : لعلك ذكرت بعض ولدك أو بعض أهلك ؟ فقال : لا ^(٢) ، فقال : والله لتخبرني ما أبكاك أنت . قال : أبكاني حزني على نفسي ، لو كنت مكانك لم أصبر عنها ، ثم ذكر أنه نام فرأى يوسف في منامه كما تقدم والله أعلم ^(٣) .

﴿ عكرمة مولى ابن عباس ﴾

أحد التابعين ، والمفسرين المكثرين والسادة الربانيين ، والرحالين الجوالين . [وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة ، وكان أحد أوعية العلم ، وقد أفتى في حياة مولاه ابن عباس ، (١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصل وفيه نقص بظهر بعض تأمل . (٣) زيادة من المصرية

قال عكرمة : طلبت العلم أربعين سنة ، وقد طاف عكرمة البلاد ، ودخل إفريقية واليمن والشام والمراق وخراسان ، وبث عنه هنالك ، وأخذ الصلوات وجوائز الأمراء ، وقد روى ابن أبي شيبة عنه قال : كان ابن عباس يجمل في رجل السكبل يعلمني القرآن والسنن ، وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثليهم أبداً ، طاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد فأقبل سعيد ومجاهد يلقين علي عكرمة التفسير فلم يسألوا عن آية إلا فسرهما لهما ، فلما نفذ ما عندهما جمل يقول : أنزلت آية كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلاً . قال جابر بن زيد : عكرمة أعلم الناس وقال الشعبي ، ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة . وروى الإمام أحمد عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة . وقال سعيد بن جبير نحوه ، وقال عكرمة : لقد فسررت ما بين اللاحقين . وقال ابن عذبة عن أيوب : سألت رجلاً عكرمة عن آية فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل - وأشار إلى سلع - وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم عكرمة الجند حمل طائوس على نجيب فقال : ابتعت علم هذا الرجل ، وفي رواية أن طائوساً حمل على نجيب فمضه ستون ديناراً وقال : ألا تشتري علم هذا العبد بستين ديناراً !

ومات عكرمة وكثير عزرة في يوم واحد فأخرجت جنازتهما فقال الناس : مات أفقه الناس وأشعر الناس ، وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : انطلق فأفقت الناس فن سألنا عما يعنيه فأفقه ، ومن سألنا عما لا ينبغي فلا تفقه ، فأنك تطرح على ثلثي مؤنة الناس . وقال سفيان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن المغازي كأنه مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتلون . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمر بن يقول : سمعت أيوب يقول : كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق ، قال فاني اني سوق البصرة فإذا رجل على حمار ، فقيل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناس إليه فما قدرت أنا على شيء أسأله عنه ، ذهبت مني المسائل ، وشردت عني فقممت إلى جنب حماره فجعل الناس يسألونه وأنا أحتفظه . وقال شعبة عن خالد الخذاء قال قال عكرمة لرجل وهو يسأله : مالك أخبلت ؟ أي فتمت . وقال زياد بن أبي أيوب : حدثنا أبو ثعلبة حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال قلت لعكرمة بن يسابور : الرجل يريد الخلاء وفي إصبعه خاتم فيه اسم الله ، قال : يجعل فسه في باطن يده ثم يقبض عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال : سمعت شعبة يقول قال خالد الخذاء : كل شيء قال فيه محمد بن سيرين : ثبت عن ابن عباس ، إنما سمعته من عكرمة ، ففيه أيام الخندق بالكوفة . وقال سفيان الثوري : خذوا المناسك من سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . وقال أيضاً : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال عكرمة : أدركت اثنين من أصحاب رسول الله

ﷺ في هذا المسجد . وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا إسرائيل عن سميد بن مسروق عن عكرمة : قال : كانت الخليل التي شغلت سليمان بن داود عليه السلام عشرين ألفاً فقمرها ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة : (الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) قال : الدنيا كلها قريب وكلها جهالة . وفي قوله : (الذين لا يريدون علواً في الأرض) قال : عند سلاطينها وملوكها . (ولا فساداً) لا يملكون بمصاحي الله عز وجل . (والمآب) هي الجنة . وقال في قوله تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا (بمذاب بتيس) أي شديد (فلما عتوا عما هموا عنه) أي تآمروا وأصرّوا . (خاسئين) صاغرين . (فجعلناهم نكالا لما بين يديها) أي من الأمم الماضية (وما خلفها) من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم (وموعظة) تبقى من تعظ بها الشرك والمصاحي .

وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة بعث الله الذين اعتدوا ويحاسب الذين تركوا الأمر والنهي كان المستخ لهم عقوبة في الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال عكرمة : قال ابن عباس : هلك والله القوم جميعاً ، قال ابن عباس فالذين أصرّوا ونهوا نجوا ، والذين لم يأصرّوا ولم ينهوا هلكوا فيمن هلك من أهل المصاحي . قال : وذلك أهل أيلة - وهي قرية على شاطئ البحر - وكان الله قد أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله فرغ من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مسبوكة . وذكرنا قصة أصحاب السبت ، وتحريم الصيد عليهم ، وأن الحيتان كانت تأتهم يوم السبت ولا تأتهم في غيره من الأيام ، وذكرنا احتياهم على صيدها في يوم السبت فقال قوم : لا ندعكم تصيدون في يوم السبت ووعظوهم . فجاء قوم آخرون مداهنون فقالوا : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) قال الناهون (ممدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) أي ينتهون عن الصيد في يوم السبت . وقد ذكر عكرمة أنه لما قال لابن عباس إن المداهنين هلكوا مع الغافلين ، كساد ثوبين . وقال حوثره عن مغيرة عن عكرمة قال : كانت القضاة ثلاثة - يعني في بني إسرائيل - مات واحد فجعل الآخر مكانه ، فقضوا ما شاء الله أن يقضوا فبعث الله ملكاً على فرس فر على رجل يسقى بقرعة معها عجل ، فدعا الملك العجل فتبع العجل الفرس ، فجاء صاحبه ليرده فقال : يا عبد الله ! عجلي وابن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابن فرسي ، فخاصمه حتى أعيا ، فقال : القاضى بيني وبينك ، قال : لقد رضيت ، فارتعفا إلى أحد القضاة فتكلم صاحب العجل فقال له : مربى على فرس فدعا عجلي فتبعه فأبى أن يرده . قال : ومع الملك ثلاث درات لم ير الناس مثلهما ، فأعطى القاضى درة وقال : اقض لى ، فقال : كيف يسوغ هذا ؟ فقال : نرسل العجل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها ، ففعل ذلك فتبع الفرس فقضى له . فقال

صاحب العجل : لأرضى ، يبنى وبينك القاضي الآخر ، فعلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث فقصة عليه قصتهما ، وناولته الملك الدرة الثالثة فلم يأخذها ، وقال لا أقضى بينكما اليوم ، فقالا : ولم لا تقضى بيننا ؟ فقال : لأننى حائض ، فقال الملك : سبحان الله ! رجل يحيض ! ؟ فقال القاضي : سبحان الله ! وهل تنتج الفرس عجلا ؟ فقضى لصاحب البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتليتم ، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك .

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة أن ملكا من الملوك نادى فى مملكته : إني إن وجدت أحدا يتصدق بصدقة قطعت يده ، فجاء سائل إلى امرأة فقال : تصدق على بشى ؟ فقالت : كيف أتصدق عليك والمالك يقطع يد من يتصدق ؟ قال : أسألك بوجه الله إلا تصدقت على بشى ، فمصدقت عليه برغيفين ، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليها فقطع يديها ، ثم إن الملك قال لأمه : دلينى على امرأة جميلة لأتزوجها ، فقالت : إن ههنا امرأة ما رأيت مثلها ، لولا عيب بها . قال : أى عيب هو ؟ قالت : مقطوعة اليدين ، قال : فأرسل إليها ، فلما رآها أعجبه . وكان لها جمال . فقالت : إن الملك يريد أن يتزوجك : قالت : نعم إن شاء الله ، فتزوجها وأكرمها ، فهدى إلى الملك عدو يفرج إليهم ، ثم كتب إلى أمه : انظري فلانة فاستوصى بها خيرا وافعلى وافعلى معها ، فجاء الرسول فنزل على بعض ضرائرها فحسنتها فأحسن الكتاب فقيرته وكتبت إلى أمه : انظري فلانة فقد باننى أن رجلا يأتونها فأخرجها من البيت وافعلى باننى ، فكتبت إليه الأم إنك قد كذبت ، وإني لا امرأة صدق ، فذهب الرسول إليهن فنزل بين فأحسن الكتاب فقيرته فكتبت إليه : إنني فاجرة وقد ولدت غلاما من الزنا ، فكتبت إلى أمه : انظري فلانة فاجعلنى ولدها على رقبتي واضربي على جيبها وأخرجها . قال : فلما جاءها الكتاب قرأته عليها وقالت لها : أخرجى ، فجعلت الصبي على رقبتيها وذهبت ، فمرت بنهر وهى عطشانة فنزلت للشرب والصبي على رقبتيها فوقع فى الماء فغرق ، فجلست تبكي على شاطئ النهر ، فمر بها رجلان فقالا : ما يبكيك ؟ فقالت : ابني كان على رقبتي وليس لى يدان فسقط فى الماء فغرق . فقالا لها : أنجبين أن يرد الله عليك يدك كما كانتا ؟ قالت : نعم ! فدعوا الله ربهما فلما فاستوت يداها ، ثم قال لهما : أتدريين من نحن ؟ قالت : لا قالا : نحن الرغيفان اللذان تصدقت بهما . وقال فى قوله : (طيرا أبابيل) قال : طير خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع فلم تزل ترميهم حتى جبرت بلودهم ، وما روى الجندري قبل يومئذ وما روى الطير قبل يومئذ ولا بعد . وفى قوله تعالى : (ويؤتى المشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال : لا يقولون لا إله إلا الله ، وفى قوله (قد أفلح من تزكى) قال : من يقول لا إله إلا الله ، وفى قوله : (هل لك إلى أن تزكى) إلى أن تقول لا إله إلا الله ، وفى قوله : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا) على شهادة أن لا إله إلا الله . وفى قوله : (أليس منكم رجل رشيد) أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله ، وفى قوله : (وقال صواباً) قال : لا إله إلا الله . وفى قوله : (إنك لا تختلف الميعاد) من قال : لا إله إلا الله . وفى قوله (لا عدوان إلا على الظالمين) على من لا يقول : لا إله إلا الله . وفى قوله : (واذا كرر بك إذا نسيت) قال : إذا غضبت (سيأثم فى وجوههم) قال : السهر وقال : إن الشيطان ليترين للمبىد الذنب ، فإذا عملته تبرأ منه ، فلا يزال يتضرع إلى ربه ويتمسك له ويبيكى حتى يغفر الله له ذلك وما قبله . وقال قال جبريل عليه السلام : إن ربي ليبيعني إلى الشيء لا مضيه فأجد الكون قد سبقني إليه . وسئل عن الماعون قال : العارية . قلت : فان منع الرجل غر بالاً أو قدراً أو قصعة أو شيئاً من متاع البيت فبذ الويل ؟ قال : لا ! ولكن إذا نهى عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل . وقال : البضاعة المزجاة التي فيها تجوز . وقال : السائحون ، هم طلبة العلم . وقال : (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) قال : إذا دخل الكفار القبور وعانوا ما أعد الله لهم من الخزي ، ينسوا من نعمة الله . وقال غيره : (ينس الكفار من أصحاب القبور) أى من حياتهم وبعثهم بعد موتهم . وقال : كان إبراهيم عليه السلام يدعى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد ، وقال : أنسكلاً ، أى قيوداً . وقال فى كاهن سبأ : إنه قال لقومه لما دنا منهم العذاب : من أراد سفراً بميداً وحللاً شديداً ، فعليه بيمان ، ومن أراد الحجر والحجير ، وكذا وكذا والعصير ، فعليه ببصرى - يعنى الشام - ومن أراد الراسخات فى الوحل ، والمقبات فى المحل فعليه بيثرب ذات النخل . فخرج قوم إلى عمان وقوم إلى الشام ، وهم غسان ، وخرج الأوس والخزرج - وهم بنو كعب بن عمرو - وخزاعة حتى نزلوا يثرب ، ذات النخل ، فلما كانوا ببطن مرّ قالت خزاعة : هذا موضع صالح لا تريد به بدلاً ، فنزلوا ، فمن ثم سميت خزاعة ، لأنهم نزلوا من أصحابهم . وتقدمت الأوس والخزرج حتى نزلوا يثرب ، فقتل الله عز وجل ليوسف عليه السلام يا يوسف ! بعفوك عن إخوانك رفعت لك ذكرك مع الله كربين . وقال : قال لقمان لابنه : قد ذقت المرار فلم أذق شيئاً أكرم من الفقر . وحملت كل حمل ثقيل فلم أحمل أثقل من جار السوء . ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . رواه وكيع بن الجراح عن سفيان عن أبيه عن عكرمة : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال : ما وقع شيء منها إلا فى عين رجل منهم . وقال : فى قوله تعالى (زعيم) هو اللثيم الذى يعرف اللؤمة كما يعرف الشاة بذنبتها . وقال فى قوله تعالى (الذين يؤذون الله ورسوله) قال : هم أصحاب التصاوير ، (وبلغت القلوب الحناجر) قال : لو أن القلوب تحركت أو زالت لخرجت نفسه ، وإنما هو الخوف والفزع . (فتنتم أنفسكم) أى بالشهوات (وتربصتم) بالنوبة (وغرتكم الأمانى) أى التسويف (حتى جاء أمر الله) الموت (وغرکم بالله الغرور)

الشیطان . وقال : من قرأ يس والقرآن الحکیم لم یزل ذاک الیوم فی سرور حتی یمسی .
قال سلمة بن شعيب : حدثنا ابراهيم بن الحکم عن ابان عن أبيه . قال : كنت جالسا مع عكرمة
عند البحر فذكروا الذين یفرقون فی البحر فقال عكرمة : الذين یفرقون فی البحر تنقسم حلوقهم
الحیاتان فلا یبقى منهم شیء إلا العظام ، حتى تصیر حاكلا فخرقة فتمر بها الابل فتنأ کاهها ، ثم تسیر الابل
فتبهرها ، ثم یجئهم بعدهم قوم فینزلون ذاك المنزل فیاخذون ذاك البحر فیمقدونه ثم یصیر رمادا
فتجئ الريح فتنأخذه فتذریه فی كل مكان من الأرض حیث یشاء الله من بره وبحره ، فاذا جاءت
النفخة - نفخة المبعث - فیخرج أولئك وأهل القبور المجدوعین سواء . وهذا الاسناد عنه قال : إن
الله أخرج رجلین ، رجلا من الجنة ورجلا من النار ، فقال لصاحب الجنة : عبیدی ! کیف وجدت
مقيلک ؟ قال خیر وقیل . ثم قال لصاحب النار : عبیدی کیف وجدت مقيلک ؟ فقال : شر وقیل قاله
التنائون ، ثم ذکر من عقاربها وحیاتها وزنا بیدها ، ومن أنواع ما غیرها من العذاب وألوانه ، فبقول الله
تعالی لصاحب النار : عبیدی ! ماذا تعطینی إن أنا أعفیتک من النار ؟ فبقول العبد : إلی وماذا عنسی
ما أعطیک ، فقال له الرب تعالی : لو کان لك جبل من ذهب أ کنت تعطینی فأعفیتک من النار ؟ فقال
نعم : فقال له الرب : کذبت لقد سألتک فی الدنيا ما هو أیسر من ذاك ! تدعونی فأعفیتک ،
وتستغفرنی فأعفیتک ، وتسألنی فأعطیک ، فکنت تنزلی ذاعبا

وهذا الاسناد قال : ما من عبد یقر به الله عز وجل یوم القيامة للحساب إلا قام من عند الله
بعفوه ، وبه عنه : لکل شیء أساس ، وأساس الاسلام الخلق الحسن . وبه عنه قال : شکا نبي من
الانبياء إلی ربه عز وجل الجوع والعری ، فأوحى الله إلیه : أما ترضی أنى سددت عنک باب الشر
الناسئ ؟ وبه عنه قال : إن فی السماء ملكا یقال له إسماعیل لو أذن الله له بفتح أذن من آذانه
یسبح الرحمن عز وجل لمات من فی السموات والأرض . وبه عنه قال : سمعة الشمس سمعة الأرض
وزيادة ثلاث مرات ، وسمعة القمر سمعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت دخلت بعراً تحت
العرش تسبح الله حتى إذا أصبحت استعفت ربها تعالی من الطلوع فیتقول لها : ولم ذاک - وهو أعلم -
فتقول : لئلا أعبد من دونک ، فیتقول لها : اطعنی فأیس عیدک شیء من ذاك . حسبهم جهنم أبوابها
إلیهم مع ثلاث عشرة ألف ملك تنودها حتى یدخلوهم : وهذا خلاف ما ثبت فی الحديث الصحيح
« إن جهنم یلقى بها تقاد بسبعین ألف زمام ، مع کل زمام سبعون ألف ملك » . وقال مسلم عن أسد
ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله ﷺ : « لا یقن أحدکم علی رجل یضرب
ظلمة فان المنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه . ولا یقن أحدکم علی رجل یقتل
ظلمة فان المنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه » . لم یرفعه إلا ما نزل هنا .

وروى شعبة عن عمارة بن حفصة عن عكرمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ « كان إذا عطس غطى وجهه بشوبه ، ووضع يديه على حاجبيه » ، هذا حديث عال من حديث شعبة . وروى بقرينة عن إسحاق بن مالك انضوى عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من حلف على أحد يمينا ، وهو يرى أنه سيبره فلم يفعل ، فانما إثمه على الذي لم يبره » . تفرد به بقرينة بن الوليد مرفوعا . وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا عبيد بن عمر الزوارى حدثنا يزيد بن ربيع حدثنا عمارة بن أبي حفصة حدثنا عكرمة حدثنا عائشة أن النبي ﷺ كان عليه بردان قطريان خششان غليظان ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن ثوبيك هذين غليظان خششان ، ترشح فيهما فيثقلان عليك ، فأرسل إلى فلان فقدم أناه برد من الشام فاشتر منه ثوبين إلى ميسرة ، فأرسل إليه فأناه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إليك لتبسه ثوبين إلى ميسرة . فقال : قد علمت والله ، ما يريد نبي الله إلا أن يذهب بشوبي ويغتنى بهما ، فرجع الرسول إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال ﷺ : كذب لقد علموا أني أتقاهم الله ، وآدام للأمانة » . وفي هذا اليوم قال النبي ﷺ : « لأن يلبس أحدكم من رفاع شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده » والله سبحانه أعلم (١) .

(الثامن بن محمد بن أبي بكر الصديق)

كان أحد القتهاء المشهورين ، له روايات كثيرة ، عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذته خاتمه فنشأ عندها ، وصاد له منقلب كثيرة . أبو رجاء العطاردي .

(وفيها توفي كثير عزة الشاعر المشهور)

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخزاعي الحجازي ، المعروف بابن أبي جمعة ، وعزة هذه المشهور بها المنسوب إليها ، لتغزلها فيها ، على أم عمرو عزة بالعين المهملة ، بنت جميل بن حفص ، من بني حاجب بن غفار ، وإنما صغر اسمه فقيل كثير ، لأنه كان دميم الخلق قصيرا ، طوله ثلاثة أشبار . قال ابن خلدون : كان يقال له رب الدبان ، وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطأ رأسك لا يؤذيكَ السقف ، وكان يضحك إليه ، وكان يند على عبد الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال إنه أشعر الإسلاميين ، على أنه كان فيه تشيع ، وربما نسبوا بعضهم إلى مذهب التماسخية ، وكان يحتج على ذلك من جهله وقلة عقله إن صح النقل عنه ، في قوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) وقد استأذن يومه على عبد الملك فلما دخل عليه قال عبد الملك : لأن

تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، فقال : حَيٍّ سَلا يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغرية قلبه ولسانه ، وإن نطق نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجهنم ، وأنا الذي أقول

وجربت الأور وجربتي * وقد أبدت عريكتي للأور
وما تخفى الرجال على أني * بهم لآخو مشقة خبير
ترى الرجل النحيف فتزدرية * وفي أنوابه أسد زهير
ويجيبك الطائر فتخبره * فيخلف ظنك الرجل الطير
وما دام الرجال لها بزير * ولكن زينها دين وخير
بغاث الطير أطولها جسوما * ولم تطل البراة ولا الصدور
وقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
فيركب ثم يضرب بأهراوى * ولا عرف لديه ولا فكير
وعود الشبع يثبت مستمرا * وليس يطول والمضياء حور

وقد تكلم أبو الفرج بن طراز على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام طويل ، قالوا : ودخل كثير عزة يوما على عبد الملك بن مروان فاستدحه بقصيدته التي يقول فيها : -

على ابن أبي العاصي دروع حصينة * أجاد المسدي سردها وأدائها
قال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن مديكرب : -
وإذا تجبى كتيبة مرمومة * شربها يخشى المذاق من سيائها
كنت المتقدم غير لابس حبة * بالسيف يضرب معلما أبطائها

فقال : يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفك بالخزم . ودخل يوما على عبد الملك وهو يتجهز للخروج إلى مصعب بن الزبير فقال : ويحك يا كثير . ذكرتك الآن بشرك فان أصبت أعطيتك حكمتك ، فقال : يا أمير المؤمنين كأنك لما ودعت عائكة بكنت يزيد بكنت لفراقك فبكي أبكتها حشوها فذكرت قولى :

إذا ما أراد الفرو لم تكن عزمة * حصان عليها فقام دريزنها
منته قلما لم تر النهر عافه * بكنت فبكي مما عراعا قطيئنها

قال : أصبت طاعتكم ، قل : مائة مائة من ثوبك اختارة ، قال : هي لك . فلما سار عبد الملك إلى العراق نظر يوما إلى كثير عزة وهو مفكر في أمره فقال : على به ، فلما جرى به قال له : أرايت إن أخبرتك بما كنت تفكر به تهطئني حكى ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال له عبد الملك إنك تقول في نفسك : هذا رجل ليس هو على مذهبي ، وهو ذاعب إلى قتال رجل ليس هو على

مذهبي ، فان أصابني سهم غرب من بينهم ما خسرت الدنيا والآخرة ، فقال : إني والله يا أمير المؤمنين ، فاحتكم ، قال : أحتكم حكماً أن أردك إلى أهلك وأحسن جثثك ، فأعطاه مالا وأذن له بالأصراف . وقال حماد الراوية عن كثير عزة : وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نمت بصحبتنا إياه وما شرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكل منا يظن أنه سيشارك في الخلافة ، ففحص نسير ونختال في رحالنا ، فلما انتهينا إلى خنجره ولاحث لنا أعلامها ، تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء ؟ قال : فوجدنا ذلك ، فأنزلنا مسلمة عنده وأجرى علينا النفقات وعلف دوابنا ، وأقمنا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لأسمع خطبته فسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعته يقول في خطبته : لكل سدر زاد ، فترودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من عذابه ونوابه فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتتسوق قلوبكم وتتناقذوا بعدكم ، فانه والله ما بسط أمد من لا يدري أمه لا يمسي بعد إصباحه ولا يصبح بعد إمسائه ، وربما كانت له كرامة بين ذلك خطرات الموت والمنايا ، وإنما يطأ من وفق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فلما من لا يداوى من الدنيا كلما إلا أصابه جراح من ناحية أخرى فكيف يطأ من ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق ، ثم بكى حتى ظننا أنه قاض نحيبه ، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والمويل : قال : فانصرفت إلى صاحبي فقلت : خذ مسرعا من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فانه رجل آخرى ليس برجل دنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سامت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال النواء وقلت الفائدة ، وتحدث بمجفائك إيانا وفود العرب . فقال : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) وقرأ الآية ، فان كنتم من هؤلاء أعطيتم وإلا فلا حق لكم فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به ، فقال : أستم عند أبي سعيد ، يعني مسلمة بن عبد الملك - فقلنا : بلى ! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد ، فقلت : أئذن لي يا أمير المؤمنين بالأنشاد ، قال : نعم ولا تقل إلا حقا ، فأشدته قصيدة فيه :

وليت فلم تشتم عاليا ولم تخف * بريشا ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي * أتيت فأوسى راضيا كل مسلم
ألا إنما يكفي الفقى بعد ربه * من الاود النادى ثقاف المقوم
وقد ابست تسعى اليك ثيابها * تراءى لك الدنيا بكف ومعهم
وتوهض أحيانا بعين مريضة * وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما * سقتك مذوقاً من سام وعلقم
وقد كنت من أحبالها في منع * ومن بجرها في زبد الموج مغمم
ومازلت توافا إلى كل غاية * بلغت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفوا ولم تكن * لطالب دنيا بعده في تكلم
تركت الذي يقى وإن كان موثقا * وآثرت ما يبقى برأى مصمم
وأضررت بالفاني وشعرت للذي * أملاك في يوم من الشر مظلم
ومالك إذ كنت الخليفة مانع * سوى الله من مال رعيت ولادم
سألك هم في الفؤاد مؤرق * بلغت به أعلى الأعمال بلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها * مناد ينادى من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمني * بأخذك دينارى وأخذك درهمى
ولا بسط كيف لأمرى غير مجرم * ولا السك منه ظالماً ملء محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسوا * لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فعمشت بها ما حيج لله راكب * ملب مطيف بالمقام وزمزم
فأخرج بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال : فأقبل على عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة ، ثم استأذنه الأخص
فأنشده قصيدة أخرى فقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة . ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له وأمر
لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهماً ، وأغزى نصيباً إلى مرج دابق . وقد وفد كثير عزة بعبد
ذلك على يزيد بن عبد الملك فامتدحه بقصائد فأعطاه سبعمائة دينار . وقال الزبير بن بكار : كان
كثير عزة شيعياً خبيثاً يرى الرجعة ، وكلت يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى (في أى حورة
ما شاء ركبتك) وقال موسى بن عقبة هو كل كثير عزة ليس له في مذهبه فأصبح يمدح آل الزبير ويرى
عبد الله بن الزبير ، وكان يرى أن رأى فيه :

بفخضج البطحاء تناول أنه * أقام بها ما لم ترمها الأخشاب
سرحنا سروباً آمين ومن يخف * بوائقي ما يخشى تنبيه التواب
تبرأت من عيب ابن أمية إننى * إلى الله من عيب ابن أمية كاتب
هو المرء لا ترزى به أمهاته * وآبؤه فينا السكرام الأطياب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيرى : قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما الذى يدعوك إلى
ما تقول من الشر في عزة وليست على نصف من الحسن والجمال ، فلو قلت ذلك فى وفى أنشأى فاقا

أشرف وأفضل وأحسن منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت النساء حسنا وجمالا وأصاله -
وإنما قالت له ذلك لاختباره وتبلوه فقال :

ضحى قلبه يا عزز أو كاد يذهل * وأضحى يريد الصوم أو يتبدل
وكيف يريد الصوم من هو واما * لينة لا قال ولا متبدل
إذا واصلتنا خلة كي تزيلنا * أبينا وقلنا الحاجبية أول
سنوئك عزة إن أردت واصلنا * ونحن لتلك الحاجبية أوصل
وحديثها الواشون أنى هجرتها * فحملها غيظا على الحمل

فكانت له عائشة : قد جعلتني خلة ولست لك بخلة ، وهلا قلت كما قال جميل فهو والله أشعر
منك حيث يقول :

يارب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلفه بقول المازل
فأجبتها بالقول بعد تسر * حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي بقدر قلامة * فضل وصلتك أو أنتك رسائي

فقال : والله ما أنكر فضل جميل ، وما أنا إلا حسنة من حسناته ، واستعجيا ، وما أنشد ابن
الأنباري لكثير عزة :

بأبي وأمي أنت من مشوقة * طين العدو لها فغير حالمها
ومشى إلى بعيب عزة نسوة * جميل الآله خدودهن فمالها
الله يعلم لو جهن ومثلت * لأخذت قبل تأمل تمثالها
ولو أن عزة خلصت شمس الضحى * في الحن عند مرقى لقفى لها
وأنشد غيره لكثير عزة :

فما أحدث النأى الذي كان بيننا * سلوا ولا طول اجتماع تقالبا
وما زادني الواشون إلا صباية * ولا كثرة الناهين إلا تماديا
غيره له : فقلت لها يا عزز كل مصيبة * إذا وطئت يوما لها النفس ذلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * لمرّة من أعراضنا ما استمحت
وقال كثير عزة أيضا وفيه حكمة أيضا :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض أفياء يموت وهو عاتب
ومن يتقبح جالعا كل عشرة * يجودها ولا يرقى له الدهر صاحب

وذكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن خفطر أم عمرو الضمرية

وفدت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه ظلامته فقال : لا أفضيها لك حتى تشدني شيئاً من شمره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شعراً ، لكني سمعتهم يحكون عنه أنه قتل في هذه الأبيات :

قضى كل ذي دين علمت غريمه * وعزة محلول معنى غريمها
فقال : ليس عن هذا أسألك ولكن الشديني قوله :

وقد زعت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والحسبة كالذي * عهدت ولم يتغير بذلك مخبر

قال فاستحييت وقالت : أما هذا فلا أحفظه ولكن سمعتهم يحكون عنه ، ولكن أحفظ له قوله :

كأنني أنادي صغرة حين أعرضت * من الظلم لو تمشى بها المعسر ذات
صفوح فسا تلتك إلا بخيلة * ومن هل منها ذلك الوصل ملت

قال فقضى لما حاجتها ورددها ورد عليها ظلامتها وقال : أدخلوها الطوم لينملوا من أدمها . وروى عن بعض نساء العرب قالت : اجتازت بنا عزة فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن حسننها ، فإذا هي حمراء حادة لطيفة ، فلم تقع من النساء بذلك الموضع حتى تكلمت فإذا هي أبرع النساء وأحلاهن حديثاً ، فما بقي في أعيُننا امرأة تفوقها حسنها وجهالاً وعلامة . وذكر الأصمعي عن سفيان بن عيينة قال : دخلت عزة على سكينه بنت الحسين فقالت لها : إني أسألك عن شيء فاصدقيني ، ما الذي أريد كثير في قوله لك :

قضى كل ذي دين فوق غريمه * وعزة محلول معنى غريمها

فقالت : كنت وعادته قبلة فمائلته بها ، فقالت : أنجز بها له وإنيها على ، وقد كانت سكينه بنت الحسين من أحسن النساء حتى كان يضرب بعصتها المثل . وروى أن عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج كثيراً من عزة فأبى عليه وقالت : يا أمير المؤمنين أبعده ما فتنحني بين الناس وشهري في العرب ؟ وامتنعت من ذلك كل الأمتناع ، ذكره ابن عساكر . وروى أنها اجتازت مرة بكثير وهو لا يعرفها فتسكرت عليه وأرادت أن تختبر ما عنده ، فمعرض لها فقالت : فأين حبك عزة ؟ فقال : أنا لك الغداء لو أن عزة أمة لي لو هبها لك ، فقالت : ويحك لا تفعل أأنت القائل :

إذا وصلتنا خلة كي نزيانا * أيننا وقلنا الحاجبية أول ؟

فقال : بأبي أنت وأمي ، أقصرى عن ذكرها واسمعي ما أقول :

هل وصل عزة إلا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها بديل

قالت : فهل لك في المجاسة ؟ قال : ومن لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلت في عزة ؟ قال : أقلبه فيتحول لك ، قال فسفرت عن وجهها وقالت : أغدراً وتنا كئفاً يافسق ، وإنيك طاهنا ياعبدو

الله ، فبهت وأبلس ولم ينطق وتحيروا وخجل ، ثم قالت : قاتل الله جيلاً حيث يقول : -
 محا الله من لا ينفع الود عنده * ومن حبله إن صد غير متين
 ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على المهد خلافاً بكل يمين
 ثم شرع كثير يمتدرو ويتنصل مما وقع منه ويقول في ذلك الأشعار ذا كراً وآثراً . وقد ماتت
 عزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان ، وزار كثير قبرها ورثاها وتغير شعره بعدها ، فقال له قائل :
 ما بال شعرك تغير وقد قصرت فيه ؟ فقال : ماتت عزة ولا أطرب ، وذهب الشباب فلا أعجب ،
 ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنما ينشأ الشعر عن هذه الخلال .
 وكانت وفاته و وفاة عكرمة في يوم واحد ، ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور . وإنما ذكره
 شيخنا الذهبي في هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان ومائة ﴾

[ففيها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم ، وفتح إبراهيم بن هشام بن عبد الملك
 حصناً من حصون الروم أيضاً ، وفيها غزا أسيد بن عبد الله الفسري أمير خراسان فكسر الأتراك
 كسرة فاضحة . وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة وارتان ورماها بالمناجيق ، فسار إليه
 أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه
 وقتل من جيشه خاق كثير ، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه ، وقتل
 الحارث بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقاً كثيراً . وفيها غزا معاوية بن هشام بن
 عبد الملك أرض الروم ، وبعث البطل على جيش كثيف فافتتح جنجرة وغنم منها شيئاً كثيراً ^(١)
 وفيها توفي من الأعيان بكر بن عبد الله المزني البصري . [كان عالماً عابداً زاهداً متواضعا قليل
 الكلام ، وله روايات كثيرة عن خلق من الصحابة والتابعين . قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت
 من هو أكبر منك من المساهدين فقل : سبقته إلى المصاحف فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرهونك
 ويعظمونك فقل : هذا من فضل ربي ، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل : هذا بذنب أحدثته . وقال :
 من منلك يا ابن آدم ؟ خلى بينك وبين الماء والحراب حتى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل
 ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب . وقال : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقي الطمع تقي الغضب .
 وقال : إذا رأيتم الرجل موكلاً بعبوب الناس نادياً لعبيبه فاعلموا أنه قد مكر به . وقال : كان الرجل
 من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ الصالح من العمل فشئ في الناس أظلمه غمامة ، قال : فرجل قد
 أظلمه غمامة على رجل فأظلمه لما رآه مما آتاه الله ، فاحتقره صاحب الغمامة فأمرها الله أن تتحول

عن رأسه إلى رأس الذي احتقره ، وهو الذي عظم أمر الله عز وجل . وقال : ما سبقهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، ولكن بشئ قرّ في صدره . وله كلام حسن كثير يطول ذكره (١) (راجع إلى سعد المقرئ الحمصي) عمر دهرًا ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وقد كان عابدًا صالحًا زاهدًا . رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة (٢) محمد بن كعب القرظي (

توفي فيها في قول [وهو أبو حمزة] له روایات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان علما بتفسير القرآن ، صالحا عابداً ، قال الأصمعي : حدثنا أبو المقدم - سليمان بن زياد - عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخذلان ؟ قال : أن يصبح الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يقيح . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن وهب قال : سمعت ابن كعب يقول : لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت والقارعة لا أزيد عليهما وأردد فيهما الفكر ، أحب إلي من أن أهد القرآن هداً - أو قال أنثرد شرًا . وقال : لو رخص لأحد في ترك الذكر لخص لركب عليه السلام ، قال تعالى : (آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا زمرا وذاكر ربك كثيرا وسبح باسمي والأبكار) فلو رخص لأحد في ترك الذكر لخص له ، ولخص للذين يقتلون في سبيل الله ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا القيمة فمته فثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال في قوله تعالى : (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال : اصبروا على دينكم وصابروا للعدو الذي وعدتم ، ورابطوا بعدوكم الظاهر والباطن ، واتقوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا القيمة . وقال في قوله تعالى : (لولا أن رأى برهان ربه) : علم ما أحل القرآن مما حرم (منها قائم وحصيد) قال : القائم ما كان من بنائهم قائما ، والحصيد ما حصد فيه . (إن غناها كان غراما) قال : غرموا ما فعوا به من النعم في الدنيا ، وفي رواية سألهم ممن نعمة فلم يقدرُوا عليها ولم يؤدوها ، فأغرمهم عنها . فأدخلهم النار . وقال قتبية بن سعيد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعت محمد بن كعب في هذه الآية (وما آتيتكم من ربا لم ير في أموال الناس فلا يربو عند الله) قال : هو الرجل يعطى الآخر من ماله ليكافئه به أو يزاد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والمضعفون هم الذين يعملون لوجه الله لا يبتغي مكافأة أحد . وفي قوله تعالى : (أذخاني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) قال : اجعل سريري وعلائي مخرج صدق . وقيل : أذخاني مدخل صدق في العمل الصالح . أي الاخلاص . وأخرجني مخرج صدق أي سألني . (أو ألقى السمع وهو شهيد) أي يسوع القرآن وقلبه ، (٣) في مكان آخر . (فاسعوا إلى ذكر الله) قال : السعي العمل ليس بالخشع . وقال : الكبر ثلاثة ، أن تأمن مكر الله ، وأن تنشط من رحمة الله ، وأن تباين من روح الله .

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصل دامل سقط منه كلمة (وليس) .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال ، فقه في الدين ، وزهاده في الدنيا ، وبصراً بعيوب نفسه . وقال : الدنيا دار قلق ، و رغب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها ، وأزهد الناس فيها أسعد الناس بها ، هي الفأوية لمن أضاعها ، المهلكة لمن اتبعها ، الخطيئة لمن انقاد لها ، علمها جهل ، وغناها فقر ، وزيادتها نقصان ، وأياها دول . وروى ابن المبارك عن داود بن قيس قال سمعت محمد بن كعب يقول : إن الأرض لتبكي من رجل وبكى على رجل ، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي ممن كان يعمل على ظهرها بمعصية الله ، قد أنقلمها . ثم قرأ (فما بكت عليهم السماء والأرض) وقال في قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) : من يعمل مثقال ذرة خيراً من كفر يرى ثوابها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له خير . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له شر . وقال : ما يؤمنني أن يكون الله قد اطاع علي في بعض ما يكره فمقتني ، وقال : اذهب لا أعفر لك ، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى أنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيمه غلامه سالماً . وكان عابداً خيراً زاهداً . فكتب إليه : - إني قد دبرته ، قال : فازدد فيه ، فأناؤه سالم فقال له عمر : إني قد ابتليت بما ترى ، وأنا والله أخوف أن لا أنجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاته ، وإلا فهو الأمر الذي يخاف . قال : يا سالم عظمي ، قال : آدم عليه السلام أخطأ خطيئة واحدة خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عمل الخطايا ترجون دخول الجنة ، ثم سكت . قلت : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : تزرعون السيئات وترجون الحسنات ، لا يجتنى من الشوك العنب .

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى * درج الجنان وطيب عيش العابد
ونسيت أن الله أخرج آدم * منها إلى الدنيا بذنوب واحد

وقال : من قرأ القرآن متع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة . وقال له رجل : ما تقول في التوبة ؟ قال : لا أحسنها ، قال : أفرايت إن أعطيت الله عهداً أن لا تعصيه أبداً ؟ قال : فمن أعظم جرماً منك ، تنأى على الله أن لا ينفذ فيك أمره .

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدثنا ابن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن زياد أبي المقدم . قالوا كلهم : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن

بما في يد الله أوثق مما في يده ، ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من نزل وحده ، ومنع رفده ، ووجد عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يقفر ذنباً ، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يرجي خيره ، ولا يؤمن شره ، إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل خطيباً فقال : يا بني إسرائيل لا تسكاهوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها - وقال مرة فتظلموهم - ولا تظلموا ظالماً ، ولا تطاولوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم ، يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة ، أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله . وهذه الألفاظ لا تحفظ عن النبي ﷺ بهذا السياق إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس ، وقد روى أول الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتي أن هذا الحديث تفرد به الطبراني بدولته والله سبحانه وتعالى أعلم [١]

وفيها توفي أبو نصر المنذر بن مالك بن قطة العبدي ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

(ثم دخلت سنة تسع ومائة)

ففيها عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القسري عن إمارة خراسان وأمره أن يقدم إلى الحج ، فأقبل منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة السكابي ، واستناب هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسري ، وكان أشرس فاضلاً خيراً ، وكان سمي السكامل لذلك ، وكان أول من اتخذ المراقبة بخراسان ، واستعمل المراقبة عبد الملك بن زياد الباهلي ، وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها ، وفرح بها أهلها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .

(سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية)

فيها قاتل مسعدة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسعدة في جموع عظيمة فتواقنوا نحواً من شهر ، ثم هزم الله خاقان زمن الشتاء ، ورجع مسعدة سالماً غانماً ، فسلك على مسلك ذي القرنين في رجوعه إلى الشام ، وتسمى هذه الغزاة غزاة الخطين ، وذلك أنهم سلكوا على مغارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة ، وتوكل فيها خلق كثير ، فماتوا حتى قاسوا شداً وأهوالاً صعبة ، وشداً عظيماً ، وفيها دعا أشرس بن عبد الله السلمي نائب خراسان أهل المدينة يسلم رقتهم ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام ، ويضع عنهم الجزية فجاءه إلى ذلك ، وأسلم غالبهم ، ثم طاههم

بالجزية فنصبوا له الحرب وقتلوه ، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة ، أطال ابن جرير بسطها وشرحها فوق الحاجة . وفيها أرسل أمير المؤمنين هشام بن عبيدة إلى إفريقية متوليا عليها ، فلما وصل تجهز ابنه وأخاه في جيش فالتقوا مع المشركين قتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا بطريقهم وانهمزم بافيهم ، وغنم المساكين منهم شيئا كثيرا . وفيها افتتح معاوية بن هشام حصنين من بلاد الروم ، وغنم غنائم جمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام ، وعلى العراق خالد القسري ، وعلى خراسان أشروس السهلي

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

﴿ جرير الشاعر ﴾

وهو جرير بن الخطفي ويقال ابن عطية بن الخطفي واسم الخطفي حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن بربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن ضابغة بن الياس ابن مضر بن نزار ، أبو حرزة الشاعر البصري ، قدم دمشق صارا ، وامتدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان في عصره من الشعراء الذين يقارنونهم الفرزدق والأخطل ، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم ، قال غير واحد : هو أشعر الثلاثة ، قال ابن دريد ثنا الأشجناداني ثنا الثوري عن أبي عبيدة عن عثمان النبي قال : رأيت جريرا وما تضم شفاه من التسبيح ، فقلت : وما ينفعك هذا ؟ فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد إن الحسنات يذهبن السيئات ، وعد من الله حق . وقال هشام بن محمد الكلابي عن أبيه قال : دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يمدحه بقصيدة وعند الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي ، فقال عبد الملك للأعرابي : بل تعرف أبي بيت قالت العرب في الإسلام ، قال : نعم ! قول جرير :

ففض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الإسلام ؟ قال نعم ! قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا * وأندي المالمين بطون راح

فقال : أصبت وأحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الإسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

إن العيون التي في طرفها مرض * قتلنا ثم لم يبعين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضف خلق الله أركانا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف جريرا ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته مشتاق ، قال : فمنا

جرير وهذا الفرزدق وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول : -

نفسيا الاله ابا حرزة * وأرغم أنفك يا أخطل
وجدت الفرزدق أمس به * ورق خيشومه الجندل
فأنشأ الفرزدق يقول :

يا أرغم الله أنفا أنت حامله * يا ذا الخطا ومقال الزور والخطل
ما أنت بالحكم الترضى حكومتها * ولا الاصيل ولاذى الرأى والجلل
ثم أنشأ الأخطل يقول :-

يا شر من حملت ساق على قدم * ما مثل قوتك في الأقسام يحتمل
إن الحكومة ليست في أيك ولا * في ممشر أنت منهم أنهم سفل
فقام جرير فغضبها وقال :-

أشتان سفتنا خيركم حسبا * فتيكنا وإلهي - الزور والخطل
شتمناه على رضى ووضعكنا * لا زلنا في سفل ألبها السفل

ثم وثب جرير فقبل رأس الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جئتني له ، وكانت خمسة آلاف ،
فقبل عبد الملك : وله مثلها من مالى . فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج . وحكى يعقوب بن السكيت
أن جريرا دخل على عبد الملك مع وفد أهل العراق من جهة الحجاج فأنشده مدحيه الذى يقول فيه :
السم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

فأطاع له مائة ناقة ومائة من الرعاء أربعة من النوبة وأربعة من السبي الذين قدم بهم من
السند قال جرير : وبين يدي عبد الملك جامان من فضة قد أهديت له ، وهو لا يعبأ بها شيئا ،
فهو يقرمها بقضيب فى يده ، فقالت : يا أمير المؤمنين الخلب ، فأتى إلى واحد من تلك
الجدات ، ولما رجع إلى الحجاج أعجب به ، كرام أمير المؤمنين له فأطاع الحجاج له خمسين ناقة تحمل
ضاماً لأهله .

وحكى نفلويه أن جريرا دخل يوما على بشر بن مروان وعنده الأخطل ، فقال بشر لجرير :
أعرف هذا ؟ قال : لا ، ومن هذا ألبها الأمير ؟ فقال : هذا الأخطل ، فقبل الأخطل : أنا الذى
قذفت عرطك ، وأسهرت ليلك ، وآذيت قومك ، فقال جرير : أما قولك شمت عرطك فما ضر
البحر أن يشتمه من غرق فيه . وأما قولك وأسهرت ليلك ، فلو تذاقنى أنام لكان خيرا لك . وأما قولك
وآذيت قومك فكيف تؤذى قوما أنت تؤذى الجزية إليهم . وكان الأخطل من أنصارى العرب
المتنصرة ، فبجحه الله وأبعد مواده ، وهو الذى أنشد بشر بن مروان قصيدته التى يقول فيها :

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مبراق

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف الحكم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً ، فإنه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشر على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب لم يكن محتسماً عليه نفساً واحداً ، حتى يقال استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضيق من حجج الجهمية ، حتى أدام الافلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم .

وقال الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فكمكوا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم ، فسأهم ذلك وهما بالرجوع إلى بلادهم ، فمر بهم رجاء بن حيوة فقال له جرير : -

يا أيها الرجل المرخي عمامته * هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا
فدخل ولم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فمر بهم عدي بن أرطاة فقال له جرير منشداً :
يا أيها الراكب المرخي مطنيته * هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية * أني لدى الباب كالمصنود في قرن
لا تنس حاجتنا لأقيمت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسأهمهم مسومة وأقوالهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدي ، مالي ولالشعراء ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ويجزي عليه ، وقد أنشده العباس بن مرداس مدحه فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروى منها شيئاً ؟ قال : نعم فأنشده : -

رأيتك يا خير البرية كاهياً * نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظالمنا
وتورت بالبرهان أمراً مدلساً * واطفأت بالقرآن نارا تضرمنا
فن مبالغ عني النبي ثمداً * وكل أمرى يجزي بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وكان قدما ركنه قد تهدما
تعالى علواً فوق عرش آلها * وكان مكان الله أعلا وأعظماً

فقال عمر : من بالباب منهم ؟ فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال أنيس هو الذي يقول :

ثم نهبتها فهبت كعابا * طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعة ثم إنها بعد قالت * ويلنا قد عجبت يا ابن الكرام
أدلى غير موعده جئت تسرى * تتخطى إلى رموس النيام
ما تجشمت ما تريد من الأمر * ولا حيث طارفاً نخمصام
فلو كان عدو الله إذ فجر كتم ومتر على نفسه . لا يدخل والله أبداً ، فن بالباب سواء ؟ قال :
همام بن غالب - يعني الفرزدق - فقال عمر : أوليس هو الذي يقول في شعره :
هما دليبانى من ثمانين قامة * كما انقض باز أقنم الزيش كمره
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا * أحنى برجسى أم قتيل فعاذره
لايضاً والله بساطى وهو كاذب ، فن سواء بالباب ؟ قال : الأخطا ، قال : أوليس هو الذى يقول :
ولست بصائم رمضان طوطا * ولست بأكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيساً بكور * إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتاً بعيداً * بمكة أبغى فيه صلاحى
ولست بقائم كالعير أدمو * قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى ساشربها شمولاً * وسجد عند منباج الصباح
والله لا يدخل على وهو كفر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ قال : نعم الأحوص ، قال :
أليس هو الذى يقول :

الله يدنى وبين سيدها * يفر منى بها وأتبعه
فما هو دون من ذكرت ، فن مهنا غيره ؟ قال جميل بن معمر ، قال : الذى يقول : -
ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن نمت * يوافق فى الموتى خريجى خريجها
فما أنا فى طول الحياة براغب * إذا قبل قدسوى عليها صفيحها
فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بذلك صالحاً ويتوب ، والله لا يدخل على أبداً ، فهل
بالباب أحد سوى ذلك ؟ قلت : جرير ، قال أما إنه الذى يقول :

طرفتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجمى بسلام
فان كان لابد فأذن لجرير ، فأذن له فدخل على عمر وهو يقول :
إن الذى بعث النبى محمداً * جعل الخلافة للامام العادل
وسع الخلائق عداله ورفؤه * حتى ارعوى وأقام ميل المائل
إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً * والناس مولة يحب العاجل
فقال له : ويحك يا جرير ، اتى الله فيما تقول ، ثم إن جريراً استأذن عمر فى الانشاد فلم يأذن له ولم

ينهم ، فأشده قصيدة طويلة يمدحه بها ، فقال له : ويحك يا جرير لا أرى لك فيما ههنا حقاً ، فقال : إني مسكين وابن سبيل ، قال : إنا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة وابنها مائة وقد بقيت مائة ، فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقلوا : ما وراءك يا جرير ؟ فقال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه نراض ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستغزى * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال بعضهم فيما حكاه المصنف بن زكريا الجريري قالت جارية للحجاج بن يوسف : إنك تدخل هذا علينا ، فقال : إنه ما علمت عفيفاً ، فقالت : أما إنك لو أخليتني وإياه سترى ما يصنع ، فأمر باخلاصها مع جرير ، وكان يراها الحجاج ولا يريانه ، ولا يشمر جرير بشيء من ذلك ، فقالت له : يا جرير ، فأطرق رأسه ، وقال : هاأنذا ، فقالت : أنشدني من قولك كذا وكذا ، فشم فيه رقة ، فقال : لست أحفظه ولكن أحفظ كذا وكذا - ويعرض عن ذلك وينشد شعرا في مدح الحجاج - فقالت : لست أريد هذا ، إنما أريد كذا وكذا - فيعرض عن ذلك وينشد في الحجاج - حتى انتهى المجلس فقال الحجاج : لله درك ، أبيت إلا كرماً وتكرماً ، وقال عكرمة أنشدت أعرابيا بيتا لجرير انطوى في :

أبذل الليل لا تجرى كواكب * أو طال حتى حسبت النجم خيرانا

فقال الأعرابي : إن هذا حسن في معناه وأعوذ بالله من مثله ، ولكني أنشدك في ضده من قولي

وليل لم يقصره رقاد * وقصره لنا وصل الحبيب

نعم الحب أورد في * حتى تناولنا جناح من قريب

بمجلس لذة لم تقف فيه * على شكوى ولا عيب الذنوب

نفسينا أن تقطعه بافظ * فترجت العيون عن التلويح^(١)

فقلت له : زدني ، قال : أما من هذا فحسبك ولكن أنشدك غيره فأنشدني :

وكنيت إذا عقدت حبال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء

فاحسن حين يحسن محسنهم * واجتنب الاساءة إن أساءوا

أشياء سوى مشيئتهم تأتي * مشيئتهم وأترك ما شاء

قال ابن خالكان : كان جرير أشعر من الفرزدق عند الجمهور ، وأخبر بيت قاله جرير :

إذا غضبت عليك بنو نعيم * حسبت الناس كلهم غضابا

قال وقد سأله رجل : من أشعر الناس ؟ فأخذ بيده وأدخله على ابنه ، وإذا هو يرتفع من ثدى

(١) في هذه الأبيات تحريف . ولم تقف عليها في مرجع آخر .

حاضر ، فاستدعاه فنهض واللذان يسبل على لحيتيه ، فقال جرير للمذى سأله : أنبئني هذا ؟ قال : نعم ، قال :
 أنعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبي ، وإنما يشرب من خمر المنزلة لا يشربها فيسمع جيرا له حسن الخطب
 فيطلبوا منه لبنا ، فأشعر الناس من فأنخر بهذا ثمانين شاعرا فنلبهم ، وقد كان بين جرير والغزدقي
 مقاولات ومهاجاة كثيرة جدا يطاول ذكرها ، وقد مات في سنة عشر ومائة ، وله خليفة بن خياط وغير
 واحد ، قال خليفة : مات الغزدقي وجرير بعده بأشهر ، وقال الصولي : ماتا في سنة إحدى عشرة
 ومائة ، ومات الغزدقي قبل جرير بأربعين يوما ، وقال السكري عن الأصمعي عن أبيه قال : رأى
 رجل جريرا في المنام بعد موته فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقيل : بماذا ؟ قال بتكبيره
 تكبيرها بالبادية ، قيل له : فما فعل الغزدقي ؟ قال أهبأت أهلكه فذف الخصاصات . قال الأصمعي لم
 يدعه في الحياة ولا في الممات

﴿ وأما الغزدقي ﴾

واسمه همام بن غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقيل بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن
 حنظلة بن زيد بن مناة بن مر بن أد بن طابخة أبو فراس بن أبي سخط التميمي البصري الشاعر
 المعروف بالغزدقي ، وجده صمصمة بن ناجية صحابي ، وفد إلى رسول الله ﷺ ، وكان يمين المؤودة
 في الجاهلية ، حدث الغزدقي عن علي أنه ورد مع أبيه عليه ، فقال من هذا ؟ قال ابني وهو شاعر ،
 قال عليه القراءة فهو خير له من الشعر . وسمع الغزدقي الحسين بن سبي و رأى وهو ذاهب إلى العراق
 وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعمر بن الخطاب بن كعب ، والظاهر بن عدي الشاعر ،
 وروى عنه خالد الخذاء ومروان الأصغر وحماد بن حجاج الأنحول ، وجماعة ، وقد وفد على معاوية
 يطلب ميراث عمه الحباب ، وعلى الوليد بن عبد الملك وعلى أخيه ، ولم يصح ذلك ، وقال أشعث بن
 عبيد الله عن الغزدقي قال نظر أبو هريرة إلى قدمي فقال : يا غزدقي إنني أرى قدميك صغيرين
 فأطلب لهما موضعا في الجنة ، فقلت : إن ذنوبي كثيرة ، فقال : لا بأس فاني سمعت رسول الله ﷺ
 يقول : « إن بالمغرب بابا مفتوحا لا يؤبى لا يعاق حتى تطلع الشمس من مغربها » . وقال معاوية بن
 عبد الكريم عن أبيه قال : دخلت على الغزدقي فمعه كفا من الشعر فقلت : يا هذا ، فقال :
 حلفت أن لا أنسى حتى أسقط القرآن . وقال أبو عمر بن العلاء : ما رأيت بدويا أقام بالخضر إلا بعد
 لسانه إلا زينة بن المصباح والغزدقي قال ما زاد علي قول الألفاظ جيدة وحسن . وقال واوينة أبو شعل
 طلق الغزدقي أمراة التوار ثلثا ثم جاءه أنشبهه على ذلك الحسن البصري . ثم تدم على ملاقاتها
 وإشهادها الحسن على ذلك فأثنا يقول : .

فلو أني ملكت يدي وقائي من السكون على الغمر الخيل

فدعت ندامة السكبي لما * غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
وقال الأصمعي وغير واحد : لما ماتت النوار بنت أعين بن ضبيعة الجاشمي امرأة الفرزدق
- وكانت قد أوصت أن يصلى عليها الحسن البصري - فشهدها أعيان أهل البصرة مع الحسن والحسين
على بقلته ، والفرزدق على بعيره ، فسار فقال الحسن الفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ قال : يقولون شهد
هذه الجنازة اليوم خير الناس - يعنونك - وشر الناس - يعنونى - فقال له : يا أبا فراس لست
أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس ، ثم قال له الحسن : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن
لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلم أن صلى عليها الحسن ملوا إلى قبرها فأنشأ الفرزدق يقول :

أخاف وراء القبر أن لم يماضى * أشد من القبر التهابا وأضيحا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد دارم من مشى * إلى انذار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسريلا * سراييل قطران لباسا مخرقا
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم * يندوبون من حر الصديد تمرقا

قال : فبكى الحسن حتى بل الثرى ثم ألزم الفرزدق ، وقال : لقد كنت من أبغض الناس إلى ،
وإنك اليوم من أحب الناس إلى . وقال له بعض الناس : ألا تخاف من الله فى قذف المحصنات ،
فقال : والله الله أحب إلى من عيني الملتين أبصر بهما ، فكيف يعذبني ؟ وقد قدمنا أنه مات سنة عشر
ومائة قبل جريار باربعين يوما ، وقيل بأشهر فالحق أعلم .

وأما الحسن وابن سيرين فقد ذكرنا ترجمة كل منهما فى كتابنا التكميل ببسطة وحسبنا الله ونعم
الوكيل (فأما الحسن بن أبى الحسن)

فممن أبيه يسار وأبجد هو أبو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت ، ويقال مولى جابر بن عبد الله
وقيل غير ذلك ، وأمه خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها ، وربما أرسلتها فى الحاجة فتشتغل عن
ولدها الحسن وهو رضيع ، فتشاهد أم سلمة بشديدها فيدران عليه فيرتضع منهما ، فكانوا يرون أن
تلك الحكمة والعلوم التى أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الندى المنسوب إلى رسول الله ﷺ
ثم كان وهو صغير يفرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له ، وكان فى جملة من يدعو له عمر بن الخطاب ،
قال : اللهم فقده فى الدين ، وحبيه إلى الناس . وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا عنها
. ولانا الحسن ، فإنه سمع وسمعنا ، فحفظ ونسنا ، وقال أنس مرة : إني لأعجب أهل البصرة بهذين
الشيخين - الحسن وابن سيرين - وقال قتادة : ما جالست رجلا فقيها إلا رأيت فضل الحسن عليه ،

وقال أيضا : ما رأيت عيناى أفتقه من الحسن ، وقال أيوب : كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن مسألة هيبة له ، وقال الشعبي لرجل يريد قدم البصرة : إذا نظرت إلى رجل أجل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن ، فأقرأه مني السلام . وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه ، وقال الأعمش : ما زال الحسن يعنى الحكمة حتى نطق بها ، وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول : ذلك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء

وقال محمد بن سعد : قالوا كان الحسن جاعلا للعالم والعمل ، علما رفيما فقيها ثقة ، وأمونا عابدا زاهدا ناسكا كثير العلم والعمل فصيحاً جليلاً وصيماً ، وقدم مكة فاجلس على سرير ، وجلس العلماء حوله ، واجتمع الناس إليه فحدثهم . قال أهل التاريخ : مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة ، عام عشر ومائة في رجب منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم .

هو وأما ابن سيرين

فهو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرو الأنصاري مولى أنس بن مالك النضري ، كان أبو محمد من سبي عين التمر ، أسره خالد بن الوليد في جملة السبي ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، ثم ولده من الأولاد الأخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومحمد ويحيى وحفصة وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء رحيمهم الله . قال البخاري : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة أمونا علما رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا . وكان به صمم ، وقال مؤرق العجلي : ما رأيت رجلا أفتقه في ورعه ، وأورع في فقهه منه . قال ابن عون : كان محمد بن سيرين أرجى الناس طائفة الأمة ، وأشد الناس إزارا على نفسه ، وأشد هم خوفا عليها . قال ابن عون : ما بكى في الدنيا مثل ثلاثة ، محمد بن سيرين في العراق ، والقاسم بن محمد في الحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وكانوا يأنون بالحديث على حروفه ، وكان الشعبي يقول : عايكم بذلك الأصم - يعني محمد بن سيرين - وقال ابن شاذب : ما رأيت أحدا أجرا على تعبير الرؤيا منه . وقال عثمان البتي : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه . قالوا : ومات في تاسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم

فصل

كان الملائق ، بالمؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأخيار قبل تراجم الشعراء المتقدم ذكرهم فيريد أنهم ثم يأتي بتراجم الشعراء ، وأيضا فإنه أطول التعليل في تراجم الشعراء ، والخصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكم جمة يلتفت بها من وقف عليها ، ولما أقيده من مدحهم بالثناء عليهم ، ولا سيما

كلام الحسن وابن سيرين وروهب بن منبه - كما ذكره بعد ، وكما سيأتي ذكر ترجمته في هذه الزيادة - فانه قد اختصره جداً وإن المؤلف أقصر وأوسع علماً ، فما ينبغي أن يخل ببعض كلامهم وحكمهم ، فإن النفوس مستشفقة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ، فإن أقوال السلف لها موقع من القلوب ، والمؤلف غائب في التراجم يحيل على ما ذكره في التكميل الذي صنعه في أسماء الرجال ، وهذا الكتاب لم تقف عليه نحن ولا من سألناه عنه من العلماء ، فانا قد سألنا عنه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه أطلع عليه . فكيف حال غيرهم . ؟ وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفتي وأطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتب لأشعبت القول في ذلك ، إذ الحكمة هي ضالة المؤمن . ولعل أن يقف على هذا راغب في الآخرة ، طائب ما عند الله عز وجل فينتفع به أعظم مما ينتفع به من تراجم لطائف والملوك والأمراء ، وإن كانت تلك أيضاً نافعة لمعتبر ومرتدجر ، فإن ذكر أئمة العدل والنجور بعد مرتبهم فيها فضل أوفى ، وغنى هؤلاء ، ليعلم الظالم أنه وإن مات لم يمت ما كان مثلبسابه من الفساد والظلم ، بل هو مسنون في الكتاب عند العلماء . وكذلك أهل العدل والصلاح والخير ، فإن الله قد قص في القرآن أخبار الملوك والفراسة والكفار والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم وما كانوا يعملون ، وقص أيضاً أخبار الأتقياء والحسين والأبرار والأخيار والمؤمنين ، للاقتداء والتأسي بهم والله سبحانه أعلم . فنقول وبالله التوفيق : ﴿ أما الحسن ﴾

فهو أبو سعيد البصري الإمام القتيبة المشهور ، أحد التابعين الكبار الأجلاء علماء وعملوا وإخلاصاً فروى ابن أبي الدنيا عنه قال : كان الرجل يشهد عشرين سنة لا يشمر به جاره ، وأحدهم يصلي ليلة أو بعض ليلة فيصيح وقد استعطال على جاره ، وإن كان القوم ليجمعون فيتمنا كرون فتجئ الرجل عذيرته فيردهما ما استطاع ، فإن شاب قام عندهم . وقال الحسن : تنفس رجل عند عمر بن عبد العزيز فلكره عمر - أو قل : لكبه - وقال : إن في هذا اقتنة . وقد ذكره ابن أبي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب . وروى الطبراني عنه أنه قال : إن قوما ألثمهم أساني المنفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة ، يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأرجو رحمة الله . وكذب . وأحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يوشك من دخل المغارة من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : حادوا هذه القلوب فانها سرية الدثور ، واقدعوا هذه لأنفس ظانها تنزع إلى شر غاية .

وقال مالك بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة ، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسع . وروى الفتى عن أبيه قال : عاد الحسن عابلاً فوجده قد شفى من علته ، فقال : أيها الرجل إن الله قد ذكرك

فاذكره ، وقد أفلاك فاشكوه ، ثم قال الحسن : إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم ، فأما أن يكون السليل بعد المرض فرساجواً ، وإما أن يكون حماراً عنوراً معقوراً . وروى السني عن أبيه أيضاً قال : كتب الحسن إلى فرقد :

أما بعد فاني أوصيك بشعري الله ، والعمل بما علمك الله ، والاستعداد لما وعد الله ، مما لا حياة لأحد في دفعه ، ولا ينفع الندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، واتق به من رقدة الجاهلين ، وشمر الساق ، فان الدنيا ميدان مسابقة ، والغاية الجنة أو النار ، فان لي ولك من الله مقاماً يسألني وإياك فيه عن الخبير والذيق ، والجميل والخفي ، ولا آمن أن يكون فيما يسألني وإياك عنه وسوس الصدور ، وخطئ العيون ، وإصغاء الأسماع . وما أعجز عنه .

وروى ابن قتيبة عنه أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى القراء - وكانوا هم الفقهاء - جاوساً على باب ابن هبيرة فقال : طمعتم نبالكم ، وبيضتم ثيابكم . ثم أتيتهم إلى أبوابهم تسعون ، ثم قال لأصحابه : ما ظنكم هؤلاء الخناء ؟ ليست مجالسهم من مجالس الأتقياء ، وإنما مجالسهم مجالس الشرط . وروى الخرائطي عن الحسن أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في ثمنه كسر جبرد لصاحبه . ومرو الحسن يقوم يقولون : نقص دائق أي عن الدرهم السكك والدينار السكك - إما أن يكون درهما ينقص نصفاً أو ربها ، والمشرة تسمة ونصف ، وقس على هذا ، فكان الحسن يستحب جبران هذه الأشياء ، وإن كان اشترى السلة بدوهم ينقص دائقاً كله درهماً أو بسملة ونصف كلها عشرة ، مروءة وكرماً . وقال عبيد الأعلى السمسار ، قال الحسن : يا عبيد الأعلى ! أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة ؟ قلت لا والله ولا دائق واحد . فقال الحسن : إن هذه الأخلاق فما بقي من المروءة إذا ؟ قال : وكان الحسن يقول : لا دين إلا بروءة . وباع بذلة له فقال له المشتري : أما تخط لي شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال لك خمسون درهماً أريدك ؟ قال : لا ! رضيت ، قال : بارك الله لك . وروى ابن أبي الدنيا عن حمزة الأعور قال : ذهبت بي أمي إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد : ابني هذا قد أحببت أن يلزمك فلعل الله أن ينفعك بك ، قال : فكنت أختلف إليه ، فقال لي يوماً : يا بني آدم الحزن على خير الآخرة لعل أن يوصلك إليه ، وأبك في ساعات الليل والنهار في الخلوة لعل هؤلاء أن يطامع عليك فيرجم عبرتك فتكون من المنكرين ، قال : وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي ، وربما جئت إليه وهو يبكي فسمع بكاءه ونفسي ، فقالت له يوماً : لك تكسر البكاء فقال يا بني ! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكي ؟ يا بني ! إن البكاء دافع إلى الرحمة ، فان استطعت أن تكون عمرك يا كيا فافعل لعل أعل أن يرحمك ، فإذا أنت تهربت من البكاء . وقال : ما عو إلا جعل الدار إما الجنة وإما النار ، ما هناك منزل ثالث . وقال : بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر من دموعه

قطرة حتى تمتلئ رقبته من النار . وقال : لو أن باكي بكى في ملأ من خشية الله لرحموا جميعا ، وليس شيء من الأعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله فإنه لا يقوم الله بالدمعة منه شيئا . وقال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في كتاب اليقين قال : من علامات المسلم قوة دين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وحكم في علم ، وحس في رفق ، وإعطاء في حق ، وقصد في غنى ، وتحمل في فاقة ، وإحسان في قدرة ، وطاعة معها نصيحة ، وتورع في رغبة ، وتمفف في شدة ، لا ترديه رغبته ، ولا يسدده لسانه ، ولا يسبقته بصره ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يميل به هواه ، ولا يفضحه لسانه ، ولا يستغفه حرصه ، ولا تقهر به نيته . كنا ذكر هذه الألفاظ عنده ^(١) . قال : حدثنا عبد الرحمن ابن صالح عن الحكم بن ظهير عن يحيى بن المختار عن الحسن فذكره ، وقال فيه أيضا عنه : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن إبراهيم الشكري حدثنا موسى بن إسماعيل الجيلي حدثنا حفص بن سليمان أبو مقاتل عن عون بن أبي شاذان عن الحسن قال قال ليمان لابنه : يا بني ! : العمل لا يستغنى إلا باليقين ، ومن يضاف يقينه يضاف عمله . وقال : يا بني إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريب فاغلبه باليقين والنصيحة ، وإذا جاءك من قبل السكسل والسامة فاغلبه بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرهبة فاخبره أن الدنيا مفارقة ومروكة . وقال الحسن : ما أيقن عبد الجنة والنار حتى يقينهما إلا خشم وذبل واستقام واقتصد حتى يأتيه الموت . وقال : باليقين طلبت الجنة ، وباليقين هربت من النار ، وباليقين أدبت الفرائض على أكل وجهها ، وباليقين أصبر على الساق وفي معافاة الله خير كثير ، قد والله رأيتهم يتعاونون في الساقية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا . وقال : الناس في الساقية سواء ، فإذا نزل البلاء تبين عندهم الرجال . وفي رواية : فإذا نزل البلاء تبين من يعبده الله وشيده ، وفي رواية : فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

وقال الفرير في فضائل القرآن : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن هذا القرآن قد قرأه عبید وصبيان لا علم لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ، قال الله عز وجل : (كتاب أنزلناه مبارك ليبدوا آياته وليتذكر أولو الألباب) وما تدبر آياته إلا أتباعه ، أما والله ما قرأ بخط حروفه وإضاعة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فقرأ أسقط منه حرفا واحدا . وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن في خالق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : والله إنى لأقرأ السورة في نفس ، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالعلماء ولا بالحكماء

ولا البرعة ، ومتى كانت القراءة هكذا أو يقول مثل هذا : لا أكرر الله في الناس مثل هؤلاء . ثم روى الحسن عن جنسب قال : قال لنا حذيفة : هل تخافون من شيء ؟ قال : قلت والله إنك وأصحابك لأهون الناس عندنا ، فقال : أما والذي نفسي بيده لا تؤمنون إلا من قبلنا ، ومن ذلك نزل آخر يقرن القرآن يكونون في آخر هذه الأمة يشكرونه ، شر النفاث ، لا يجاوزون فراخهم ، تسبق قراعتهم إيمانهم .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في ذم الغيبة له قال : والله للشيبة أسرع في دين المؤمن من الأكمة في جسده . وكان يقول : ابن آدم إنك إن أصيب بحقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بسبب صوابك ، وحتى تبدأ بمصلاح ذلك السبب فتصالحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك كان ذلك شاكاً في طاعة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان شككنا . وقال الحسن : ليس بينك وبين الناس سرقة . وقال : ليس المبتدع غيبة . وقال أصطفت بن طريف : قلت للحسن : الرجل الظاهر المعلن بغيره ، ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهر فجوره فلا غيبة له . وقال : ثلاثة لأحرم عليك غيبتهم : الجاهر بالفسق ، والامام الجائر ، والمبتدع . وقال له رجل : إن قومك يتكلمون بك ليحبوا بك إلى الواقعة فيك سيلاً ، فقال : هون عليك يا هذا فاني أهدمت نفسي في الجنان فطعت ، وأطعتهما في النجاة من النار فطعت ، وأطعتهما في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سيلاً ، فان الناس لم يرضوا عن خلقهم ورازقهم فكيف يرضون عن شلقهم مثاهم ؟ وقال : كانوا يقولون : من دس أخاه بذنب قيد قاب منه لم يمت حتى يصيب ذلك الذنب . وقال الحسن : قال لقمان لابنه : يا بني إياك والسكذب فإنه شقي كاحم المعنور وما قليل يفلاه صاحبه . وقال الحسن : أخبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله عز وجل لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصح به أو يكف به ، فإن سمعت قولاً حسناً فرددوا بصاحب ، فإن وافق قول عملاً فامضوا به ، وإن خالفه فامضوا به ، وإذا خالف قول عملاً فامضوا به ، أم ماذا يعني عليك منه ، إياك وإياه لا يفدك ذلك كما خضع من آدم ، إن لك قولاً وعملاً ، فمالك أحق بك من قولك ، وإن لك سريرة وعملانية . فليس يترك أحق بك من عملانية ، وإن لك طاعة وعقوبة ، فماتك أحق لك من عملانية .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس أن أبا عبدان بن عثمان أنبأهم عن يحيى بن الحنفية عن الحسن قال : إذا شئت لقيت الرجل أبيض حسديته فالحسن حسديته النظر ميت القلب والصل ، أنت أبصر به من نفسه ، ترى أهدانا ولا تلبا ، وتسبح الصوت ولا تلبس . الحسب السوء والجناب قلباً ، يأكل أحدهم من غير مثله ويهيك على غيره . فإذا كرهته الباطل قل : يا باطل أهلك يا غلام إيتني بهاضم ، وهل هضمت يا مسكين إلا دينك . وقال : من دق فيه رفق دينه . ومن سخن جسده هزل دينه ، ومن طاب طعامه أثنى كسبه . وقال فيما رواه عنه الأعمري : رأس مال المؤمن

دين حيث ما زال زال منه ، لا يخلفه في الرجال ، ولا يأتين عليه الرجال . وقال في قوله تعالى :
 (فلا أقسم بالنفس اللوامة) قال : لا تلقى المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمة كذا ، ما أردت
 بأكلة كذا ، ما أردت بمجاس كذا ، وأما الفاجر فيمضي قدما قدما لا يلوم نفسه . وقال : تصبروا
 وتشددوا فإنا هي لبال تعد ، وإنما أنتم ركب روقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ،
 فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم ، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنما يصبر
 على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته . وقال : لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت
 المحاسبة من همته .

وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس : حدثنا عبد الله حدثنا إسماعيل بن زكريا حدثنا عبد الله
 ابن المبارك عن معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه الله
 عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم
 القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجأ الشيء ويمجبه فيقول : والله
 إنك لمن حاجتي وإني لأشتهيك ، واسكن والله ما من صلة إليك ، هيهات حيل بيتي وبينك ، ويفرط
 منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا أبدا إن شاء الله : إن المؤمنين قوم قد أوثقهم
 القرآن وحال بينهم وبين هوائهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسمى في فكك رقبتك ، لا يأمن شيئا
 حتى ياتى الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه في شمة وبصره ولسانه ، وفي جوارحه كلها . وقال : الرضا
 صعب شديد ، وإنما ممول المؤمن الصبر . وقال : ابن آدم عن نفسك فككيس ، فإلك إن دخلت
 النار لم تجبر بعدها أبدا . وقال ابن أبي الدنيا : أنبا إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت حماد بن زيد يذكر
 عن الحسن قال : المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في غيرها ولا يمزج من ذلها ، للناس حال وله
 حال ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في شغل . وقال : لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يملك المرء
 نفسه . وقال : أدركت صدر ههنا الأمة وخيارها وضل عمرى فيهم ، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله
 لهم أرهق منكم فيما حرم الله عليكم ، أدركتهم عاملين بكتاب ربهم ، متبعين سنة نبيهم ، ما طوى
 أحدكم ثوبا ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر أهله بصنع طعام ، كان أحدكم يدخل منزله فإن
 قُرب إليه شيء أكل وإلا سكت فلا يشككم في ذلك . وقال إن المذائق إذا صلى صلى رياء أو حياء من
 الناس أو خرفاء ، وإذا صلى صلى فقر أحم الدنيا ، وإن فاتته الصلاة لم يتدم عليها ولم يحزنه فواتها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب النكت : من جهل الحمد لله على النعم حصنا وحايضا
 وجعل أداء الزكاة على المال سياجا وحارسا ، وجعل العلم له دليلا وسائسا ، أمن العطش ، وبلغ أعلى
 الرتب . ومن كان للمال قانصا ، وله عن الحق حايضا ، وشغلا وأغلاه عن طاعة الله كان لنفسه ظالما

واقبله بما جنت يدها كلها ، وسلط الله على ماله سالبا وخلسا ، ولم يأمل العذاب في سائر وجوه الطالب وقيل : إن هذا لغيره ، والله أعلم .

وقال الحسن : أربح من كن فيه ألقى الله عليه محبته ، ونشر عليه رحمة ، من روى لوالديه ، وروى لأمه ، وكفل اليتيم ، وأعان الضيف ، وسئل الحسن عن الشقاق فقال : هو اختلاف السر والسلافة والمخل والمخرج ، وقال : ما خافه إلا مؤمن ، ولا تمته إلا منافق ، ومن الشقاق شقاق ، ولا مضي منافق ولا بقي إلا وهو من الشقاق آمن . وكاتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف جئت إليك بالدرهم ؟ قال : لا أحبهم ما ، فكاتب إليه : تولى فاك تسدلى . وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت أطول حزنا من الحسن ، وما رأيت قط إلا حسبه حديث عهد بمديونة ، وقال مسيب : لو رأيت الحسن لقلت : قد بث عليه حزن الخلاق . وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أحزن من الحسن ومحمد بن عبد العزيز ، كأن النار لم تنفك إلا طما . وقال ابن سباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يذبح ، وأربعين سنة لم يمزج ، وقال : ما سمع الخلاق بعرة بادية ، وعين يا كية مثل يوم القيامة . وقال : ابن آدم ! إنك تظن غداً إلى عمالك يوم خير ، وبشره ، فلا تقرون شيئا من الشر أن تنقيه ، فانك إذا رأيت غداً في ميزانك سرور^(١) مكانه . وقال : ذهبت الدنيا وبقيت أديانكم ، فأنشدني الشافعي وقال : ابن آدم ! بع دنياك بأخرتك ، تربها جميعا ، ولا تبع أديانك بدنياك فتنسرحا جبا ، وهذا مأثور عن لقمان أنه قال لولده .

وقال الحسن : تجد الرجل قد نبس الأجر والأبيض ، وقال : هلما فافتر را إلى ، قال الحسن : قد رأيتك يا أفسق العاسقين فلا أعلا بك ولا سهلا ، فلما أعل الدنيا فقتل ، اكتسبوا بظلم إليك مز يد حرص على دنياهم ، وجروا على شهوات الفنى في بطونهم وظهورهم . ولما أعل الآخرة فقتل كرهوك ومقتورك . وقال : إنيهم : إن هملجت بهم البراديين ، ودفرت بهم البهائم ، ووطئت أعقابهم الرجال ، إن ذل الغماص لا ينافق ، فإنيهم ، يا بني الله ! إلا أن يلبس من عصبه .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن فقلنا : يا أبا سعيد : ألا يعجبك من محمد بن الأشتر ؟ قال : ماله ، فقلنا : دخلنا عليه آنفا وهو يحمد نفسه ، فقال : انظر يا بني خالد المسحوق في ، وأومأ إلى مسحوق في جانب بيت . فقال : هذا المسحوق فيه ثمان ألف دينار . قال : دعي . لم تؤد مائة ذكوة ، لم أصل منها رجلا ، لم يأكل منها [محتاج] . فقلت : يا أبا سعيد الله ، فقلت كنت تحبها ، قال : ذكوة ، ثم قال : إنك إن لم تأكل من الأقران ، مبنوة الساطن . فقال : انظر يا بني أين أنا ، سيطر الله على ذكوة ، و (١) كذا بالأصل وفيه نقص يظهر بالتأمل .

ومكثرة أفرانه ، وجفوة سلطانه ؟ ثم قال : أيها الوارث : لا تخدعن كما خدع صويحك بالأمس ، جاءك هذا المال لم تتمب لك فيه عيين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، جاءك من كان له جموعا دنوعا ، من باطل جمعه ، من حق منه ، ثم قال الحسن : إن يوم القيامة لنؤخر حسرات ، الرجل يجمع المال ثم يموت ويدعه لغيره فيرزقه الله فيه الصلاح والافئاق في وجوه البر ، فيجد ماله في ميزان غيره . وكان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

وما الدنيا ببقية لحى * ولا حى على الدنيا ببق
وبهذا البيت في آخر النهار :

يسر الفنى ما كان قدم من تقي * إذا عرف الداء الذى هو قاتله
ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب وأتى به إليه فدعا له وحسكه . ومات بالبصرة في سنة عشر ومائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

(محمد بن سيرين)

أبو بكر بن أبي عمرو الأنصارى ، مولى أنس بن مالك النضرى ، كان أبوه من سبي عيين التمر أسره في جملة السبي خالد بن الوليد فاشتراه أنس ثم كاتبه . وقد ولد له من الاخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبود ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء ، رحمهم الله تعالى .

قال البخارى : ولد محمد لسنتين بقتنا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر . وقد تقدم هذا كله فيما ذكره المؤلف .

كان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم . وقال خلف بن هشام : كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وعمما وخشوعا ، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . ولما مات أنس بن مالك أوصى أن يغسله محمد بن سيرين . وكان محمد محبوبا . فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوبس فقالوا : قد استأذنا الأمير في إخراجك ، قال : إن الأمير لم يحبسنى ، إنما حبسنى من له الحق ، فأذن له صاحب الحق فغسله . وقال يونس : ما عرض لمحمد بن سيرين أمران إلا أخذ بأوثقهما في دينه ، وقال : إني لأعلم الذنب الذى حملت بسببه ، إني قلت يوما لرجل : يا فلان ، فذكر هذا لأبي سليمان الداراني فقتل : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين أتوا . وثلثا قد كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين تؤتى ، ولا بأى ذنب نؤخذ . وكان إذا دعى إلى ولجة يدخل منزله فيقول : ليتونى بشرية سويق فيشربها ويقول : إني أكره أن أحمل جوعى إلى موائدهم وطعامهم . وكان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويندكره ويقول : إنها ساعة غلبة الناس ، وقال : إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا

من قلبه يأمره وينهاه . وقال : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتذكركم خيره .
 وقال : الميزة عبادة ، وكان إذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدته . وفي رواية كان يتغير لونه وينسحر حاله ، حتى كأنه ليس بالذي كان ، وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتق الله في اليقظة ولا يفرك ما رأيت في المنام . وقال له رجل : رأيت كأنني أصب الزيت في الزيتون ، فقال : ففتش على امرأتك فانها لك ، ففتش فإذا هي أمه . وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صفيراً سبيحاً مكث في بلاد الاسلام إلى أن كبر ، ثم سببت أمه فاشترأها جاهلاً بأنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك ، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره . وقال له آخر : رأيت كأنني دست - أو قال وطئت - ثمرة فخرجت منها فأرة . فقال له : تتزوج امرأة - أو قال : تحب امرأة - صالحة تلد بنتاً فاسقة ، فكان كما قال . وقال له آخر : رأيت كأنني على سطح يرقى حبات شمر فجاء ديك فغلبها ، فقال له : إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأتني . فوضعوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء إليه فأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن محلتك فخذ منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه . وقال له رجل : رأيت الحمام تلتقط الياسين . فقال : مات علماء البصرة . وأما رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً واقفاً على مزبلة ويده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري ، فقال : الحسن هو والله الذي رأيت . فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها تحت رجله ، وعريته تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس . وقال له آخر : رأيت كأنني أسنك والدم يسيل . فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل لحومهم وتخرج في بابهم وتأثبه ^(١) .

وقال له آخر : رأيت كأنني أرى اللؤلؤ في الخاة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينتفع به . وجاءته امرأة فقالت : رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ منه قطعة . فقال لها ابن سيرين : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حر وفه وهي حساب الجمل ، فالسبع ستون ، والثلثون خمسون ، والواحد ستة والراء مائتان ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود فقال : هو عبيد في جواركم ، فازدوا عبداً أسوداً كان في جوارهم وضرب بالفأل المذكور . وقال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا أنظر إليها . فقال له مؤذن أنت ؟ قل : نعم ، قال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران . وقال له آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جزتها ونسجها كساء . يعني في السوق . فقال له : اتق الله فانك شاعر زور . وقال له آخر : رأيت كأنني أكل أصابعي ، فقال له تأكل من عمل يديك . وقال له رجل ^(١) كذا الأصل ، وفيه تحريف .

انظر هل ترى في المسجد أحدا ؟ فنسحب فنسار ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد ، فقال :
 ليس أشرت لك أن تنظر هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء ^(١) ؟ . وقال عن رجل ذكر له
 ذلك الأسود ، ثم قال : استغفر الله ! ما أرى إلا قد اغتبت الرجل . وكان الرجل أسود . وقال :
 اشترك سبعة في قتل امرأة فقتلهم عمر ، فقال لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتلها لأبنت خضراءهم .
 ﴿ وعب بن منبه الجاني ﴾

تابعي جليل ، وله ورقة بكتب الأوائل ، وهو يشبه كتب الأخبار ، وله صلاح وعبادة ،
 ويروي عنه أقوال حسنة وحسبكم وهو اعظم ، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل والله الجسد . قال
 الواقدي : توفي بصنعاء سنة عشر ومائة ، وقال غيره : بسندها بسنة ، وقيل بأكثر ، والله أعلم .
 ويؤمن بعض الناس أن قبره غربي بصرى بقرية يقال لها عصم . ولم أجده لذلك أصلاً ، والله أعلم .
 انتهى ما ذكره المؤلف .

فصل في

أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وجابر والتميم بن بشير .
 وروى عن مساذ بن جبل وأبي هريرة ، وعن طاووس . وعنه من التابعين عدة . وقال وهب : مثل
 من تعلم عالماً لا يعمل به كمثل طبيب مده شفاء لا يتماوى به . وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش
 قال : كنت جالساً مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال له : إني مررت بفيلان وهو يشتمك ، فنضرب
 وقال : ما وجد الشيطان رسولاً غيرك ، فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد
 عليه السلام ، ومديده إليه وصلته وأجلسه إلى جنبه . وقال ابن طاووس : سمعت وهب يقول : ابن
 آدم احتل لدينك فن رزقت سيأتيك . وقال وهب : كفى أهل النار والسرى كان خيراً لهم ، وطهروا
 واجوع كان خيراً لهم ، وأعدوا الطيات والموت كان خيراً لهم . وقال : قال داود عليه السلام : اتقوا
 أيما فقير سأل غنياً اتصلاً عنده ، فأسألك إذا دماك فلا تجبه ، وإذا سألك فلا تعطه . وقال : قرأت في
 بعض كتب الله : ابن آدم ، لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ، ولم تعمل بما قد علمت ، فإن مثلك كمثل
 رجل احتطب حطباً فخرم حنسية فذهب يحملها فمجز عنها فطم إليها أخرى . وقال : إن لله ثمانية
 عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما العمارة في الخراب إلا كفضطة في الصحراء .

وروي الشيرازي عنه أنه قال : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في تصححك
 وعملك لله . فإن العمل لا يقبل ممن ليس بتصح ، والتصح لله لا يكون إلا بطاعة الله ، كمثل الثمرة
 الحليمة ريحها وطعمها ، كذلك مثل طاعة الله ، التصح ريحها ، والعمل طعمها ، ثم زين طاعتك بالحلم
 (١) كنز العمال ، وفيه تحريف .

والعقل ، والفقه والعمل ، ثم أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء وعبيد الدنيا ، وعبيدها على أخلاق الأنبياء والعلماء العاملين ، وعودها فعل الحكما ، وامنعها عمل الأشقياء ، وأزمها سيرة الأتقياء ، واعزها عن سبيل الخبيثاء ، وما كان لك من فضل فأعن به من دونك ، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه حتى يبلغه ، فإن الحكيم من جمع فوائده وطايبها على من دونه ، وينظر في نقائص من دونه فيقويها ويرجيها حتى يبلغه ، إن كان قتيها حل من لاقه له إذا رأى أنه يريد صحابته ومعونته وإذا كان له مال أعطى منه من لا مال له ، وإذا كان مصاحبا استغفر للمذنب ورجا توبته ، وإذا كان محسنا أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ، ولا يفتر بالفول حتى يحسن منه الفعل ، فإذا أحسن الفعل نظر إلى فضل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفعل ، فإذا بلغ من طاعة الله مبلغا حمد الله على ما بلغ منها ثم طلب ما لم يبلغ منها ، وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو قادر على أن يفرها ، وإذا علم من الحكمة شيئا لم يشبهه بل يطلب ما لم يبلغ منها ، ثم لا يستعين بشيء من الكذب ، فإن الكذب كالأكلة في الجسد تكاد تأكله . أو كالأكلة في الخشب ، يرى ظهرها حسنا وجوفها فخرا فمن يراها حتى تنكسر على ما فيها وتملك من اغتر بها . وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يفتر به ، يظن أنه مينة على حاجته ورائده في رغبته ، حتى يعرف ذلك منه ، ويتبين الذي يقول غروره . فاستغفر الله ما كان يستغنى به عنه ، فإذا اطلسوا على ذلك من أمره وتبين لهم ، كذبوا خبره ، وأبأوا شهادته ، واتهموا صدقه ، وحقروا شأنه ، وأبغضوا نجاسته ، واستغفروا منه بسر أرحم ، وكنتموه حديثهم ، وحسروا عنه أماناتهم ، وغيبوا عنه أمرهم ، وحازروه على دينهم ومعيشتهم ، ولم يحضروه شيئا من محاضراتهم ، ولم يأمنوه على شيء من سرهم ، ولم يحكموه فيما شجر بينهم .

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال ليمان لابنه : إن مثل أهل الذکر والنحلة كمثل النور والظلمة . وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات : من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله . ومن شكك مصيبة نزلت به فأنما يشكروا به عز وجل ، ومن أسف على ما فاتته من الدنيا لم يخط قطار به عز وجل ، ومن قطع الغنى ذهب ثلث دينه . وقال وهب : قرأت في التوراة : إنما دار بنيت بقوة الظلماء جعلت رقبتها إلى الخراب ، وأبدا مال جمع من غير حلة أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا معمر بن محمد بن عمرو قال : سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب : يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبدي استجبت له من قبل أن يدعوني ، وأعطيت من قبل أن يسألني ، وإن عبدي إذا أطاعني لو أن أهل السموات وأهل الأرض أجلبوا

عليه جمات له المخرج من ذلك ، وإن عصى إذا عصاني قطعت يديه من أبواب السماء ، وجعلته في الهواء فلا يمنع من شيء أرادته من خالق . وقال ابن المبارك أيضا : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى فيما يعيب به أعبار بني إسرائيل : تفقهون الدين ، وتعلمون الخير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود الضأن ، وتحمّلون نفس الذباب ، وتقتنون الغداء من شرايكم ، وتقتنون أمثال الجبال من الطرام ، وتقتلون الدين على الناس أمثال الجبال ، ثم لا تعينونهم برفع المناسر ، تطيلون الصلاة ، وتفيضون الشيا ، وتقتصرون بذلك مال اليقيم والأرمة ، فبقرتي حلفت لأضربنكم بغضنة يغض فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم .

وقال العياشي : حدثنا عبد الله بن محمد الصنعاني حدثنا همام بن مسامة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مفضل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله ليس يحمداً أحداً على طاعة ، ولا ينال أحد من الله خيراً إلا برحمته ، وليس يرجو الله خير الناس ولا يخاف شراً ، ولا يعطف الله على الناس إلا برحمته إياهم ، إن مكرهوا به أباد مكرهم ، وإن خادعوه رد عليهم خداعهم ، وإن كاذبوه كذبهم ، وإن أدبروا قطع دابرهم ، وإن أقبلوا قبل منهم ولا يقبل منهم شيئاً من حيلة ، ولا مكر ولا خداع ولا سخط ولا مشادة ، وإنما يأتي بالخير من الله تعالى رحمته ، ومن لم يتبع الخير من قبل رحمته لا يجد باباً غير ذلك يدخل منه ، فإن الله تعالى لا ينال الخير منه إلا بطاعته ، ولا يعطف الله على الناس شيء إلا تعبدتهم له ، وتضرعهم إليه حتى يرجعهم ، فإذا رجعهم استخرجت رحمته منهم حاجتهم ، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيل تؤتى من قبله إلا تعبد العباد له وتضرعهم إليه ، فإن رحمة الله عز وجل باب كل خير يبتغي من قبله ، وإن مفتاح ذلك الباب التضرع إلى الله عز وجل والتعبد له ، فإن ترك المفتاح لم يفتح له ، ومن جاء بالمفتاح ففتح له به ، وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ، والله خزائن الخير كذا ، وباب خزائن الله رحمته ، ومفتاح رحمة الله التذلل والتضرع والافتقار إلى الله ، فمن حفظ ذلك المفتاح فحلت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وفيها ما تشاؤون وماتدعون في مقام أمين ، لا يحولون عنه ولا يخلون ولا ينصبون ولا يبرمون ولا يقترون ولا يمتنون . في نعم مقيم ، وأجر عظيم ، وأواب كريم ، نزلا من غفور رحيم .

وقال مكي بن عبد الله : قال وهب : أغنوا الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا ، وأسرعها رداً اتباع الطوع وحسب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف تلبك الحرام ، ومن انتهك الحرام يغضب الرب ، ويغضب الله ليس له دواء . وقال : يقول الله تعالى في بعض كتبه يعتب به بني إسرائيل : إني إذا أطعت رضى ، وإذا عصيت باركت ، وليس البركتي نهاية . وإذا عصيت غضبت ، وإذا غضبت لعنت ، ومن اللعنة مني تبلغ السابع من المواد . وقال : كان في بني إسرائيل رجل

عصى الله عز وجل ما أتى سنة ، ثم مات فأخذوا برجله فألقوه على عزيلة ، فأوحى الله إلى موسى : أن صل عليه ، فقال : يا رب إن بنى إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مائة سنة ، قال الله له : نعم هكذا كان ، إلا أنه كان كلما نشر التوراة ورأى أسم الله ﷻ قبله ووضعه على عينيه وصلى عليه ، فشكرت ذلك له فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء . كذا روى وفيه غلط ، ولا يصح ذلك ، وفي إسناده غرابة وفي متنه نكارة شديدة . وروى ابن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال موسى : يا رب احبس عني كلام الناس ، فقال الله له : يا موسى ما فعلت هذا بنفسى . وقال لما دعى يوسف إلى الملك وقف بالباب وقال : حسبي ديني من دنياي ، حسبي ربي من خلفه ، عز جارك وجل ثوابك ، ولا ربه غيرك ثم دخل على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزل عن سريره وخبر له ساجدا ثم أقامه المنان معه على السرير ، وقال : (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فقال : (اجلسنى على خزائن الأرض إلى حفيظ عليم) حفيظ بهذه النسب وما استودعته فيهم ، عليم بهذه من يأتيني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا منذر بن الزمان الأفيطس أنه سمع وهبا يقول : لما أمر الله الطوت أن لا يضروه ولا يكلمه - يعنى يونس - قال : (فلو لا أنه كان من المسيحين لابت في بطنه إلى يوم يبعثون) قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكره الله بعبادته المتقدمات ، فلما خرج من البحر قام فأنبت الله شجرة من يفتان - وهو الدباء - فلما رآها قد أنظمت ورأى خضرها فأنجرت ، ثم قام فاستقيظ فإذا هى قد يبست ، فجعل يتعزن عليها ، فقيل له : أنت لم تخلق ولم تصق ولم تبت وتعزن عليها ، وأما الذى خلقت مائة ألف من النار أو يزيدون ثم رحمتهم فشق ذلك عليك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد القسائي حدثنا وهاج حدثني عبد الملك بن عبد الحميد ابن خشك عن وهب قال : لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال : يا رب كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعنق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحتم والظفر ؟ قال : من أتى بينهم العداوة ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فأتى أولئك بينهم حتى لا يتضرروا .

وقال وهب اعطاء انظر اساقى : ويحك يا عطاء ، ألم أحسب أنك تعلم من علمك بلى أبواب الملائكة وأبناء الدنيا ، بأبواب الأمراء ؟ ويحك يا عطاء ، أنأت من يملك بيت فارس ، ويظهر لك فقره ، ويوارى عنك غناه ، وتترك باب من يقول : (ادعوني أستجب لكم) ، ويحك يا عطاء ، إن كان يفتيك ما يفتيك فأوحى ما فى الدنيا يكفيك . وإن كان لا يفتيك ما يفتيك فليس فى الدنيا شئ يكفيك ، ويحك يا عطاء ، إنما يملك بحر من البحور ، وواد من الأودية . لا علم له شئ إلا اللراب . وسئل وهب عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنونا وحسن ، والاخر أقبل سمها ، فأمر ما أفضل ؟ فقال : أنصحهما الله عز وجل . وقال : من خصل المساقى أن يحب الله ويكره الدم ، أى

يحب أن يحمد على ما لم يفعل ، ويكره أن ينم بما فيه . قال : وقال لقمان لابنه : يا بني أعقل عن الله فان أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليفر من العاقل ما يستطيع أن يكايده . وقال لرجل من جلسائه : ألا أعلمك طباً لا يمتاياً فيه الأطباء ، وفقهاً لا يمتاياً فيه الفقهاء ، وحكمة لا يمتاياً فيها الحكماء ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قال : أما الطب فلا تأكل طعاماً إلا سميت الله على أوله وحمدته على آخره ، وأما الفقه فان سئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بما تعلم وإلا قتل : لا أدري ، وأما الحكم فان أكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء . وقال : إننا كان في الصبي خلقان ، الحياء والرغبة ، طمع في رشده . وقال : لما بلغ ذو القرنين مطامع الشمس قال له ملك هناك : صف لي الناس ، فقال محادثتك من لا يعقل كمن يغنى الموتى ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يبذل الصخر الأصم كي يلبس ، وكن يطبخ الحديد يلمس أدمه ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يضع المائدة لأهل القبور ، وتقتل الحجارة من رؤس الجبال أيسر من محادثة من لا يعقل . وقال : قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادى من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعة زرع قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ما ذا قدمتم ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا ، وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة فغفروا حنركم . وقال : قال دانيال : ينطق على زمن يتمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد ، إلا كالسبلة في أثر الحاصد ، أو كالخصلة في أثر القاطف ، يوشك نواح أولئك وبواكيرهم أن تبكيهم . وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن مقل . قال : سمعت وهباً يقول في قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير عمله ، وإذا أراد الله بعبد شراً ختم له بشر عمله . وقال وهب : إن الله تعالى لما فرغ من الخلق نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقكم وأفنيكم بحكمي حق قضائي وتنفذ أمري ، أنا أعيدكم كما خلقكم ، وأفنيكم حتى أبقى وحدي ، فان الملك والخلود لا يحق إلا لي ، أدعو خلقي وأجمعهم بقضائي ، يوم أحشر أعدائي ، وتجل القلوب من هييتي ، وتبهر الأكلة ممن عبدها دوني .

قال : وذكر وهب أن الله لما فرغ من خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما عمو أهله وذكر عظمته وجبروته وكبريائه ، وسلطانه وقدرته ومملكته وربوبيته ، فأصمت كل شيء وأطرق له . فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو المرش الجليل والأمثال العلاء ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو الفضول والمنا والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ، ملأت كل شيء عظمتي ، وقهر كل شيء منسكي ، وأحاطت بكل شيء قدرتي ، وأحصى كل شيء علمي ، ووسعت كل شيء رحمتي ، وبلغ كل شيء لطفي ، فأننا الله يا معشر الخلق

فاعرفوا مكانى ، فليس شئ فى السموات والأرضين إلا أنا ، وخلقى كلهم لا يقوم ولا يدوم إلا بى ، ويتقلب فى قبضتى ، ويدب برزقى ، وحياته وموته وبقاؤه وفناءه بيدي ، فليس له شئ ولا ما يجزئ غيره ، لو تخليت عنه طرفه عين لدمركه ، وكنت أنا على حال لا ينقصنى ذلك شيئاً ، ولا ينقص ذلك ملكى شيئاً ، وأنا مستغن بالمرء كله فى جبروتى وملكى ، وبرهان نورى ، وشديد بطشى ، وعلو مكانى ، وعظمة شأنى ، فلا شئ مثلى ، ولا إله غيرى ، وليس ينبغى لشيء خلقته أن يمدل بى ولا يشكرنى ، وكيف يشكرنى من خلقته يوم خلقته على معرفتى ؟ أم كيف يكابرنى من قهر قهره ملكى ؟ أم كيف يعجزنى من ناصيته بيدي ؟ أم كيف يمدل بى من أعزده وأعتق جسمه وأنقص عقله وأتوفى نفسه وأخلقه وأهرمه فلا يتجنى منى ؟ أم كيف يستنكف عن عبادتى عبدي وابن عبدي وابن أبنى ، ومن لا ينسب إلى خالق ولا وارث غيرى ؟ أم كيف يعبد دونى من تخلق له الأيام ، ويعنى أجله اختلاف الليل والنهار ، وهما سبعة يسيرة من سلطانى ؟ قال : يا أهل الموت والمغنا ، لا إلى غيرى ، فأتى كعبت الرحمة على نغى وقضيت العزو والمغفرة لمن استغفرنى ، أغفر الذنوب جميعاً ، صغبرها وكبرها لمن استغفرنى ، ولا يكبر ذلك على ولا يتماطىنى ، فلا تملقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تشقوا من رحمتى ، فإن رحمتى سبقت غضبى ، وخزائن الخير كلها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت منى إليه ، وإن كان لأبين به قدرتى ، ولينظر الناظرين فى ملكى ، ويتدبروا حكمتى ، ولا يسبحوا بحمدي ويسجدونى لا يشركوا بى شيئاً ، واستغروا لوجودى كلها إلى .

وقال أشرس عن وهب قال قال داود : إلهى أين أجلك ؟ قال عند المنكسرة قلوبهم من خوفتى .
وقال كثر رجل من بنى إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يفطر فى كل أسبوع يوماً وهو يسأل الله أن يريه كيف يغوى الشيطان الناس ، فلما أن طاف ذلك عليه ولم يجيب ، قال فى نفسه : لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بينى وبين ربى لكان خيراً من هذا الأمر الذى أضل ، ثم أقبل على نفسه فقال : يا نفس من قبلك أتيت . لو علم الله فيك خيراً لفضى حاجتك . فأرسل الله ملكاً إلى نبيهم : أن قل لفلان العابد : إزاراؤك على نفسك وكلامك الذى تسكمت به ، أعجب إلى مما مضى من عبادتك ، وقد أجاب الله سؤالك ، وفتيح بعمرك فانظر الآن ، فنظر فإذا محبوبته لا يابس قد أحاطت بالأرض ، وإذا ليس أحد من بنى آدم إلا وحوله شياطين مثل الثياب ، فقال : إلهى رب ، ومن ينجو من هؤلاء ، قال صاحب القلب البارد : أباين .

وقال وهب : كان رجل من السالميين فأتى على نوح فيها ماء ، فدعته نفسه إلى أخذ شئ منه ، فدقبا بتمام مكانه يهلى ثلاثة أيام ، فمرّ برجل وقد لوحته الشمس والريح ، فلم ينظر إليه قال :

سبعمان الله !! لسكنائنا أحرق هذا الانسان بالنار ، فقال السائح : هكذا بلغ منى ما ترى خوف النار ، فكيف بي لو قد دخلتها ؟ !

وقال : كان رجل من الأولين أصاب ذنباً فقال : لله على أن لا يظلمى ستم بيت أبداً حتى تأتي براءة من النار ، فسكان بالصعراء في الحر والقر ، فر به رجل فرأى شدة حنانه فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما ترى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكر جهنم ، فكيف بي إذا أنا وقعت فيها ؟ . وقال : لا يكون البطلان من الحكمة أبداً ، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء . وقال وهب في وعظته : اليوم يهبط السميد ، ويستكثر من منافعه الالباب ، يا ابن آدم إنما جمعت من منافع هذا اليوم لدفع ضرر الجحالة عنك ، وإنما أوقعت فيه مصائب الخدي لتنبه لحر بك ، فلم أر كاللوم ضل مع نوره متعير دافع لمدواة سليم ، يا ابن آدم ! إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضنف من مخلوق ، ولا أفرد من طلبته في يده ، ولا أضنف ممن هو في يد طالبه ، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرتجى ؟ وما الخيلة في بقاء ما سيذهب ؟ يا ابن آدم اقصر عن طلب ما لا تدرك ، وعن تناول ما لا تناله ، وعن ابتغاء ما لا يوجد . واقطع الرجاء عنك كما قدمت به عنك الأشياء ، واعلم أنه رب مطلوب هو شر لطلبه ، يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلق منها ، يا ابن آدم أى أيام الدهر ترتجى ؟ يوم يحى في عتم أو يوم تستأخر عاقبته عن أنوان حبيته ؟ فانظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام ، يوم مضى لا تجوده ، ويوم لا بد منه ، ويوم يحى لا تأمله ، فأمس شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤد ، وحكيم مؤدب ، قد فحمت بنفسه ، وخلف فيك حكمته . واليوم صديق مودع ، كان طويل الغيبة عنك ، وهو سريلع الظعن إليك ولم يأت ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فإن كان ما فيه لك فاشفقه بمثله أوثق لك باجتماع شهادتهم ما عليك . يا ابن آدم إنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عقد رحاطهم إلا في غيرها ، وإنما يتبلعون بالسوارى فما أحسنه - يعنى الشكر - المنعم والتسليم لله ما د ، يا ابن آدم إنما النشء من مثله وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله ؟ ! إنما يقر الفروع بعد الأصل . يا ابن آدم إنه لا أعظم رزية في عقاب من ضيع اليقين وأخطأ العمل . أيها الناس ! إنما البقاء بعد الفناء ، وقد خلقتموكم نكن ، وسنبلى تم فمود . ألا وإنما العواري اليوم والمنات غدا ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو عطاء جزيل ، فأصبحوا ما تقدمون عليه بما تظنون عنه . أيها الناس ! ! إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تقتضيه فيه الدنيا ، وإن ما أنتم فيه من دنيا كم تهب للعصائب ، لا تتلون فيها نعمة إلا بفراق الأخرى ، ولا يستقبل منكم معمر يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجده ، ولا يتخذ له زيادة في ماله إلا بشداد ما قبله من رزقه ، ولا يحى له أثر إلا مات له أثر . لسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه الدخلة .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن صريان عن وهب بن منبه . عن الطريق ولم تستقم ^(١) لسانها ، وإن فتر ساقها حزنت ، ولم تتبع قائدها : فإذا اجتمعا استقامتا طوعاً أو كرهاً ، ولا يستطيع الدين إلا بالأنوع والسكره ، وإن كان كلاً كره الإنسان شيئاً من دينه تركه ، أو شك أن لا يبقى معه من دينه شيء . وقال وهب : إن من حكمة الله عز وجل أنه خلق الخلق محتجماً خاتمه ومتاديرة ، فنه خلق يدوم مادامت الدنيا ، لا تنقصه الأيام ولا تهزمه وتباليه ويموت ، ومنه خالق لا يطعم ولا يرزق ، ومنه خالق يطعم ويرزق ، خلفه الله وخالق منه رزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البر وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزق ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفق رزق دواب البر دواب البحر ، ولا رزق دواب البحر دواب البر ، ولو خرج ما في البحر إلى البر هلك ، ولو دخل ما في البر إلى البحر هلك ، ففي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن أحببت قصة الأرزاق والمعيشة فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق ، فإنه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه سبحانه بين خلقه ، لا يستطيع أحد أن يغير ما ولا أن يخلطها ، كما لا يستطيع دواب البر أن تعيش بأرزاق دواب البحر ، ولا دواب البحر بأرزاق دواب البر ، ولو اضطرت إليه هلكت كلها ، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت أصاحها ذلك وأحياءها ، وكذلك ابن آدم إذا استقر وقنع بما قسم الله له من رزقه أحياء ذلك وأصاحبه ، فإذا تاملت رزق غيره اتقته ذلك وضره وفضحه .

وقال لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى ما في أيديهم ، فكان أهل الدنيا يبتلون إليهم دنياهم وضميمة في علمهم ، فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبتلون لأهل الدنيا علمهم وغمضة في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فأبكت إعطاء وأبواب السلطان فاندد أبوابهم فتنا كبحارزك الأبل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله .

وقال إبراهيم الجليلي : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المتقدم حدثنا جعفر بن سنان حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إني عالم علماً هو فوقه في العلم ، فقال : كيف صلاتك ؟ فقال : ما أحسب أحداً سمع بكراً الجنة والنار يأتي عليه ساعة لا يصلي فيها ، قال : فكيف ذكرتك الموت ؟ قال : ما أرفع قدماً ولا أضيق أخرى إلا رأيت نبي الموت . فقال : فكيف صلاتك أنت أم الرجل ؟ فقال : إني لأصلي وأبكي حتى يابست العشب من دموعي . فقال له : أما رأيت أن تضحك وأنت معترف بنبأيتك خير لك من أن تبكي وأنت مدرك بعلمك ، فإن المثل لا يرفع له عمل فقال : أوصني فإني أراك حكيماً ، قال : أزهده في الدنيا ولا تنزع أعمارها ، وإن فيها كلالاً . إن كذا بالأصل وفيه نقص أو تحريف فليحذر .

أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقعت على عدو لم تكسره ، وإنصح الله
 نصيح السكاب لأهله ، فانهم يحيمونه ويطردونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يحوطهم ويحفظهم ،
 وينصح لهم . فكان وهب إذا ذكر هذا الحديث قال : وأسرأناه إذا كان السكاب أنصح لأهله
 منك يا ابن آدم لله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إني لأصلي حتى ترم قدماي ، فقال له : إنك إن
 تبت قائما ، وتصبح نادما ، خير لك من أن تبيت قائما وتصبح معجبا ، إلى آخره . وروى سفيان
 عن رجل من أهل صنعاء عن وهب فذكر الحديث كما تقدم .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا الصلت بن عاصم المرادي
 عن أبيه عن وهب قال : لما أهبط آدم من الجنة استوحش لفقد أصوات الملائكة ، فهبط عليه جبريل
 فقال : يا آدم ألا أعلمك شيئا تنفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال قل : اللهم نم لي النعمة
 حتى تمناني للمعيشة ، اللهم أختم لي بخير حتى لا تضربني ذنوبي ، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول
 في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية

وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب فوجدت
 الله تعالى يقول : يا ابن آدم ما أنصفتني ، تذكرني ونسأني ، وتدعو إلى وتفر مني ، خيرى إليك
 نازلا ، وشرك إلى صاعد ، ولا يزال ملك كريم قد نزل إليك من أجلك ، يا ابن آدم إن أحب ما تكون
 إلى وأقرب ما تكون مني إذا رضيت بما قسمت لك ، وأبغض ما تكون إلى ، وأبعد ما تكون مني إذا
 سخطت بما قسمت لك . يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ، ولا تملني بما يصلحك ، إني عالم بخلقى ، وأنا
 أعلم بحاجتك التي ترفعك من نفسك ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمرى ،
 لست بشاظر في حق عبدي حتى ينظر العبد في حقى . وقال وهب : قرأت نيفا وتسعين كتابا من كتب
 الله تعالى فوجدت في جميعها : أن من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر . وقال : لا يسكن ابن
 آدم ، إن الله هو قسم الأرزاق متفاضلة ومختلفة ، فإن تقلل ابن آدم شيئا من رزقه فليردد إلى الله
 رغبة ، ولا يقول : لو أطلع الله على هذا من حالي ، أو شعر به غيره ؟ فكيف لا يطلع على شيء الذي
 خلقه وقسده ؟ أو يعتبر ابن آدم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس ، كأن الله فاضل بينهم في
 الأجسام والأوال والألوان والعتول والأحلام ، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل عليه في الرزق
 والمعيشة ، ولا يكبر عليه أن يفضل عليه في العلم والعقل والدين ، أولا يعلم ابن آدم أن الذي
 رزقه في ثلاثة أزمان من عمره لم يكن له في واحد منها كسب ولا حيلة ، أنه سوف يرزقه في الزمن
 الرابع . أول زمان من أزمانه حين كان في بطن أمه ، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه ، وهو
 في قرار مكين ، لا يؤذيه فيه حر ولا برد ، ولا شيء ولا هم ولا حزن ، وليس له هناك يد تبطش ،

ولا رجل تسمى ، ولا لسان ينطق . فساق الله عز وجل إليه رزقه هناك على أنم الوجوه وأهناها وأمرها ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يحوله من تلك الميزة إلى غيرها ، ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه يكفيه ويفنيه ، من غير حول منه ولا قوة ، ولا بطش ولا سعى ، بل تفضلا من الله وجوداً ، ورزقا أجراه وساقه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك اللين إلى رزق يحدته له من كسب أبويه ، بأن يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثره على نفسيهما بكسبهما ، ويفتيهاه ويفتيهاه بأطيب ما يتدران عليه من الأغذية ، وهو لا يعينهما على شيء من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عقل حدث نفسه بأنه إنما يرزق بحيلته وكسبه وسعيه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظن بربه عز وجل ، فيضيع أوامر الله في طلب المعاش وزيادة المال وكثرته ، وينظر إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طلب الدين ، فيكسب بذلك ضعف اليقين والایمان ، ويمتلئ قلبه فقرًا وخوفًا منه مع المنافع ، ويبتلى بموت القلب وعدم العقل ، ولو نظر ابن آدم نظر معرفة وعقل لعلم أنه إن يغنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة قبل ، فلا مثال له ولا ممدرة مما ساط عليه في الزمان الرابع إلا برحمة الله ، فإن ابن آدم كثير الشاك يقصر به حكمه وعلمه عن علم الله والتفكير في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتفهم حتى يعلم ، علم أن علامة الله التي بها يعرف ، خاتمه الذي خلق ، ثم رزقه لما خلق ، وقدره لما قدر .

وقال عطاء الخراساني : لقوت وهباً في الطريق قتلت : حدثني حديثاً أحفظه عندك في مقامي هذا وأوجز . فقال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود ، أما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته ، فتكيد السموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له من فرجاً ومخرجاً ، أما وعزتي وجلالي لا يعتمر عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته ، إلا قطعت أسباب السموات من يده ، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي شام الصنعاني قال : حدثني عبد الحميد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : كذبتني للعبد ما آلا ، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني ، وأستجيب له من قبل أن يدعوني ، فأرى أعلم بعاجته التي ترفق به من نفسه . وقال : قرأت في بعض الكتب أن الشيطان لم يكذب شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة فهو أثقل على الشيطان من الجاهل الناصب . إنه إنزال المؤمن العاقل فلا يستطيعه ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيستأمره ويتمكن من قياده . وقال : قام موسى عليه السلام فلما رآته بنو إسرائيل قاموا ، فقال : على مكانكم ، ثم ذهب إلى العالم فإذا هو بأمر أبيض

فيه مثل رؤس الكشبان كافر وعفوف بالراحين ، فلما رآه أعجبه فسخل عليه فاغتسل وغسل ثوبه ، ثم خرج وجفف ثوبه ، ثم رجع إلى الماء فاستنضح فيه إلى أن جف ثوبه ، فلبسه ثم أخذ نحو الكشيب الآخر الذي فوق الطور ، فاذا هو برجلين يحفران قبراً ، فقام عليهما فقال : ألا أعينكما ؟ قال : بلى فنزل فخر ، فقال لهما : لتحدثاني مثل من الرجل ؟ فقالا : على طولك وحيثك ، فاضطجع فيه لينظر وا قالتا عليه الأرض ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرخم ، فأصمها الله وأبكمها . وقال : يقول الله عز وجل : لو لا أنى كتبت النتن على الميت لحبس الناس في بيوتهم ، ولو لا أنى كتبت الفساد على اللاحم لحرمه الأغنياء على الفقراء .

وقال : مرَّ عابد براهب فقال له : منذ كم أنت في هذه الصومعة ؟ قال : منذ ستين سنة ، قال : وكيف صبرت فيها ستين سنة ؟ قال : مرَّ فان الزمان يمر ، وإن الدنيا تمر ، ثم قال له : يا راهب كيف ذكرك للموت ؟ قال : ما أحسب عبداً يعرف الله تعالى عليه ساعة إلا يذكّر الموت فيها ، وما أرفع قدماً إلا وأظن أن لا أضيقها حتى أموت ، وما أضع قدماً إلا وأظن أن لا أرفعها حتى أموت ، فجعل العابد يبكي ، فقال له الراهب : هذا بكائك إذا خلوت ؟ - أو قال : كيف أنت إذا خلوت ؟ - فقال العابد : إني لأبكي عند إفطاري فأشرب شرابي بدموعي ، ويصبر عني النوم فأبلى متاعى بدموعي ، فقال له الراهب : إياك إن أضحك وأنت مهترف بذنبك خير لك من أن تبكي وأنت مدل على الله بمالك . فقال : أوصني بوصية ، قال : كن في الدنيا بمنزلة النخلة ، إن أكات أكلت طيباً ، وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن سقطت على شيء لم تضره ، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار إنما همته أن يشبع ثم يرمى بنفسه في التراب ، وانصح لله فاصح الكلاب لأهلها ، فانهم يحيمونه ويتردونه ، وهو يأبى إلا أن يحرسهم ويحفظهم . قال أبو عبد الرحمن أشرس : وكان طائوس إذا ذكر هذا الحديث بكى وقال : عز علينا أن تكون الكلاب أنصح لأهلها منا لمولانا عز وجل . وقد تقدم نحو هذا المتن .

وقال وعب : تخلى راهب في صومته في زمن المسيح : فأراد إبليس أن يكيد فلم يقدر عليه ، فأنابه بكل مراد فلم يقدر عليه ، فأنابه مقشعاً بالمسيح فتأذاه : أيها الراهب اشرف على أكلك فأنابه المسيح ، فقال : إن كنت المسيح فإلى إيليك من حاجة ، أليس قد أمرتنا بالعبادة ؟ ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي فإليك . قال : فذهب عنه الشيطان خسئاً وهو حدير ، فلم يعد إليه . ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليس راهباً في صومته فاستفتح عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا المسيح ، فقال الراهب : والله لئن كنت إبليس لأخون بك ، ولئن كنت المسيح فما عسى أن أصنع بك اليوم شيئاً ، لقد باعتمنا رسالة ربك عز وجل فقبلنا بها عنك ، وشرعت لنا الدين

فمن عليهما ، فاذهب فاستبفتح لك فتال : صدقت ، أنا إبليس ولا أريد إضلالك بعد اليوم أبداً
فسألني عما بدا لك أخبرك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك فيه . قال :
فأخبرني أي أخلق بني آدم أوثق في أنفسهم أن أضلهم به ؟ قال ثلاثة أشياء : الجبلة : والشح ، والشكر .
وقال وهب : قال موسى : يارب أي عبادك ^(١) قال : من لا تنفعه موعظة ، ولا يذكرني إذا خلا ،
قال : إلهي فما جزاء من ذكرتك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى أخلقه يوم القيامة بظل عرشي ،
وأجعلني في كنفه . وقال وهب : إني عالم علما هو فوق في العلم فقال له : رحمتك الله ما هذا البناء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : ما سترك من الشمس ، وأكذلك من الغيث . قال : فما هذا الطعم الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع من غير تكلف . قال : فما هذا اللباس الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير قبح ولا تلون . قال : فما هذا
الضحك الذي لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما أسفر وجهك ولا يسمع صوتك . قال : فما هذا البكاء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : لا تمل من البكاء من خشية الله عز وجل ، ولا تبك على شيء من الدنيا .
قال : كم أخفى من عملي ؟ قال : ما أظن بك أنك لم تعمل حسنة . قال : ما أعلاني من عملي ؟ قال :
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما ياتكم بك الخريص ، واحذر النظر إلى الناس . وقال : لكل
شيء طرفان ووسط ، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فمليكم
بالوسط من الأشياء . وقال : أربعة أحرف في التوراة : من لم يشار به يدم ، ومن استغنى استأثر ،
والفقر الموت الأحر ، وكما تدن تدان ، ومن تاجر تجر .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان رجل
من أفضل أهل زمانه ، وكان يزار فيمظلم ، فاجتهدوا إليه ذات يوم فقبل : إنا قد خرجنا عن الدنيا
وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان ، وقد علمنا أن يكون قد دخل علينا في سألنا هذه من الطغيان
أعظم وأكثرها يدخل على أهل الأموال في أموالهم ، وعلى المالك في ملكهم ، وأنا يحب أحدا
أن تقضى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئاً أن يجاهي لمسكن دينه ، وأن يعظم إذا اتى الناس لمسكن
دينه ، وجعل يعدد آفات البلاء والعباد الذين يدخل عليهم في دينهم من حب الشرف والتمظيم .
قال : فشاع ذلك الكلام عنه حتى بلغ ملك تلك البلاد ، فعجب منه الملك وقال لرؤس دولته : ينبغي
لهذا أن يزار ، ثم اتعدوا لزيارته يوماً ، فركب إليه الملك ليسلم عليه ، فأشرف العابد . وكان عالماً مجيد
العلم بأفات العلوم والأعمال ودسائس النفوس . فرأى الأرض التي تمت مكانه قد سدت بالطين
والفرسان ، فقال ما هذا ؟ فقبل له : هذا الملك فأمد إليك يسلم لما بلغه من حسن كلامك ،

فقال : إنا لله ، وما أضع به ؟ هنكنا والله إن لم نلقن الحجة من عند الله مع هذا الرجل ، وينصرف عنا وهو ماقت لنا ، ثم سأل خادمه : هل عندك طعام ؟ قال : نعم . قال : فأت به فضمه بين أيدينا ، قال : هو شيء من ثمر الشجر ، وهو شيء من بقل وزيتون ، قال : فأت به ، فأتى به ، ثم أمر بجماعته فاجتمعوا حول ذاك الطعام ، فقال : إذا دخل عليكم هذا الرجل فلا يلتفت أحد منكم إليه ، ولا يقيم له أحد ، وأقبلوا على الأكل العنيف ، ولا يرفع أحد منكم رأسه ، امل الله أن يصرفه عنا وهو كاره لنا فاني أخف الفتنة والشبهة وامتلاء القلب منهما ، فلا نخلص إلا بنار جهنم . قال : فبكي القوم وبكى ذلك الرجل العالم ، فلما اقترب الملك من جيلهم الذي هم فيه ، ترجل الملك ومن معه من أعيان دولته وصعد في الجبل ، فلما وصل إلى قرب مكانهم أخذوا في الأكل العنيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون فلم يرفعوا رؤوسهم إليه ، وجعل ذلك العالم الفاضل يلف البقل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويدخلها في فمه ، فسلم عليهم الملك وقال : أيكم العابد ؟ فأشاروا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالنفس - وهو يأكل ذلك الأكل العنيف - فقال الملك : ليس عند هذا خير ، ثم أدير الملك خارجا عنه ، وقال : ما عند هذا من علم . فلما نزل الملك من الجبل نظر إليه العابد من كوة وقال : أيها الملك ! الحمد لله الذي صرفك عني وأنت في كاره - أو قال : الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به - وفي رواية ذكر ابن المبارك أنه قال : الحمد لله الذي صرفه عني وهو لي لأثم .

وفي رواية أن هذا العابد كان ملكا ، وكان قد زهد في الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجل من بقايا أهل الجنة والعمل الصالح فوعظه ، فاعده معه أن يصحبه ، وأنه يخرج عن الملك طلبا لما عنده في الدار الآخرة ، وأنه وافقه جماعة من بنيده وأهل ورؤس دولته ، فخرجوا برمتهم ، لا يدري أحد أين ذهبوا ، وكان هذا الملك من أهل العدل والخير والخوف من الله عز وجل ، وكان متسع الملك والمملكة ، كثير الأموال والرجل ، فساروا حتى أتوا جبلا في أطراف مملكته ، كثير الشجر والمياه ، فأقاموا به حينئذ فقتل الملك : إن نحن طال أمرنا ومقامنا في هذا الجبل ، سمع بنا الناس من أهل مملكتنا فلا يدعونا ، وإني أرى أن نذهب إلى غير مملكتنا فنزل مكانا بعيدا عن الناس ، لعل أن نسلم منهم ويسلموا منا ، فساروا من ذلك الجبل طابعا بلادا لا يعرفون ، فوجدوا بها جبلا نائبا عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قابل الأوراق ، وإذا في ذروته عين ماء جارية وأرض متسعة ، تزرع لمن أراد الزرع بها ، فنزلوا به وبناؤا به لما كن للعبادة والسكنى ، وزرعوا لهم على ماء تلك العين بعض بقول يأتون بها ، وأشجار زيتون . وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ثم شاع أمرهم في بعض تلك البلاد القريبة من جيلهم ، فجعلوا يأتونهم ويوزونهم ، إلى أن شاع

ذلك الكلام المنتسب عن ذلك العالم ، فبلغ ملك تلك البلاد قاصدهم للزيارة ، فذكر النصبة كما تقدم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهد الناس في الدنيا - وإن كان عليها حريصا - من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الامانات ، وأرغب الناس فيها وإن كان عنها معرضا ، من لم يبال من أين كسبه منها حلالا كان أو حراما ، وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بمحقوق الله عز وجل ، وإن رآه الناس بخيلا فيما سوى ذلك ، وإن أنجل الناس في الدنيا من بخل بمحقوق الله عز وجل وإن رآه الناس جوادا فيما سوى ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المنفي حدثنا علي بن المديني حدثنا محمد بن عمرو بن مقسم قال سمعت عطية بن مسلم يقول : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام في ألف مقام ، وكان إذا كلمه رأى النور على وجهه موسى ثلاثة أيام ، ولم يمس موسى امرأة منذ كلمه ربه عز وجل . وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن عامر بن زرارة حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه النخعي يقول : إن للنبوة أنفالا ودونة لا يحملها إلا القوى ، وإن يونس بن متى كان عبدا صالحا ، وكان في خلته ضيق ، فلما حملت عليه النبوة تمسخ نحتها تمسخ الرابع تحت الحمل ، فرفضها من يده وخرج هاربا ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقال : (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) الآية ، وقال يونس بن بكير عن أبي إسحاق بن وهب بن منبه عن أبيه قال : أمر الله الرياح أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ في الأرض إلا ألقته في أذن سليمان ، لذلك سمع كلام النملة .

وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن وهب قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا صاح أربعين سنة أرى شيئا ، كأن يرى علامة القبول ، قال : فساح رجل من ولد ربيعة أربعين سنة فلم ير شيئا ، فقال : يارب إذا أحسنت وأساء والداي فما ذنبي ؟ قال : فأرى ما كان يرى غيره . وفي رواية أنه قال : يارب إذا كن والداي قد أضرس أنا ؟ وفي رواية عنه أنه قال : يارب إذا كن والداي قد أساءا أحرم أنا إحسانك وبرك ؟ فأظلمت غمامة .

وروى عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن عبد العزيز بن مروان . قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : مثل الدنيا والآخرة مثل خرتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وقال : إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السحر . وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهب قال : إذا صام الإنسان زاغ بصره ، فإذا فطر على حلالة عاد بعمره . وقال ابن المبارك

عن بكر بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : مر رجل عابد على رجل عابد فرآه مفكراً ، فقال له : مالك ؟ فقال له : أعجب من فلان ، إنه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ ، ثم مات به الدنيا . فقال : لا تعجب من مال كيف مال ، ولكن أعجب ممن استقام كيف استقام .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكر بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن بني إسرائيل أصابتهم عقوبة وشدة ، فقال النبي ﷺ : ودنا أن نذل ما الذي يرضى ربنا فتبهم ، فأوحى الله عز وجل إليه : إن قومك يقولون : إذا أرضوهم رضيت ، وإذا أسخطوهم أسخطت . وقال عبد الله بن أحمد أيضا : حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني عمر بن عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن عيسى عليه السلام كان واقفاً على قبر ومعه الخواريون - أو نفر من أصحابه - قال : وصاحب القبر يدعى فيه ، قال : فذكروا من خلفه القبر وصيقه ، فقال عيسى : قد كنتم فيما هو أضيق من ذلك ، في أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع واسع ، أو كما قال .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكر بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان رجل عابد من السباح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والفتنة ، فلم يستطع منه شيئاً من ذلك ، فتمثل له حية وهو يعلو ، فغى ولم يلتفت إليه ، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه ، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عنقه فلم يلتفت ولم يستأخر ، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجوده ، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه ، فوضع رأسه فجعل يمركه حتى استمكن من السجود على الأرض . ثم جاءه على صورة رجل فقال له : أنا صاحبك الذي أخفك ، أتيك من قبل الشهوة والفتنة والرغبة ، وأنا الذي كنت أمثل لك بالسباع والحيات فلم أستطع منك شيئاً ، وقد بدا لي أن أصادقك ولا أتيك في صلاتك بعد اليوم . فقال له العابد : لا يوم خوفني خفتك ، ولا اليوم بي حاجة في مصادقتك . قال : سلني عما شئت أخبرك ، قال فما عسيت أن تسألني ؟ قال : ألا تسألني عن مالك ما فعل به بعدك ؟ قال : لو أردت ذلك ما فارقته . قال : ألا تسألني عن أهلك من مات منهم ومن بقي ؟ قال : أنا مت قبلهم . قال : ألا تسألني عما أضل به الناس ؟ قال : أنت أضلهم . فأخبرني عن أوثق ما في نفسك فضل به بني آدم . قال : ثلاثة أخلاق ، الشح ، والحسد ، والسكر . عن الرجل إذا كان شحيحاً قلنا ما له في عينه وورعنا في أموال الناس ، وإذا كان حديداً تناولنا بيدها كما يتناول الصبيان السكر ، ولو كان ينجي الموتى بدعوته لم ينأى عنه ، وكل ما يريه بهمه ولما كفة واحدة . وإذا سكر قد نادى إلى كل شر وفضيحة وخزي وهو أن كما تفادى القتل إذا أخذ بأذنبا كيف شئنا .

وقال وهب : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك يمدف في السجن سبع سنين ، ووسخ بختهم في السباع سبع سنين . ومثل وهب عن الدناير والمداهم فقتل : هي خواتيم رب العالمين ، والأرض لمعايش بني آدم لا تأكل ولا تشرب ، فأينما ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك ، وهي أمانة المناقبين بها يقادون إلى الشهوات . وروى داود بن عمر النخعي عن ابن المبارك عن وهب عن مالك بن المغيرة عن وهب قال : مثل الذي يدعو بغير عمل مثل الذي يرمى بغير وتر . وقال ابن المبارك : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن مهرب قال : سمعت وهبا يقول : قال حكيم من الحكماء : إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبد وجهه ثواب الجنة فقط ، فأكون كالأجير السوء ، إني أعبد الله تعالى وأبذل ما لي به ولم يزدني ، وإني لأستحي من الله أن أعبده مخلقة النار فقط ، فأكون كالجبر السوء ، إني أعبد الله وأبذل ما لي به ولم يزدني ، وإني لأستحي من الله ما لا يستخرج مني غيره .

وقال السري بن يحيى : كتب وهب إلى مكحول : إياك قد أحببت بما ظن من علم الإسلام عند الناس محبة وشرفاً ، فأطلب بما يظن من علم الأناس عند الله محبة وذاني ، وأعلم أن إحدى المحبتين تمنع الأخرى - أو قال : سوف تمنع الأخرى - وقال زهير بن سبابة عن أبي سنان الشيباني قال : يا فتى أن وهب بن منبه قال قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تروى بكم الربح الدنيء والآخرة والأمان سفينةك التي تحمل عابداً ، والتوكل على الله شراعها ، والافتيا بعمرك ، والقيام بربك ، والأعمال الصالحة تجاراتك التي ترجو ربحها ، والنافلة على عديتك التي ترجو بها كرامتك ، والخير من عابها يسيرها ، ويزيحها ، ورد النفس عن هواها هراسها ، والوقت مسامها ، والله ملكها ، واليوم حسرها ، وأوجب التجار إلى الله وأنصاهم بأقربهم منه أكثرهم بضاعة وأصدقهم نية ، وأخامهم هديته ، وأبغضهم إليه أقسامهم بضاعة ، وأودعهم هديته ، وأخفهم طويته ، فكلهم حسنت ، ثم رقت أودعهم هديته ، وكلهم خلعت هديتك تكريم ، وفي رواية عنه أنه قال : قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله بضاعة تأت الأرباح من كل مكان ، واجعل سفينةك تقوى الله ، وحشدوها التوكل على الله ، وشراعها الإيمان بأن الله يهديك إلى النافع ، والصلح الصالح إيمان أن تنجو ، وما أترك ضاليج ، وقال غيره الله من المروءة عن رباح بن زياد عن رجل قال : إن قلما طويها كطويها المثل .

وقال النابلسي : حدثنا عبيد بن محمد العتباتي حدثنا أبو خازمة عثمان بن مسلمة بن علي بن سعيد
غوث بن جابر حدثنا عقيل بن ميمون قال : سمعت علي بن ميمون يقول : الأجر من عباد الله وسائر
معرض ، وليسكن لا يستويجبه من لا يعمل ، ولا يجده من لا يشغره ، ولا يصرعه من لا ينظر إليه ،
ومطاعة الله قرينة من يرغب فيها ، بعيدة عن أعدائه ، ومن يحرص عليها يرضى الله ، ومن لا يحرصها
لا يبدعها ، لا تسبق من سعى إليها ، ولا يدركها من أبطأ عنها ، ومطاعة الله أقرب من أكلها .

زكريا من أضعافها ، وكتاب الله يدل عليها ، والایمان بالله يحض عليها .

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول قال داود عليه السلام : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة حسن العمل . قال : يارب أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر حسن الصورة كفر أو شكر ، هذان . وفي رواية ذكرهما أحمد بن حنبل : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : عبد استغارنى فى أمر نفرت له فلم يرض به . وقال إبراهيم بن الجعيد : حدثنى إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس حدثنا عبد الصمد ابن مقل عن وهب بن منبه قال : كان سائح يعبد الله تعالى ، فجاءه إبليس أو شيطان فتشبه بالإنسان فجعل يريه أنه يعبد الله تعالى ، وجعل يزيد عليه فى العبادة ، فأحبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته ، فقال له الشيطان - والسائح فى صلاة - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم وأمرنا ونهيهم ، كان أعظم لأجرنا ، فأجاب السائح إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجله من باب مكانه لينطلق معه ، هتف به هاتف فقال : إن هذا شيطان أراد أن يفتنك . فقال السائح : رجل خرجت فى معصية الله وطاعة الشيطان لا تدخل معى : فسا حولها من موضعا ذلك حتى فارق الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذكره فى بعض كتبه فقال : وذو الرجل .

وقال وهب : أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنزير ، فأعظم الناس مكانه ، وهلمهم أمره ، فقال له صاحب شرطة الملك - سرا بينه وبينه - : أيها العالم ، اذبح جسدياً مما يحل لك أكله ثم ادفعه إلى حتى أصنعه لك على حديثه ، فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك ، فتأكل منه حلالاً ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير ، فذبح ذلك العالم جسدياً ، ثم دفعه إلى صاحب الشرطة فصنعه له ، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجسد واجتمع الناس لينظروا أمر هذا العالم فيه أيا كل أم لا ، وقالوا إن أكلنا وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بلحم الخنزير فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجسد الحلال المذكي ، فسلم الله ذلك العالم فالتقى فى روعه وفكره ، فقال : هب أتى أكلت لحم الجسد الذى أعلم حله أنا ، فإذا أصنع من لا يسلم ؟ والناس إنما ينتظرون أكلى ليقعدوا بى ، وهم لا يدرون إلا أتى إنما أكلت لحم الخنزير فيما كونه اعتدوا بى ، فأكون ممن يحمل أو زارهم يوم القيامة ، لا أقبل والله وإن قتلت وحرقت بالنار ، وأنى أن يأكل ، فجعل صاحب الشرطة يفرز إليه ويومئ إليه ويأمره بأكله ، أى إنما هو لحم الجسد ، فأبى أن يأكل . ثم أمره الملك أن يأكل فأبى ، فألحوا عليه فأبى ، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله ، فلما ذهبوا به ليقنوه . قال له صاحب الشرطة : ما منعك أن تأكل من اللحم الذى ذكيت أنه أنت ودفعته

إلى ؟ أظننت أني أنيتك بعيره وخنك فيما ائتمنتني عليه ، ما كنت لأفعل والله . قتل في العالم :
 قد علمت أنه هو ، ولكن خفت أن يتأذى الناس بي ، وهم إنما ينتظرون أن أكل من الله ، ولا يشعرون
 إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير ، وكذلك كل من أريد على أكله فيما رآني من الزمان يقول : قد أكله
 فلان ، فأكون فتنة لهم . قتل رحمه الله . فليمنى له السلام أن يجزى الله أب ، ويجتنب المحذورات ،
 فإن زلته ونافسته منظره يقتدى بها الجاهل . وقال ما ذن جيل : اتقوا زينة الحكيم ، وقال غيره :
 اتقوا زينة العالم ، فإنه إذا زل زل زينة عالم كبير . ولا ينبغي له أن يستعين بالزينة وإن حضرت ،
 ولا يفعل الرخص التي تختلف فيها العلماء ، فإن العالم هو عصاة كل أعمى من العوام ، من الرسول على
 الحق ليدحضه ، ويقول : رأيت فسلانا العالم ، وفلانا وفلانا يفعلون ويفعلون . لا يجتنب العوائد
 النفسية ، فإنه قد يفعل أشياء على حكم المادة فيظن الجاهل جاذب أو مسدود أو مغيرة ، كما قيل : سل
 العالم يصدقك ولا تقصد بغيره الغريب ، ولكن سله عنه يصدقك إن كان ذا دين . وكما أفسد النظر
 إلى غائب عما زمانك هذا من خلق ، فالظن يفسد قلوبهم ويحرف قلوبهم ، ولكن (من يهدي الله فهو
 المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

وقال محمد بن عبد الملك بن زنجويه : حدثنا عبد الرزاق عن أبيه قال : قالت لوط بن منبه :
 كنت ترى الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبث أن نراها كما رأينا ، قال : فذهب ذلك عني منذ وليت
 القضاء . قال عبد الرزاق : حدثت به مرة ، قال : واللسان يمد ما لم يقضه لم يصدق فيه ، فمن
 يأمن القراء بمدك يا شهر ؟ فكيف حال من قد غرق في قاذورات الدنيا من علمه ودينه ، ولا سيما
 من بعد فتنة تمرتك ؟ فإن القلب قد اسلأت بحسب الدنيا ، فلا يجد العلم فيها مرشدا ، فبال من
 شئت منهم لتتفرق مبادئ جبر السهم وغاياتها . ولا تسلك البديلات ، فإن الأبرار يوافقونها بخواتيمها
 ونشأتها ، وغاياتها . (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال وهب : البلاء
 الدائم كالشكل الدابة . وقال أبو بلال الأشمري عن أبي شهاب المستعاني عن عبد الحميد عن وهب
 قال : من أصيب بشيء من البلاء فقد سلك به طريق الأنبياء . وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل :
 حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا نضر قال : سمعت وهبا يقول : قرأت في كتاب رجل من الجوارين :
 إذا سلك بك طريق - أو قال سبيل - أهل البلاء فقلب قلبك ، فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين .
 وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني أبيه بن شبل بن عثمان بن
 بزويه قال : كنت مع وهب وسعيد بن جبير يوم عرفة فحدثني عن أبي عامر ، فقال وهب : يا أبا عبد الله
 يا أبا عبد الله ! كم لك منذ خفت من الحجج ؟ قال : خرجت عن امرأتي وهي حامل فجداني الذي في
 بطنها وقد خرج شعر وجهه ، فقال له وهب : إن من كان قبلكم كان إذا أبواه شهدوا بجاهه ،

وإذا أصابه رجاء عده بلاء . وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب : ليس من عبادة من سحر أو سحر له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، فن كان كذلك فليبع غيره ، فانما هو أنا وخلقنا كلهم لى . وقال الامام أحمد : حدثنا ابراهيم بن خالد حدثنا رباح بن جعفر بن محمد عن الشعبي عن وهب أنه قال : دخول الجبل في سم الخياط أسير من دخول الأغنياء الجنة . قال : هذا إنما هو لشدة الحساب وطول روقوف الأغنياء في الكرب ، كما قد ضربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار قال سمعت زهبا يقول : ترك المكافأة من التعانيف . وقال الامام أحمد : حدثنا المسجع وأبو النصر قالا : حدثنا محمد بن طلحة عن محمد بن جعدة عن وهب قال : من يتعمد يزداد قوة ، ومن يتكسل يزداد فترة . وقد قال غيره : إن حوراء جاءت في المنام في ليلة باردة فقالت له : قم إلى صلاتك فبني خير لك من نومة توهم بدلك . ورأيت في ذلك حديثا لم يحضرني الآن . وهذا أمر مجرب أن العبادة تنشط البدن وتلينه ، وأن النوم يكسل البدن فيفسده ، وقد قال بعض السلف لما تبع ضلة ابن أشيم حين دخل تلك الفيضة ، وأنه قام ليلته إلى أن أصبح ، قال فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت ولى من الكسل والفتور مالا يملحه إلا الله عز وجل .

وقد قيل لأحسن : ما بال المتعبدين أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالجميل فألبسهم نوراً من نوره . وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجل يخلو بأهل عروسا أقر ما كانت نفسه وآنس ، بأشد سرورا منهم بمناجاة ربهم تعالى إذا خلوا به . وقال عطاء الخراساني : قيام الليل محياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البصر والأعضاء كلها ، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحا مسرورا ، وإذا قام من حزن به أصبح حزينا مكسورا القلب كأنه قد فقد شيئا ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو جعفر أحمد بن منيع حدثنا هاشم بن القاسم أبو النصر حدثنا بكر بن حبيش عن محمد القرشي عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن بلال قال قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى . ومنهاة عن الأثمة وتكثير من السيئات ، ومن طردة للشيطان عن الجسد » وقد رواه غيره من طرق : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » ويكفي في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والمسند عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يعمد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عتد ، يضرب ، كأن كل عتدة : عليك ليل طويل فارقد . فإذا استيقظ وذكر الله انحلت

عقدة ، وإذا توخأ انحلت عقدة ، فإن حلى الثملات عقدة فأصبح شيطانا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كالان . وهذا باب واسع . وقد قال عوف بن أبي الخضر : (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ثم قال : (ويزدكم قوة إلى قوتكم) وهذه القوة تشمل جميع القوى ، فيزيد الله عبده قوة في إيمانهم ويقينهم ودينهم وتوكلهم ، وغير ذلك مما هو من جنس ذلك ، ويزدكم قوة في أسماهم وأبصارهم وأجسادهم وأموالهم وأولادهم وغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهبا يقول : تصدق صدقة رجل يعلم أنه إنما قدم بين يديه ماله وما خلف ماله غيره .

قلت : وهذا كذا في الحديث « أياكم من ماله وأرضه أحب إليه من ماله ، فقلوا : كلنا لله أحب إليه من ماله وأرضه ، فقال : إن ماله ما قدم ، وماله وأرضه ما أخر . » قال : وسمعت وهبا على المنبر يقول : اذفقوا عني ثلاثا : إياكم وحرى متبعا ، وقرين سوء ، وإعجاب المرء بنفسه . وقد رويت هذه الألفاظ في حديث . وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن عبد الصمد بن مفضل حدثنا إبراهيم بن الحجاج قال : سمعت وهبا يقول : أحب بني آدم إلى الشيطان الذنوب الأربعة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا غوث بن حبان حدثنا عمران بن عبد الرحمن أنه سمع وهبا يقول : إن الله عز وجل ينفذ بالبدن الصالح التليل من الناس . وقال أحمد أيضا : حدثنا إبراهيم بن عقيل حدثنا عمران أبو الطفيل بن الأنبار عن وهب بن منبه قال : ليس من الآدميين أحد إلا ووجهه شيطان موكل به ، فأما الكافر فيأكل كل دمه ويتعذب دمه ، ويزدحم دمه على فراشه . وأما المؤمن فهو شيطان له ينفذ متى يعذيب منه غفلة أو غرة . وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكل الذنوب . وقال محمد بن غالب : حدثنا أبو المنصور ابن أخي بشر بن منصور عن داود بن أبي هند عن وهب . قال : قرأت في بعض الكتب الذي أنزلت من السماء على نوح الأنبياء : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنت الذي لم اتخذ لك شيئا من قبل : لا يادب ، قال : لئلا يملك بين يدي في الصلاة .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس ابن وهب بن منبه قال : سمعت أبي قال : كان سليمان بن داود الملك بيت أعلاه قوارير وأسفله حديد . فركب الريح يوما فمر بهرات فنفث ربه الحرات فاستظلمت في آل سليمان من الملك ، فقال : لقد أوتي آل داود ملكا عظيما ، فعمات الريح فلامت الحرات فأنشئت في آل سليمان ، على : فمر الريح فوقات ، ثم نزل يمشي حتى أتى الحرات فقال له : بني فهدت قلوبك ، وإنما مشيت في آيات الله تعالى فلا تتدنى . فلا تتدنى عليه مما أخبرني الله عليه ففعلوا وإحسانا من علي ، لأنه موافق الذي أخبرني لهذا وأدعني . ثم قال : والله أتدري ما أحسنه الله عز وجل ، أنت من مؤمن خير مما أوتي آل داود من الملك ، لأن

ما أتى آل داود من ملك الدنيا ينفي ، والتسبيحة تبقى ، وما يبقى خير مما يبقى . فقال الخثرات :
أذهب الله همك كما أذهب شمي

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عقيل بن معقل حدثني أبي عن وهب بن منبه . قال :
إن الله عز وجل ألقى موسى عليه السلام نورا ، فقال له هارون : مهدي لي يا أخي ، فوهبه له ، فأعطاه
هارون ابنه ، وكان في بيت المقدس آية تعظمها الأنبياء والملوك ، فكان ابن هارون يسقيان في
تلك الآية الخمر ، فنزلت نار من السماء فاختلفت ابني هارون فصعدت بهما ، ففزع هارون لذلك
فقام مستغيثا متوجها بوجهه إلى السماء بالدعاء والتضرع ، فأوحى الله إليه : يا هارون هكذا أقول بمن
عصاني من أهل عاتقي ، فكيف فعل بمن عصاني من أهل مصيبي ؟ . وقال الحكم بن أبان : نزل
في ضيف من أهل صنعاء قتيل : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله عز وجل في السماء السابعة دارا
يقال لها البيضاء يجمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه
عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب . أهل إذا قدم عليهم . وقال : من جعل شهوته تحت قدمه
فزع الشيطان من ظلمه ، فمن غلب عليه هواه فذلك العالم الغلاب . وقال فضيل بن عياض : أوحى
الله تعالى إلى بعض أنبيائه : بعني ما يتحمل المتحملون من أجلي ، وما يكابدون في طلب
مرضاتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ، وتبجحوا في رياض نهقي ، هنالك فليبشر المضعفون
الله أعظمهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب ، أتراني أنسى لهم عملا ؟ وكيف وأنا ذو الفضل العظيم
أجود على المولدين المعرضين عني ، فكيف بالمقبولين علي ؟ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ
خطيئة فاستعظمها في جنب عفوي ، ولو تماجلت بالعقوبة أسدا ، أو كانت المجلة من شأني ، لما جلست
القناطين من رحتي . ولو رآني عبادي المؤمنون كيف أستوعبهم من اعتدوا عليه ، ثم أحكم لمن
وهمهم بالخيل المقيم ، أتراها فضلي وكرمي ، أنا الدين الذي لا نحل مصيبي ، والذي أطاعني أطاعني
برحتي ، ولا حاجة لي بهوان من خف مقامي . ولو رآني عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصورا نهار
فيها الأبصار فيسألوني : لمن ذا ؟ فأقول : لمن وهب لي ذنبا لم يوجب علي نفسه مصيبي والغفوت
من رحتي ، وإني مكافي على المدح فامدحوني .

وقال سادة بن شبيب : حدثنا سادة بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة حدثنا عبد الرحمن
أبو مالك حدثني مهاجر الأسدي عن وهب . قال : مرّ عيسى بن مريم و معه الخواريون بقرية قد
مات أهلها ، إنسها وجناتها ، وهوواها وأقامها وطوردها ، فقام عليها ينظر إليها ساعة ثم أقبل على
صحابه فقال : إنما مات هؤلاء ، إن شاء الله ، ولولا ذلك ماتوا متفرقين . ثم ناداهم عيسى :
يا أهل القرية ، فأجابته حبيب : لبيك يا روح الله ، فقال : ما كانت جنائيتكم وسبب هلاككم ؟ قال

عبادة الطاغوت وحب الدنيا ، قال : وما كانت عبادتكم لطاغوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطاغوت . قال : وما كن حبكم للدنيا ؟ قال : كحب الصبي لأمه ، كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا ، مع أهل بعيد ، وإخبار عن طاعة الله ، وإقبال على مساخطه . قال : فكيف كان هلاككم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هلاوة ، قال : وما الهلاوة ؟ قال : سجين ، قال : وما السجين ؟ قال : جرة من نار مثل أنطبق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها ، قال : فما بال أصحابك لا يتسكحون ؟ قال : لا يستطيعون أن يتكلموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم ملجمون بلجم من نار . قال : وكيف كلمتني أنت من بينهم ؟ قال : كنت فيهم لما أصابهم العذاب ولم أكن منهم ولا على أعظامهم ، فلما جاء البلاء عني معهم ، وأنا معلق بشعرة في الهلاوة لا أدرى أكرس فيها أم أنجو . فقال عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : بشق أقول لكم : نخب الشخير وشرب الماء القراح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

وروى الطبراني عنه أنه قال : لا يكون المرء حكما حتى يطيع الله عز وجل ، وما عصى الله حكيم ، ولا يعصى الله إلا أحمق ، وكل لا يكمل النهار إلا بالشمس . ولا يعرف الليل إلا بالظلام ، كذلك لا تكمل الحكمة إلا بطاعة الله عز وجل ، ولا يعصى الله حكيم ، ولا يطير الطائر إلا بجناحين ، ولا يستطيع من لا جناح له أن يطير ، كذلك لا يطيع الله من لا يعمل له ، ولا يطيق عمل الله من لا يعطيه . وكل لا مكث للنار في المساء حتى أظفأ ، كذلك لا مكث لعمل الرياء حتى يبور . وكل يمدى سر الزانية وفضيحتها فعملها ، كذلك يفتضح بالفعل السيئ من كان يقرأ لجلاسه بالقول الحسن ولم يعمل به . وكل تكذب معذرة السارق بالسرقة إذا ظهر عليها عنده ، كذلك تكذب معصية القارئ لله قراءته إذا كان يقرأ بها لغير الله تعالى .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضر حدثنا علي بن بحر بن بري حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل . قال سمعت وعيا يقول : في منامير آل داود : طوبى لمن يسلك سبيل الخطابين ولا يحسن الإطمين ، وطوبى لمن يسلك طريق الأئمة ويستقيم على عبادة ربه ، فإنه كمثل شجرة نابسة على سفينة لا تزال فيها الحياة ، ولا تزال خضراء . وروى الطبراني أيضا عنه قال : إذا قامت الساعة صرخت الحجارة سراخ النساء ، وقطرت العشاء دما . وروى عنه أنه قال : ما من شيء إلا ييسد صغيرا ثم يكبر ، إلا النسيئة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر . وروى عنه أيضا أنه قال : وقف سائل على باب داود عليه السلام ، فقال : يا أهل بيت النبوة تصدقوا علينا بشيء رزقكم الله رزق الناجر النقيم في أهله . فقال داود : أعطوه ، فوالذي نفسي بيده إننا لنرى الزبور . وقال : من عرف بالسكائب لم يحز صدقه ، ومن عرف بالمصالح اتهم على حديثه ، ومن أكثر الغيبة

والبنضاء لم يوثق منه بالذميمة ، ومن عرف بالفجور والتسدية لم يؤمن إليه في الحقنة ، ومن اتحل
فوق قسارده جحد قساره ، ولا تستحسن فيك ما تستبجح في غيرك . هذه الآثار وأها الطبراني
عنه من طرق .

وروى دارد بن عمرو عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خيثم . قال : قدم علينا
وهب مكة فظنق لا يشرب ولا يتوضأ إلا من زمزم ، فقيل له : مالك في الماء المنسوب ؟ فقال :
ما أبا بلدي أشرب وأتوضأ إلا من زمزم حتى أخرج منها ، إنكم لا تدرون ما ماء زمزم ، والذي
نفسى بيده إليها في كتاب الله طعام طامم ، وشفاء مقوم ، ولا يعمد أحد إليها يتضلع منها ربا ، يستأجر
بركاتها ، إلا نزعته منه داء وأحدثت له شقاء . وقال : انظر في زمزم عبادة . وقال : انظر فيها يحط
الخطايا خطأ . وقال وهب : مسخ يختصر أسداً فكان ذلك السباع ، ثم مسخ نمرأً فكان ذلك
الغليور ، ثم مسخ ثوراً فكان ذلك الدواب ، وهو في كل ذلك يثقل عقل الإنسان ، وكان ملكه
قائماً يدبر ، ثم رد الله عليه روحه إلى حالة الإنسان ، فدعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا إله
السماء . فقيل له : أمات مؤمننا ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن
قبيل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرقت الكتب ، وحرقت بيت المقدس ، فلم يقبل
منه التوبة . هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد الرزاق
عن بكار بن عبد الله . قال : سمعت وهب بن منبه يقول ، فذكره .

وقال وهب : كان رجل يتصر فساظم ثلاثة أيام أن يطعموه فلم يطعموه ، فمات في اليوم الرابع
فكفنوه ودفنوه ، فأصبحوا فوجدوا الكفن في محرابهم مكتوب عليه : قتلتموه حياً وبررتموه ميتاً ؟
قال يحيى : فأتايت القرية التي مات فيها ذلك الرجل ، ومائها أحد إلا وله بيت ضيافة ، لا غنى ولا فقر
هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدثني عمي
وهب بن منبه فذكره . قال : رأيت القرية يمتلئون بذلك ، فمن ثم اتخذوا بيوتاً للضيافة والفقراء
خوفاً من ذلك . وقال عبد الرزاق عن بكار بن وهب . قال : إذا دخلت المدينة من الباب خرج
الحق من الكوة . وقال إبراهيم بن الجعيد : حدثنا إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس عن
عبد الصمد عن وهب بن منبه قال : مر نبي من الأنبياء على عابد في كهف جبل ، فقال إلهه فلم
عليه وقال له : يا عبد الله ، منذ كم أنت هاهنا ؟ قال : منذ ثلثمائة سنة . قال : من أين معيشتك ؟ قال :
من ورق الشجر ، قال : فمن أين شرابك ؟ قال : من ماء العيون ، قال : فأين تسكن في الشتاء ؟
قال : تحت هذا الجبل ، قال : فكيف صبرك على العبادة ؟ قال : وكيف لا أصبر وإنما هو يومى إلى
الليل ، وأما أمس فمضى بما فيه ، وأما غد فلم يأت بمسئد . قال : فمجب النبي من قوله : إنما هو

يوجه إلى الليل . وهذا الاستدراك رجلان من اليهود قالوا له : قطعت الشوى فطست أعينى من الدنيا شيئاً . فقال له : هلله : أتفرق بين السماء والياب ؟ إذا رأيتن معا ؟ قال : نعم ، قال : أتفرق بين الدناير والمدراهم والخصم ؟ قال : نعم ، قال : يبنى إليك لم تقطع الشوى عنك ولكنك قد أبوت عنته فاحذر انقلابه وانقلابه .

وقال غوث بن جابر بن غيلان بن منبه : حدثني عتيق بن عقال عن وهب قال : عمل في نواحي الدين الثلاث ، فإن للدين نواحي ثلاثاً : من جماع الأعمال الصالحة من أراد جمع الصالحات «أولاً» : عمل شكر الله على الأ نعم الكثيرات ، المفاتيح الراضيات ، الظاهرات الباطنات ، الطاعات القديسات ، يعمل المؤمن شكرًا لله ووجهه تعالى من «ثانية» : الثمانية من الدين : «رغبة في الجنة التي ليس لها من ولايس لها مثل ، ولا يزهد فيها وفي العمل ضابطاً لا يفيد فاجر ، أو منافق كافر» ، «ثالثة» : الثلاثة من الدين : أن يعمل المؤمن قرآناً من القرآن الذي ليس لأحد عليها من ، ولا لأحد بها حكمة ولا يدان ، وليست مصيبتها كالمصيبات ، ولا حزن أهلها كالأحزان ، وبأهلها عظم ، وبأهلها شديد ، والآخرة وحزنها فظيع ، ولا ينفل عن القرآن والتمسك بالله ، يا الأسف ! أحق خامس : (قد خسر الدنيا ذلك هو الخسران المبين) .

وقال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الملك بن محمد الدماضي قال : أخبرني محمد بن سعيد بن رمانة قال : أخبرني أبي قال قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بل ، ولكن ليس من مفتاح إلا ولد أسنان ، فمن أتى الباب بمفتاح أسنانه ففتح له ، ومن لم يأت الباب بمفتاح أسنانه لم يفتح له . وقال محمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الله بن محمد : قال : سمع وعينا يقول : ركب ابن ملك في جند من قومه وهو شاب ، فصرخ من فرسه فائق عنقه فأتى في أرض قريبة من القرى ، فغضب أبوه وحلف أن يقتل أهل تلك القرية عن آخرهم ، وأن يطعم بالأعول ، فما أتت الأعول ملكه الخيل ، فما أتت الخيل وملكه الجمل ، فتوجه إليهم يريد أن يبيد الأعول ، فطعن الخيل وحلف بالأعول ، وما إلا في أوت الأفراس فذبحها الضيف ، فما أتت الضيف فذبحها الرجل فذبح جميع أهل تلك القرية وما فرأى أنه قد قضيتم لهلك ، فخرجوا جميعاً إلى الله سبحانه وعظروا إليه ، وألجأ يدعونه تعالى ليكشف عنهم شرورهم الملائكة الخاطئة ، وبالحسد من علاكهم . فبينما هم في ذلك حينئذ على ذلك ، وأهل القرية في الأعول ، فذبحوا الأعول فذبحوا الله تعالى . إذ نزل قوس من السماء فوقع بينهم ، فقتلت الأعول فقامت على الخيل وقاتلت الخيل على الجمل ، فقتل الملك ومن معه وبك الأعول والخيل ، ونهى الله أهل تلك القرية من أن يسموا بشرهم .

وروى محمد بن زكريا عن الحسن بن النضر أن سمع من أبيه قال : قال الله تعالى : أصغرته بيت .

المقدس : لأضمنّ عليك عرشي ، ولأحشرن عليك خلقي ، وليأتينك داود يومئذ راكباً . وروى
سماك بن المفضل عن وهب قال : إني لأتفقد أخلاقى وما فيها شئٌ يعجبني . وروى عبد الرزاق عن
أبيه قال قال وهب : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة . وقال بقية بن الوليد : حدثنا زيد بن خالد
عن خالد بن ممدان عن وهب قال : كان نوح عليه السلام من أجل أهل زمانه ، وكان يلبس البرقع
فأصابهم مجاعة في السفينة ، فكان نوح إذا تجلّى لهم شبهموا . وقال قال عيسى : الحق أقول لكم :
إن أشدكم جزاعاً على المصيبة أشدكم حبا للدينار . وقال جعفر بن برقان : بلغنا أن وهباً كان يقول :
طوبى لمن نظر في عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ، ورحم أهل النذل
والمسكنة ، وتصدق من مال جمعه من غير مصيبة ، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة ، ووسعت السنة
ولم يتمدها إلى البدعة . وروى سيار عن جعفر عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال : وجدت
في زبور داود : يا داود هل تدري من أسرع الناس مرّاً على الصراط ؟ الذين يرضون بحكمي ،
وألستهم رطبة بذكرى . وقيل إن عابداً عبد الله تعالى خمسين سنة فأوحى الله إلى نبيهم : إني قد
غفرت له ، فأخبره ذلك النبي ، فقال : أي رب ، وأى ذنب تغفر لي ؟ فأمر عرقاً في عنقه فضرب
عليه ، فلم يتم ولم يبدأ ولم يصل ليلته ، ثم سكن العرق ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : ما لاقيت
من عرق ضرب على في عنقي ثم سكن . فقال له النبي : إن الله يقول : إن عبادك خمسين سنة
ما تعدل سكون هذا العرق . وقال وهب : رهوس النعم ثلاثة « إحداهما » نعمة الاسلام التي لا تتم
نعمة إلا بها . « والثانية » نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها . « والثالثة » نعمة الغنى التي
لا يتم العيش إلا بها . وروى وهب بمبتلى أعشى مجذوم مقعد عريان به وضوح وهو يقول : الحمد لله على
نعمه ، فقال له رجل كان مع وهب : أي شئ بقي عليك من النعمة تحمد الله عليه ؟ فقال المبتلى : أدم
بصرك إلى أهل المدينة وانظر إلى كثرة أهلها ، أولاً أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري .
وقال وهب : المؤمن بخالط ليعلم ، ويسكت ليعلم ، ويتكلم ليعلمهم ، ويخاطب ليعلم . وقال : المؤمن مفكر
مذكر مدخر ، تذكر فعلته السكينة ، سكن فتواضع فلم يتهم ، رفض الشهوات فصنحها ، ألقى عنه
الحسد فظهرت له المحبة ، زهد في كل فان فاستكمل العقل ، رغب في كل باق فعقل المعرفة ، قلبه
متملق بهمه ، وهمه موكل بعماده ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه عليه سرمد ، وفرحه إذا
نامت العيون ينالو كتاب الله ويردده على قلبه ، فرة يفرغ قلبه ومرة تدمع عينه ، يقطع عنه الليل
بالنلاوة ، ويقطع عنه النهار بالنلاوة والعزلة ، مفكراً في ذنوبه ، مستصغراً لأعماله . وقال وهب : فهذا
ينادي يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رهوس اخلائق : قم أيها الكريم فادخل الجنة .

وقال إبراهيم بن سعيد عن عبد الرحمن بن مسعود عن ثور بن يزيد . قال قال وهب بن منبه :

الويل لكم إذا ساءكم الناس صالحين ، وكرهوكم على ذلك . وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا همام بن سلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مفضل بن عتبة قال : سمعت عبيد بن وهب بن منبه يقول : يا بني ! أخلص عاتمة الله سريرة ناصحة يصدق بها فملك في العلانية ، فإن من فعل خيراً ثم أسره إلى الله فقد أصاب ، وأبانه قراره ، ووضعه عند حافظه ، وإن من أسره عملاً صالحاً لم يطاع عليه إلا الله ، فقد أطلع عليه من هو حسبه ، واستحفظه واستودعه حفيظاً لا يضيع أجره ، فلا تخافن يا بني على من عمل صالحاً أسره إلى الله عز وجل ضياعاً ، ولا تخافن ظلمة ولا هزيمة ، ولا تظنن أن العلانية هي أنجح من السريرة ، فإن مثل العلانية مع السريرة كمثل ورق الشجرة مع عرقها ، العلانية ورقها والسريرة أصلها ، إن يهرق العرق شلكت الشجرة كلها ، وإن صلح الأصل صلحت الشجرة ، ثمرها وورقها ، والورق يأتي عنبه حين يجف ويصير بهاء ، تذروه الرياح ، بخلاف العرق ، فإنه لا يزال باظها من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها مستخفياً لا يرى منه شيء ، كذلك الدين والعمل ، لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانية العبد ، فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة ، ولا تنفع العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها ، وإن كان حياته من قبل عرقها ، فإن فرعها رزقها وجعلها ، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين ، فإن العلانية معها تراب الدين وتجمعه إذا علمها ، ومن لا يريد بها إلا رضا ربه عز وجل .

وقال الخليل بن جميل : حدثنا صالح المري عن أبيان عن وهيب قال : قرأت في السكينة : السكينة أربعة أركان ، دكن منه النظية ، ودكن منه الشهوة ، ودكن منه الطمع ، ودكن منه الخوف . وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خائفاً مشفقاً ، وجللاً ، وعزيراً ، عذلاً بالتراب ، واستجدي بكمكروم وجهك ويديك ، وسلمني حين تسألني بخشية من قبلك وجل ، وانخشني أيام الحياة ، وعلم الجاهل آلائي ، وقل لعبادي لا يتكادوا في غي ما معي فيه ، فإن أخذني أليم شديد . وقال وهيب : إذا عم الوالي بالجوهر أو عمل به دخل النقص على أهل مملكته ، وقلت البركات في التجارات والزراعات والضرع والمواشي ، ودخل الحق في ذلك ، وأدخل الله عليه المال في ذاته وفي مملكته . وإخام بالعدل والشير كان عكس ذلك ، من كثرة الخير ونعم البركات . وقال وهيب : كان في دسمة إبراهيم عليه السلام أنها الملك المباني . إني لم أملك لتجميع الدنيا بعطائها على بعض ، ولا لنبي البنيان . وإنما بعثتكم لترفع لي دعوة المظلوم فإني لا أردعها ولو كانت من كافر .

وروي ابن أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق عن وهيب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بال مملكك واسعة . ولم يتكلم مستقيمة ، قال : من قبل أن لا ألتزم ولا ألتصّب بغيري . وروي

ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : ثلاث من كن فيه أصاب البر ، سخاوة النفس ، والصبر على الأذى ، وطيب الكلام . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سفيان بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم عن سلسلة بن ميمون عن المصافي بن عمران عن إدريس قال : سمعت وهبا يقول : كن في بني إسرائيل رجلا لا يلفظ بهما عبادتهما أنهما ، شيئا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر إذاهما برجل يمشي في الهواء ، فقالا له : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ قال : بيسير من البر فعملته ، وبيسير من الشر تركته ، فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني إليه خالقي ، ولزمت الصلوات فإن أقسمت على الله عز وجل أبر قسمي ، وإن سألتني أعطاني . وقال : حدثني أبو العباس البصري الأزدي عن شيخ من الأزد . قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : عدني شيئا ينفعني الله به ، قال : أكثر من ذكر الموت ، وافصر أملك ، وخصلة ثلاثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى ، وظفرت بالعبادة الكبرى قال : وما هي ؟ قال : التوكل .

ومن توفي فيها من الأعيان

هو سليمان بن سعيد

كان جميلا فصيحيا علما بالعبادة ، وكان ينفذ الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتوفي صالح بعده بقليل ، وكان صالح فصيحيا جميلا عارفا بكتابة الديوان ، وبذخريج أهل العراق من كتابة الديوان وقد ولد سليمان بن عبد الملك خراج العراق .

هو أم المنيل

لها روایات كثيرة ، وقد قرأت القرآن وعمرها اثنتي عشرة سنة ، وكانت فقيهة عالة ، من خيار النساء ، عاشت سبعين سنة .

هو عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي

أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت بابن خنساء عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بمسند بن حصيب بن الزبير ، وأصدقها مائة ألف دينار ، وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن لم يكن في زمانها أجمل منها . توفيت بالمدينة .

هو عبد الله بن سعيد بن جبير

له روایات كثيرة ، وكان من أفضل أهل زمانه ،

هو عبد الرحمن بن أبان

ابن عثمان بن عفان . له روایات كثيرة عن جماعة من الصحابة [(١)]

(١) من أول الفصل الذي في ص ٢٦٧ إلى هنا زيادة من المصنفة .

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة)

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى^(١) ، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى^(٢) ، حتى باغ قيسارية من بلاد الروم . وفيها عزل هشام بن عبد الملك أمير بن عبد الله الساسي عن إمرة خراسان وولى عليها الجعيد بن عبد الرحمن ، فلما قدم خراسان تلقته خيول الاتراك فبرز من المسلمين ، وهو في سبعة آلاف فضاخوا واقتضوا قتالا شديداً ، وناموا فيه وفيمن معه لثقتهم بالنسبة إليهم ، وهمهم ملكهم خاقان ، وكاد الجعيد أن يملك ، ثم أنظره الله بهم فبرز بهم عزيمته منكبة ، وأسرا بن أخى ملكهم ، وبعث به إلى الخليفة . وسج بالناس فيها إبراهيم بن هشام الخزومي ، وهو أمير الحزمين والطائف ، وأمير العراق خالد التمسري ، وأمير خراسان الجعيد بن عبد الرحمن المري .

(ثم دخلت سنة ثلثي عشرة ومائة)

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح حصونا من ناحية ملاطية . وفيها سارت التتريك من الان فلق بهم الجراح بن عبد الله الحكي فوج من معه من أهل الشام وأخبر به جيران ، فانتصروا فبطل أن يتمكنوا إليه جيشه ، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماصة معه بخرج أردبيل . وأخذ السمو أردبيل . فلما باغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الجرجاني وجيش وأمره بالامراع إليهم ، فلاحق التتريك وهم يسرون بأسارى المسلمين فمروا بملكهم خاقان ، فاستنقذ بهم الأسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين ، ومن أهل الدعة أيضا ، وقتل من التتريك قتلة عظيمة جدا ، وأسروا منهم خلقا كثيرا فقتلهم صبرا ، وبقي ما كان ثقات من التتريك ، ولم يكف الخليفة بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أمر التتريك فصار إليهم في برد شديد وشبه عظيم ، فوصل إلى باب الأبواب واستخلف عنه أميراً وصار هو بن معه في طلب الاتراك وملكهم خاقان ، وكان من أمره معهم ما سئله كره . وخرج أمير خراسان في طلب الاتراك أيضا في جيش كثيف ، فوصل إلى نهر بلخ ورجع إليهم سرية ثمانية عشر ألفا ، وأخبري عشرة آلاف ينة ويسرة ، وبجاشت التتريك وجيشت ، فأتوا هرقند فكتب أميرها إليه يعلمه بهم ، وأنه لا يقدر على صون هرقند منهم ، وبهم ملكهم الاعظم خاقان فالتفت القوت . فصار الجعيد مسرعا في جيش كثيف هو نحو هرقند حتى وصل إلى تعيب هرقند وبقي يفتنه ويمنها أربعة فراسخ ، فاصبحه خاقان في جمع عظيم ، فعمل خاقان على قتل الجعيد فأنهزوا إلى المسكر والتتريك فقتلهم من كل جانب . ففرأى الجاهل والمسلمون في غدون ولا يشعرون بالهجوم فقدمتهم وأغضبوا بها إليهم ، فأنهزوا إلى السلاح واسطفوا على ما دفعهم ، وأخذت في جمل واسع ، وما كان باروا ، فالتفتوا وجمعت التتريك على مائة المسلمين وفيهم بن تميم وفلاد فقتل منهم ومن غيرهم خلقا

(١) أي البلاد الواقعة في سائر بلاد الأناضول (٢) أي بلاد الأناضول من جهة البلاد الساسانية

كثير ، من أراد الله كرامته بالشهادة ، وقد برز بعض شجعان المسلمين جماعة من شجعان الترك فقتلهم ، فناداه منادى خافان : إن صرت إلينا جملتك من يرقص الصنم الأعظم فنعبدك . فقال : ويحكم ، إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ثم تناخى المسلمون وتداعت الأبطال والشجعان من كل مكان ، وصبروا وصابروا ، وهملوا على الترك حملة رجل واحد ، فمزمهم الله عز وجل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم عطفت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقاً حتى لم يبق سوى ألفين ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، وقتل يومئذ سودة بن أبجر واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة فسلموهم إلى الملك خافان فأمر بقتلهم عن آخرهم ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون . وهذه الواقعة يقال لها وقعة الشعب . وقد بسطها ابن جرير جداً . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ رجاء بن حيوة الكندي ﴾

أبو القندام ، ويقال أبو نصر ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر ، ثقة فاضل عادل ، وزير صدق خلفاء بني أمية ، وكان مكحول إذا سئل يقول : ساوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة وثقوه في الرواية ، وله روايات وكلام حسن رحمه الله .

﴿ شهر بن حوشب الأشعري الحنفي ﴾

ويقال إنه دمشقي ، تابعي جليل ، روى عن ولاته أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها ، وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم . وكان عالماً عابداً ناسكاً ، لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بغير إذن ولي الأمر ، فهاجروه وتركوه عرضة ، وتركوا حديثه وأنشدوا فيه الشعر ، منهم شعبة وغيره ، ويقال إنه سرق غيرها فأنه أعلم . وقد وثقه جماعات آخرون وقبلوا روايته وأثنوا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده ، وقالوا : لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه ، وقد كان والياً عليه متصرفاً فيه فأنه أعلم . قال الواقدي : توفي شهر في هذه السنة - أعني سنة اثنتي عشرة ومائة - وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مائة فأنه أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة ﴾

ففيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش ، وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانقسموا فيها ، وقد أخذ أميرهم رجلاً منهم فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك . وفيها غل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الترك فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودانت له تلك الممالك من ناحية بلنجر وأعمالها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام الحنفي ، فأنه أعلم . ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان قال ابن جرير : فيها كان مهلك

﴿ الأمير عبد الوهاب بن بخت ﴾

وهو مع البطل عبد الله بأرض الروم قتل شهيداً وهذه ترجمته

هو عبد الوهاب بن بخت أبو عبيدة ويقال أبو بكر ، مولى آل مروان مكي ، سكن الشام ثم تحول إلى المدينة ، روى عن ابن عمر وأبي هريرة وجماعة من التابعين ، وعنه خلق منهم أبو مالك ابن أنس ويحيى بن سعيد الأنصاري وسعيد الله العمري ، حديثه عن أنس مرفوعاً « فخر الله أورا سمع مقالتي هذه فوعظتم بأقربا غيري » ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن صدر مؤمن ، إخلاص العمل لله ، ومناجاة أولي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، كأن دعوتهم تحيط من رؤسهم » . وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة ثم لقيهما فليسلم عليه » . وقد وثق عبد الوهاب بهذا جماعة من أئمة العلماء . وقال مالك : كان كثير الخلق والسمعة والفرح ، حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رده من رفاقته ، وكان صحيحاً جواداً ، استشهد ببلاد الروم مع الأمير أبي محمد عبد الله البطال ، دفن هناك رحمه الله . توفي في هذه السنة قاله خليفة وغيره ، وذلك أنه لقي العدو ففر بعض المسلمين ، فحمل ينادي ويركض فرسه نحو العدو : أن شدوا إلى الجنة ، ويحكمكم أقراراً من الجنة ، أقررون من الجنة ، إلى أين ويحكمكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله .

﴿ مكحول الشامي ﴾

قاضي جليل القدر ، إمام أهل الشام في زمانه ، وكان مولى لامرأة من غنبل ، وقيل مولى امرأة من آل سعيد بن النضر ، وكان ثوبياً ، وقيل من سبي كابل ، وقيل كان من الأبناء من سلالة الأكرسة وقد ذكرنا نسبه في كتابنا السكبل . وقال محمد بن إسحاق : سمعته يقول : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، وقال الزهري : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالحجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشامي بالكوفة ، ومكحول بالشام . وقال بعضهم : كان لا يستطيع أن يقول قل ، وإنما يقول كل وكان له وجهة عند الناس ، مهمهم أمر به من شيء يفعل . وقال سعيد بن عبد العزيز : كان أفقه أهل الشام ، وكان أفقه من الزهري . وقال غير واحد : توفي في هذه السنة ، وقيل بعد ما قلناه أعلم :

[مكحول الشامي هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم شهاب بن شاذل . كذا نقله من خط عبد المنادي . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : من طفت ثوبه قل عنه ، ومن طلب ربه زيد في عقابه . وقال مكحول في قوله تعالى (ثم إنسان يصد عن السبيل) قال : يارد الشراب وظلال المساكين وشبع البهاون ، وأما ما قاله في ولادة النور . وقال : إذا وقع الجراد بدون أظفارهم عن دوابهم أنشأ الملائكة ، فسمعت نهر يجر دموعها بالبركة ، ولا دابة في عاقبتها جرم] (١) .

(١) زيادة من المنبرية .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة ﴾

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى اليمنى سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام : وفيها انقضى عبيد الله البطل وملك الروم المسمى فيهم قسطنطين ، وهو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه النبي ﷺ فأسره البطل ، فأرسله إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه . وفيها عزل هشام عن إمرة مكة والمدينة والطائف إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فخرج بالناس في هذه السنة في قول ، وقال الواقدي وأبو مشر : إنما خرج بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ عطاء بن أبي رباح ﴾

الزهري مولاهم أبو محمد المكي ، أحد كبار التابعين الثقات الرفقاء ، يقال إنه أدرك مائتي صحابي وقال ابن سعد : سمعت بعض أهل العلم يقول : كان عطاء أسود أعور أفطس أشل أعرج ، ثم عفى بعد ذلك ، وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث ، وقال أبو جعفر الباقر وغير واحد : ما بقي أحد في زمانه أعلم بالناسك منه ، وزاد بعضهم ، وكان قد حج سبعين حجة ، وعمر مائة سنة ، وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من السكر والضمف ويفسدى عن إفطاره ، ويتأول الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وكان ينادى منادى بنى أمية في أيام منى : لا يفتي الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح ، وقال أبو جعفر الباقر : ما رأيت فيمن لقيت أفقد منه ، وقال الأوزاعي : مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عندهم . وقال ابن جريج : كان في المسجد فراش عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس به صلاة . وقال قتادة : كان سميد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار . وقال عطاء إن الرجل ليحدثني بالحديث فألتصت له كأني لم أكن سمعته ، وقد سمعته قبل أن يولد ، فأريه أتى إنما سمعته الآن منه . وفي رواية : أنا أحنظ منه له فأريه أتى لم أسمعه . الجمهور على أنه مات في هذه السنة رحمه الله تعالى والله أعلم .

[﴿ فصل ﴾]

أسند أبو محمد عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح أسلم - عن عدد كثير من الصحابة ، منهم ابن عمر وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو سعيد . وسمع من ابن عباس التفسير وغيره . وروى عنه من التابعين عدة ، منهم الزهري ، وعمر بن دينار ، وأبو الزبير ، وقتادة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وجبيب بن أبي ثابت ، والأعمش ، وأيوب السخستاني ، وغيرهم من الأئمة والأعلام كثير . قال أبو هريرة : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول :

من جلس مجلس ذكر كفر الله عنه بذلك انجلس عشر مجالس من مجالس الباطل . قال أبو هران : قلت لهؤلاء : ما مجلس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف أصلي ، كيف تصوم ، كيف تتكبح وتطلق وتبيع وتشترى .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني . قال : سمعت عطية بن أبي رباح يقول في قوله تعالى : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) قال : كانوا يقرضون الدراهم ، قيل كانوا يقصون منها ويقطعونها . وقال الثوري عن عبد الله بن الوليد - يعني الوصافي - قال : قلت لهؤلاء : ما ترى في صاحب قل إن هو كتب به عش هو وعياله في سبعة ، وإن هو تركه افتقر ؟ قال : من الرأس ؟ قلت التمسري لحالد . قال لهؤلاء : قال النعمان الصالح : (رب بما أئمت على فلان أكون ظهيراً للمجرمين) . وقال : أفضل ما أوتي العباد العقل عن الله وهو الدين . وقال لهؤلاء : ما قال النعمان : يا رب ، يا رب ، ثلاث مرات إلا نظر الله إليه ، قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : أما تقرؤن القرآن (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي بالإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاعف لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) إلى قوله : (فاستجاب لهم ربهم) الآيات .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عبد الله السامي حدثنا حمزة عن عمر بن الورد قال قال لهؤلاء : إن استطعت أن تفار بنفسك عشية عرفة فافعل . وقال سعيد بن سلام البصري : سمعت أبا حنيفة النعمان يقول : بقيت هؤلاء بمكة فساءلته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : أنت من أهل القرية الذين طردوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم . قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : من لا يسب السائف ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب . فقال لهؤلاء : عرفت قالهم . وقال لهؤلاء : ما اجتمعت عليا الأئمة أقوى عندنا من الاسناد . وقيل لهؤلاء : إن هاهنا قوما يقولون : الإيمان لا يزيد ولا ينقص . فقال : (والذين اعتدوا زادهم هدى) فما هذا الهدى الذي زادهم ؟ قلت : ويرحمون من الصلاة والزكاة ليستأمنوا من دين الله ، فقال : قال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاً . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فجعل ذلك ديناً . وقال يعلى بن عبيد : دخلنا على محمد بن سودة فقال : ألا أحسنكم بحديث الله أن يشتمكم ، فإنه نعمني ، قال لي عطية بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكافون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ثمناً ، ما عدا كتاب الله أن يقرأ ، وأمرهم بغيره أو يهين عن منكر ، أو يعلق العبد بحاجته في معيشته التي لا بد له منها ، أفسد من : (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين) و : (عن الذين وعن الشامل قبيحاً ما يافظ من قول إلا لله وقرب عبيد) أما يستحي أحدكم

فونشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر ثماره فرأى أكثر منافعها ليس من أسر دينه ولا دنياه ؟ .
 وقال : إذا أنت خفت الحر من المابل فاقرا : بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
 وروى الطبراني وغيره أن الخلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس ، فلما مات ابن عباس
 كانت لعطاء بن أبي رباح . وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن الفضل بن دكين عن سفيان عن
 سامة بن كهيل قال : ما رأيت أحداً يطلب بعمله ما عند الله تعالى إلا ثلاثة ، عطاء ، وطارس ،
 ومجاهد . وقال الأمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط ،
 وما رأيت على عطاء قيصاً قط ، ولا رأيت عليه ثوباً يساوي خمسة دراهم . وقال أبو بلال الأشعري :
 حدثنا قيس عن عبد الملك بن جريج عن عطاء : أن يعلى بن أمية كانت له حبة ، وكان يقعد في
 المسجد ساعة ينوي فيها الاعتكاف . وروى الأوزاعي عن عطاء قال : إن كانت فاطمة بنت رسول
 الله ﷺ لتهجن ، وإن كانت قصتها لتقرب بالجنة . وعن الأوزاعي عنه قال : (ولا تأخذكم بهما
 رأفة في دين الله) قال : ذلك في إقامة الحنك عليهما .

وقال الأوزاعي : كنت بالجماعة وعليها رجل وال يمتحن الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ،
 إنه منافق وما هو بمؤمن ، ويأخذ عليهم بالطلاق والعناق أن يسمى المسمى منافقاً وما يسميه مؤمناً ،
 فأطاعوه على ذلك وجهلوه له ، قال : فالتقيت عطاء فيما بعد فسألته عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأساً
 يقول الله تعالى : (إلا أن تنقوا منهم نقاة) .

وقال الأمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء بطيل الصمت
 فإذا تكلم تخيل اليه أنه يؤيد . وقال في قوله تعالى : (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) قال :
 لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله تعالى اني افترضها عليهم أن يؤدوها في أوقاتها
 وأوائها . وقال ابن جرير : رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائده : امسكوا احفظوا عني حساً :
 انقدر خيره وشره ، حنوه وكره من الله عز وجل ، وليس للعباد فيه مشيئة ولا تفويض . وأهل قبلتنا
 مؤمنون حرام دماؤهم وأهواهم إلا بحقها . وقتال الفئة الباغية بالأيسى والذم والصلاح ، والشهادة
 على الظوارج بالضلالة . وقال ابن عمر : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح .

وقال معاذ بن سعد : كنت جالسا عند عطاء فحدث بحديث ، فعرض رجل لذي حديثه فغضب
 عطاء وقال : ما هذه الأخلاق ؟ وما هذه الغلبات ؟ والله إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم بما منه
 فأريه أنى لأحسن شيئاً منه . وكان عطاء يقول : لأن أرى في بيتي شيطاناً خيراً من أن أرى فيه
 وسادة . لأنما تدعو إلى الذنوم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد
 عن ابن جرير قال : كان عطاء بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة

وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك . وقال ابن عبيدة : قالت لابن جرير : لم رأيت مصليا مثلك . فقال : لم رأيت عطاء ؟ . وقال عطاء : إن الله لا يحب الفني يلبس الثوب المشهور ، فيمرض الله عنه حتى يضع ذلك الثوب . وكان يقال : ينبغي تاهب أن يكون كالمريض لا بداءه من قوت ، وليس كل الطعام يوافقه . وكان يقال : الدعوة تسمى عين الحكيم فكيف بالجاهل ؟ ولا تفعلن ذاك لعله يفتد به فيه فانك لاتدرى إلى ماذا يصير بعد الموت (١)

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة (٢)

ففيها وقع طاعون بالشام ، وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل وهو نائب الطريق والطائف . والنواب في سائر البلاد هم المذكورون في التي قبلها والله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان (٣)

وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الفرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي . وهو تابعي جليل ، كبير القدر كثيرا ، أحد أعلام هذه الأمة علماء وعلماء وسيادة وشرفا ، وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر . ولم يكن الرجل على طريقهم ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخیالهم ، بل كان ممن يقدم أبا بكر وعمر ، وذلك عنه صحيح في الأثر . وقال أيضا : ما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاها رضى الله عنها . وقد روى عن غير واحد من الصحابة ، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم . فمن روى عنه ابنه جعفر الصادق ، والحسين بن عتيبة ، وربيعة ، والأعشى ، وأبو بصير السبيعي ، والأوزاعي والأعرج ، وهو أسن منه ، وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار وأبو بصير . وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال : حدثني أبي وكان خير محدثي به بعد علي وجه الأرض ، وقال العجلي : هو مدني تابعي ثقة ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وكانت وفاته في هذه السنة في قول وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها أو في التي هي بعدها وبعد . والله أعلم . وقد جاوز السبعين وقيل لم يجاوز الستين فلهذا علم .

(فصل)

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، من أمه علي زين العابدين ، ووجه الحسين قتلا شهيدين بالعراق . وصلى الباقر بقره العلوم واستبانه الحكم ، كان ذا كرامات مشاهير وكان من سلالة النبوة ، رفيع النسب على الخشب ، وكان عارفا بالعلوم ، كثير البكاء والعبرات معرضا عن الجبال والخصومات .

قال أبو بلال الأشعري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى : (أولئك يجزون النرفة بما صبروا) قال : النرفة الجنة بما صبروا على الفقر في الدنيا . وقال عبد السلام بن حرب عن زيد بن خيثمة عن أبي جعفر قال : الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب الذاكِر . قلت : وقد روي نحو هذا عن ابن عباس قال : لو نزل من السماء صواعق عدد النجوم لم تصب الذاكِر . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر إني لحزون ، وإني لمشتغل القلب . قلت : وما حزنك وشغل قلبك ؟ قال : يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغلته عما سواه ، يا جابر ما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركبا ركبته ؟ أو ثوبا لبسته ؟ أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ! إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ، ولم يصمهم عن ذكر الله ماسموا بأذانهم من الفتنة ، ولم يمههم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة فغازوا بشواب الأبرار . إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة ، وأكثرهم لك معونة ، إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله ، قطعوا المحبة ربههم عز وجل ، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم ، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم ، وعلموا أن ذلك من أمر خالقهم ، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها لمليكم كمنزل نزلوه ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكما أصبته في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء ، فاحفظ الله فيما امتراك من دينه وحكمته .

وقال خالد بن يزيد : سمعت محمد بن علي يقول : قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتم القاري يحب الأشياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص . وكان أبو جعفر يصلي كل يوم ليلة بالمكتوبة . وروي ابن أبي الدنيا عنه قال : سلاح اللئيم قبيح الكلام . وروي أبو الأحوص عن منصور عنه قال : لكل شيء آفة ، وآفة العالم النسيان . وقال لابنسه : إياك والكل والصجر فأنهما مفتاح كل خبيثة ، إنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإن ضجرت لم تصبر على حق . وقال : أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، وإصفاك من نفسك ، ومواساة الأخ في المال . وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الأيمان ثابت في القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ، وما دخل قلب عبد شيء من السكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه .

وقال جابر الجعفي : ما يقول فقهاء العراق في قوله تعالى : (لولا أن رأى برهان ربه) ؟ قال : رأى برهاناً عاضاً على إبهامه . فقال : لا ! حدثني أبي عن جدي علي بن أبي طالب أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به وعجز بها أي طمع فيها ، قامت إلى صنم لها مكال بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض خشية أن يراها ، أو استحياء منه . فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت إلهي أستحي

منه أن يراني على هذه الصورة . فقال يوسف : تستعين من صنم لا ينفذ ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال : والله لأقتالين مني أبدا . فهو البرهان . وقال بشر بن الحارث الضماني : سمعت سفيان الثوري يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت محمد بن علي يقول : الفتي والذين يبولون في قلب المؤمن ، فإذا وصلوا إلى مكان فيه التوكل أو طناه . وقال : إن الله ياتي في قلوب شيعتنا الرعب ، فإذا قام قائمنا ، وظهر مديننا كان الرجل منهم أجراً من ليث وأمضى من سيف . وقال : شيعتنا من أطاع الله عز وجل واتقاه . وقال : إياكم والخصومة فانها تفسد القلب ، وتورث التناقض . وقال : (الذين يفرحون في آيات الله) هم أصحاب الخصومات .

وقال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حادثة السيف فقال : لا بأس به ، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه . قال : قلت : وتقول الصديق ، قال : فترهب وتبه واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ! بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا ويتألمون أبا بكر وعمر ويزعمون أني أصرتهم بذلك ، فأبافهم عني أني إلى الله منهم بري ، والذي نفس محمد بيده - يعني نفسه - لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ، لا فالتين شفاعتي محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله إنما يكونون من قضاياهما وسابقيهما . فأبافهم أني بري منهم وعن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقال : من لم يعرف فليدلي أبي بكر وعمر فليدلي الله . وقال في قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية . قال : هم أصحاب محمد ﷺ ، قال : قلت : يقولون : هو علي قال : علي من أصحاب محمد ﷺ .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصابر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ، قال : رأيت الحكم عنده كأنه متعلم ، وقال : كان لي أخ في عيني عظيم ، وكان الذي عظمه في عيني صغير الدنيا في عينه . وقال جعفر بن محمد : ذهبت بغلة أبي قتيل : فأن ردها الله علي لأحمدته بحامد يرضاهما . فما كان بأسرع من أن أتى بها يسرحها لم يفتقد منها شيء ، فقام فركب ، فلما استوى عليها وجهع إليه ثيابه ورفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله . لم يزد على ذلك ، فقتل في ذلك ، فقال : فهل تركت أو أنجيت شيئاً ، جعلت الحمد لله عن وجل . وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : من أعطى النفاق والرفق فقد أعطى الظلم والرياسة ، وجلس حله في الدنيا والآخرة ، ومن سرهم ما كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية ، إلا من عصاه الله . وقال : أريد أن أخدمكم بدمي في كل ساعة فإني أخدم ما يريد كما لا قال : فليست إخواننا كإخوانكم . قال : أعرف بودة أخيك لك بهالة في قلبك من المودة

فان القلوب تتسكفاً . وسمع عصفار يصيح فقال : تدرى ماذا يقلن ؟ قلت : لا ! قال : يسبحن الله ويسألنه رزقهن يوماً بيوم . وقال : تدعو الله بما تحب ، وإذا وقع الذي تنكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب .

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل . وما يدفع القضاء إلا الدعاء . وإن أسرع الخير ثواب البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يسمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعل ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه . وأن يؤذى جليسه بما لا ينبغي . هذه كلمات جوامع موانع لا ينبغي لسافل أن ينسها . وقال القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق . وقال أبو جعفر : حسب عمر بن الخطاب رجل إلى مكة فمات في الطريق ، فاستبس عليه عمر حتى صلى عليه ودفنه ، فقتل يوم إلا كان عمر يتمثل بهذا البيت :

وبالغ أمر كان يأمل دونه * ويختلج من دون ما كان يأمل

وقال أبو جعفر : والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد . وقال : ما اغرورقت عين عبد . بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على الدار ، فان سالت على الخدين لم يرهق وجهه قطر ولا ذلة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن باكي بكى من خشية الله في أمة رحم الله تلك الأمة . وقال : بنس الأئح أنح برعك غنياً ويقطعك فقيراً . قلت : البيت الذي كان يتمثل به قبله بيتان وهو ثالثهما ، وهذه الأبيات تتضمن حكماً وزهداً في الدنيا قال :

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوها * بمنزلة ما يمدحها من تحول

فساخط أمر لا يبدل غيره * وراض بأمر غيره سيبدل

وبالغ أمر كان يأمل دونه * ويختلج من دون ما كان يأمل^(١)

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام النصارى ، وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والعراق ، وكان معظم ذلك في واسط . وفي المحرم منها توفي الجنيد بن عبد الرحمن المري أديب خراسان من مرض أصابه في بطنه ، وكان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ففقدت عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فمزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان ، وقال له : إن أدركته قبل أن يموت فأزهرق روحه . فلما قدم عاصم بن عبد الله خراسان حتى مات الجنيد في المحرم منها بمرو ، وقال فيه أبو الجوير عيسى بن عصمة يرثيه :

مثل الجود والجنيد جميعاً * فلي الجود والجنيد السلام

أصبحتا ثاويين في بطن مرو * ما تمنى على الفصون الختام
كنتما نزهة الكرام فلما * مت مات الذي ومات الكرام

ولما قدم عاصم خراسان أخذ نواب الجنيد بالضرب والبليغ وأنواع العقوبات ، وعسفهم في المصادر والجنايات ، فخرج عن طاعته الحارث بن شريح فبارز بالحرب ، وجرت بينهما أمور يطول ذكرها ، ثم آل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن شريح وظهر عاصم عليه . قال الواقدي : وفيها حجج باناس الوليد بن يزيد وهو ولي الأمر من بعد عمه هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين فإسياني إن شاء الله تعالى .

(ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة)

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وسابك بن هشام الصائفة اليمنى ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام . وفيها يمث مروان بن محمد - وهو من آل الحارث - وهو على أرمينية بعشرين ففتح حصونا من بلاد اللان ، ونزل كثير منهم على الإيمان : وفيها عزل هشام عاصم بن عبد الله الهلالى الذى ولاه في السنة قبلها خراسان مكان الجنيد ، فعزله عنها ووضعا إلى عبد الله بن خالد القسرى مع المراق معادة اليه جريا على ما سبق له من المعادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالى المرسول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام : إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية المراق ، رجاء أن يغنيها إليه ، فأنكس الأمر عليه فأجابته هشام إلى ذلك قبولاً إلى أصبحته ، وأضافها إلى خالد القسرى . وفيها توفي

(قتادة بن دعامة السدوسي)

أبو الخطاب البصرى الأعشى ، أحد علماء التابعين ، والأئمة المعلمين ، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ، والبصري ، وأبو المالية ، وزرارة بن أوفى ، وعطاء وجعده ، ومحمد بن سيرين ، ومهزيق ، وأبو جندب وغيرهم ، وحدث عنه جماعة من الكبار كأيوب وحماد بن مسلمة ، وحسين العلوي ، وسعيد بن أبي عروبة ، والأعمش ، وشعبة ، والأوزاعي ، ومهزيق ، ومهزيق ، وهما . قال ابن الأسيوطي : ما رأيت من عراقي أفضل منه . وقال بكر المزي : ما رأيت أحفظ منه . وقال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال مطر : كان قتادة إذا سمع الحديث يأخذ به العزيل والزويل حتى يحفظه ، وقال الزهري : هو أعلم من مكحول . وقال معمر : ما رأيت أفقه من الزهري وحماد وقتادة . وقال قتادة : سمعت شيخنا يلاؤنا قلابي . وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظ أهل البصرة ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرئ عليه صحيفة سبعمائة واحدة فحفظها . وذكر يوماً فأتى على علمه وفقيهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير وشيئ ذلك ، وقال أبو حنيفة : كانت وفاته بواسط

في الطاعون - يعنى في هذه السنة - وعمره ست أو سبع وخمسون سنة
 [قال قتادة : من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفضة التي لا تغلب ،
 والحارس الذي لا ينام ، والهادى الذي لا يضل ، والعالم الذي لا ينسى . وقال : في الجنة كوة إلى النار
 فيقولون : ما بال الأشقياء دخلوا النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديسكم ، فقالوا : إنا كنا نأمركم
 ولا نأمر ، وننهاكم ولا ننهى . وقال : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح
 دينه وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حول كامل . وقال قتادة : لو كان يكتفى من العلم بشئ لا كفى
 موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنه طلب الزيادة] (١)
 وفيها توفي : أبو الحباب سعيد بن يسار والأعرج ، وابن أبي مليكة ، وعبد الله بن أبي زكريا
 الخزاعي ، وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

[* فصل *]

فأما سعيد بن يسار فكان من العباد الزهاد ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكذلك الأعرج
 وابن أبي مليكة . وأما ميمون بن مهران فهو من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأئمتهم . كان
 ميمون إمام أهل الجزيرة . روى الطبراني عنه أنه قيل له : مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى ؟ قال :
 لأنى لا أماريه ولا أشاريه . قال عمر بن ميمون : ما كان أبى يكثر الصلاة ولا الصيام ، ولكن كان
 يكره أن يعصى الله عز وجل . وروى ابن أبي عدى عن يونس عنه قال : لا تمارين علما ولا جاهلا ،
 فانك إن ماريت علما خزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك . وقال عمر بن ميمون :
 خرجت بأبى أقوده في بعض سكك البصرة ، فرأنا يجادل فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه ،
 فاضطجعت له فمر على ظهري ، ثم قمت فأخذت بيده . ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب
 فخرجت إلينا جارية سداسية ، فقالت : من هذا ؟ فقلت : هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن ،
 فقالت : كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم ، قالت : يا شقى ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟
 قال : فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد ! إني
 قد أنست من قلى غائلة فاستكن لى منه ، فقرأ الحسن : (أقرأيت إن متعنهم سنين ثم جاءهم
 ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فسطط الشيخ مغشيا عليه ، فرأيت به ففحص برجليه
 كما تفحص الشاة إذا ذبحت ، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت : قد أتتكم الشيخ ، قوموا تفرقوا ،
 فأخذت بيد أبى فخرجت فقلت : يا أبت أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنت أحسب في

نفسى أنه أكبر من هذا ، قال : فوكر فى صدرى وكزة ثم قال : يا بنى لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كروما .

وروى الطبرانى عنه أنه قال : ما أحب أنى أعطيت درهما فى لى وأن لى مكانه مائة ألف ، أخشى أن تصيبنى هذه الآية : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قت قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابه لم يبق من الناس إلا بحاجة .

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرقى عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تلبسون نفسك بهن : لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله ، ولا تصدين بدمك إلى ذى هوى فانك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه . وروى عبد الله بن أحمد عنه فى قوله تعالى : (إن جهنم كانت مرصادا) و (إن ربك لبالمرصاد) فقال : التمسوا لذين المرصدين جوارزا . وفى قوله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) فيها وعيد شديد للظالم ، وتعزية للمظلوم . وقال : لو أن أهل القرآن أصبحوا يصلح الناس . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم الشافعى حدثنا أبو المليلح قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : لا خير فى الدنيا إلا رجلين ، رجل تأبى - أو قال : يتوب - من الخطيئات ، ورجل يعمل فى الدرجات ، فلا خير فى العيش والبقاء فى الدنيا إلا لذين الرجلين ، رجل يعمل فى الكفارات ورجل يعمل فى الدرجات ، وبقاء ، مسواهما وبال عليه . وقال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن هذا القرآن قد خلق فى صدور كثير من الناس فالتمسوا مسوا من الأحاديث ، وإن فيمن يتبع هذا العلم قوما يتخذونه بضاعة يلمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يمارى به ، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به . وقال : من اتبع القرآن فاده القرآن حتى يحل به الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يتبعه حتى يقذفه فى النار .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : لا يسلم للرجل الحلال حتى يحل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال . وقال ميمون : من كان يريد أن يعلم ما أنزل الله عند الله فلينظر فى عمله فانه فادهم عليه كأنما كان . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن عثمان الحربى حدثنا أبو المليلح عن ميمون بن مهران . قال : نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلى فأخفى الصلاة فعاتبه ، فقال : إني ذكرت ضيعة لى . فقال : أكبر الضيعة أضعت . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا جعفر بن محمد الدسعى حدثنا أبو جعفر المنبلى حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن عن طلحة بن زيد قال قال ميمون : لا أعرف إلا ميمونا ولا أعرف من يعرفه . وروى

عبد الله بن أحمد عنه أيضا قال : لأن أوتن على بيت مال أحب إلى من أن أوتن على امرأة .
وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا هشيم بن الحارث حدثنا أبو المليح الرقي عن حبيب بن أبي مرزوق
قال قال ميمون : وددت أن إحدى عيني ذهبت و بقيت الأخرى أتمتع بها ، وأني لم أَل عَلاقَ .
قلت : ولا لعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ولا لعمر بن عبد العزيز ، لا خير في العمل لا لعمر ولا لغيره .
وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب . حدثنا سفيان . حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران
قال : ما عرضت قولي على عمل إلا وجدت من نفسي اعتراضا . وقال الطبراني : حدثنا المقدم بن
داود . حدثنا علي بن مهبد . حدثنا خالد بن حيان . حدثنا جعفر عن ميمون قال : قال لي ميمون : قل
لي في زوجي ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره . وروى عبد الله
ابن أحمد عنه في قوله تعالى : (خافضة رافعة) قال : تخفض أقواما وترفع آخرين . وقال عبد الله بن
أحمد بن حنبل : حدثني عيسى بن سالم . حدثنا أبو المليح . حدثنا بعض أصحابي قال : كنت أمشي مع
ميمون فنظر فرأى علي ثوب كتان فقال : أما بلذت أنه لا يلبس الكتان إلا غنى أو غلو ؟ وبهذا
الاسناد سمعت ميمون بن مهران يقول : أول من مشى الرجال منه وهو راكب الأشعث بن قيس
الكندي ، ولقد أدركت السلف وهم إذا نظروا إلى رجل راكب ورجل يحضر معه ، قالوا : قاتله جبار .
وقال عبد الله بن أحمد : بلغني عن عبد الله بن كريم بن حبان - وقد رأيته - حدثنا أبو المليح
قال قال ميمون : ما أحب أن لي ما بين باب الرُّها إلى حوران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقول
أحدهم : اجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله لو كان له مثل يقين
مريم وإبراهيم عليهما السلام ، وأغلق عليه بابه ، وأرخى عليه ستره ، وجاءه رزقه . وقال : لو أن كل
إنسان منا يتعاهد كسبه فلم يكسب إلا طيبا ، فأخرج ما عليه ، ما احتسب إلى الأغنياء ، ولا احتسب
الفقراء . وقال أبو المليح عن ميمون قال : ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا كان إسقاط المكروه
عنه أحب إلى من تخفيفه عليه ، فإن قال : لم أقل : كن قوله لم أقل أحب إلى من ثمانية يشهدون
عليه ، فإن قال : قلت ولم يتمنر . أبفضته من حيث أحببته . وقال : سمعت ابن عباس يقول : ما
بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ، إن كان فوق عرفته له قدره ، وإن
كان نظيري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل به . هذه سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها
فإن أرض الله واسعة .

وقال أنان بن أبي راشد التشيرى : كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أو دعه ،
فما يزيدني على كلمتين . اتق الله ولا يعرك طمع ولا غضب . وقال أبو المليح عن ميمون قال : العلماء
هم ضالقي في كل بلدة ، وهم أحق في كل مصر ، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء . وقال في قوله

تمالي : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال : عزق . وقال : لأن أتصدق بدمي في حياتي أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم بعد موتي . وقال : كنت يقال : الذكركران ، ذكر الله باللسان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند ما أحل وحرم ، وعند المعصية فتكف عنها وقد أشرفت . وقال : ثلاث الكافر والمؤمن فيمن سواء ، الأمانة تؤديها إلى من اتقنك عليها من مسلم وكافر ، وبه والدين وإن كنا كافرين ، والمهدتني به المؤمن والكافر . وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون قال : أدركت من لم يكن تلاً عيني من السماء فرقا من ربه عز وجل .

وقال أحمد بن بزيع : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا يارون أبو محمد البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائها وأخراجها ، فكتب حينئذ كتاباً إلى عمر يستعفيه عن ذلك ، وقال : كلنتي مثلاً أطيق ، أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضئيف رقيق فكتب إليه عمر : أجب من الخراج الطيب ، واقض بما استبان لك ، فإذا التبس عليك أمر فارقه إلى ، فإن الناس لو كلن إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا .

وقال قتبية بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلياً مثل المرأة ، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره ، وأما الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن ثابت حدثنا جعفر عن ميمون قال : ما أقل أكياس الناس : ألا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أدوا به ، وإلى ما قد أكبوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء إلا أمثال الأفاعي ، لا هم لنا إلا ما تجمل في أجوافها ، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال : والله إنني لأراني من شرهم بغيراً واحداً . وهذا الأسناد عنه : ما من صدقة أفضل من كلمة حق عند إمام جائر . وقال : لا تعذب المملوك ولا تضربه على كل ذنب ، ولكن احفظ ذلك له ، فإذا عصي الله عز وجل فمات به على معصية الله وذكره الذنوب التي أذنب بينك وبينه . وقال قتبية : حدثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكون الرجل من المتقين حتى يعاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكاً ، حتى يعلم من أين ماله ، ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام .

وقال أبو زرعة الدارمي : حدثنا سعيد بن حفص الثعلبي حدثنا أبو الفايح عن ميمون قال : الفاسق بمنزلة السبع فإذا كلمت فيه نكبت سبيله فقد خليت سبيلاً على المسلمين . وقال جعفر بن برقان : قالت ميمون بن مهران : إن فلاناً يستعجلي نفسه في زيارتك ، قال : إذا ثبتت المودة في القلوب فلا

بأس وإن طال المكث . وقال أحمد : حدثنا ميمون الرقي حدثنا الحسن أبو المليح عن ميمون قال : لا تجرد غريمًا أهون عليك من بطارك أو ظهرك . وقال الامام أحمد أيضًا : حدثنا عبد الله بن ميمون حدثنا الحسن عن حبيب بن أبي مرزوق قال : رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه فقلت له : ما هذا ؟ قال : نعم ! فلا تخبر به أحدًا . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني يحيى بن عثمان حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : من أساء سرًّا فليتب سرًّا ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فإن الله ينفق ولا يعب ، وإن الناس يعبون ولا ينفقون .

وقال جعفر قال ميمون : في المال ثلاث آفات ، إن نجبا صاحبه من واحدة لم ينج من اثنتين ، وإن نجبا من اثنتين كان قينا أن لا ينجو من الثالثة ، ينبغي أن يكون حلالا طيبا ، فأيكم الذي يسلم كسبه فلم يندخله إلا طيبا ؟ فإن سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تلزمه في ماله ، فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفقته ليس بمسرف ولا مقتر . وقال : سمعت ميمونا يقول : أهون الصوم ترك الطعام والشراب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن عثمان الحربي حدثنا أبو المليح عن ميمون ابن مهران قال : ما نال رجل من جسيم الخير نبي أو غيره إلا بالصبر . وهذا الاسناد قال : الدنيا حاوة خضرة قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر ، فيظن أن أمر الآخرة آجل ، وأمر الدنيا عاجل . وقال يونس بن عبيدة : كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران ، فكتبت إليه أسأله عن أهله ، فكتب إلي : بلغني كتابك تسألني عن أهلي ، وأنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنسانا ، وإنني أكره البلاء إذا أقبل ، فإذا أدبر لم يسرنى أنه لم يكن ، وأما أنت فعليك بكتاب الله ، فإن الناس قد بهتوا عنه - يعني أيسوا - واختاروا الأحاديث ، أحاديث الرجال ، وإياك والمرأى في الدين . قال أبو عبيد في الغريب بهتوا به مهجورا ، ومعناه : أنسوا به .

وقال عمر بن ميمون : كنت مع أبي ونحن نطوف بالمكبة فلقى أبي شيخا فعايناه ، ومع الشيخ فتى نحو مني ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال : ابني . فقال : كيف رضاك عنه ؟ فقال : ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه ، إلا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أن يموت فأوجر فيه - أو قال فأحتسبه - ثم فارقه أبي ، فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقال : مكحول . وقال : شر الناس العياون ، ولا يلبس الكتان إلا غنى أو غوى .

وروى الامام أحمد عنه قال : يا ابن آدم خفف عن ظهرك فإن ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يحمل ، من ظلم هذا ، وأكل مال هذا ، وغشم هذا ، وكل هذا على ظهرك تحمله ، تخفف عن ظهرك . وقال : إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل . وقال : ما أتى قوم في ناصيتهم المنكر إلا حق هلاكهم . وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ثم فارق حتى بكى ، ثم قال :

ما سمع الخلائق بنعت قط أشد منه . وقال أبو عروانة : حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا خالد عن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال : أربعم لا تكلم فيهم : علي ، وعثمان ، والقدر ، والنجوم . وقال : احذروا كل هوى يسمى بغير الاسلام . وروى شبابة عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون أعلى أفضال عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت أظن أن أبقى الى زمان يعدل بهما غيرهما ، إنهما كانا رءاءى الاسلام ، ورأس الاسلام ، ورأس الجماعة . فقلت : فأبو بكر كان أول اسلام أم علي ؟ فقال : والله لقد آمن أبو بكر بالذي صلى الله عليه وسلم زمن بغيره اراهب حين مر به ، وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أنكرها أيامه ، وذلك كله قبل أن يولد علي ، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك . وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوثق به » . وروى عن ابن عمر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شر المال في آخر الزمان المماليك » . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليصادق أهل القبور . وقال : من ظلم أحدا ففاته أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة خرج من مظلمته . وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراض والأموال وسائر المظالم . وقال ميمون : القتال والآمر والمأمور والظالم والراعي بالظالم ، كلهم في الوزر سواء . وقال : أفضل الصبر الصبر على ما تكره نفسك . من طاعة الله عز وجل .

روى ميمون عن جماعة من الصحابة ، وكان يسكن الرقة ، رحمه الله تعالى | (١)

| نافع مولى ابن عمر |

أبو عبد الله المدني أصله من بلاد المغرب ، وقيل من نيبابور ، وقيل من كابل ، وقيل غير ذلك . روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، مثل رافع بن خديج ، وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم : وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم . وكان من الثقات النبلاء ، والأئمة الأجلاء ، قال البخاري : أصبح الأسانيد ملك عن نافع عن ابن عمر ، وقال غيره . كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن ، وقد أتى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه ومات في هذه السنة على المشهور | (٢)

| ذو الرمة الشاعر |

واسمه غيلان بن عتبة بن هبيل ، من بني عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، أبو الحارث أحمد نحول الشعراء ، وله ديوان مشهور ، وكان ينزل في مي بفت مقاتل بن حلبة بن قيس

(١) زيادة من المصرية . (٢) سقط من المصرية .

ابن عاصم المنقري ، وكانت جميلة ، وكان هو دميم الخفاق أسود اللون ، ولم يكن بينهما لحش ولا خنا ولم يكن رأها قط ولا رأته ، وإنما كانت تسمع به و يسمع بها ، ويقال : إنها كانت تنذر إن هي رأته أن تدبج جزورا ، فلما رأته قالت : واسوأناه واسوأناه ، ولم تبد له وجهها قط إلا مرة واحدة ، فأنشأ يقول :

على وجهي نحة من حلاوة * ونحت النياب العار لو كان باديا
قال فانسخت من ثيابها فقال :

لم تر أن الماء يخبث طعمه * وإن كان لون الماء أبيض صافيا
فقلت : تريد أن تذوق طعمه ؟ فقال : إني والله ، فقلت : تذوق الموت قبل أن تذوقه .
فأنشأ يقول :

فواضية الشعر الذي راح وانتفضى * بمنى ولم أملك ضلال فؤاديا
قال ابن خلكان : ومن شعره السائر بين الناس ما أنشده :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب * به أهل من هاج شوقي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما * هوى كل نفس أين حل حبيبها
وأنشد عند الموت :

يا قابض الأرواح في جسمي إذا انضرت * وغافر الذنب زحزحني عن النار
(ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة)

فيها غزا معاوية وسليمان ابنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم ، وفيها قصد شخص يقال له : عمار بن يزيد ، ثم سمي بجنداش ، إلى بلاد خراسان ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجاب له خلق كثير ، فلما التفوا عليه دعاهم إلى مذعب الحزمية الزنادقة ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضا ، وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك ، وقد كذب عليه فأظهر الله عليه الدولة فأخذ فجئ به إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق وخراسان ، فأمر به فقطعت يده وسل لسانه ثم صلب بعد ذلك . وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل أمير المدينة ، وقيل إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان ، والصحيح أنه كان قد عزل وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكان أمير العراق القسري . وفيها كانت وفاة :

علي بن عبد الله بن عباس

ابن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو الحسن ، ويقال أبو محمد ، وأمه زُرعة بنت مسرح بن معديكرب البكندى ، أحد الملوك الأربعة الأقبالي المذكورين في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مسرح . وحمل ، ونحو لس ، وأبشعة : وأخذهم العمردة وكان مولد علي هذا يوم قتل علي بن أبي

طالب ، فسماه أبوه باسمه ، وكناه بكنيته ، وقيل إنه ولد في حياة علي وهو الذي سماه وكناه ولقبه بأبي
الأملاك ، فلما وفد على عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره
فقال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ولد لي ولد سميت به محمداً ، فقال له : أنت أبو محمد ، وأجزل عطية ،
وأحسن إليه . وقد كان علي هذا في غاية العبادة والزهد والعلم والعمل وحسن الشكل والمدالة والنفقة
كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة ، قال عمر بن عبد العزيز : كان من خيار الناس ، وكانت وفاته
بالجبهة من أرض البلقاء في هذه السنة ، وقد تارب الثمانين . وقد ذكر ابن خلكان أنه تزوج ابنة
بنت عبد الله بن جعفر ، التي كانت تحت عبد الملك بن مروان ، فطلقها ، وكان سبب طلاقه إيلاءه أنه
عض فتاحة ثم رمى بها إليها فأخذت السكين فحزت من الفتاحة ما س فدمتها ، فقال : ولم تفعلين
هذا ؟ فقالت : أزيل الأذى عنها . وذلك لأن عبد الملك كان أظفر - فطلقها عبد الملك ، فلما تزوجها
علي بن عبد الله بن عباس هذا تهم عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك ، فضر به بالسياسة ، وقال
إنما أردت أن تذلل بيها من الخلفاء ، وضر به مرة ثانية لأنه اشهر عنه أنه قال : الخطافة صائرة إلى
بيتته ، فوقع الأمر كذلك . وذكر المبرد أنه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه السفاح
والمصور وهما صفيان ، فأكرمه هشام وأدى مجلسه ، وأطلق له مائة وثلاثين ألفاً ، وجعل علي بن
عبد الله يوصيه بأبيه خيراً ، ويقول : إلهي أسبغ علي الأمر ، فجعل هشام يتعجب من سلامة بخلته
وينسبه في ذلك إلى الحق ، فوقع الأمر كما قال . قالوا : وقد كان علي في غاية الجلال وقام القامة ، كان
بين الناس كأنه ركب ، وكان إلى منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس ،
وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب ، وقد بايع كثير من الناس لابنه محمد بالخلافة قبل أن
يموت علي هذا قبل هذه السنة بسنوات ، ولكن لم يظهر أمره حتى مات فقام بالأمر من بعده ولده
عبد الله أبو العباس السفاح ، وكان ظهره في سنة اثنين وثلاثين كما سيأتي إن شاء الله تعالى
عمره بن شعيب ، وعبد بن لقي ، وأبو صفرة جلع بن شداد ، وأبو عيش المعزري .

جزئتم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ففيها غزا الوليد بن القهقرى بلاد الروم . وفيها قتل أسد بن عبد الله القسري ملك الترك الأعظم
خاقان ، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله أمير خراسان عمل قزاة عن أخيه خالد بن عبد الله
على المراق ، ثم سار بجيوشه إلى مدينة سابل فالتصمها ، وتفرقت في أممها جنوده يقتلون ويأسرون
ويغصبون ، فجاءت الميرون إلى ملك الترك خاقان أن جيوش أسد فرقت تفرق في بلاد ختل ، فأغتم
خاقان هذه الفرصة فركب من فوذه في جنوده فاصعد إلى أسد ، وازود خدق وأصحابه سلاحاً كثيراً ،
وقد سبداً ومحمداً وساروا في حلق عظيم . وجاء إلى أسد فأسلموه وقصد خاقان له في سيرته عظيم

كثيف ، فتجهز لذلك وأخذ أهبطه ، فأرسل من فورده إلى أطراف جيشه ، فلما وأشاع بعض الناس أن خاقن قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه ، ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون إليه ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وجعل تدبيرهم في تدبيرهم ، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الاسلام وزدادوا حنقا على عدوهم ، وعزموا على الأخذ بالنار ، فقصدوا الموضع الذي فيه أسد ، فاذا هو حتى قد اجتمعت عليه المساكر من كل جانب ، وسار أسد نحو خاقن حتى أتى جبل الملح ، وأراد أن يخوض نهر بلخ ، وكان معهم أغنام كثيرة ، فكره أسد أن يتركها وراء ظهره ، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة ، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد ، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر . فلما خلاصوا منه جيدهم حتى دههم خاقن من وراءهم في خيلهم ، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة ، فلما وقفوا على حافة النهر أحجموا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر ، فتشاور الأتراك فيما بينهم ، ثم اتفقوا على أن يحملوا حملة واحدة . وكانوا خمسين ألفا . فبقتحمون النهر ، فغضبوا بكبرياتهم ضربا شديدا حتى غن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم ، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية واحدة ، فجعلت خيولهم تنهز أشد التنهز ، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فثبت المسلمون في معسكرهم ، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقا لا يخلصون إليهم منه ، فبات الجيشان تترامى ناراهما ، فلما أصبحا مال خاقن على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم خاقنا وأسراهما وإبلا موقرة ، ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن لا يصلا صلاة العيد ، فاصابها الإل على وجل ، ثم سار أسد بن معه حتى نزل مرج بلخ ، حتى انقضى الشتاء ، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقن ، أو في التحصن ببلخ . فنهض من أشار بالتحصن ، ومنهم من أشار بمقتله والتوكل على الله ، فوافق ذلك رأى أسد الأسد ، فتصد بجيشه نحو خاقن ، وصلى بالناس ركعتين أطال فيهما ، ثم دعا بدعاء طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نصرتم إن شاء الله ، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقن ، فقتل المسلمون منهم خلقا وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه ، ثم ساق أسد فأتته إلى أغنامهم فأسانفها ، فاذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة ، ثم اتقى معهم ، وكان خاقن إنما معه أربعة آلاف أو نحوها ، ومعه رجل من العرب قد خامر إليه ، يقال له الحارث بن شريح . فهو يسلطهم على عورات المسلمين ، فلما أقبل الناس هرب الأتراك في كل جانب ، وانهمز خاقن ومعه الحارث ابن شريح يحميه ويقبعه ، فقتلهم أسد ، فلما كان عند الظهر انحذل خاقن في أربعة مائة من أصحابه ، عليهم انخر ومهم الكؤوسات ، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤوسات فضربت ضربا شديدا ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدم المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه

بما فيه من الأئمة العظيمة ، والأواني من الذهب والفضة ، والنساء والعبيدان ، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم ، مما لا يحصى ولا يوصف لكثرة وعظمه وقيمه وحسنه . غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بخنجر فتناهما ، فوصل المسلمون إلى المسكر وهي في آخر روق تتحرك ، ووجدوا قدورهم تملأ بالطعاماتهم ، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فنجسوا بها ، فاتفق أنه لعب بالترد مع بعض الأمراء فقتله الأمير فتوعدده خاقان بقطع اليد ، فخلق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله ، وتفرقت الأتراك يمدو بعضهم على بعض ، وينهب بعضهم بعضاً ، وبعث أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان ، وبعث إليه بطبول خاقان - وكانت كباراً لها أسوات كل عدد - وبشيء كثير من حواصله وأتمته ، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال . وقد قال بعض الشعراء في أسد مدحه على ذلك :-

لوسرت في الأرض تقيس الأرض * تقيس منها طولها والعرضا
لم تلق خيراً إمرة ونقضا * من الأمير أسد وأهلى
أفنى إلينا الظير حتى أفضا * وجع الشمل وكان أرفضا
ما فات خاقان إلا ركضا * قد فض من جموعه مافضا
يا ابن شريح قد لقيت حضا * حضا به تشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المنيعة بن سعيد وجماعته من أصحابه الذين تابعوه على باطله ، وكان هذا الرجل ساحراً فاجراً شيعياً خبيثاً . قال ابن جرير : ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال : سمعت المنيعة بن سعيد يقول : لو أراد أن يحيى عانا ونمردا وقرنا بين ذلك لأحييهم . قال الأعمش : وكان المنيعة هذا يخرج إلى القبرة فيسكنهم فيرى مثل الجراد على القبر ، أو نحو هذا من الكلام . وذكر ابن جرير أنه غير ذلك من الأشياء التي تملأ على سحره وفجوره . ولما بلغ خالداً أمره بأمر باحفظه فجيء به في سنة ثمان مائة فمات ، فأمر خالد فأبرز سيره إلى المسجد . وأمر باحفظه أطلاب القصب والفضة فصب فوقها ، وأمر المنيعة أن يحضن طلبة لها . فاستمع فضرب حتى أحضن منها طلبة واحداً وصب فوق رأسه الفضة ، ثم أضرم بالنار . وكان ذلك فعل بريقه أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له يارول بن بشر ويلقب بكثرة . واتبعه جماعات من الطواغيت دون المائة ، وقصدوا قتل خالد القسري ، فبعث إليهم البعوت فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جداً لشجعانهم وجلائهم ، وقلة أصبح من يقاتلهم من الجيوش . فبردوا المسار من الأتوفى المنيعة ، ذوات الأسلحة والظفر المسبوكة ، عسانا وهم لم يبلغوا المائة ، ثم إنهم رأوا قتلهم الشام قتل الخليفة

هشام ، فقصدها نحوها ، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتلوا معهم قتالا عظيما ، فقتلوا عامة أصحاب
بهاول الخارجى . ثم إن رجلا من جميلة يكنى أبا الموت ضرب بهاولا ضربة فصرعه وتفرقت عنه
بقية أصحابه ، وكانوا جميعهم سبعين رجلا ، وقد رثاهم بعض أصحابهم ^(١) فقال : -

بدلت بعد أبى بشر وصحبته * قوما على مع الأحزاب أعوانا

بانوا كأن لم يكونوا من صحابتنا * ولم يكونوا لنا بالأمن خلانا

يا عين أذكرى دموعا منك تبتانا * وابكى لنا صحبة بانوا وجيرانا

خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها * وأصبحوا فى جنان الخلد جيرانا

ثم تجمع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقتلوا وقتلوا وقتلوا ، وجهازت إليهم العساكر
من عند خالد القسرى ، ولم يزل حتى أباد خضراء ثم لم يبق لهم بقية . وفيها غزا أسد القسرى بلاد
الترك ، فمرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألف فلم يقبل منه شيئا ، وأخذته قهرا فقتله صبرا بين
يديه ، وأخذ مدينته وقلايته وحوار أصله ونساء وأمواله . وفيها خرج الصحارى بن شبيب الخارجى
واتبعه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلا ، فبعث إليهم خالد القسرى جندا فقتلوه وجميع أصحابه ، فلم
يتركوا منهم رجلا واحدا . وحج بالناس فى هذه السنة أوشاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج
معه ابن شهاب الزهرى ليعلمه مناسك الحج ، وكان أمير مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن
إسماعيل ، وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد القسرى ، ونائبه على خراسان بكيلها أخوه أسد
ابن عبد الله القسرى ، وقد قيل إنه توفى فى هذه السنة ، وقيل فى سنة عشرين فله أعلم . ونائب
أرمينية وأذربيجان مروان الخمار والله أعلم .

﴿ سنة عشرين ومائة من الهجرة ﴾

ففى غزا سليمان بن هشام بلاد الروم وافتتح فيها حصونا ، وفيها غزا إسحاق بن مسلم المقتلى
تومان شاه ، وافتتحها وخرّب أراضيها . وفيها غزا مروان بن محمد بلاد الترك ، وفيها كانت وفاة أسد
ابن عبد الله القسرى أمير خراسان ، وكانت وفاته بسبب أنه كانت له دُبيلة فى جوفه ، فلما كان
مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين - وهم أمراء المدن الكبار - من سائر البلاد بالهدايا والتحف على
أسد ، وكان فيمن قدم نائب هراة ودهقانها ، واسم دهقانها خراسان شاه ، فقدم بهدايا عظيمة وتحف
عزيزة ، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وأباريق من ذهب ، وصحاف من
ذهب وفضة ، وتفصيل من حبر تلك البلاد ألوان ، ولونه ، فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى امتلأ
الجلس ، ثم قام الدهقان خطيبا فامتدح أسدا بخصال حسنة ، على عقله ورياسته وعمله ومنعه أهله
وخاصته أن يغادروا أحدا من الرعايا بشئ قل أو كثير ، وأنه قهر الخان الأعظم ، وكان فى مائة ألف

(١) هو الضحاك بن قيس . انظر الطبرى (٢ : ١٦٢٧) طبع أوربا

فكسره وقتله ، وأنه يفرح بما يفد إليه من الأموال ، وهو بما خرج من يده أفرح وأشد سرورا ، فأنفى عليه أسد وأجلسه ، ثم فرق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هناك أجمع على الأمراء والأكابر بين يديه ، حتى لم يبق منه شيء ، ثم قام من مجلسه وهو عليل من تلك الدبيلة ، ثم أفاق إفاقة وجيء بهدية كثرى فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة ، فألقى إلى دهقان خراسان واحدة فانفجرت دبيلته وكان فيها حنفة ، واستخلف على عمه جعفر بن حنظلة البهراني ، فكث أهديا أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها ، فعلى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة ، وقد قال فيه ابن عرس العمدي يرثيه :

نعم أسد بن عبد الله ناع * فربيع القلب للملك المطاع
يبلغ وافق المقدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
فجودي عين بالمرات سحا * ألم يحزنك تفريق الجماع
أناد حمامه في جوف ضيع * وكم بالضيغ من بطل شجاع
أناد حمامه في جوف صيغ * وكم بالصيغ من بطل شجاع
كتائب قد يحببون المنادي * على جرد مسومة سراع
سقيت الغيث إنك كنت غيثا * مرينا عند مرئاة النجاع

وفيها عزل هشام خالد بن عبد الله القسري عن نيابة العراق ، وذلك أنه انحصر منه لما كان يبلغه من إطلاق عبارة فيه . وأنه كان يقول عنه ابن الحقاء ، وكتب إليه كتابا فيه غلظة ، فرد عليه هشام ردّا عنيفاً ، ويقال إنه حسد على سعة ما حصل له من الأموال والحواصل والنفقات ، حتى قيل إنه كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وقيل درهم ، ولولده يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف ، وقيل إنه وفد إليه رجل من الزمام أمير المؤمنين من قر يش يقال له ابن عمرو ، فلم يرحب به ولم يعبأ به ، فكتب إليه هشام يعنفه ويبيكه على ذلك ، وأنه حال وصول هذا الكتاب إليه يقوم من فوره من حوله من أهل مجلسه فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو صائرا ذليلا مستأذنا عليه ، وتنصلا إليه مما وقع ، فإن أذن لك وإلا فقف على بابه حولا غير متجمل من مكانك ولا زائل ، ثم أمدك إليه إن شاء عزالك وإن شاء أبقتك ، وإن شاء انتصر . وإن شاء عفا . وكتب إلى ابن عمرو يملأه بما كتب إلى خالد ، وأمره إن وقف بين يديه أن يضربه عشرين سوطا على رأسه ، إن رأى ذلك مصالحة . ثم إن هشاماً عزل خالداً وأخفى ذلك ، وبعث البريد إلى نائبه على اليمن وهو يوسف ابن عمر فولاد إمرة العراق ، وأمره بالمسير إليها والتقدم عليها في ثلاثين راجيا ، فقدموا السكوفة وقت السحر ، فدخلوها ، فلما أذن المؤذن أمره يوسف بالاقامة : فقال : إلى أن يأتي الأمام . يعني خالداً .

فانتهره وأمره بالاقامة وتقديم يوسف فصلى وقراً (إذا وقت الواقعة) و (سأل سائل) ثم انصرف
فبعث إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فاحضروا فأخذ منهم أموالاً كثيرة ، صادر خالداً بمائة ألف ألف
درهم ، وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة
- أعنى سنة عشرين ومائة - وفي هذا الشهر قدم يوسف بن عمر على ولاية العراق مكنان خالد بن
عبد الله القسري ، واستناب على خراسان جديع بن علي السكرماني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي
كان استنابه أسد ، ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعاً في هذه السنة عن خراسان ، وولى عليها نصر
ابن سيار ، وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من العقار والأموال وهلة واحدة ، وقد كان أشار
عليه بعض أصحابه لما بلغهم عتب هشام عليه أن يبعث إليه يعرض عليه بعض أملاكه ، فما أحب
منها أخذها وما شاء ترك ، وقالوا له : لأن يذهب البعض خير من أن يذهب الجميع مع العزل والاختراق
فامتنع من ذلك واغتر بالدنيا وعزت نفسه عليه أن يذل ، ففجأ العزل ، وذهب ما كان حصله وجمعه
ومعه ، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان ، واستقرت نيابة نصر بن سيار على
خراسان ، فتمهدت البلاد وأمن العباد لله الحمد والمنة . وقد قال سوار بن الأشعري في ذلك :

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسف أخبار ما لقيت * اختار نصر لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة استبطأت شعبة آل العباس كتاب محمد بن علي إليهم ، وقد كان عتب عليهم
في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بخدش ، وكان خرمياً ، وهو الذي طم المنكرات ودنس المحارم
والمصاهرات ، فقتله خالد القسري كما تقدم ، فعتب عليهم محمد بن علي في تصديقه له واتباعهم إياه على
الباطل ، فلما استبطأوا كتابه إليهم بعث إليهم رسولا يخبرهم أمره ، وبعثوا هم أيضاً رسولا ، فلما جاء
رسولهم أنه محمد بما ذا عتب عليهم بسبب الخرمي ، ثم أرسل مع الرسول كتاباً مختوماً ، فلما فتحوه
لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، تعلموا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرمي . ثم أرسل
رسولا إليهم فلم يصدقوه كثير منهم وهموا به ، ثم جاءت من جهة عصى ماوريا عليها حديد ونحاس ،
فعلموا أن هذا إشارة لهم إلى أنهم عصاة ، وأنهم مختلفون كالخلاف ألوان النحاس والحديد . قال ابن
جرير : وحج بالناس فيها محمد بن هشام الخزومي فيما قاله أبوهم عشر ، قال : وقد قيل إن الذي حجج
بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل ابنه يزيد بن هشام فالحمد لله سبحانه وتعالى أعلم ،

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة)

ففيها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح مطامير وهو حصن ، وافتتح مروان بن محمد بلاد صاحب
الذهب ، وأخذ قلاعاً وخرب أرضه ، فأذن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يؤديها إليه ، وأعطاه

رهنا على ذلك . وفيها في صفر قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي تنسب
 إليه الطائفة الزيدية ، في قول الواقدي ، وقال هشام السكابي : إنما قتل في صفر من سنة ثنتين
 وعشرين فأنه أعلم . وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعاً للواقدي ، وهو أن زيداً
 هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله هل أودع خالد التميمي عندك مالا ؟ فقال له زيد بن علي : كيف
 يودعني مالا وهو يشتم أبائي على منبره في كل جمعة ؟ فأخبره أنه ما أودع عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن
 عمر باحضار خالد من السجن فجئ به في عباءة ، فقال : أنت أودعت هذا شيئاً نستخلصه منه ؟
 قال : لا ، وكيف وأنا أشتم أباه كل جمعة ؟ فتركه عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك فسأله عن ذلك ، ويقال
 بل استحضرهم فبلغوا بما خلفوا . ثم إن طائفة من الشيعة التفت على زيد بن علي ، وكانوا نحواً من
 أربعين ألفاً ، فقام بعضهم النصحاء عن الخروج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وقال له :
 إن جسدك خير منك ، وقد التفت على بيعته من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم خانوه أحوج ما كان
 إليهم ، وإني أحذرك من أهل العراق . فلم يقبل بل استمر يمايع الناس في الباطن في الكوفة ، على
 كتاب الله وسنة رسوله حتى استنفذ أمره بها في الباطن ، وهو يتحول من منزل إلى منزل ،
 وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ، فكان فيها مقتله كما سذكر قريباً . وفيها
 غزا نصر بن سيار أمير خراسان غزوات متعددة في الترك ، وأسر ملكهم كورصول في بعض
 تلك الغزوات وهو لا يعرفه ، فلما تيقن تحققه ، سأل منه كورصول أن يطلقه على أن يرسل له ألف
 دينار من إبل الترك . وهي البخاني . وألف برذون ، وهو مع ذلك شبح كبير جداً ، فشاور نصر بن
 سيار من الأمراء في ذلك ، فتمهم من أشار باطلاقه ، ومنهم من أشار بقتله . ثم سأل نصر بن سيار
 كم غزوت من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة ، فقال له نصر : ما مثلك يطلق ، وقد شهدت
 هذا كله ، ثم أمر به فضربت عنقه وصلبه ، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله بانوا تلك الليلة يجعرون
 ويبكون عليه ، وجندوا لحامهم وشعورهم وقطعوا آذانهم وحرقوا خياماً كثيرة ، وقتلوا أنعاماً كثيرة ،
 فلما أصبح أمر نصر باحراقه لئلا يأخذوا جثته ، فسكان حريقه أشد عليهم من قتله ، وانصرفوا
 خائبين صاغرين خائرين . ثم كر نصر على بلادهم فقتل منهم خلقاً وأسر أمماً لا يحصون كثرة ،
 وكان فيهم حضرة بين يديه عجوز كبيرة جسداً من الأحاجم أو الأتراك . وعنى من بيت مملوكة ،
 فقالت نصر بن سيار : كل ملك لا يكون عنده سنة أشبه فهو ليس بملك . وزير صادق يفصل
 خصوصيات الناس ويشاوره ويناصحه ، وطبايع يصنع له ما يشاء به ، و زوجة حسنة إذا دخل عليها
 فلما فنظر إليها سرته وذنب غمه . وحسن منيع إذا فرغ من عياله لجأوا إليه فيه ، وسيف إذا قزع به
 الأقران لم يحش خيافته ، وذخيرة إذا حاربها فبين ما وقع من الأرض طاش بها .

وحجج بانطاس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف ، ونائب العراق يوسف بن عمر ، ونائب خراسان نصر بن سيار ، وعلى أرمينية مروان بن محمد .
ذكر من توفي فيها من الأعيان :

﴿ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﴾

والمشهور أنه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه إن شاء الله

﴿ مسلمة بن عبد الملك ﴾

ابن مروان الفرشي الأموي ، أبو سعيد وأبو الأصمغ الدهشقي ، قال ابن عساكر : وداره بدمشق في حجة القباب عند باب الجامع النبلي ، وفي الموسم أيام أخيه الوليد ، وغزا الروم غزوات وحاصر القسطنطينية ، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ، ثم عزله وتولى أرمينية . وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه عبد الملك بن أبي عثمان ، وعبيد الله بن قرعة ، وعيينة والد سفيان بن عيينة وابن أبي عمران ، ومما زوية بن خديج ، ويحيى بن يحيى الفسائي .

قال الزبير بن بكار : كان مسلمة من رجال بني أمية ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء ، وله آثار كثيرة ، وحروب ونكايه في العدو من الروم وغيرهم . قلت : وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم . ولما ولي أرمينية غزا الترك فباع باب الأبواب فهدم المدينة التي عنده ، ثم أعاد بناءها بعد تسع سنين . وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية فحاصرها وافتتح مدينة الصقالبة ، وكسر ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . قال الأوزاعي : فأخذته وهو يغازيهم صداع عظيم في رأسه ، فبعث ملك الروم إليه بقلنسوة وقال : ضعها على رأسك يذهب صداعك ، فحشى أن تكون مكيدة فوضعها على رأس بيمة فلم ير إلا خيراً ، ثم وضعها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا خيراً ، فوضعها على رأسه فذهب صداعه ، ففتقها فاذا فيها سبعون سطرًا هذه الآية (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) الآية مكررة لاغير ، رواه ابن عساكر .

وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة ، وجاع المسلمون عندها جوعاً شديداً ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز إليهم البريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام ، تخلف مسلمة أن لا يقلع عنهم حتى يبنوا له جامعاً كبيراً بالقسطنطينية ، فبنوا له جبلاً ومئذنة ، فهو بها إلى الآن يصلي فيه المسلمون الجمعة والجماعة ، قلت : وهي آخر ما يفتحه المسلمون قبل خروج الدجال في آخر الزمان ، كما منورده في الملاحم والفتن من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك ، وبالجملة كانت مسلمة مواقف مشهورة ، ومساعي مشكورة ، وغزوات متتالية مشهورة ، وقد افتتح حصونا وقلاعاً ، وأحيا بعزمه قصوراً وبقاعاً ، وكان في زمانه في الغزوات أنظير خالد بن الوليد

في أيامه ، في كثرة مغازيه ، وكثرة فتوحه ، وقوة عزمه ، وشدة بأسه ، وجودة تصرفه في نقضه وإبرامه ، وهذا مع الكرم والفصاحة ، وقال يوماً لنصيب الشاعر : سلتني ، قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن كغتك بالجزيل أكثر من مسألتي باللسان . فأعطاه ألف دينار . وقال أيضاً : الأنبياء (لا يتناجون كما يتناوب الناس) مات ابن أبي قط (وقد أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ، وقال : إنما صنعة جحد أهلها . وقال الوليد بن مسلم وغيره : توفي يوم الأربعاء السبع مضي من الحرم سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل في سنة عشرين ومائة ، وكانت وفاته بموضع يقال له الحانوت ، وقد رثاه بعضهم ، وهو ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

أقول وما البعد إلا الردى * أمسلم لا تبدين مسلمه
فقد كنت نورا لنا في البلاد * ضيئاً فقد أصبحت مظلمه
ونكتم موتك نخشى اليقين * فأبدي اليقين لنا الجمه
(نمير بن قيس)

الأشعري قاضي دمشق ، تابعي جليل ، روى عن حذيفة مرسلًا وأبي موسى مرسلًا وأبي الدرداء وعن معاوية مرسلًا وغير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة كثيرون ، منهم الأوزاعي وسعيد ابن عبد العزيز ويحيى بن الحارث الدماري . ولده هشام بن عبد الملك القضاة بدمشق بهد عبد الرحمن ابن الخشاش المدي ، ثم استوفى هشاماً فمناه وولى مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبي ملك . وكان نمير هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد ، وكان يقول : الأدب من الآباء ، والعلاج من الله . قال غير واحد : توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقيل سنة خمس عشرة ومائة ، وهو غريب والله سبحانه أعلم

(ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة)

ففيها كان قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان سبب ذلك أنه لما أخذ البيعة ممن بآيمه من أهل الكوفة ، أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له ، فشرعوا في أخذ الأهبة لذلك . فالتحق رجل يقال له سليمان بن سراقبة إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره . وهو بالخيرة يومئذ . خبر زيد بن علي هذا ومن معه من أهل الكوفة ، فبعث يوسف بن عمر يطلبه ويأخذه في طلبه ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقاتلوه له : ما قولك يرحمك الله في أبي بكر وعمر ؟ فقال : خير الله لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم تطالب إذا بدم أهل البيت ؟ فقال : إنما كنت ألقى الناس بهذا الأمر ، ولكن النعم استأثروا علينا به ودفعونا عنه ، ولم يبالغ ذلك عندنا بهم كفرًا ، قد ولوا فماتوا ، وعادوا بالكتاب

والسنة . قالوا : فلم تقاتل هؤلاء إذا ؟ قل : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظالموا الناس وظالموا أنفسهم ، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وإحياء السنن وإقامة البدع ، فإن تسعوا يكن خيراً لكم ولي ، وإن تابوا فليست عليكم بوزيل . فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه ، فلما سمعوا الرافضة من يؤمنه ، ومن تأيده من الناس على قوله سمعوا الزيدية ، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة ، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية ، وفي مذهبهم حق ، وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليه السلام ، وليس على مقدسهما عليهما ، بل ولا عثمان على أصح قول أهل السنة الثابتة ، ولا آثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة ، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر فيما تقدم . ثم إن زيدا عزم على الخروج مع بني أبي لهب من أصحابه ، فواعدهم ليلة الأرباء من مستهل صفر من هذه السنة . فبلغ ذلك يوسف بن عمر ، فكتب إلى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يأمره بجميع الناس كانوا في المسجد الجامع ، لجميع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سلبخ الحرم ، قبل خروج زيد بيوم ، وخروج زيد ليلة الأرباء في برد شديد ، ورفع أصحابه النيران ، وجعلوا ينادون يا منصور يا منصور ، فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مئتان ومئتان عشرة رجلاً ، فجعل زيد يقول : سبحان الله ! أين الناس ؟ فقيل : هم في المسجد محصورون . وكتب الحكم إلى يوسف يعلمه بخروج زيد بن علي ، فبعث إليه سرية إلى الكوفة ، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرة من الناس ، فالتقى بين هذه الجيوش منهم فيهن خمسمائة فارس ، ثم أتى الكنداسة فحمل على جمع من أهل الشام فهزمهم ، ثم اجتاز يوسف بن عمر وهو واقف فوق تل ، وزيد في مائتي فارس ولو قصد يوسف بن عمر القتل ، ولكن أخذ ذات اليمين ، وكلما لقي طائفة هزمهم ، وجعل أصحابه ينادون : يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدين والعرز والدنيا ، فانكم لستم في دين ولا عرز ولا دنيا ، ثم لما أسسوا انضاف إليهم جماعة من أهل الكوفة ، وقد قبل بعض أصحابه في أول يوم ، فلما كان اليوم الثاني أقتل هو وطائفة من أهل الشام فقتل منهم سبعين رجلاً ، وانصرفوا عنه بشر حال ، وأسسوا فمباً يوسف بن عمر جيشاً جديداً . ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد فكشفهم حتى أخرجهم إلى البصرة ، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خياله ورجله حتى أخذوا على الماء ، ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً ، حتى كان جريح اليل رمى زيد بسهم فغلب جانب جهنم اليسرى ، فوصل إلى د. بعد ، فربيع ورجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجسوا إلا لأجل المساء والليل ، وأدخل زيد في دار في سكة البريد ، وبعث بلال بن رباح فذكر ذلك السهم من جهنم ، فها حدا أن اقترعه حتى مات من ساعته رحمه الله .

فاختلف أصحابه أين ياتنقوه ، فقتل بعضهم : ألبسوه درعه واقفوه في الماء ، وقال بعضهم :

أحترقوا رأسه وأتركوا جسده في القتيق ، فقال ابنه : لا والله لأأكل أذن السكالب ، وقال بعضهم :
أدفنوه في المباشية ، وقال بعضهم : ادفنوه في السفوف التي يؤخذ منها الحبوب ، فدفنوا ذلك رأسا على
قبره الماء لثلاثين يوم ، وأما باقي أصحابه حيث لم يبق لهم رأس فدفنوا به ، فما أصبح الفجر ولهم قائمة
ينهبون بها ، (فتابع يوسف بن عمر الجرجسي عن محمد بن زيد بن زياد بن زياد ، وولي يزيد بن زياد قد شهد
دفنه فدخل على قبره فأخذه من قبره ، فأمر يوسف بن عمر بصلبه على خشبة بالكهانة ، وبعد نصر بن
خزيمة ومعاوية بن إسماعيل بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزيد بن أبي الهيثم ، وقال ابن زيد : مكث
معهما بأربعين ليلة ، ثم نزل بسد ذلك وأحرق قلعه أنزل . وقد ذكر أبو حمزة ابن عمر الجرجسي
أن يوسف بن عمر لم يعلم بشيء من ذلك حتى كتب له عثمان بن عبد الملك : يا ابن زيد
ابن علي غادر ذنبا بالكوفة يباع له ، فأبلغني طاب وأعطاه الأمان ، وإن لم يقبل فقاتله ، فطلبه
يوسف حتى كان من أمره ما تقدم ، فلما ظهر على قبره جزأه ، وأمر إلى عثمان ، وأمر من بعده الوليد
ابن يزيد فأمر به فأقول وحرق في أئنه فبسط الله النور بين يزيد ، فلما أبته يحيى بن يزيد بن علي فاستجار
بعبد الملك بن بشر بن مروان ، فبسط إليه يوسف بن عمر فبسطه حتى يخطره ، فقل له عبد الملك
ابن بشر : ما كنت لأؤذي مثل هذا الرجل وهو عذرا ، وابن عذرة . فبسطه يوسف بن عمر في
ذلك ، فلما مضى الغالب عنه سيره إلى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الكوفة إلى خراسان
فقاتلوا بها هذه المدة .

قال أبو مخنف : لما قتل زيد بن علي بن يوسف بن عمر أهل الكوفة فهدموا قبره ودموا دمه وشتهم وقال
لهم فيما قال : والله لئن استأذنت أمير المؤمنين في قتال علي بن يوسف ، ولو أذن لي لقتلت قتلتكم
وسبيت ذرايعكم ، وما حدثت لهذا مني إلا لأستحيكم ما فعلت .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأمر الروم ، ولم
يزد ابن جرير على هذا ، وقد ذكر هذا الرجل الملقب ابن عتب كثر في تاريخه الكبير فقال :

يا عبد الله أبو يحيى الملقب بالبطل

كان يقاتل أهل الكوفة ، وكان يلقب بالبطل ، ثم دعي باسمه أنه ابن عبد الملك بن
مروان بن عقبة لا ينفك عنه على شرب بلاد الروم ، وولي على قسطنطينة أهل الجبل ، وأما البطال ،
وقال لابنه : سوره ، وأمره فليس بالليل العسك . فقام ابن عتب فقتلهم جميعا ، وخرج
معهم عبد الملك يشيهم إلى باب دمشق ، قال : فقد دعى سادة المسلمين إلى عتب ، وكانوا من بين
يديه ثم دعي الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين ، قال محمد بن عثمان بن عتب : فقاموا إلى عتب ،
حدثني أبو مروان شيخ من أهل الجبل قال : كنت ألقاه مع البطال ، وقد ألقاه الروم ، وكان

قال البطال فسألني بعض ولادة بنى أمية عن أعجب ما كان من أمرى في مغازى فيهم ، فقلت له : خرجت في سرية ليلاً فدفعنا إلى قرية فقلت لأصحابي : اركبوا الجم خيلكم ولا تتركوا أحداً يقتل ولا بشيء حتى تستمكنوا من القرية ومن سكانها ، ففعلوا وافترقوا في أرقعها ، فدفعتم في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراجبه ، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه ، وهي تقول له : تسكتن أو لأدفعنك إلى البطال يذهب بك ، وانتشلتني من سريرده وقالت : خذني يا بطل ، قال : فأخذته .

وروى محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن أبي مروان الأنطاكي عن البطال قال : انفردت مرة ليس معي أحد من الجند ، وقد سقطت خافي مخلاة فيها شعير ، ومعي منديل فيه خبز وشواء ، فبينما أنا أسير لم لي ألقى أحداً منفرداً ، أو أطلع على خبر ، إذا أنا ببستان فيه بقول حسنة ، فنزلت وأكأت من ذلك البقل بالخبز والشواء مع النخل ، فأخذني إسماعيل عظيم قت منه مراراً ، فخذت أن أضعف من كثرة الاسهال ، فركبت فرسي والاسهال مستمر على حاله ، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضعف عن الركوب ، وأفرط بي الاسهال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخذت بعنان الفرس ونمت على وجهي لا أدري أين يسير الفرس بي ، فلم أشعر إلا بقرع ناله على بلاط ، فأرفع رأسي فإذا دير ، وإذا قد خرج منه نسوة صحبة امرأة حسنة جميلة جداً ، فجلست تقول بلساني : أنزلني ، فأنزلني ففلسن عني ثيابي ومرجني وفرسي ، ووضعني على سرير وعملن لي طعاماً وشرباً ، فمكنت يوماً وليلة مستويًا ، ثم أقيمت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلى حالي ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل البطريرق وهو يريد أن يتزوجها ، فأمرت بفرسي فحول وعلق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إنما جاء لخطبتها ، فأخبره من كان هناك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس ، فهم بالهجوم على فئنته المرأة من ذلك ، وأرسلت تقول له : إن فتح عليه الباب لم أقض حاجته ، ففناء ذلك عن الهجوم على ، وأقام البطريرق إلى آخر النهار في ضيافتهم ، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق . قال البطال : فنهضت في أثرهم فمعت أن تمنني خوفاً على منهم فلم أقبل ، وسقت حتى لحقتهم ، فجلست عليه فانفرج عنه أصحابه ، وأراد الفرار فألحقه فأضرب عنقه واستلبته وأخذت رأسه مسطاً على فرسي ، ورجعت إلى الدير ، فخرجت إلى وقفين بين يدي ، فقلت : اركبن ، فركبن ما هنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفعتهن إلي ، فنفلني ما شئت منهن ، فأخذت تلك المرأة الحسنة بعينها ، فهي أم أولادي . والبطريرق في لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم ، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم - يعني تلك المرأة - وكان البطال بعد ذلك يكتائب أباه وبناته .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولاء المصيصية بث البطال سرية إلى أرض الروم ، فغاب عنه خبرها فلم يدرك ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له وسار حتى وصل عمورية ، فطرق بابها ليلاً

فقال له البواب : من هذا ؟ قال البطال : فقلت أنا سيف الملاك ورسوله إلى البطريق ، فأخذني طريقاً إليه ، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فخاست معه على السرير إلى جانبه ، ثم قلت له : إني قد جئت في رسالة فمر هؤلاء فليصرفوا ، فأمر من عنده فذهبوا ، قال : ثم قام فأخلق باب الكنيسة على وعليه ، ثم جاء مجلس مكانه ، فأخترط سيفي وضربت به رأسه صفعاً وقلت له : أنا البطال فأصدقني عن السرية التي أرسلتها إلى بلادك ولا ضربت عنقك الساعة ، فأخبرني ما خبرها ، فقال : هم في بلاد يفتهمون ماتياً هم ، وهذا كتاب قد جاءني يخبر أنهم في وادي كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . فقلت : هات الأمان ، فأعطاني الأمان ، فقلت : إيتني بطعام ، فأمر أصحابه فجاءوا بطعام فوضع لي ، فأكلت فقلت لا نصرف فقال لأصحابه : اخرجوا بين يدي رسول الملاك ، فانطلقوا يتعادون بين يدي ، وانطلقت إلى ذلك الوادي الذي ذكر فإذا أصحابي هناك ، فأخبرتهم ورجعت إلى المصيصة . فهذا أقرب ماجرى

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطال وهو قافل من مدينته ، وكان قد شغل بالجهاد عن الحج ، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة ، فلم يتمكن من حجة الاسلام إلا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله تعالى ، وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس ، فبعث البطريق - الذي البطال مترجم بأمره التي ذكرنا أمرها - إلى البطال يخبره بذلك ، فأخبر البطال أمير عسكر المسلمين بذلك ، وكان الأمير مالك بن شبيب ، وقال له : المصلحة تقتضي أن نتحصن في مدينة حران ، فتكون بنا حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فأبى عليه ذلك وذهبهم الجيش ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، والأبطال قهرم بين يدي البطال ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه خوفاً عليه من الروم ، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلظاً منه ، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه حملة واحدة ، فاقاموه من سرجه برماحهم فأتقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتلون ويأسرون ، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها ، وأصبح ليون فوقف على مكان الممركة فإذا البطال بأخر رمق فقال له ليون : ما هذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكنا تقتل الأبطال ، فاستدعى ليون بالأطباء ايدواوه فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله ، فقال له ليون : هل من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم ، فأمر من ملك من المسلمين أن يدا غسلي والصلاة على ودفي ، ففعل الملك ذلك ، وألقى لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ليون إلى جيش المسلمين الذين تحصنوا بالخسرم . فبينما نحن في تلك الشدة والخوف إذ جاءتهم البرد بقدم سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فمر ليون في جيشه والجيوش عتاريا راجعا إلى بلاده ، فبجده الله ، فدخل القسطنطينية وتحصن بها .

قال خليفة بن خياط : كانت وفاة البطال ومقتله بأرض الروم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقال ابن جرير : في سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقال ابن حبان الزياتي : قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة ، قبل وقد قاله غيره وإنه قتل هو والأخير عبد الوهاب بن بخت في سنة ثلاث عشرة ومائة كما ذكرنا ذلك فأنه أعلم ، ولكن ابن جرير لم يورد في هذه السنة فأنه أعلم .

قلت : فهذا ما يخص ابن عساكر في ترجمة البطال مع تفصيله للاخبار وإطلاعه عليها ، وأما يذكره العساة عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلمة والبطال والأخير عبد الوهاب والقاضي عقبة ، فكذب وافتراء ووضع بارد ، وجبل وتجهيط فاحش ، لا يروج ذلك إلا على غبي أو جاهل ردي . كما يروج ما هم سيرة حنيفة العيسى المكذوبة ، وكذلك سيرة البكري ، والذئب وغير ذلك ، والكذب المتشبه في سيرة البكري أشد إثماً وأعظم جرماً من غيره ، لأن واضعها يدخل في قول النبي ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ عقده من النار » . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

ياس الدكي

وهو ياس بن سميوية بن مرة بن ياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن حريد بن أوس بن سواد ابن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فكنا نسبه خليفة بن خياط ، وقيل غير ذلك في نسبه ، وهو أبو وائلة المزني قاضي البصرة ، وهو تابعي ولجده صحبة ، وكان يضرب المثل بذكائه ، وروى عن أبيه عن جده مرفوعاً في الحياء عن أنس وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ونافع وأبي مجاز ، وعنه الحارثان وشعبة والأصمعي وغيرهم . قال عنه محمد بن سيرين : إنه لفهم إنه لفهم ، وقال محمد بن سمد والمجلى وابن معين والنسائي : ثقة . زاد ابن سمد وكان عاقلاً من الرجال فطناً ، وزاد المجلى وكان قتيلاً عفيفاً . وقدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة . قال أبو عبيدة وغيره : فهاكم ياس وهو مسي شاب وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تسأله في الكلام ، فقال ياس : إن كان كبيراً فليلق أكرمه . فقال له القاضي : اسكت ، فقال : ومن يسألكم بمجتي إذا سكنت ؟ فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بمجتي في مجلسي هذا حتى تقوم ، فقال ياس : أشهد أن لا إله إلا الله ، زاد غيره فقال القاضي : ما أظنك إلا ظالماً له ، فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال : اقض حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يمسك على الناس .

وقال بعضهم : لما عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة فرّ منه إلى عمر بن عبد العزيز فوجدته

قد مات ، فكان يجلس في حلقة في جامع دمشق ، فتكلم رجل من بني أمية فرد عليه إياس ، فأغلظ له الأمرى فقام إياس ، فقبل الأمرى : هذا إياس بن معاوية المزني ، فلما عاد من الشام اعتذر له الأمرى وقال : لم أعرفك ، وقد جلست إلينا بثياب السوق وكنا بكلام الإشراف فلم نحتفل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا نعيم بن حماد ثنا ضمرة عن أبي شوزب قال : كنت يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل ، فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم . وقال المعجل : دخل على إياس ثلاث نسوة فلما رأتهن قال : أما إحداهن فمرضع ، والأخرى بكر ، والأخرى ثيب ، فقبل له بهم علمت هذا ؟ فقال : أما الممرضع فكانما قدمت أو سكت فسيما بيدها ، وأما البكر فكانما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فكانما دخلت نظرت ورمت بعينها . وقال يونس بن عصب (١) :

فما الأحنف بن حكيم بأصم من نسا حماد بن سلمة سمعت إياس بن معاوية يقول : أعرف الآية التي ولدت فيها ، وضعت أمي على رأسي جيفة . وقال المسداني قال إياس بن معاوية لأبيه : يا بني متى ولدت وأنت حامل بي ولد جلبة شديدة ؟ قالت : ذلك طست من فحس سقط عن فوق الدار إلى أسفل ، ففرغت . فوضعت تلك الساعة . وقال أبو بكر الخطابي عن عمر بن شيبه النخعي قال : بلغني أن إياساً قال : ما يسرنى أن أكذب كذبة يطاع عليها أبي معاوية . وقال : ما خاضت أحدا من أهل الأهواء بعقلي كذا لا التقديرية ، قلت لم أخبرني عن الغلام ما هو ؟ قالوا : أخذنا من ميس له ، قلت : فارت الله لا تكل شيء . قال بعضهم عن إياس قال : كنت في الكتاب وأنا صبي فحمل أولاد النصراني يضحكون من المسلمين ويقولون : إيس بن معاوية أولادنا فاضلنا أهدى الجنة ، فمات لائقه . وكان نصرانياً : أليس تزعم أن في السلام ما ينصرف في غفلة البدن ؟ قال : بلى ، قلت فما ينكر أن يعمل الله طامع أهل الجنة كذا لئلا يفتنهم ؟ فقال له معلمه : ما أنت إلا شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بهذا قد ورد به الحديث الصحيح كما سند ذكره ابن شاه الله في أهل الجنة أن طماهم ينصرف جشاه وعرقاً كذا ، فإذا البعظ ضمر . وقال سفيان : وحين قدم إياس واسط فجاه ابن شبرمة بمثل كذا أعدها ، فقال له : أنت الذي لي أن أسألك ؟ قال : سأل وقد ارتبعت حين استأذنت ، فسأله عن سبعين مسألة يجيبه فيها . ولم يفتقد إلا في أربع مسائل ، وده إياس إلى قوله : ثم قال له إياس : اقرأ القرآن ؟ قال : نعم ، قال أنماظ لولم (اليوم أكملت لكم دينكم) ، قال : نعم ، قال : وده فجاه ما يدها ، قال : نعم ، قال : لم أرتب هذه الآية لآل شبرمة ولأولادهم . وقال عمر بن سفيان : سمعت سعيد بن مسهر بن عمر بن سفيان قال قال رجل لإياس ابن معاوية : يا أبا واثة سوي متى يبقى الناس يوفى متى يولد الناس ويموتون ؟ فقال جلست : أجيده فلم يكن عندهم جواب ، فقال إياس : حتى تشككوا العتق ، عتقت أهل الجنة وعتقت أهل النار .

وقال بعضهم : اكترى إياس بن معاوية من الشام قاصداً الخليج ، فركب معه في المحارة غيلان القدرى ، ولا يعرف أحدهما صاحبه ، فبكنا ثلاثاً لا يكلم أحدهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث تحادنا فتعارفاً وتوجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه ، لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر ، فقال له إياس : هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) ويقول أهل النار (ربنا غلبت علينا شقوتنا) وتقول الملائكة (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال العجم ما فيه إثبات القدر ثم اجتمع مرة أخرى إياس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فناظر بينهما فقهره إياس ، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالهجز وأظهر التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاذباً ، فاستجاب الله منه فأمكن من غيلان قتل وصائب بعد ذلك لله الحمد والمنة .

ومن كلام إياس الحسن : لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مثاله خير من أن يكون في مثاله فضل عن فعاله . وقال سفيان بن حسين : ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي وقال : أغزوت الروم ؟ قلت : لا ! قال : السند والهند والترك ؟ قلت : لا . قال : أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها . وقال الأصمعي عن أبيه : رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني ، وإذا هو أحمر طويل الذراع غليظ الشيب ، يلبس عمامته ، وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه ، وقد قال له بعضهم : ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك ، فقال : بحق أتكلم أم بهطل ؟ فقيل بل بحق ، فقال : كلما كنز الحق فهو خير ، ولما به بعضهم في لباسه الشيب الغليظة فقال : إنما ألبس ثوباً يخدمني ولا ألبس ثوباً أخدمني ، وقال الأصمعي قال إياس بن معاوية : إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه . وقال بعضهم : سأل رجل إياس عن النهي فقال : هو حرام ، فقال الرجل : فأخبرني عن الماء فقال : حلال ، قال : فالكسور ، قال : حلال ، قال : فالتمر قال : حلال ، قال : فما باله إذا اجتمع حرم ؟ فقال إياس : أرايت لور، ينك بهذه الحفنة من التراب أتوجهك ؟ قال : لا ، قال : فهذه الحفنة من اللبن ؟ قال لا توجهني ، قال : فهذه الفرقة من الماء ؟ قال لا توجهني شيئاً ، قال : أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طيناً ثم تركته حتى استجبر ثم ربه منك أتوجهك ؟ قال : إياي والله وتقتلني ، قال : فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت . وقال المدائني : بعث عمر بن عبد العزيز عدى ابن أرقطة على البصرة نائباً وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوشني ، فأيهما كان أفتح فليؤله القضاء ، فقال إياس وهو يريد أن لا يتولى : أيها الرجل سل فقيهي البصرة ، الحسن وابن سيرين ، وكان إياس لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به . - يعني بالقاسم - لأنه كان

يأتيهما ، فقال القائم لعدى : والله الذى لا إله إلا هو إن يأساً أقنسل منى وأفتقد منى ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت صادقاً فوله ، وإن كنت كاذباً فما ينبغي أن تولى كاذباً القضاء . فقال إياس : هذا رجل أوقف على شفيع جهنم فافقدى منها يمين كاذبة يستغفر الله ، فقال عدى : أما إذ فطنت إلى هذا فقد وليتلك القضاء . فهكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم ، وإذا تبين له الحق حكم به ، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بهدشق فاستشفاه القضاء ، فولى عدى بعده الحسن البصرى .

قالوا : لما تولى إياس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيوب : لقد رموها بحجرها ، وجاء الحسن وابن سيرين فسلما عليه ، فبكى إياس وذكر الحديث « القضاء ثلاثة ، قاضين فى النار وواحد فى الجنة » . فقال الحسن (وداود وسليمان إذا يحكىان فى الحرف) إلى قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) قالوا : ثم جالس للناس فى المسجد واجتمع عليه الناس لخصومات ، فما قام حتى فصل سبعين قضية ، حتى كان يشبه بشرى القاضي . وروى أنه كان إذا أشكل عليه شئ بعث إلى محمد بن سيرين فسأله منه . وقال إياس : إني لأكلم الناس بنصف عقلى ، فإذا اختصم إلى اثنين جئت لهما عقلى كله . وقال له رجل : إنك لم تعجب برأيتك ، فقال : لولا ذلك لم أفض به ، وقال له آخر : إن فيك خصل لا أعجبني ، فقال : ما هي ؟ فقال : تحكم قبل أن تفهم ، ولا تجالس كل أحد ، وتلبس الثياب الغليظة . فقال له : أيها أكثر الثلاثة أو الاثنين ؟ قال : الثلاثة . فقال : ما أسرع ما فهمت وأجبت ، فقال أو يجهل هذا أحد ؟ فقال : وكذلك ما أحكم أنا به ، وأما جالسي لكل أحد فلأن أجلس مع من يعرف لى قدرى أحب إلى من أن أجلس مع من لا يعرف لى قدرى ، وأما الثياب الغليظة فأنما ألبس منها ما يقينى لا ما أقيبه أنا . قولوا : ونحنا كم إليه اثنين فادعى أحدهما عند الآخر دالا ، وجحد الآخر ، فقال إياس الودوع : أين أودعته ؟ قال : عند شجرة فى بستان . فقال : انطلق إليها ففقت عندها لعلك تتذكر ، وفى رواية أنه قال له : هل تستطيع أن تذهب إليها فتأتى بورق منها ؟ قال : نعم ! قال فانطلق ، وجالس الآخر فجعل إياس يحكم بين الناس ويلاحظه ، ثم استدعاه فقال له : أوصل صاحبك بعد إلى المكان ؟ فقال : لا بعد أصلحك الله . فقال له : قم يا عدو الله فأد إليه حقه ، وإلا جعلتك نكالا . وجاء ذلك الرجل فقام معه فسادف إليه وذمعه بكلمة . وجاء آخر فقال له : إني أودعت عند فلان دالا وقد جحدنى ، فقال له : اذهب الآن واتقنى غدا . وبعث من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إنه قد اجتمع عندنا ههنا مال فلم نزل له نوبتنا لضمه عنده إلا أنت ، فضمه عندك فى مكان حرير . فقال له سمعا وطاعة ، فقال له اذهب الآن واتقنى غدا ، وأصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء فقال له : اذهب الآن إليه فقل له : عدنى حتى وإلا فقلتك إلى القاضي ، فقال له ذلك فخاف أن لا يودع إذا سمع الحاكم خبره . فرفع إليه دالا به بكلمة . فجاء إلى

إياس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من الهند رجاء أن يودع فائز د إياس وطرده وقال له : أنت خائن .
وتحناكم إليه اثنين في جارية فادعى المشتري أنها ضعيفة العقل ، فقال لها إياس : أي رجليك أطول ؟
فقاتت : هذه . فقال لها : أنت كرين ليلة ولدت ؟ فقاتت نعم . فقال لها أفع رد رد .

وروى ابن عساکر أن إياس سمع صوت امرأة من بيتها فقال : هذه امرأة حامل بصبي ، فلما
ولدت ولدت كما قال ، فستل بم عرفت ذلك ؟ قال : سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل ، وفي
صوتها ضحل فعلمت أنه غلام . قالوا ثم مر يوماً بيهض المسكاتب فإذا صبي هناك فقال : إن كنت
أدرى شيئاً فهذا الصبي ابن ملك المرأة ، فإذا هو ابنها . وقال مالك عن الزهري عن أبي بكر قال شهد
رجل عند إياس فقال له : ما اسمك ؟ فقال أبو العنفر فلم يقبل شهادته . وقال الثوري عن الأعشى :
دعوني إلى إياس فإذا رجل كلما فرغ من حديث أخذ في آخر . وقال إياس : كل رجل لا يعرف عيب
نفسه فهو أحمق ، فقيل له : ما عيبك ؟ فقال كثرة الكلام . قالوا : ولما ماتت أمه بكى عليها فتبيل له
في ذلك فقال : كن لي بابان مفتوحان إلى الجنة فغلق أحدهما . وقال له أبوه : إن الناس يلبدون أبناء
وولدت أنا أبا . وكان أصحابه يجاسون حوله ويكتبون عنه الفراسة ، فبينما هم حوله جالس إذ نظر إلى
رجل قد جاء فجلس على دكة حانوت ، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه ، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم
عاد ، فقال لأصحابه : هذا فقيه كتاب قد أبق له غلام أعور فهو يتطلبه ، فقاموا إلى ذلك الرجل
فسألوه فوجدوه كما قال إياس ، فقالوا لإياس : من أين عرفت ذلك ؟ فقال : لما جلس على دكة الحانوت
علمت أنه ذو ولاية ، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لقبهاء المكتب ، ثم جعل ينظر إلى كل من مر به
فعرفت أنه قد فقد غلاما ، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر : عرفت أن
غلامه أعور . وقد أورد ابن خلكن أشياء كثيرة في ترجمته ، من ذلك أنه شهد عنده رجل في
بستان قتل له : كم عدد أشجاره ؟ فقال له : كم عدد جذوع هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة
سنتين ؟ فقلت : لا أدري وأقررت شهادته .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة ﴾

ذكر المدائني عن شيوخه أن خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على
خراسان ، تفرق شمل الأتراك ، وجعل بعضهم يغير على بعض ، وبعضهم يقتل بعضا ، حتى كادت
أن تخرب بلادهم ، واشتغلوا عن المسلمين . وفيها سأل أهل الصغد من أمير خراسان نصر بن سيار
أن يردعهم إلى بلادهم ، وسألوه شروطا أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب من ارتد منهم عن الاسلام ،
ولا يؤخذ أسير المسلمين منهم ، وغير ذلك ، فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين ،
فعاب عليه الناس ذلك ، فكتب إلى هشام في ذلك فتوقف ، ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استمروا على

معانديهم للمسلمين كان ضررهم أشد ، أجازهم إلى ذلك ، وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفندا إلى
 أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان ، وتكلموا في نصر بن سيار بأنه وإن كان شهما
 شجاعا ، إلا أنه قد كبر وضف بصره فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته ، وتكلموا فيه كلاما
 كثيرا ، فلم بلغت إلى ذلك هشام ، واستمر به على إمرة خراسان وولايتها . قال ابن جرير : وحج
 بالناس فيها يزيد بن هشام بن عبد الملك ، والميل فيها من تقدم ذكرهم في التي قبلها . وتوفي في هذه
 السنة ربيعة بن يزيد التصير بن أهل دمشق ، وأبو يوسف سليمان بن جبير ، ومعاذ بن حرب ، ومحمد
 ابن واسع بن حيان ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل والله الحمد

[قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وقال : خمس خصال تمت
 القالب : الذنب على الذنب ، ومخالفة الموتى ، قيل له : ومن الموتى ؟ قال : كل غنى مترف ، وساطان
 جائر . وكثرة مشاقة النساء ، وحديثين ، ومخالطة أعداءه . وقال مالك بن دينار : إنى لأغبط الرجل
 يكون عبثه كفافا فيتمتع به . فقال محمد بن واسع : أغبط منه والله عندي من يصبح جائلا وهو عن
 الله راض . وقال : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اتوجهت قومي ، وصلاة في جماعة
 يحمل عن سهوها وأفوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله على فيه تبة . وروى
 رواد بن الربيع قال : رأيت محمد بن واسع يسوق بزور وهو يعرض حمارا له فليبع ، فقال له رجل :
 أرضاه لي ؟ فقال لو رضيت لم أبعه .

ولما قتل محمد بن واسع كثر عليه الناس في الميادة ، قال بعض أصحابه : فدخلت عليه فإذا قوم
 يعودون وقوم قيام ، فقال : ماذا يعني هؤلاء عني إذا أخذوا شخصي وقدمي غدا وأنتيت في النار ؟
 وبعث بعض الخلفاء مالا مستكثرا إلى البصرة ليفرق في قراء أعابها ، وأمر أن يدفع إلى محمد بن
 واسع منه فلم يقبله ولم يلمس منه شيئا ، وأما مالك بن دينار فإنه قبل ما أمر له به ، واشترى به
 أرقاء وأعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئا ، فإنه محمد بن واسع يلوذ على قيمه جهول الساطنين . فقال
 له : يا مالك قبلت جوائز الساطنين ؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله ! سل أصحابي ماذا فعلت منه ،
 فقالوا له : إنه اشترى به أرقاء وأعتقهم . فقال له : سألتك بالله أن لا تلمس مثل ما كان قبل
 أن يصادك . فقام مالك وحشي على رأسه التراب وقال : إنما يعرف الله محمد بن واسع . إنما مالك
 حمار إنما مالك حمار ، وكلام محمد بن واسع كثير جدا رحه الله] (١)

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين بمائة)

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فقاتل ملك الروم قتالا فسلم سليمان وسحقه

وفيهما قدم جماعة من دعاة بني العباس من بلاد خراسان فاصدين إلى مكة فمروا بالسكوفة فبذلهم أن في السجن جماعة من الأمراء من نواب خالد القسري ، قد حبسهم يوسف بن عمر ، فاجتمعوا بهم في السجن فدعواهم إلى البيعة لبني العباس ، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير ، فقبلوا منهم ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني ، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن مقبل المجلي ، وكان محبوبا فأعجبهم شهامته وقوته واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشترى بكر بن ماهان منه بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم فاستقنبروه لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب وتبع ما يوجهونه إليه ، ثم كان من أمره ما سئد كره إن شاء الله تعالى فيما بعد . قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاة بني العباس ، فقام مقامه ولده أبو العباس السفاح ، والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها . قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومعه امرأته أم مسلم بن هشام بن عبد الملك ، وقيل إنما حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل قاله الواقدي ، والأول ذكره ابن جرير والله أعلم . وكان نائب الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على باب أم مسلم ويهدي إليها الألفاظ والتحف ويمتدح إليها من التقصير ، وهي لا تلتفت إلى ذلك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي :

﴿ القاسم بن أبي بزة ^(١) ﴾

أبو عبد الله المكي القاري ، مولى عبد الله بن السائب ، تابعي جليل ، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وعنه جماعة ، ووثقه الأئمة . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة فله أعلم

﴿ الزهري ﴾

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو بكر القرشي الزهري أحد الأعلام من أئمة الاسلام ، تابعي جليل ، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم . روى الخافظ ابن عساكر عن الزهري قال : أصاب أهل المدينة جهد شديد فارتفعت إلى دمشق ، وكان عندي عيال كثيرة ، فحُثت جامعا فجلست في أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال : إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة - وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئا وقد شد عنه في أمهات الأهلاد يرويه عن عمر بن الخطاب - فقلت : إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، فأخذني فأدخلني على عبد الملك : فسألني ممن أنت ؟ فانقسبت له ، وذكر له حاجتي وعيالي ، فسألني هل تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم والفرائض والسنن ،

(١) في نسخة القسطنطينية : القاسم بن أبي يسرة . وفي المصرية : القاسم بن مرة . وصححه من تذهيب الصفي الخزرجي .

فسألني عن ذلك كله فأجبته ، ففضى ديني وأمر لي بجائزة ، وقال لي : أطلب العلم فاني أرى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا ، قال : فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه ، فبلغني أن امرأة بقاء رأت رؤيا عجيبة ، فأتيتها فسألها عن ذلك ، فقالت : إن بلي غاب وترك لنا خادما وداجنا ونحيلات ، نشرب من لبنها ، ونأكل من ثمرها ، فبينما أنا بين السائمة واليتيمى رأيت كأن ابني الكبير - وكان مشتبها - قد أقبل فأخذ الشفرة فذبح ولد الداجن ، وقال : إن هذا يضيئ علينا اللب ، ثم نصب القدر وقطعها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه ، وأخوه صغيرا قد جاء ، ثم استيقظت مذعورة ، فدخل ولدي الكبير فقال : أين الابن ؟ فقلت : يا بني شربه ولد الداجن ، فقال : إنه قد ضيق علينا اللب ، ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر ، فبقيت مشقة خائفة مما رأيت ، فأخذت ولدي الصغير فقيته في بعض بيوت الجيران ، ثم أقبلت إلى المنزل وأنا مشقة جدا مما رأيت ، فأخذتني عيني فممت فرأيت في المنام قائلا يقول : مالك منمة ؟ فقلت : إني رأيت مناما فأنا أحذر منه فقال : يا رؤيا يا رؤيا ، فأقبلت امرأة حسناء جميلة ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال يا أحلام يا أحلام ، فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقلت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال : يا أخفاث يا أخفاث ، فأقبلت امرأة سوداء شنيعة فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت إنها امرأة صالحة فأحببت أن أعلمها ساعة ، ثم استيقظت فجاء ابني فوضع الطعام وقال : أين أخي ؟ فقلت : درج إلى بيوت الجيران ، فذهب وراءه فكأنما هدنى إليه ، فأقبل به يقبله ، ثم جاء فوضعه وجلسنا جميعا فأكلنا من ذلك الطعام .

ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية . وكان قصيرا قليل اللحية ، له شعرات طوال خفيف العارضين . قالوا : وقد قرأ القرآن في نحو من ثمان وثمانين يوما ، وجالس سعيد بن المسيب ثمان سنين ، تمس ركبته ركبته ، وكان يخدم عبيد الله بن عبيد الله يسقي له الماء المالح ، ويدور على مشايخ الحديث ، وهذه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ، ويكتب عنهم كل ما سمع منهم ، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهل عصره إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري قال : كنا نسكركه كتاب العلم حتى أكرهه عليه هؤلاء الأشرار ، فرأيت أن لا نعلمه أحدا من المسلمين . وقال أبو إسحاق : كان الزهري يرجع من عند عروة فيقول لجارية عنده فيها السكنة : لنا عروة ثنا فلان ، ويسرد عليها ما سمعه منه ، فتقول له الجارية : والله ما أدري ما تقول ، فيقول لها : اسكتي الكعك ، فاني لا أريدك ، إنما أريد نفسي . ثم وفد على عبد الملك بن مشق كما تقدم فأكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال ، ثم كان بعد من أصحابه وجلسائه ، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده ، واليدين وسليمان ، وكنا عند عمر

ابن عبد العزيز، وعند يزيد بن عبد الملك، واستقضاء يزيد مع سليمان بن حبيب، ثم كان حظيا عند هشام، وحبج منه وجملة علم أولاده إلى أن توفي في هذه السنة، قبل هشام بسنة. وقال ابن وهب: سمعت الليث يقول: قال ابن شهاب: ما استودعت قباي شيئا قط ففسيته، قال: وكان يكره أكل التفاح وسور الفأرة، ويقول: إنه يفسى، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكي، وفيه يقول فايد بن أكرم.

زردا وأثن على الكريم محمد * واذكر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بماله * قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المداين يعرفون مكانه * وربيع ناذيه على الأعراب

يشرى وفاء جفاته ويدها * بكور انتاج وفقى لباب

وقال ابن مهدي: سمعت مالك يقول: حدث الزهري يوماً بحديث فلما قام أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال: أأستفهمني؟ ما استفهمت علما قط، ولا رددت على عالم قط، ثم جمل ابن مهدي يقول فلك الطوال وتلك المغازي.

وروى يعقوب بن سفيان عن هشام بن خالد السلمي عن الوليد بن مسلم عن سديد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبيه شيئا من حديثه، فأملى على كاتبه أربعمائة حديث ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها، ثم إن هشام قال للزهري: إن ذلك الكتاب ضاع، فقال: لا عليك، فأملى عليهم تلك الأحاديث فأخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يفتد حرفا واحداً، وإنما أراد هشام امتحان حفظه. وقال عمر بن عبد العزيز: ما رأيت أحداً أحسن سؤالا للحديث إذا حدث من الزهري. وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أنص للحديث من الزهري، ولا أعون من الدينار والدرهم عنده، وما الدراهم والدنانير عند الزهري إلا بمنزلة البهر. قال عمرو بن دينار: وتقد جالست جابرا وابن عباس وابن عمر وابن الزبير فما رأيت أحداً أسبق للحديث من الزهري.

وقال الإمام أحمد: أحسن الناس حديثنا وأجودهم إسنادا الزهري، وقال النسائي: أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي عن رسول الله ﷺ. وقال سعيد عن الزهري: مكثت خمسا وأربعين سنة أختلف من الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الحجاز، فما كنت أسمع حديثا أستطرفه. وقال الليث: ما رأيت علما قط أجمع من ابن شهاب، ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت: ما يحسن غير هذا، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأعراب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعا جاء ما. وكان يقول: اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك

وأعوز بك من كل شر أحاط به عندك في الدنيا والآخرة . قال الميث : وكان الزهري أسعفى من رأيت ، يعطى كل من جاء وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف . وكان يطعم الناس الثريد ويستقيهم العسل ، وكان يستمر على شراب المسك كما يستمر أهل الشراب على شرابهم ، ويقول استقونا وجدونا ، فإذا نكس أحدهم يقول له : ما أنت من سمار قریش ، وكانت له قبة معصرة ، وعابه ملحقة معصرة ، ونحته بساط معصر ، وقال الميث : قال يحيى بن سعيد : ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب فإنه ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وكنا قال مكحول . وقال أيوب : ما رأيت أحدا أعلم من الزهري ، وقيل له : ولا الحسن ؟ فقال : ما رأيت أعلم من الزهري ، وقيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : الزهري ، قيل : ثم من ؟ قال الزهري ، قيل ثم من ؟ قال الزهري . وقال مالك : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحداً حتى يخرج . وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة : محدثو أهل الحجاز ثلاثة ، الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج . وقال علي بن المسيبي : الذين أفوا أربعة ، الزهري ، وأبو بكر ، وحماد وقتادة ، والزهري أفقههم عندي . وقال الزهري : ثلاثة إذا كن في القاضى فليس بقاض ، إذا كره الملاوم وأحب الحامد . وكره العزل . وقال أحمد بن صالح : كان يقال فصدحهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وهشام بن طلحة وعبيد الله ، ورحمهم الله . وقال مالك عن الزهري : أنه قال : إن هذا العلم الذى أدب الله به رسول الله ﷺ ، وأدب رسول الله به أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه ، فمن سمع ناعما فليجعله أمارة حجة فيما بينه وبين الله عز وجل .

وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهري قال : الاعتصام بالسنة نجاة ، وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت . وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إن من غوائل العلم أن يترك العلم حتى يذهب علمه ، وفي رواية أن يترك العلم العمل بالعلم حتى يذهب ، فإت من غوائل قلة انتفاع العالم بعلمه ، ومن غوائل الفسيفساء والكذب ، وهو أشد الغوائل . وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال : القراءة على العالم والسمع عليه سواء إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طاف الجفاس كان للشیطان فيه حظ ولا يسيب . وقد قضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم ، وفي رواية سبعة عشر ألفاً . وفي رواية عشرين ألفاً . وقال الشافعي : عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الاسراف وكان يستدين ، فقال له : لا آئن أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عندك فتكون قد حملت على أمانيك ، قل : فوعده الزهري أن يعسر .

فمر به بعد ذلك وقد وضع العلمام ونصب موائد النسل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ما هذا بالذي
فارقتمنا عليه ، فقال له الزهري : انزل فان السخى لا تؤدبه التجارب . وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى
له سحائب جود في أناله * أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول في العسر إن أيسرت ثانية * أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له * رأيت أمواله في الناس تنهب
وقال الواقدي : ولد الزهري سنة ثمان وخسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله
بثلاث بشعب زبدا ، فأقام بها فرض هناك وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، وكانت وفاته
لسبع عشرة من رمضان في هذه السنة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، قالوا : وكان ثقة كثير الحديث
والعلم والرواية ، فقيها جامعا ، وقال الحسين بن المتوكل العسقلاني : رأيت قبر الزهري بشعب زبدا
من فلسطين مسما بمجسصا ، وقد وقف الأوزاعي يوماً على قبره فقال : يا قبر كم فيك من علم ومن حلم
* يا قبر كم فيك من علم ومن كرم * وكم جمعت روايات وأحكاما . وقال الزبير بن بكار : توفي الزهري
بأمواله بشعب ثنين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، عن
ثنتين وسبعين سنة ، ودفن على قارعة الطريق ليدعوا له المارة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وعشرين
ومائة ، وقال أبو عمش : سنة خمس وعشرين ومائة ، والصحيح الأول والله أعلم .

[﴿ فصل ﴾]

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرني صالح بن
كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطبخ العلم قلنا : نحن نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء
عن النبي ﷺ ، ثم قال لي : هلم فلنكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ، فقلت : إنه ليس بسنة فلا
نكتب ، قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأنجح وضيمت . وروى الامام أحمد عن معمر
قال : كنا نرى أنما قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من
خزائنه يقول : من علم الزهري . وروى عن الليث بن سعد قال : وضع الطست بين يدي ابن
شهاب فتذكر حديثا فلم نزل يده في الطست حتى طاع الفجر وصححه . وروى اصبيغ بن الفرغ عن
ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : لالعالم واد فإذا هبطت واديه فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه ،
فإنك لا تقطعه حتى يقطع بك .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تغلب حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن بن
زباله عن مالك بن أنس عن الزهري قال : خدمت عبيد الله بن عتبة ، حتى أن كان خادمه ليخرج
فيقول : من الباب ؟ فتقول الجارية : غلامك الأعيمش ، فنظن أني غلامه ، وإن كنت لأخدمه

حتى أَسْتَقِي لَهُ وَضُوءَهُ ، وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍاءَ عَنْ الثَّوْرِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَرَادَ عَنِ الزَّهْرِيِّ . قَالَ : تَبِعْتُ سَمْعِيذَ بْنَ الْمُسَيْبِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ حَدِيثٍ . وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ : كُنَّا نَأْتِي الْعَالِمَ فَمَا نَتَعَلَّمُ مِنْ أُدْبِهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ عِلْمِهِ . وَقَالَ سَفْيَانُ : كَانَ الزَّهْرِيُّ يَقُولُ حَدَّثَنِي فَلَانٌ ، وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ . وَلَا يَقُولُ كَانَ عَالِمًا . وَقَالَ مَالِكٌ : أَوَّلُ مَنْ دُونَ الْعِلْمِ ابْنُ شَهَابٍ . وَقَالَ أَبُو الْمَلِيحِ : كَانَ هُشَامُ بْنُ إِسْرَافِيلَ أَكْرَهَ الزَّهْرِيَّ عَلَى كِتَابَةِ الْحَدِيثِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَكْتُمُونَ بِعَمْدِ ذَلِكَ . وَقَالَ رَشِيدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ الزَّهْرِيُّ : الْعِلْمُ خَزَائِنٌ وَتَفَادِيهَا الْمَسَائِلُ . وَقَالَ الزَّهْرِيُّ : كَانَ يَصْطَفِي الْعِلْمَ بِالسَّائِلَةِ كَمَا يَصْطَادُ الْوَحْشَ . وَكَانَ ابْنُ شَهَابٍ يَنْزِلُ بِالْأَعْرَابِ يَعْلَمُهُمْ لَثَلَا يَفْسِي الْعِلْمَ ، وَقَالَ : إِنَّمَا يَنْهَبُ الْعِلْمَ النَّسِيانُ وَتَرَكُوا الْمَذَاكِرَةَ . وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ إِنَّمَا أَخَذْتَهُ بِالْكِبَارَةِ غُلْبَتِكَ وَلَمْ أَظْفُرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنْ خَذَهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي أَخَذًا رَفِيقًا أَظْفُرُ بِهِ . وَقَالَ : مَا أَحَدٌ ثَلَاثِينَ دُرَّةً وَأَتُجِبُّ إِلَى مِنَ الْفَصَاحَةِ . وَقَالَ : الْعِلْمُ ذِكْرٌ لَا يَجِبُهُ إِلَّا الذِّكْرُ مِنَ الرِّجَالِ وَيُكْرَهُهُ ، وَنُتُوهُمْ . وَرَوَى الزَّهْرِيُّ عَلَى أَبِي حَازِمٍ وَهُوَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا لِي أَرَى أَحَادِيثَ لَيْسَ فِيمَا خُطِمَ وَلَا أُرْوَاهُ ؟ . وَقَالَ : مَا عَمِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعِلْمِ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْلَمٍ أَبِي عَاصِمٍ : حَدَّثَنَا دَجِيزُ بْنُ حَزْرَانَ أَنَّهُ سَمِعَ الزَّهْرِيَّ يَقُولُ : لَا يُوثِقُ النَّاسَ عِلْمٌ عَالِمٌ لَا يَعْمَلُ بِهِ ، وَلَا يُؤْمِنُ يَقُولُ عَالِمٌ لَا يَرْضَى . وَقَالَ ضَمْرَةُ بْنُ يَرْبُوسَ عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ : إِيَّاكَ وَغُلْبَةَ الْكِتَابِ ، قُلْتَ : وَمَا غُلْبَتُهَا ؟ قَالَ : حَبْسُهَا عَنْ أَهْلِهَا . وَرَوَى الشَّافِعِيُّ عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ : حَضَرْتُ الْجُلُوسَ بِالْأَنْصَةِ ذُلِّ . وَرَوَى الْأَوْصَمِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى ثُمَالَةَ بْنِ أَبِي مَعِينٍ فَقَالَ : أَرَأَيْكَ تَحِبُّ الْعِلْمَ ؟ قُلْتَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَلِكُكَ بِذَلِكَ الشَّيْخِ - يَعْنِي سَمْعِيذَ بْنَ الْمُسَيْبِ - قَالَ : فَلَزْتُ سَمْعِيذًا سَبْعَ سَنِينَ ثُمَّ تَحَوَّلَتْ عَنْهُ إِلَى عُرْوَةَ فَتَجَرَّتْ تَبِيجَ بَحْرِهِ . وَقَالَ اللَّيْثُ : قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : مَا بَرَّ أَحَدًا عَلَى الْعِلْمِ صَبْرِي ، وَمَا تَشَرَّفَ أَحَدٌ قَطُّ بِشَيْءٍ ، فَأَمَّا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَبَشَّرَ لَا تَكْثُرُ الدَّلَاءُ ، وَمَا ابْنُ الْمُسَيْبِ فَاتْتَعَبَ النَّاسُ فَتَنَهَبَ أَحْمَدُ كُلَّ مَنْزَعٍ . وَقَالَ مَكِّي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْمِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّ ابْنَ شَهَابٍ سَأَلَهُ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ عَنْ سَمْعِيذَ بْنِ الْمُسَيْبِ فَذَكَرَ عِلْمَهُ بِخَيْرٍ وَأَخْبَرَهُ بِشَرِّهِ ، فَبَدَعَ ذَلِكَ سَمْعِيذٌ فَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ شَهَابٍ الْمَدِينَةَ جَاءَ فَمَسَّمَهُ عَلَى سَمْعِيذٍ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ سَمْعِيذٌ مَشَى الزَّهْرِيُّ مَعَهُ فَقَالَ : مَا لِي سَأَلْتُكَ عَنْكَ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ ؟ مَاذَا بَالُكَ عَنِّي وَمَا قُلْتَ إِلَّا خَيْرًا . قَالَ : لَمْ أَذْكُرْ تَنِي لِبَنِي مَرْوَانَ . . . وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : حَدَّثَنَا مَكِّي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ ابْنِ خَالِدٍ الْخَزْرَوَمِيُّ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرُوقَةَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ : أَصَابَ أُسْلُ الْمَدِينَةِ حَاجَةٌ زَمَانَ فَتَنَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَغَمَّتْ أَهْلَ الْبَلَدِ ، وَقَدْ خَلَّ إِلَى أَنَّهُ قَدْ أَصَابَهَا أَهْلُ

البيت من ذلك ما لم يصب أحداً من أهل البلد ، وذلك لخبرتي بأهلي ، فند كرت : هل من أحد أمت إليه برحم أو مودة أرجو إن خرجت إليه أن أصيب عنده شيئاً ؟ فما علمت من أحد أخرج إليه ، ثم قلت : إن الرزق بيد الله عز وجل ، ثم خرجت حتى قدمت دمشق فوضعت رجلي ثم أتيت المسجد فنظرت إلى أعظم حلقة رأيتها وأكبرها فجلست فيها ، فبينما نحن على ذلك إذ خرج رجل من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، كأجسم الرجال وأجملهم وأحسنهم هيئة ، فحجاء إلى المجلس الذي أنا فيه ففتحوا له - أي أوسموا - فجلس فقال : لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتاب ما جاءه مثله منذ استخلفه الله ، قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إلي عاهد على المدينة هشام بن إسماعيل يذكر أن ابنا لمصعب بن الزبير من أم ولد مات ، فأرادت أمه أن تأخذ ميراثاً منه فتمنعها عروة بن الزبير ، وزعم أنه لا ميراث لها ، فتوهم أمير المؤمنين حديثاً في ذلك سمعه من سعيد بن المسيب يذكر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أمهات الأولاد ، ولا يحفظه الآن ، وقد شد عنه ذلك الحديث . قال ابن شهاب فقلت : أنا أحدثه به ، فقام إلى قبيصة حتى أخذ بيدي ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك فقال السلام عليك ، فقال له عبد الملك بحبياً : وعليك السلام . فقال قبيصة : أندخل ؟ فقال عبد الملك ادخل ، فدخل قبيصة على عبد الملك وهو آخذ بيدي وقال : هذا يا أمير المؤمنين يحدثك بالحديث الذي سمعته من ابن المسيب في أمهات الأولاد . فقال عبد الملك : إيه ، قال الزهري فقلت : سمعت سعيد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بأمهات الأولاد أن يتوهم في أموال أبنائهم بقيمة عدل ثم يمتقن ، فكتب عمر بذلك صديقاً من خلفائه ، ثم توفي رجل من قریش كان له ابن من أم ولد ، وقد كان عمر يوجب بذلك الغلام ، فمر ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه بليال ، فقال له عمر : ما فعلت يا ابن أخي في أمك ؟ قال : فعلت يا أمير المؤمنين خيراً ، خير وني بين أن يسرقوا أمي^(١) فقال عمر : أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل ؟ ما أرى رأياً وما أمرت بأمر إلا قائم فيه ، ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال : أيها الناس ! إني قد كنت أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه ، ثم حدث رأي غير ذلك ، فأبى أمرى كان عنده أم ولد فملكها بيمينه ما عاش ، فإذا مات فهي حرة لا سبيل له عليها .

فقال لي عبد الملك : من أنت ؟ قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب ، فقال : أما والله إن كان أبوك لأباً نماراً في الفتنة مؤذياً لنا فيها . قال الزهري فقلت : يا أمير المؤمنين قل كما قال العبد الصالح : (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لسكم) فقال : أجل ! (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لسكم) قال فقلت : يا أمير المؤمنين افرض لي فاني منقطع من الديوان ، فقال : إن بلدك ما فرضنا فيه

لأحد منذ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قبضة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أومأ إليه أن افرض له ، فقال : قد فرض إليك أمير المؤمنين ، فقلت : إني والله ما خرجت من عند أهل إلا وهم في شدة وحاجة ما يعملها إلا الله ، وقد عمت الحاجة أهل البلد . قال : قد وصلك أمير المؤمنين . قال قلت : يا أمير المؤمنين وخادم يخدمنا ، فإن أهلي ليس لهم خادم إلا أختي ، فأنها الآن تمجن وتخبز وتطحن قال : قد أخذتك أمير المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . فقلت للزهري : ما هذا ؟ فقل : من الله العلم ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلىنا التسليم ، أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت . وعن ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : كان عمر بن الخطاب يأمر برواية قصيدة لبيد بن ربيعة التي يقول فيها :

إن تقوى ربنا خير نفل * وبإذن الله ريئى والعجل
أحمد الله فلا ند له * بيديه الخير ما شاء فعل
من هداد سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الزهري : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة فأنزله فإذا هو معتاط ينفخ ، فقلت : مالي أراك هكذا ؟ فقال : دخلت على أميركم آفنا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبيد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت عليهما فلم يردا على السلام ، فقلت :

لأنه جبا أن تؤتيا فتكلمنا * فما حشى الأقوام شرًا من الكبر
ومسا تراب الأرض منه خلقتنا * وفيها المهاد والمصير إلى الحشر

فقلت : يرحمك الله ! ! مثلك في فقهك وفضلك وسنك تقوى الشر ؟ ! فقال : إن المصدور إذا نفث برا . وجاء شيخ إلى الزهري فقال : حدثني ، فقال : إنك لا تعرف اللغة ، فقال الشيخ : لعل أعرفها ، فقال : فما تقول في قول الشاعر :

صريع نداحي يرفع الشرب رأسه * وقدمات منه كل عضو ومفصل ؟

ما المفصل ؟ قال : اللسان ، قال : عدد على أحدثك . وكان الزهري يتمثل كثيرًا بهذا :

ذهب الشباب فلا يعود جانا * وكان ما قد كان لم يك كنا
فطويت كفى يا جنان على المصا * وكفى جنان بطيها حنانا

وكان نقش خاتم الزهري : محمد يسأل الله العاقبة . وقيل لابن أخي الزهري : هل كان عمك يتطيب ؟ قال : كنت أشم ريح المسك من سوط دابة الزهري . وقال : استكثروا من شيء لا تمسه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المعروف . وامسحه رجل مرة فأعطاه قبضة ، فقيل له : أنعطى على كلام

الشيطان ؟ فقال : إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر . وقال سفيان : سئل الزهري عن الزاهد فقال : من لم يمنع الحلال شكره . ولم يقلب الحرام صبره . وقال سفيان : قالوا للزهري : لو أنك الآن في آخر عمرك أقمت بالمدينة ، فقممت إلى مسجد رسول الله ﷺ ، ودرجت وجلسنا إلى عمود من أعمدته فذكرت الناس وعلمهم ؟ فقال : لو أني فعلت ذلك لوطئ عتبي ، ولا ينبغي لي أن أفعل ذلك حتى أزهده في الدنيا وأرغب في الآخرة . وكان الزهري يحدث أنه هلك في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبيا ، ماتوا من الجوع والعمل . كانوا لا يأكلون إلا ما عرفوا ، ولا يلبسون إلا ما عرفوا . وكان يقول : العبادة هي الورع والزهد ، والعلم هو الحسنة ، والصبر هو احتمال المسكاره ، والدعوة إلى الله على العمل الصالح [(١)] .

ومن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك كما أورده ابن عساكر

(بلال بن سعد)

ابن تميم السكوني أبو عمرو ، وكان من الزهاد السكبار ، والعباد الصوام القوام ، روى عن أبيه وكان أبوه له صحبة ، وعن جابر وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم ، وعنه جماعات منهم أبو عمرو والأوزاعي وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد العظيمة في قصصه ووعظه ، وقال : ما رأيت واعظا قط مثله . وقال أيضا : ما بلغني عن أحد من العبادة ما بلغني عنه ، كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة . وقال غيره وهو الأصمعي : كان إذا نفس في ليل الشتاء ألقى نفسه في ثيابه في البركة ، فعاتبه بعض أصحابه في ذلك فقال : إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم . وقال الوليد بن مسلم : كان إذا كبر في المحراب سمعوا تكبيره من الأوزاع . قلت : وهي خارج باب الفرديس . وقال أحمد بن عبد الله الدجلى : هو شامي تابعي ثقة . وقال أبو زرعة الدمشقي : كان أحد العلماء قاصداً حسن القصص ، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالافتداح حتى قال بلال بن زوما في وعظه : رب مسرور مغرور ، ورب مغرور لا يشعر ، فويل لمن له الوليل وهو لا يشعر ، يأكل ويشرب ، ويضحك ، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار ، فياويل لك روحاً ، ياويل لك جسداً ، فلنبتك ولنبتك عليك البواكي أطول الأبد . وقد ساق ابن عساكر شيئاً حسناً من كلامه في مواعظه البليغة ، فمن ذلك قوله : والله ليكني به ذنباً أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها ، زاهدكم راغب ، وعالمكم جاهل ، ومجتهدكم مقصر . وقال أيضاً : أشع لك كلما نقيك ذكرك بنصيبك من الله ، وأخبرك بميب فيك ، أحب إليك ، وخير لك من أشع كلما نقيك وضع في كفك ديناراً . وقال أيضاً : لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوه في السر ولا تكن عدو إبليس والنفس والشهوات في العلانية وصديقهم في السر ، ولا تكن ذا وجهين وذا لسانين

فتعظم للناس أنك تخشى الله ليحمدوك وقلبك عاجز . وقال أيضا : أيها الناس إنكم لم تخلقوا للثناء وإنما خلقتم للبقاء ، ولكنكم تتقلبون من دار إلى دار ، كما تقدم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى الموقف ، ومن الموقف إلى الجنة أو النار . وقال أيضا : عباد الرحمن إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يعمل على يقين فلا تنفعن ، عباد الرحمن لو قد غفرت خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شهلا ، ولو علمتم بما تعلمون لكان لكم مقتدا ومناجيا ، عباد الرحمن أماما وكلام به فتضيئونه ، وأما ما تكفل الله لكم به فتظلمبونه ، ما هكذا نعمت الله عبياده الموقنين ، أذو وعقول في الدنيا وبه في الآخرة ، وعنى عما خلقتهم له بصراء في أمر الدنيا ، فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعته ، فكذلك اشفقوا من عذابه بما تذهبكون من معاصيه ، عباد الرحمن ! هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئا من أعمالكم قد تقبل منكم ؟ أو شيئا من خطاياكم قد غفر لكم ؟ (أم حسبتم أنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجعون) والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستعجلتم ما غرض عليكم . أترغبون في طاعة الله لدار معمورة بالآفات ؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكلها دائم وظلها ، وعرفت بها عرض الأرض والسموات (تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) وقال أيضا : الذكر ذكران ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عند ما أحل وحرم أفضل . عباد الرحمن يقال لأحدنا : تصب أن تموت ؟ فيقول : لا ! فيقول له : لم ؟ فيقول : حتى أعمل ، فيقال له : أعمل ، فيقول سوف أعمل ، فلا تحب أن تموت ، ولا تحب أن تعمل ، وأحب شئ إليه يحب أن يؤخر عمل الله ، ولا يحب أن يؤخر الله عنه عرض دنياه . عباد الرحمن إن العبد يعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضع ماسواها ، فما يزال بمنية الشيطان ويزين له حتى ما يرى شيئا دون الجنة ، مع إقامة على معاصي الله . عباد الرحمن قبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فامضوها وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، فإنه قال (إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال أيضا : إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ، يقبل المتقبل ويدعو المدبر ، وقال أيضا : إذا رأيت الرجل متخرجاً لوجهه من رايه معجبا برأيه فقد تمت خسارته . وقال الأوزاعي : خرج الناس بدمشق يستسقون فقام بهم بلال بن سعد فقال : يا معشر من حضرة السقم مقرين بالأساءة ؟ قالوا : نعم ، فقال : اللهم إني أذكركم (ما على المؤمنين من سبيل) وقد أفرأنا بالأساءة فاعف عنا واغفر لنا . قال : فسقوا يومهم ذلك : وقال أيضا : سمعته يقول : لقد أدركت أقواما يشندون بين الأغراض ، ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا جثم الليل كانوا رعبانا . وسمعته أيضا يقول : لا تنظر إلى صغر الذنب وانظر إلى من عصيت . وسمعته يقول : من بادأك بالود فقد استغرقك بالشكر .

وكان من دعائه : اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب ، ومن تبعات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال
ومضلات الميّن . وقال الأوزاعي عنه أنه قال : عباد الرحمن لو أنتم لم تدعوا إلى الله طاعة إلا عملتموها
ولا معصية إلا اجتنبتموها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لكفها كم ذلك عقوبة عند الله عز وجل . وقال :
إن الله يغفر الذنوب لمن تاب منها ، ولكن لا يعفوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة .

ترجمة الجعد بن درهم

هو أول من قال بخلق القرآن ، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي ، وهو مروان الحمار ، آخر
خلفاء بني أمية . كان شيخه الجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، ويقال إنه من موالى بني مروان ،
سكن الجعد دمشق ، وكانت له بها دار بالقرب من القلاسيين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابن
عساکر . قلت : وهي محلة من الخواصين اليوم غربها عند حمام القطنين الذي يقال له حمام قلمنس .
قال ابن عساکر وغيره : وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سيمان ، وأخذها بيان عن طالوت ابن
أخت لبید بن أعصم ، زوج ابنته ، وأخذها لبید بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ
عن يهودى باليمن ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان النخري ، وقيل الترمذي ، وقد أقام ببليخ ،
وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتماظران ، حتى نفي إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصبهان ،
وقيل بمرور ، قتلها نائبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشمر المريسي عن
الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دواد عن بشر ، وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق
القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكر الكوفة ، فلقه فيها الجهم بن صفوان فقتله هذا القول عنه ،
ثم إن خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد يوم عيد الاضحى بالكوفة ، وذلك أن خالداً خطب الناس
فقال في خطبته تلك : أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم
أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً . ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم
نزل فذبحه في أصل المنبر .

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد الله بن أحمد
وذكره ابن عساکر في التاريخ ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح إلى
وهب يقتل ويقول : أجمع لأعقل ، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوماً :
ويك يا جعد ، أقصر المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له
بداً ما قلنا ذلك ، وأن له عيناً ما قلنا ذلك ، وأن له نفساً ما قلنا ذلك ، وأن له سمماً ما قلنا ذلك ،
وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل . ذكره ابن
عساکر ، وذكر في ترجمته أنه قال للحجاج بن يوسف ويروى لعمران بن حطان :

ليث على وفي الحرب لعامة * فتخذه تجفل من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر
(ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة)

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا رزق الله بن موسى ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا
عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال
قال رسول الله ﷺ : ترفع رتبة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة ، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده
عن أبي كريب عن ابن أبي فديك عن عبد الملك بن سميد بن زيد بن نفيل عن مصعب بن
مصعب عن الزهري به . قلت : وهذا حديث غريب مشكوك ، وه مصعب بن مصعب بن عبد الرحمن
ابن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه علي بن الحسين بن الجعيد : وكذا تكلم في الراوى عنه أيضا
والله أعلم . وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم ، وفي ربيع الآخر منها
توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان

﴿ ذكر وفاته وترجته رحمه الله ﴾

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحجاج بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد
القرشي الأموي الدمشقي ، أمير المؤمنين . وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل الخزرجي ، وكانت
داره بدمشق عند باب الطواحين ، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد التي يقال لها الدورية
الكبيرة ، وتعرف بدار القبايين - يعني الذين يبيعون القباب وهي الخيام - فكانت تلك الخيمة داره
والله أعلم . وقد برز له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بعدد سنة إليه ، وذلك يوم الجمعة لأربع
بقي من شعبان سنة خمس ومائة ، وكان له من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكان جديلا أبيض
أحول يخضب بالسواد ، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين دلووا بالخلافة ، وقد كان عبد الملك رأى
في المنام كأنه بال في الحراب أربع مرات ، فذهب إلى سميد بن المسيب من سائمه عنها ففسرها له بأنه
يلى الخلافة من ولده أربعة ، فوقع ذلك ، فكان هشام آخرهم ، وكان في خلافته حازم الزأري جماعا
للأموال يبخل ، وكان ذكيا مدبرا له بصرا بالأمر وجايدا وحتيها ، وكان فيس حليم وأناة ، شتم مرة
رجلا من الأشراف فقال : أقشمتني وأنت خايفة الله في الأرض ؟ فاستجيبا وقال : اقتص مني بدلها
أو قال بمثلها ، فقال : إنا أكون سفيها ملك ، قال فخذ عوضا قال : لا أقبل ، قال : فاركبها الله ، قال :
هي لله ثم لك ، فقال هشام عند ذلك : والله لا أعود إلى مثابها .

وقال الأصمعي : أسمع رجلا هشاما كلما قتل له : أقول لي مثل هذا وأنا خيفةك ؟ وغضب
مرة على رجل فقال له : اسكت وإلا ضربتك سوطا ، وكان علي بن الحسين قد اقترض من مروان

ابن الحسك مالا أربعة آلاف دينار، فلم يتعرض له أحد من بني مروان، حتى استخلف هشام فقال :
ما فعل حقنا قبلك ؟ قال : موفور مشكور ، فقال ! هو لك .

[قلت : هذا الكلام فيه نظر ، وذلك أن علي بن الحسين مات سنة الذقةاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، قبل أن يلى هشام الخلافة بأحدى عشرة سنة ، فإنه إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، فتقول المؤلف : إن أحداً من خلفاء بني مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولى هشام فطالبه بالمال المذكور ، فيه نظر ولا يصح . لتقديم موت علي على خلافة هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)]
وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء ، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابن يحيى أمر شديد وقال : وددت أنى اقتديت بما بجميع ما أمالك . وقال المدائني عن رجل من حبي عن بشر مولى هشام قال : أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال : اكسروا الطنبور على رأسه وقرنه ، فهبى الشيخ ، قال بشر : فضربه ، قال أنرانى أبكى للضرب ، إنما أبكى لاحتقارك البربط حتى سميت طابورا ، وأغاظ له هشام رجل يوءاً فى الكلام فقال : ليس لك أن تقول هذا لامالك . وتقدم أحد ولده يوم الجمعة فبعث إليه مالك لم تشهد الجمعة ؟ فقال : إن بغلتى عجزت عني ، فبعث إليه أما كان يمكنك المشى ، ومنعه أن يركب سنة ، وأن يشهد الجمعة ماشياً

وذكر المدائني أن رجلاً أهدى إلى هشام طيرين فأوردتهما السفير إلى هشام ، وهو جالس على سرير فى وسط داره ، فقال له : أرسلهما فى الدار ، فأرسلهما ، ثم قال : جأرتنى يا أمير المؤمنين فقال : ويحك وما جأرتك على هدية طيرين ؟ خذ أحدهما ، فجعل الرجل يسمى خلف أحدهما ، فقال : ويحك ما بالاك ؟ فقال أختار أجودهما : قال : وتختار أيضاً الجيد وتترك الردىء ؟ ثم أمر له بأربعين أو خمسين درهما . وذكر المدائني عن مجرم ^(٢) كاتب يوسف بن عمر . قال : بعثنى يوسف إلى هشام بياقوتة حمراء ولواؤة كانتا لأربعة ، جارية خالد بن عبد الله القسرى ، مشترى اليقوتة ثلاثة وسبعون ألف دينار ، قال : فدخلت عليه وهو على سرير فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش ، فأورينها له ، فقال : كم زنتها ؟ فقلت : إن مثل هذه لا مثل لها ، فسكت . وقالوا : ورأى قوما يفرطون الزيتون فقال القطود لقطا ولا تنفضوه نفصاً ، فتفقأ عيونهم وتمكسر غصونهم ، وكان يقول : ثلاثة لا يضمن الشريف : تعاهد الصنيعة ، وإصلاح المعيشة ، وطلب الحق وإن قل . وقال أبو بكر الخرائطى : يقال إن هشاماً لم يقل من الشعر سوى هذا البيت :

إذا أنت لم تعص الهوى قاذك الهوى * إلى كل ما فيه عليك مقال

وقد روى له شعر غير هذا ، وقال المدائني عن ابن يسار الأعرجى حدثنى ابن أبى بجيله عن عقاب بن

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا ولم نجد له مرجعاً .

شبة قال : دخلت على هشام وعليه قباء فتك أخضره فوجهنى إلى خراسان ، ثم جعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء ، ففطن فقال : مالك ؟ قلت : عليك قباء فتك أخضره ، [وكنت رأيت عليك مثله] قبل أن تلى الخلافة ، فجعلت أقامل هذا هو ذاك أم غيره ، قال : والله الذى لا إله غيره هو ذاك ، مالى قباء غيره ، وما ترون من جمى لهذا المال وصونه إلا لكم . قال عقاب : وكان هشام محشواً بخلا .

وقال عبد الله بن على عم السفاح : جمعت دواوين بنى أمية فلم أر أصلح للعادة والسلطان من ديوان هشام . وقال المدائني عن هشام بن عبد الحميد : لم يكن أحد من بنى مروان أشد نظراً في أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام ، وهو الذى قتل غيلان القدرى ، ولما أخضر بنى يديه قال له : ويحك قل ما عندك ، إن كان هذا اتبعناه ، وإن كان باطلا رجعت عنه ، فنأظره ميمون بن مهران فقال لميمون أشياء فقال له : أيمسى الله كارها ؟ فسكت غيلان فقيده حينئذ هشام وقتله . وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن منذر بن أبي نود قال : أصبنا في خزان هشام أئى عشر ألف قيص كلها قد أنزجها . وشكى هشام إلى أبيه ثلاثاً إحداها أنه سباب الصعود إلى المنبر ، والثانية قلة تناول الطعام ، والثالثة أن عنده في القصر مائة جارية من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن . فكتب إليه أبوه : أما صعدك إلى المنبر فاذا علوت فوفقه فارم بمصرحك إلى مؤخر الناس فإنه أهون عليك ، وأما قلة الطعام فر الطباخ فليكثر الأتوان فمالك أن تتناول من كل لون لقمة ، وعليك بكل بيضاء بضة ، ذات جمال وحسن . وقال أبو عبد الله الشافعى : لما بنى هشام بن عبد الملك الرصافة قال : أحب أن أدخل بها يوماً لا يأتينى فيه خبر غم ، فما انصرف النهار حتى أتته ريشة دم من بعض الثعور ، فقال : ولا يوماً واحداً ! وقال سفيان بن عيينة : كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا حسين ابن زيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمر بن على قال : مشيت مع محمد بن على - يعنى ابن الحسين ابن على بن أبي طالب - إلى داره عند الحمام فقلت له : إني قد طال ملك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين سنة ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا ينفى لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ، ولكن أبى حدثني عن أبيه عن على عن النبي ﷺ قال : « إن يعمر الله ملكاً في أمة نبى مفضى قبله ما بلغ ذلك النبى من العمر في أمة ، فإن الله عمر نبيه ﷺ ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة » . وقال ابن أبي خيثمة : ليس حديث فيه توقيت غير هذا ، قرأه يحيى بن معين على كتابي فقال : من حدثك به ؟ فقلت : إبراهيم ، فتلهم أن لا يكون سمعه ، وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن أحمد بن زهير عن إبراهيم بن المنذر الحزامي . وروى مسلم بن إبراهيم ثنا القمام بن الفضل حدثني عباد بن المعرف الفسكى ^(١) عن غنم بن

(١) كذا الأصل .

المنذر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول : هلاك ملك بني أمية على رجل أحول - يعني هشاماً - .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النخعي عن أبيه عن عمرو بن كليع عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك : قال خرج علينا يوماً هشام وعليه كآبة وقد ظهر [عليه] الحزن ، فاستدعى الأبرش بن الوليد فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين مالي أراك هكذا ؟ فقال : مالي لا أكون وقد زعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاث وثلاثين من يومى هذا . قال : فكتبنا ذلك ، فلما كان آخر ليلة من ذلك جاءني رسوله في الليل يقول : احضر معك دواء للذبحة ، وكان قد أصابته قبل ذلك ، فاستعمل منه فموفي ، فذهبت إليه وبسبب ذلك الدواء فتناوله وهو في وجع شديد ، واستمر فيه عامة الليل ، ثم قال : يا سالم اذهب إلى منزلك فقد وجدت خفة وذو الدواء عندي ، فذهبت فما هو إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصياح عليه ، فوجدت فإذا هو قد مات .

وذكر غيره أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم يبكون حوله فقال : جادلتم هشاماً بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم له ما كسب ، ما أسوأ منقلب هشام إن لم يغفر الله له . ولما مات جاءت الخزنة فتحتوا على حواصله وأرادوا تسخين الماء فلم يتدروا له على فحم حتى استعاروا له ، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم . وكانت وفاته بالرصافة يوم الأربعاء لست بقتين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن بضع وخمسين سنة ، وقيل إنه جاوز الستين ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذي ولي الخلافة بعده ، وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشر يوماً ، وقيل وثمانية أشهر وأيام فله أعلم .

وقال ابن أبي فديك : ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » . قال ابن أبي فديك : زينتها نور الإسلام وبهجته ، وقال غيره - يعني الرجال - والله أعلم .

قلت : لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية ، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً ، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحو من سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم ومملكتهم ، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذلك بمسوطاً مقدراً في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

بحمد الله قد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويليه الجزء العاشر

وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فهرس المجلد التاسع من البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
٢٧	سنة أربع وسبعين . وقوع طاعون عظيم بالشام .
٢٩	غزو رقبيل ملك الترك الأعظم
٣١	سنة ثمانين من الهجرة . وفيها كان السيل الجحاف بمكة .
٣٢	وفاة أسلم . وولي عمر بن الخطاب
٣٣	« جبير بن نفير . عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وترجمته »
٣٤	« أبي إدريس الخولاني . عبد الجهمي القدرى »
٣٥	سنة إحدى وثمانين . وفيها فتح المسلمون مدينة قاليقلا ، وقتل بكير بن وشاح .
٣٥	فتنة ابن الأشعث
٣٧	وفاة مجير بن ورقاء . سويد بن غفلة . عبد الله بن شداد .
٣٨	محمد بن علي بن أبي طالب وتاريخ حياته
٣٩	سنة ثنتين وثمانين . وفيها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج
٤٠	وقعة دير الجماجم
٤٣	وفاة المهلب بن أبي صفرة . أسماء بن خارجة المظفرية بن المهلب . الحارث بن عبد الله بن عبد أسامة بن زيد . عبد الله بن أبي طلحة . عبد الله بن كعب بن مالك .
٤٤	عذنان بن وهب . جميل بن عبد الله الشاعر وترجمة حياته .
٤٦	عمر بن عبد الله القرشي وثي . من ترجمته .
٤٦	كبل بن زياد .
٤٧	فاذان أبو عمر والكندي . أم الدرداء الصمري
٤٧	سنة ثلاث وثمانين . القتل بين الحجاج وابن
٢	سنة أربع وسبعين
٣	ذكر وفاة أبي سعيد الخدري
٤	« عبد الله بن عمر »
٥	« عبيد بن عمير . أبي جهميفة . سلمة »
٦	سنة خمس وسبعين .
١١	وفاة أبي ثعلبة الخشني . الأسود بن يزيد . حران بن أبان .
١٢	سنة ست وسبعين
١٠	اجتماع صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد
١٣	أحد شجيمان الخوارج
١٣	دخول شبيب وامراته غزاة الكوفة
١٤	ذكر أن عبد الملك نقش على الدراهم الدنانير وهو أول من نقشها .
١٥	وفاة أبي عثمان النهدي . صلبة بن أشيم . زهير ابن قيس البلوي . المنذر بن الجارود
١٦	سنة سبع وسبعين . وفيها أخرج الحجاج جيش الكوفة إلى شبيب
١٩	مقتل شبيب .
٢١	وفاة كثير بن العاص . عياض بن غنم الأشعري
٢١	محمد بن موسى . مطرف بن عبد الله .
٢١	سنة ثمان وسبعين .
٢٢	غزو المسلمين بلاد الروم وفتح إريقية .
٢٢	وفاة جابر بن عبد الله . شرح بن الحارث وترجمته
٢٦	عبد الرحمن بن غنم . جنادة بن أمية . العلاء
٢٦	ابن زياد البصري وترجمته .

صحيفة	صحيفة
عمر بن حكيم .	الأشعث بدير الجاجم .
٧٦ سنة تسع وثمانين . ما فيها من الفتوحات والغنائم	٤٩ انتصار الحجاج على ابن الاشعث
٧٧ سنة تسعين من الهجرة . ما فيها من فتح	٥١ بناء واسط .
الحصون وقتال الروم .	ذكر من توفي من الأعيان . عبد الرحمن
٧٨ هر وب يزيد بن المهلب وأخيه المفضل من	ابن جهميرة . طارق بن شهاب . عبد الله بن عدي
سجن الحجاج والتجأؤهما إلى سليمان بن عبد الملك	٥٢ سنة أربع وثمانين .
٨٠ من توفي في هذه السنة من الأعيان : يتأذوق	٥٠ من توفي من الأعيان : أيوب بن القرية .
الطبيب . خالد بن يزيد بن معاوية . عبد الله	عتبة بن منذر السلمي .
ابن الزبير الأمدى الشاعر .	٥٣ روح بن زنباع . عبد الرحمن بن الأشعث
٨١ سنة إحدى وتسعين وفيها غزو بلاد الترك	٥٤ ترجمة أيوب بن القرية وروح بن زنباع .
وبلاد المغرب	٥٥ سنة خمس وثمانين . عزل يزيد بن المهلب
٨٣ ومن توفي فيها السائب بن يزيد ، وسهل بن	عن إمرة خراسان
سعد الساعدي .	٥٧ - ٦٠ وفاة عبد العزيز بن مروان بعد عزله عن
٨٣ سنة ثنتين وتسعين	إمارة الديار المصرية وترجمة حياته
٨٤ وفيها توفي مالك بن أوس طويس المغني . الأخطل	٦٠ بيمة عبد الملك بن مروان لولده الوليد ثم من
٨٤ سنة ثلاث وتسعين	بعده لأخيه سليمان
٨٥ - ٨٨ فتح سمرقند ومدائن أخرى	٦١ سنة ست وثمانين . وفاة عبد الملك بن مروان
٨٨ وفاة أنس بن مالك وترجمته	وتاريخ حياته وبيان أعماله
٩٢ عمر بن أبي ربيعة وشي من شعره	٦٩ أرطاة بن زفر . مطرف بن عبد الله بن الشخير
٩٣ تراجم كثير من الأعيان ومنهم أبو الشعثاء	٧٠ خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق
جابر بن زيد وترجمته	٧١ سنة سبع وثمانين وما فيها من أعمال الوليد
٩٥ سنة أربع وتسعين	٧٣ من توفي فيها من الأعيان : عتبة بن عبد السلمي
٩٦ مقتل سعيد بن جبير وسبب قتله وكيفيته .	المقدام بن معدى كرب . أبو أمامة الباهلي .
٩٩ وفاة سعيد بن المسيب	قبيصة بن ذؤيب . عروة بن المغيرة بن شعبة
١٠١ « طلق بن حبيب العنزي ، وعروة بن	شرح بن الحارث القاضي .
الزبير بن العوام	٧٤ سنة ثمان وثمانين وما فيها من الغزوات
١٠٣ « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	والفتوحات والغنائم .
١٠٨ قصيدة الفرزدق في سيدنا علي زين العابدين	٧٥ من توفي فيها من الأعيان : عبد الله بن بسر
ابن الحسين	عبد الله بن أبي أوفى . هشام بن إسماعيل .

صحيفة	صحيفة
١١٥ وفاة أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث	١٨٧ سنة مائة من الهجرة النبوية. وما فيها من الحوادث
١١٦ سنة خمس وتسعين	١٨٩ بدء دعوة بني العباس. من توفي فيها من الأعيان
١١٧ ترجمة الحجاج بن يوسف وذكر وفاته	١٩١ سنة إحدى ومائة. وفيها كانت وفاة عمر
١٢٢ فصل في كيفية دخول الحجاج الكوفة	ابن عبد العزيز
١٢٨ « فيما روى عنه من الكلمات النافعة الخ »	١٩٢ ترجمة عمر بن عبد العزيز
١٤٠ ومن توفي في سنة خمس وتسعين من الأعيان	١٩٦ فصل فيما يؤرخ عنه من الأخبار
إبراهيم النخعي. الحسن بن محمد بن الحنفية. حميد	٢٠١ ما قاله زوجته فاطمة فيه .
ابن عبد الرحمن. مطرف بن عبد الله بن الشخير	٢٠٥ ما كان يتمثل به من الأسماء
١٤٠ سنة ست وتسعين	٢٠٧ فصل في الحديث الذي ذكر فيه في دلائل النبوة
١٤٢ تكامل بناء جامع دمشق ووصفه على ما هو عليه	٢٠٨ « في أعماله الحسنة الطيبة .
١٥٢ قصيدة لبعض المحدثين في جامع دمشق وفي دمشق	٢٠٩ ذكر سبب وفاته رحمه الله .
١٥٤ فصل فيما روى في جامع دمشق من الآثار	٢١٢ فصل في أعماله في الدولة
١٥٦ الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا	٢١٩ خلافة يزيد بن عبد الملك .
عليهما السلام .	٢٢٠ سنة ثنتين ومائة وما كان فيها من الحوادث
١٥٨ ذكر الساعات التي على بابه	وهزيمة ابن المهلب
١٥٩ ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي	٢٢٢ ولاية مسلمة بن عبد الملك على بلاد
١٦٠ فصل في ابتداء عمارة دمشق	المراق وخراسان
١٦١ ترجمة الوليد بن عبد الملك وذكر وفاته	٢٢٣ ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين
١٦٦ خلافة سليمان بن عبد الملك .	من توفي في هذه السنة من الأعيان .
١٦٧ ذكر سبب مقتل قتيلة بن مسلم	٢٢٤ سنة ثلاث ومائة. ومن توفي فيها من الأعيان .
١٦٩ سنة سبع وتسعين	٢٢٤ مجاهد بن جبير المكي وتاريخ حياته
١٧٠ وفاة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	٢٢٩ سنة أربع ومائة
١٧١ « موسى بن نصير وترجمته »	٢٣٠ من توفي فيها من الأعيان .
١٧٤ سنة ثمان وتسعين وأعمال سليمان بن عبد الملك فيها	٢٣١ سنة خمس ومائة
١٧٧ سنة تسع وتسعين . وفيها كانت وفاة سليمان	٢٣١ ترجمة يزيد بن عبد الملك وذكر وفاته
ابن عبد الملك . وتاريخ حياته .	٢٣٣ خلافة هشام بن عبد الملك .
١٨٤ خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه	٢٣٤ سنة ست ومائة .
١٨٥ وفاة الحسن بن محمد بن الحنفية . عبد الله	وفيها كانت وفاة سالم بن عبد الله بن عمر
ابن محيريز . وكثير من الأعيان .	ابن الخطاب

ضميمة	ضميمة
٢٣٥ وفاة طاوس بن كيسان البجلي وترجمته .	٣٢٠ ترجمة علي بن عبد الله بن عباس
٢٤٤ سنة سبع ومائة . ومن توفي فيها من الأعيان	٣٢١ سنة تسع عشرة ومائة
سليمان بن يسار . عكرمة . ولي ابن عباس وترجمته	٣٢٢ قتل خاقان ملك الترك الأعظم
٢٥٠ وفاة القاسم بن محمد بن أبي بكر . كثر عزه	٣٢٣ قتل المنيرة بن سعيد الساحر
وماروي من شعره	٣٢٤ سنة عشرين ومائة من الهجرة
٢٥٦ سنة ثمان ومائة وما فيها من الحوادث	٣٢٥ ظهور شيعة آل العباس
٢٥٧ ترجمة محمد بن كعب القرظي ووفاته	٣٢٦ سنة إحدى وعشرين ومائة
٢٥٩ سنة تسع ومائة . سنة عشر ومائة .	٣٢٨ ترجمة مسleme بن عبد الملك وذكر وفاته
٢٦٠ ترجمة جرير الشاعر ووفاته	٣٢٩ سنة ثنتين وعشرين ومائة
٢٦٥ ترجمة الفرزدق	٣٣٠ كيفية قتل زيد بن علي بن الحسين
٢٦٦ « الحسن البصري	٣٣١ » « أبي يحيى المعروف بالبطل
٢٦٧ » محمد بن سيرين	٣٣٤ ترجمة إلياس الذكي
٢٦٧ » وهب بن منبه	٣٣٨ سنة ثلاث وعشرين ومائة
٣٠٢ ذكر باقي من توفي من الأعيان في سنة عشر ومائة	٣٣٩ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
٣٠٣ سنة إحدى عشرة وأثنى عشرة ومائة .	سماك بن حرب . محمد بن واسع وترجمته
٣٠٤ ترجمة رجاء بن حيوة . شهر بن حوشب .	٣٠٥ سنة أربع وعشرين ومائة
٣٠٥ ترجمة الأمير عبد الوهاب بن بخت ووفاته	٣٤٠ وفي هذه السنة توفي القاسم بن أبي بزة
» مكحول الشامي .	٣٤٠ تاريخ حياة ابن شهاب الزهري
٣٠٦ سنة أربع عشرة ومائة	٣٤٤ فصل فيما روى عن الزهري من الآثار والعلم
٣٠٧ ترجمة عطاء بن أبي رباح	والورع والزهد .
٣٠٩ سنة خمس عشرة ومائة	٢٤٨ بلال بن سعد وترجمته وما كان عليه من
٣١٠ ترجمة أبي جعفر الباقر	العبادة والزهد والتفكير
٣١٢ سنة ست عشرة ومائة .	٣٥٠ ترجمة الجعد بن درهم
٣١٣ سنة سبع عشرة ومائة	٣٥١ سنة خمس وعشرين ومائة
٣١٤ ترجمة قتادة بن دعابة السدوسي	٣٥٢ ذكر وفاة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وترجمته
٣١٩ نافع . ولي ابن عمر - ذوالرمة الشاعر	٣٥٢ الرد علي بن قال : إن هشام بن عبد الملك
٣٢٠ سنة ثمان عشرة ومائة	طالب علي بن الحسين بما كان استدانه من مروان
	جد هشام .
	(تم فهرس)

تاريخ بغداد

أوردته ببسة السلام

لابي بكر الخطيب البغدادي

وضمته في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هـ

﴿ مطبعة السادة بجوار محافظة مصر ﴾

تشرف بإعلان الجمهور بأنها أتمت طبع كتاب (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وهو في ١٤ مجلداً زهاء ٧٠٠٠ صفحة يشتمل على ٧٨٣١ ترجمة .

صدره بمقدمة تشتمل على وصفها وبنائها وتخطيطها ومحاسنها موصولاً بفتح المدائن ومن كان بها من الصحابة إلى صحيفة ٣١٤ من المجلد الأول . ثم شرع في المقصود من الكتاب فذكر ساكنيها من الخلفاء والملوك والأمرأء والوزراء والعلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والعقهاء والأخباريين والكتّاب والشمرأء الخ .

مرتباً جميع ذلك على الحروف ثم ختمه بذكر فضليات النساء . والكتاب أحد أهمّات التاريخ الاسلامي وضمه في أزهى عصور الاسلام من خلافة أبي جعفر المنصور إلى خلافة القائم بأمر الله العباسي في مدة (٣١٥) سنة .

وقد قال فيه الحافظ السخاوي : إنه تاريخ الدنيا لتناوله تراجم كل من دخلها من أهل العلم للاستفادة أو الأفادة .

وقد جعلنا منه كلاً ثلثي : ورق (بدون تجليد) ١٤٠ مائة واربعون قرشاً صاغاً ويطلب من مطبعة السادة بجوار محافظة مصر

حليّة الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني وهو يقع في عشرة أجزاء في القطر المتوسط « القلبين الجوز » على ورق أبيض ناعم . طبع منه سبعة أجزاء وجاري الطبع في الثامن وثمان الجزم الواحد ١٠ عشرة قروش صاغ . ﴿ ونسأل الله التوفيق إنه على كل شيء قدير ﴾